سلسلة مؤلفات فضيلة الشيخ (٢٨)

الضياء اللامع من الخطب الجوامع

لفضيلة الشيخ العلامة

محمد بن صالح العثيمين

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

الجزء السادس

طبع بإشراف مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية

دار الثريا



الضِّياءُ اللامع

من الخُطَبِ الجَوامع

٦

المملكة العربية السعودية
ص.ب ١٩٢٩ هاتف ٠٦٣٦٤٢١٠٧ / ٠٦٣٦٤٢٠٠٩
www.binothaimeen.com
info@binothaimeen.com

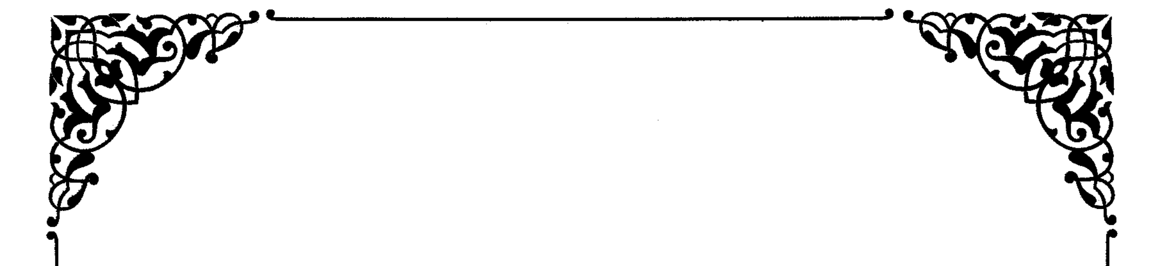
بعون الله وتوفيقه
طبع أصل هذا الكتاب عدة طبعات منذ نشره عام ١٣٩٢هـ
نفع الله به وأجزل المثوبة والأجر لمؤلفه

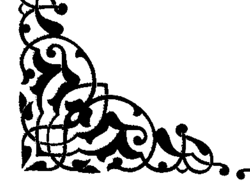
الطبعة الأولى
١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م



دار الثريا للنشر والتوزيع
فاكس ٤٠٢٢٦١٥ ص.ب ٩٤٣٨ الرياض ١١٤١٣

بريد إلكتروني
darthurayya@hotmail.com





القِسْمُ الحَادِي عَشَر

ذِكْرُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ

فضلُ الذكرِ ونماذج من الأذكار

الحمدُ لله الذي جعل الذكرَ غرساً لفسيحِ الجِنان، ومقوماً لشجرةِ الإسلام والإيمـان، ونشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا الله وحـدَه لا شريكَ لـه، ذو الفضلِ والكـرمِ والامتنان، الذي جعـلَ الليل والنهار خِلفةً لمن أراد أن يذكَّر بفعل الطاعات وترك العصيان، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه أقومُ الناس ذكراً وأبلغهـم في الإيقان، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسانٍ وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا الله تعالىٰ وأكثروا مِن ذِكرِه وشكره وحسن عبادته، واعلموا أن ذِكرَ الله تعالىٰ سببٌ لحياةِ القلوبِ ومقرِّبٌ إلىٰ علاّم الغُيوب، وأنَّ الغَفلة عن ذكرِه هي الهلاكُ والخسارُ وعاقبتها موتُ القلبِ والحَسرة والبوار، بذكر الله تطمئنُّ القلوب وتنشرحُ الصدور، بذكر الله تنفرجُ الكروب وتتيسَّر الأمور، بذكر الله يحصلُ المَطلوب وتزولُ الشرور، فأكثروا رحِمَكم اللهُ من ذِكر مولاكم وليكن ذكركم باللسان والقلب ليطيب مثواكم، واعلموا أنَّ الجنةَ طيبةَ التربةِ عَذْبة الماء وأنها قيعان وأن غِراسها سُبحان الله والحمدُ لله ولا إلٰهَ إلا اللهً والله أكبر[1]، وكلمتان خَفيفتان

(١) أخرجه الترمذي (٣٤٦٢) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

علىٰ اللسان ثقيلتان في الميزان حَبيبتان إلىٰ الرحمٰن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم»[١]، قال النبيُّ ﷺ: «**لأن أقول سبحان الله والحمدُ لله والله أكبرُ أحبُّ إليَّ مما طلعَت عليه الشمسُ**»[٢].

«**ألا أدلُّك علىٰ كنزٍ من كنوزِ الجنةِ؟ قل: لا حولَ ولا قوةَ إلا بالله**»[٣]، «**أيعجزُ أحدُكم أن يكسبَ في كلِّ يومٍ ألفَ حسنةٍ**»، فسأله سائلٌ: كيف يكسبُ ألفَ حسنةٍ؟ قال: «**يُسبِّح مئةَ تسبيحةٍ فتُكتب له ألفَ حسنة**»، فسأله سائل: كيف يكسب ألف حسنة؟ قال: «**يسبح مئة تسبيحة فتكتب له ألف حسنة وتحط عنه ألف خطيئة**»[٤]، وقال ﷺ: «**من قال إذا خرج من بيته باسم الله توكلت علىٰ الله ولا حول ولا قوة إلا بالله يقال له: كُفيت ووُقيت وهُديت وتنحَّىٰ عنه الشيطان**»[٥]. وإذا دخل الرجل بيتَه فذَكَرَ اللهَ عند دخولِه وعند طعامِه قال الشيطانُ يعني لجنودِه: لا مبيتَ لكم ولا مأوىٰ، وإذا

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦٨٢)، ومسلم (٢٦٩٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٩٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٦٤٠٩)، ومسلم (٢٧٠٤) من حديث أبي موسىٰ رضي الله عنه.

(٤) أخرجه مسلم (٢٦٩٨) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

(٥) أخرجه أبو داود (٥٠٩٥)، والترمذي (٣٤٢٦)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٨٩) من حديث أنس رضي الله عنه.

دخَلَ فلم يذكر اللهَ عند دخولِه قال الشيطانُ: أدركتُم المبيتَ وإذا لم يذكر اللهَ عند طعامِه قال: أدركتُم المبيتَ والعشاء[١]، ومن توضأ فقال: أشهدُ أن لا إلٰهَ إلا الله وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه، اللهم اجعلني من التوابينَ واجعلني من المُتطهرين فُتِحت له أبوابُ الجنةِ الثمانية يدخلُ من أيِّها شاء[٢]، ومن سبح الله في دُبر كلِّ صلاةٍ ثلاثاً وثلاثين وحمدَ الله ثلاثاً وثلاثين وكبَّر الله ثلاثاً وثلاثين وقال تمامَ المئة: لا إلٰهَ إلا الله وحدَه لا شريكَ له، له المُلكُ وله الحمدُ وهو علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ، غُفِرت خطاياهُ وإن كانت مثل زبدِ البحرِ[٣] ومن قال حين يُصبح أو يُمسي: اللهم إني أصبحتُ أُشهدك وأُشهد حملةَ عرشِك وملائكتك وجميع خلقك أنك أنت اللهُ لا إلٰهَ إلا أنت وأن محمداً عبدُك ورسولُك، أعتق الله رُبعه من النار، وإن قالها مرتين أعتق الله نصفَه من النار، وإن قالها ثلاثاً أعتقَ اللهُ ثلاثةَ أرباعِه، فإن قالها أربعاً أعتقَه اللهُ من النار[٤]، ومن قال حين يُصبح: اللهم ما أصبحَ بي من نعمةٍ فمنك وحدَك لا

---

(١) أخرجه مسلم (٢٠١٨) من حديث جابر رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٢٣٤) من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم (٥٩٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (١٢٠١)، وأبو داود (٥٠٦٩) و(٥٠٧٨)، والترمذي (٣٠٥١)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٩) من حديث أنس رضي الله عنه.

شريكَ لك، لك الحمدُ ولك الشكرُ فقد أدىٰ شكرَ يومِه، ومن قال مثل ذلك حين يُمسي فقد أدىٰ شكر ليلته[١].

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ۝٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٢].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيمِ، ونفعني وإياكم بما فيهِ من الآياتِ والذكرِ الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

(١) أخرجه أبو داود (٥٠٧٣) من حديث عبد الله بن غنام البياضي رضي الله عنه.

فضل الذكر ونماذج من الأذكار

الحمدُ لله الذي رفع منازلَ الذاكرين وأعدَّ لهم المغفرةَ والأجر العظيم، وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا الله وحدَه لا شريكَ له ذو الفضل العظيم والإحسانِ العميم، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المختار الأمين صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه ومن تبعهم علىٰ الصراط المستقيم وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها المؤمنونَ: اتقوا الله تعالىٰ واذكروا الله ذكراً كثيراً وسبِّحوه بُكرةً وأصيلاً، واعلموا أن في ذِكر الله حياة القلوب واطمئنانها، وغذاء الأرواح وسرورها وذهاب أحزانها، فما استُجلب السرورُ والاطمئنان بمثل ذِكر الله، وما حصلَ الفلاحُ والنجاةُ من الكرب إلا بذكر الله، ولذلك أمرَ اللهُ بذكره عند لقاء عدوه، فقال: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الأنفال: ٤٥]، فأكثروا من ذكرِ الله تعالىٰ في جميع الأوقات، ومَنْ ذكر الله في نفسِه ذكرَه اللهُ في نفسِه، ومَنْ ذكره في ملأٍ ذكرَه اللهُ في ملأٍ خيرٍ منهم(١)، ومثل الذي يذكرُ اللهَ والذي لا يذكره كمثل الحيِّ والميت(٢)، وما جلسَ قومٌ مجلساً لم يذكروا اللهَ

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٠٧)، ومسلم (٧٧٩) من حديث أبي موسىٰ رضي الله عنه.

فيه ولم يصلّوا علىٰ نبيِّه ﷺ إلا كان عليهم ترة[١]، أي: نقصاً وخسارة، ومن ختم مجلسه فقال: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إلٰهَ إلا أنت، أستغفرُك وأتوبُ إليك فذلك كفارةُ مجلسِه[٢]، وأسعدُ الناس بشفاعةِ النبيِّ ﷺ من قال لا إلٰهَ إلا الله خالصاً من قلبه[٣]، ومن قال: لا إلٰهَ إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ عشرَ مراتٍ كان كمن أعتقَ أربعةً أنفسٍ من ولدِ إسماعيلَ[٤]. ومن قال لا إلٰهَ إلا الله وحدَه لا شريكَ له، له الملكُ وله الحمدُ وهو علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ مئةَ مرّةٍ في يوم كانت له عدل عشر رقاب، وكُتبت له مئةُ حسنة، ومُحيت عنه مئةُ سيئةٍ، وكانت له حِرزاً من الشيطان يومه ذلك حتىٰ يُمسي، ولم يأت أحدٌ بأفضلَ مما جاء به إلا أحدٌ عمِلَ أكثرَ من ذلك[٥]، ومن قال: سبحان الله وبحمده في يومٍ مئةَ مرةٍ حُطت خطاياهُ ولو كانت

---

(١) أخرجه أحمد ٢/٤٤٦، والترمذي (٣٣٨٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد ٢/٣٦٩، وأبو داود (٤٨٥٨)، والترمذي (٣٤٣٣)، والنسائي في عمل اليوم الليلة (٣٩٧)، وابن حبان (٥٩٤) من حديث أبي هريرة.

(٣) أخرجه البخاري (٩٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري (٦٤٠٤)، ومسلم (٢٦٩٣) من حديث أبي أيوب رضي الله عنه.

(٥) أخرجه البخاري (٦٤٠٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

مثل زبدِ البحر[١]، ومن قال دُبر كلِّ صلاةٍ: سبحانَ الله والحمدُ لله واللهُ أكبر ثلاثاً وثلاثين فتلك تسعٌ وتسعونَ ختم المئةِ بقول الله أكبر أو بقول لا إلٰهَ إلا الله وحده لا شريك له، غفرت له خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر[٢]، والجنةُ طيبةُ التربةِ عذبةُ الماءِ وهي قِيعان وغِراسها سبحانَ اللهِ والحمدُ لله ولا إلٰهَ إلا الله والله أكبرُ ولا حولَ ولا قوة إلا بالله[٣]، كلمتان خفيفتان علىٰ اللسانِ ثقيلتانَ في الميزان حبيبتان إلىٰ الرحمٰن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم[٤]، ومن قال حين يُمسي وإذا أصبح: رضيتُ باللهِ ربّاً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبيّاً رسولاً كان حقّاً علىٰ الله أن يرضيه[٥]، وفي

(١) أخرجه البخاري (٦٤٠٥)، ومسلم (٢٦٩١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد ٢/ ٣٧١، ومسلم (٥٩٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الترمذي (٣٤٦٢) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه. وانظر «الترغيب والترهيب» ٢/ ٣٧٦.

(٤) أخرجه البخاري (٦٤٠٦)، ومسلم (٢٦٩٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) أخرجه أبو داود (٥٠٧٢)، والترمذي (٣٣٨٩)، وابن ماجه (٣٨٧٠)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٤) و(٥٦٥) من حديث ثوبان رضي الله عنه.

الحديث عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**رأيتُ ـ أي في المنام ـ رجلاً من أمتي قد احتوشَتْه الشياطينُ فجاءَه ذكرُ الله عزَّ وجلَّ فطرَدَ الشياطينَ عنه**»(١) واعلموا رحمكم الله أن أفضلَ الذكرِ ما تواطأ عليه القلب واللسان، فاستحضروا بقلوبِكم ما تقولونه من الذكر بألسنتكم ولا تكونوا من الغافلين.

بارِكَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيم، ونفعني وإياكم بما فيهِ من الآياتِ والذكرِ الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

(١) أخرجه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» ٣/ ٢٣٤، وأورده ابن الجوزي في «العلل المتناهية» ٢/ ٦٩٩، وابن كثير في «تفسيره» ٤/ ٥٠٣ [إبراهيم: ٢٧] من حديث عبد الرحمٰن بن سمرة رضي الله عنه، وعزاه للحكيم الترمذي.

فضل الذكر ونماذج من الأذكار

الحمدُ لله المذكور بكلِّ لسانٍ، المشكورِ علىٰ كلِّ إحسان، خلَقَ الخَلْقَ ليعبدوه وأظهرَ لهم آياتِه ليعرفوه، ويسَّرَ لهم طُرقَ الوصولِ إليه ليصلوه وهو الكريمُ المنّان، نحمده علىٰ ما أولىٰ من النِّعم والإحسان، ونشكره علىٰ تتابع الفضل والامتنان، ونشهدُ أنْ لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له الملك العظيم الدّيان، ونشهدُ أنَّ محمداً عبده ورسولُه المصطفىٰ من بني عدنان صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا الله تعالىٰ وأديموا ذكرَه فإن بذكرِ الله تطمئنُّ القلوبُ وتنفرجُ الكروبُ ويحصلُ المطلوب ويزولُ المرهوبُ، بذكر الله يحصلُ النصرُ المبين ويثبِّتُ الله القلب في مواطن الفزع، ولذلك أمرَ اللهُ بـه عند مجابهةِ الأعداءِ، فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الانفال: ٤٥]. وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «**يقول الله تعالىٰ: أنا عند ظنِّ عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسِه ذكرتُه في نفسي، وإن ذكرني في ملأٍ ذكرتُه في ملأٍ خيرٍ منهم**»[١] وقال

(١) أخرجه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ﷺ: «مثل الذي يذكر الله والذي لا يذكر الله كمثل الحيِّ والميت»[(١)]. وقال: «سبق المفردون قالوا: ومن هم يا رسول الله؟ قال: الذاكرون الله كثيراً»[(٢)]. وسُئل ﷺ مَن أسعدِ الناس بشفاعتك يا رسول الله؟ فقال: «من قال لا إلٰهَ إلا الله خالصاً من قلبه»[(٣)]. وقال ﷺ: «من قال لا إلٰهَ إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمدُ وهو علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ عشَرَ مراتٍ كان كمن أعتقَ أربعةَ أنفسٍ من ولد إسماعيل»[(٤)]. وقال: «كلمتان خفيفتان علىٰ اللسان ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلىٰ الرحمٰن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم»[(٥)]، «ومن قال سبحان الله وبحمده في يومٍ مئةَ مرة غُفرت له ذنوبُه وإن كانت مثل زبدِ البحر»[(٦)]. وقال: «لأَن أقول سبحان الله

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٠٧)، ومسلم (٧٧٩) من حديث أبي موسىٰ رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٧٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٦٥٧٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري (٦٤٠٤)، ومسلم (٢٦٩٣) من حديث أبي أيوب رضي الله عنه.

(٥) أخرجه البخاري (٦٦٨٢)، ومسلم (٢٦٩٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٦) أخرجه البخاري (٦٤٠٥)، ومسلم (٢٦٩١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

والحمد لله ولا إلٰهَ إلا الله والله أكبر أحبُّ إليَّ مما طلعت عليه الشمسُ»(١).

فأديموا أيها المسلمون ذكر ربكم لتكونوا من المفلحين، ولا تُعرضوا عن ذكرِه وتغافلوا عنه فتكونوا من الخاسرين، وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما جلس قوم مجلساً لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا علىٰ نبيِّهم إلا كان عليهم ترة**(٢) - أي قطيعة ونقصاً - **وإذا أردتم القيام من المجالس فقولوا: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إلٰهَ إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك فإن ذلك كفارةُ المجلس»**(٣). وأكثروا من الاستغفار فإن من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب(٤)، وتوبوا إلىٰ ربكم فإن التوبةَ تجبُّ ما قبلَها، ولا تتمُّ التوبةُ حتىٰ يحصلَ ندمٌ من العبدِ علىٰ ذنبِه وإقلاعٌ عنه في الحال، إن كان متلبساً به، وعزمٌ علىٰ أن لا يعودَ إليه في المستقبل فإذا

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد ٤٤٦/٢، والترمذي (٣٣٨٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أحمد ٣٦٩/٢، وأبو داود (٤٨٥٨)، والترمذي (٣٤٣٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه أحمد ٢٤٨/١، وأبو داود (١٥١٨)، وابن ماجه (٣٨١٩)، والنسائي في عمل اليوم والليلة (٤٥٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

حصلَت هذه الأمورُ الثلاثةُ فقد تمَّت توبتُه فيما بينه وبين ربِّه، أما فيما بينه وبين الخلق فلا تتم توبته حتىٰ يضيفَ إلىٰ هذه الأمور الثلاثة أمراً رابعاً وهو أن يردَّ الحقَّ إلىٰ صاحبِه.

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيمِ، ونفعني وإياكم بما فيهِ من الآياتِ والذكرِ الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

فضل الذكر ونماذج من الأذكار

الحمدُ لله الذي رَتَّب علىٰ ذكره الثوابَ الجزيل، والأَجر العظيم، ونشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا الله وحدَه لا شريكَ له البَّر الرحيم، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه الكريم، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه ومن تبعهم علىٰ الصراط المستقيم وسلّم تسليماً.

أما بعد، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ وكونوا من أولي الألباب الذين يذكرون اللهَ قياماً وقعوداً وعلىٰ جُنوبهم، وكونوا من الذين آمنوا وتطمئنُّ قلوبُهم بذكرِ الله، ألا بذكر الله تطمئنُّ القلوبُ، كونوا من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات، اذكروا الله ذِكراً كثيراً وسبِّحوه بكرةً وأصيلاً، اذكروا الله يذكرْكُم، اذكروا الله بقلوبِكم وألسنَتِكم وأعمالِكم، كونوا دائماً متذكِّرين لعظمةِ اللهِ ولأسماءِ اللهِ وصفاتِه وأفعاله، إذا فعلتُم الطاعةَ فاذكروا فضلَ اللهِ وكرمِه، وتمنَّوا ذلك عليه، وإن سوَّلَت أنفسُكم أن تفعلوا معصيةً فاذكروا عظمةَ الله وعقابِه وفرُّوا منها إليه، وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبيَّ ﷺ قال: يقول الله تعالىٰ: «**أنا عند ظنِّ عبدي بي وأنا معه إذا ذكرَني، فإن ذكرني في نفسِه ذكرتُه في نفسي، وإن ذكرني في ملأٍ ذكرتُه في ملأٍ خيرٍ منهم**»[١]، وجاء أعرابيان إلىٰ النبيِّ ﷺ فقال أحدهما:

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

يا رسولَ الله: أيُّ الناسِ خيرٌ؟ قال: **من طالَ عمرُه وحَسُنَ عملُه**، وقال الآخر: يا رسولَ الله، إن شرائعَ الإسلام قد كثُرَت عليَّ فمُرني بأمرٍ أتشبَّثُ به، قال: **لا يزالُ لسانُك رطباً من ذكرِ الله**[١]، وإنما أرشده النبيُّ ﷺ لأنه عمل اللسان ولا يشقّ علىٰ أحدٍ، أما عمل الجوارح فقد يشقُّ علىٰ الإنسانِ لمرضٍ أو كِبَرٍ فيجبُ عليه أن يتقي اللهَ ما استطاع، إن الله أوحىٰ إلىٰ يحيىٰ بن زكريا بخمسِ كلماتٍ أن يعمل بهنَّ، ويأمرَ بني إسرائيل أن يعملوا بهن منها: أن يذكروا الله كثيراً، فإن مثل ذلك كمثل رجل طلبه العدوُّ سراعاً في أثره، حتىٰ أتىٰ حصناً حصيناً فأحرز نفسَه فيه، وكذلك العبدُ لا ينجو من الشيطان إلا بذكرِ الله، وسئل ﷺ: من أسعد الناس بشفاعته يوم القيامة؟ فقال: «**من قال لا إلٰهَ إلا الله خالصاً من قلبه**»[٢]. وقال ﷺ: «**كلمتان خفيفتان علىٰ اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلىٰ الرحمٰن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم**»[٣]. وقال: «**من قال لا إلٰهَ إلا الله وحدَه لا شريكَ له، له الملكُ وله الحمدُ وهو علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ في يومٍ مئةَ مرّةٍ كانت له عدل عشرِ رقابٍ وَكُتبت له**

---

(١) أخرجه أحمد ٤/ ١٩٠، والترمذي (٣٣٧٥) من حديث عبد الله بن بُسر رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٩٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٦٦٨٢)، ومسلم (٢٦٩٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

مئة حسنة ومحيت عنه مئة سيئة، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتىٰ يمسي ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك[١]. ومن قال سبحان الله وبحمده في يوم مئة مرة غفرت ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر[٢]، وقال: أحب الكلام إلىٰ الله أربع: سبحان الله والحمد لله ولا إلٰهَ إلا الله والله أكبر، لا يضرك بأيهن بدأت[٣]، وقال: «إن في الجنة قيعاناً فأكثروا من غرسها، قالوا: يا رسول الله، وما غرسها؟ قال: سبحان الله والحمد لله ولا إلٰهَ إلا الله والله أكبر»[٤]، وقال ﷺ: «الطهورُ شَطرُ الإيمان، والحمدُ لله تملأ الميزان، وسبحان اللهِ والحمدُ لله تملآن أو تملأُ ما بين السماء والأرض، والصلاةُ نورٌ، والصدقةُ برهانٌ، والصبرُ ضياءٌ، والقرآنُ حجَّةٌ لك أو عليك، كل الناس يغدو فبائعٌ نفسَه فمعتقُها أو موبقها»[٥]، وقال ﷺ: «استكثروا من الباقيات الصالحات، قيل:

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٠٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٠٥)، ومسلم (٢٦٩١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم (٢١٣٧) من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه.

(٤) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٦١٠٥) من حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه، وعزاه الهيثمي في «مجمع الزوائد» ١٠/ ٨٩ إلىٰ الطبراني، وانظر «الترغيب والترهيب» ٢/ ٢٧٦.

(٥) أخرجه مسلم (٢٢٣) من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه.

وما هن يا رسول الله؟ قال: التكبيرُ والتهليلُ والتسبيحُ والحمدُ لله ولا حولَ ولا قوةَ إلا بالله»[(١)]، وقال النبيُّ ﷺ: **«قل لا حولَ ولا قوّةَ إلا بالله فإنها كنزٌ من كنوز الجنة»**[(٢)]، فأكثروا رحمكم الله من ذكر الله في كل الأحيان، فقد قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٤٢ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ۝٤٣ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٤].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيمِ، ونفعني وإياكم بما فيهِ من الآياتِ والذكرِ الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

---

(١) أخرجه أحمد ٣/ ٧٥، ومالك في الموطأ (٤٩١)، وابن حبان (٨٤٠)، والحاكم ١/ ٥١٢ من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٠٩)، ومسلم (٢٧٠٤) من حديث أبي موسىٰ رضي الله عنه.

فضلُ الذكرِ ونماذج من الأذكار

الحمدُ لله الذي جَعَلَ الليلَ والنهارَ خِلفةً لمن أراد أن يذكَّر أو أراد شكوراً، وأشهد أن لا إلٰهَ إلا الله وحدَه لا شريك له الذي لم يزلْ بصفاتِ الكمالِ مذكوراً، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه الذي رُفِعَ له ذكرُه ووُضِعَ عنه وزرُه وكان ذنبُه مغفوراً، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسانٍ سعياً مشكوراً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا الله تعالىٰ، واعرفوا ما له من الحِكم والأسرار في تعاقب هذا الليل والنهار، وإن من أعظمِ الحكمِ في ذلك أن يقومَ الناسُ بأداء ما شرَعَ اللهُ فيهما من العباداتِ والأذكارِ، ليحوزوا بذلك فضلاً ورِفعةً، ودنوّاً من العزيز القهار، ولتتجدد عزائمهم، فكلُّ صباحٍ تتجدد العزائمُ والأفكار، وليعرف الناسُ أن ربَّهم ذو عزّةٍ واقتدارٍ، يأتي بظلام هذا يغشىٰ نور هذا، وبضياء هذا يجلو ظلام هذا، فما أبلغ الحكمة والاقتدار، عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ **«استكثروا من الباقيات الصالحات»**، قيل: وما هي يا رسول الله؟ قال: **«التكبيرُ والتهليلُ والتسبيحُ والحمدُ لله ولا حولَ ولا قوّةَ إلا بالله»**[1]. **«كلمتان حبيبتان إلىٰ الرحمٰن خفيفتان علىٰ اللسان ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمدِه سبحان**

(١) أخرجه أحمد ٣/ ٧٥، ومالك في الموطأ (٤٩١)، وابن حبان (٨٤٠)، والحاكم ١/ ٥١٢ من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

الله العظيم»[١]. «بخ بخ لخمس ما أثقلهن في الميزان: لا إلٰهَ إلا الله وسبحان الله والحمدُ لله والله أكبر، والولَدُ الصالح يتوفَّىٰ للمرء المسلم فيحتسبه»[٢]. إن في الجنة قيعاناً فأكثروا من غرسها، قالوا: يا رسول الله، وما غرسها؟ قال: «سبحان الله، والحمدُ لله، ولا إلٰهَ إلا الله، والله أكبر»[٣]، «أكثروا من قول لا حول ولا قوة إلا بالله، فإنها كنزٌ من كنوزِ الجنة»[٤]. «من قال لا إلٰهَ إلا الله وحدَه لا شريكَ له، له المُلك وله الحمـدُ وهو علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ في يومٍ مئةَ مرةٍ كانت له عدل عشر رقاب، وكُتبت له مئةُ حسنةٍ، ومُحيت عنه مئةُ سيئةٍ، وكانت له حِرزاً من الشيطان يومِه ذلك حتىٰ يُمسي ولم يأت أحدٌ بأفضلَ مما جاء به إلا أحدٌ عَمِلَ أكثرَ من ذلك»[٥]، «ومن قال سبحان الله وبحمدِه في يومٍ مئةَ مرةٍ حُطَّت خطاياه ولو

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦٨٢)، ومسلم (٢٦٩٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه النسائي في «السنن الكبرىٰ» (٩٩٩٥)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (١٦٧) من حديث أبي سُلْمىٰ رضي الله عنه، راعي رسول الله ﷺ.

(٣) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٦١٠٥) من حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه.

(٤) أخرجه الترمذي (٣٦٠١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) أخرجه البخاري (٦٤٠٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

كانت مثل زبدِ البحر»[١]، «ومن سبَّح دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين وحَمِدَ اللهَ ثلاثاً وثلاثين وكبَّر اللهَ ثلاثاً وثلاثين فتلك تسعٌ وتسعون ثم قال تمام المئة: لا إلٰهَ إلا الله وحده لا شريك له غُفرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر»[٢]، وفي بعض الروايات أن التكبير أربعاً وثلاثين. «من خرج من بيته فقال: بسم الله توكلت علىٰ الله لا حولَ ولا قوةَ إلا بالله قيل: حسبك، هُديت وكُفيت ووُقيت وتنَحَّىٰ عنه الشيطان»[٣]، وكان ﷺ إذا أوىٰ إلىٰ فراشه قال: «باسمك اللهم أحيا وأموت»[٤]، الحمدُ لله الذي أطعمَنَا وسقانَا وكفانَا وآوانا، فكم ممن لا كافي له ولا مُؤوي»[٥]، ويضع يدَه اليُمنىٰ تحتَ خدِّه ثم يقول: «اللهم قِني عذابك يومَ تبعثُ عبادَك»[٦]، وإذا أوىٰ أحدكم

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٠٥)، ومسلم (٢٦٩١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد ٢/ ٣٧١، ومسلم (٥٩٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أبو داود (٥٠٩٥)، والترمذي (٣٤٢٦) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري (٦٣١٢) من حديث حذيفة رضي الله عنه.

(٥) أخرجه مسلم (٢٧١٥) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٦) أخرجه أحمد ٥/ ٣٨٢، والترمذي (٣٣٩٨)، والحميدي (٤١٤)، والبزار (٢٨٢٥) من حديث حذيفة رضي الله عنه، وأخرجه من حديث البراء رضي الله عنه مسلم (٧٠٩)، وأحمد ٤/ ٢٨٩ والبخاري في «الأدب المفرد» (١٢١٥)، والترمذي (٣٣٩٩)، والطيالسي (٧٠٩).

إلىٰ فراشه فلينفضه بداخلة إزاره فإنه لا يدري ما خلفه عليه ثم يقول: **«باسمك ربي وضعتُ جنبي وبك أرفعُه، إن أمسكتَ نفسي فارحمها وإن أرسلتَها فاحفظها بما تحفظُ به عبادَك الصالحين»**[١] وإذا أتيت مضجعكَ فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع علىٰ شقك الأيمن وقل: **«اللهم أسلمتُ نفسي إليكَ ووجهتُ وجهي إليكَ، وفوَّضْتُ أمري إليك، وألجأتُ ظهري إليك رغبةً ورهبةً إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، آمنتُ بكتابِكَ الذي أنزلتَ، وبنبيِّك الذي أرسلتَ»**، فإن متَّ متَّ علىٰ الفطرة، واجعلهن آخرَ ما تقول[٢]، وكان إذا أصبحَ يقول: **«اللهم بكَ أصبحنا وبك أمسينا وبك نحيا وبك نموتُ وإليك النشور»** وإذا أمسىٰ قال: **«اللهم بكَ أمسينا وبكَ أصبحنا وبك نحيا وبك نموتُ وإليك المصير»**[٣]، ألا أدلك علىٰ سيد الاستغفار: **«اللهم أنت ربِّي لا إلـٰه إلا أنتَ خلقتني وأنا عبدُكَ وأنا علىٰ عهدك ووعدك مـا استطعتُ، أعوذُ بك من شرِّ ما صنعتُ، أبوءُ لك بنعمتك عليَّ وأبوءُ بذنبي فاغفِرْ لي إنه لا يغفرُ**

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٢٠)، ومسلم (٢٧١٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٧)، ومسلم (٢٧١٠) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أحمد ٢/ ٣٥٤، وأبو داود (٥٠٦٨)، والترمذي (٣٣٩١)، وابن ماجه (٣٨٦٨)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الذنوبَ إلا أنت، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم»[١]، من قالها حين يُمسي فمات من ليلته دخل الجنة، ومن قالها حين يُصبح فمات من يومِه دخل الجنة.

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

(١) أخرجه البخاري (٦٣٢٣) من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه.

فضل الذكر

الحمدُ للهِ الذي جَعل ذكره سبباً للفوزِ بدار السلام، ومكفراً للذنوب والآثام، وجَعل الإعراض عنه سبباً للخسارة والحرمان، ونشهدُ أنْ لا إلـٰه إلاّ الله وحدَه لا شريكَ له ذو الجلال والإكرام، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه أفضلُ الأنام ومصباح الظلام، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه الكرام، وعلىٰ التابعين لهم بإحسانٍ إلىٰ يوم المقام وسلم تسليماً.

أما بعدُ، فيا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً وسبحوه بُكرةً وأصيلاً، واعلموا أن في ذكر الله حياةُ القلوب والقربُ من علام الغيوب، وفي ذكر الله كشفُ الغمومِ وتفريجُ الكروب، وفي ذكر الله زوال المكروه وحصول المطلوب، وفي الصحيح عن النبيِّ ﷺ يقول الله عز وجل: «**أنا عند ظنِّ عبدي، وأنا معه حين يذكرني فإن ذكرني في نفسِه ذكرتُه في نفسِي، وإن ذكرني في ملأٍ ذكرتُه في ملأٍ خيرٍ منهم، وإن اقترب إليَّ شبراً تقربتُ إليه ذراعاً، وإن اقترب إلي ذراعاً اقتربت إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيتُه هرولةً**»[1]. وذكر الله تعالىٰ محلّه القلبُ واللسانُ والجوارحُ، فأما ذكر الله بالقلبِ فمعناه أن يفكِّر العبدُ في أسماءِ الله الحسنىٰ ومعاني صفاتِه العليا

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وأفعاله التي بهرت العقولَ، وأحكامه التي بلغت من الحكمةِ غايتها القصوىٰ، وأما ذكرُ الله باللسان فمعناه أن ينطقَ بلسانِه بذكر ربِّه وبذكر أسمائه وصفاتِه وأحكامِه، فالتهليلُ والتكبيرُ والتسبيحُ والحمدُ والثناء من ذكر الله، ودرسُ القرآنِ والعلوم الدينية وتعليمها وتعلّمها من ذكرِ الله، والأمرُ بالمعروف والنهيُ عن المنكر من ذكرِ الله، وأما ذكر اللهِ بالجوارحِ فإن كلَّ فعلٍ تفعله متقرباً إلىٰ الله متبعاً فيه رسولَ الله ﷺ فهو من ذكر الله، فليكن علىٰ بالكم أيها المؤمنون تذكروا ربَّكم قياماً وقعوداً وعلىٰ جنوبكم فإن ذلك هو الحياةُ والصلاحُ، واعرفوا رحِمَكم الله الأذكارَ الواردةَ عن النبيِّ ﷺ، واعملوا بها فإنها خيرٌ وبركةٌ، فمن ذلك أن النبيَّ ﷺ قال: «**من قال لا إلـٰه إلا الله وحدَه لا شريكَ له، له المُلك وله الحمـدُ وهو علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ**» في يومٍ مئةَ مرةٍ كانت له عدل عشرِ رقابٍ، وكُتبت له مئةُ حسنةٍ، ومُحيت عنه مئةُ سيئةٍ، وكانت له حِـرزاً من الشيطان يومه ذلك حتىٰ يُمسي، ولم يأت أحـدٌ أفضلَ مما جـاء به إلا أحدٌ عمِلَ أكثـرَ من ذلك[١]، ومن قال: «**سبحانَ اللهِ وبحمدِه في يومٍ مئةَ مرةٍ حُطت خطاياه ولو كانت مثل زبدِ البحـر**»[٢]. وقال ﷺ: «**من قال لا إلـٰه إلا الله وحدَه لا شريك له، له المُلك وله الحمدُ وهو علىٰ كلِّ شيءٍ**

(١) أخرجه البخاري (٦٤٠٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٠٥)، ومسلم (٢٦٩١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

قديرٌ» عشرَ مرات كان كمن أعتقَ أربعةَ أنفسٍ من ولد إسماعيل[١]. وقال ﷺ: **«كلمتان خفيفتان علىٰ اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلىٰ الرحمٰن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم»**[٢]. وقال ﷺ: **«لأن أقول سبحان الله والحمد لله، ولا إلـه إلا الله، والله أكبر أحبُّ إليَّ مما طلعت عليه الشمسُ»**[٣]. وقال ﷺ: **«لقيتُ ليلةَ أسري بي إبراهيمَ الخليل عليه السلام فقال: اقرىء أمتك مني السلام وأخبرهم أن الجنةَ طيبةَ التربةِ عذبةَ الماءِ وأنها قِيعانٌ وإن غراسها سبحان الله والحمدُ لله ولا إلـه إلا الله والله أكبر»**[٤]. وفي صحيح مسلم عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن أعرابياً قال: يا رسولَ الله، علمني كلاماً أقولُه قال: **«قل لا إلـه إلا الله وحدَه لا شريكَ له، الله أكبر كبيراً، والحمدُ لله كثيراً، وسبحان الله ربِّ العالمين لا حولَ ولا قـوةَ إلا بالله العزيز الحكيم»** قال فهؤلاء لربي فما لي؟ قال: **«قل اللهم اغفر لي وارحمني واهدني وارزقني»**[٥] ولازموا الاستغفارَ

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٠٤)، ومسلم (٢٦٩٣) من حديث أبي أيوب رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٦٦٨٢)، ومسلم (٢٦٩٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٩٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه الترمذي (٣٤٦٢) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٥) أخرجه مسلم (٢٦٩٦) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

فإن من لزِمَ الاستغفارَ جعَلَ الله له من كلِّ همٍّ فرجاً، ومن كلِّ ضيقٍ مخرجاً، ورزقَه من حيثُ لا يحتسب، قال ابن عمر رضي الله عنهما: كنا نعدُّ لرسولِ الله ﷺ في المجلس الواحد مئةَ مرة: ربِّ اغفر لي وتُبْ عليَّ إنك أنتَ التوابُ الرحيم(١).

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٦].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

---

(١) أخرجه أبو داود (١٥١٦)، وابن ماجه (٣٨١٤)، والترمذي (٣٤٣٤).

ذكر الله تعالىٰ بالقلب واللسان والجوارح

الحمدُ للهِ مستحق الحمد وأهله، المنعم علىٰ خلقه بسابغ نعمه وفضلِه، الذي جعل أفئدة عباده المؤمنين متعلقةً به، وألسنتهم ناطقةً بذكره، ونشهدُ أنْ لا إلـه إلا الله وحدَه لا شريكَ له، شهادةَ مخلص لله في سرِّه وجهرِه، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه القائم بطاعة ربِّه وأمره، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه ومن ساروا علىٰ نهجِه وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ وأديموا ذكره، أديموا ذكره بقلوبكم وبألسنتكم وبجوارحكم، فإن الله مع الذاكرين، يقول الله تعالىٰ في الحديث القدسي: «**أنا عند ظنِّ عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسِه ذكرتُه في نفسي، وإن ذكرني في ملأٍ ذكرتُه في ملأٍ خيرٍ منهم**»(١).

أيها الناسُ: إنَّ ذكرَ الله يكون بالقلبِ ويكونُ باللسان ويكون بالجوارح، **أما ذكرُ الله بالقلبِ** فإن معناه أن يكونَ القلبُ متعلقاً بالله، ويكون ذكر الله وتعظيمه دائماً في قلبِه، يستحضر دائماً عظمةَ ربِّه وآياته ويستحضر نِعَمَه العامة والخاصة، ويستدلُّ بما يشاهده من مخلوقاته وآياته علىٰ عظمتِه وإحاطته.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وأما ذكرُ الله باللسانِ فهو النطق بكلِّ ما يُقرب إلىٰ الله فالتهليلُ ذِكرٌ، والتكبيرُ ذِكرٌ، والتحميدُ والتسبيح ذِكرٌ، وقراءةُ القرآن ذِكرٌ، وقراءةُ العلوم ذِكرٌ؛ لأنها ذِكرٌ لأحكام الله وتشريعاته، ونصيحة العباد للقيام بأمر الله ذِكرٌ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ذِكرٌ.

وأما ذكرُ الله بالجوارحِ فهو كُلُّ فعلٍ يقرِّبُ إلىٰ الله عزّ وجلّ، فالطهارةُ ذِكرٌ والصلاةُ والسعيُ إليها ذِكرٌ، والزكاةُ ذِكرٌ، والصيام ذِكرٌ، والحجُّ ذِكرٌ، وبرُّ الوالدين ذِكرٌ، وصلةُ الأرحامِ ذكرٌ، وكلُّ فعلٍ يقربُّك إلىٰ الله فهو ذِكرٌ؛ لأن التقربَ إلىٰ الله لا يكون إلا بنيةٍ، ونيتك واستحضارُك عند الفعلِ ذكرُ الله عزَّ وجلَّ، فالدين كلُّه ذِكرٌ لله، ولقد شاء الله الحكيمُ الرحيمُ أن يشرعَ لعبادِه ذكرَه في كلِّ مناسبةٍ، ليكونوا بذلك دائماً في ذكرِ الله، فشرَعَ اللهُ لعبادِه التسميةَ في كلِّ أمرٍ ذي بالٍ وأهمية، شرَعَ اللهُ الذكرَ قبلَ الأكلِ والشربِ وبعدهما، قبلهما تقول: بسم الله، وبعدهما تقول: الحمدُ لله، وإن الله ليرضىٰ عن العبدِ يأكلُ الأكلةَ فيحمده عليها، ويشرب الشربةَ فيحمدُه عليها[١]، شرَعَ الله الذكرَ قبلَ دخولِ محلِّ قضاء الحاجةِ وبعدَ الخروج منه، فإذا أراد أحدُكم أن يدخلَ مكانَ البولِ أو الغائطِ فليقل: بسم الله، أعوذ بالله من الخُبث والخبائِث[٢]، وإذا خَرَجَ منه

(١) أخرجه مسلم (٢٧٣٤) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٣٧٥) من حديث أنس رضي الله عنه.

فليقل: غُفرانك الحمدُ لله الذي أذهبَ عنّي الأذىٰ وعافاني[١]، شرَعَ اللهُ الذكرَ عند النومِ وبعدَه، فعندَ النومِ إذا وضعْتَ جنبَك تقول: باسمك اللهم أحيا وأموت[٢]، باسمك اللهم وضعتُ جنبي وبكَ أرفعُه، فإن أمسكْتَ روحي فاغفر لها وارحمها، وإن أرسلتَها فاحفظها بما تحفظُ به عبادَك الصالحين[٣]، وكان النبيُّ ﷺ إذا أوىٰ إلىٰ فراشِه قال: **الحمدُ لله الذي أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا فكم ممن لا كافي له ولا مُؤوي**[٤]، وشرَعَ لعبادِه عند الاستيقاظِ ذكرَ الله، فإن العبدَ إذا نام عقَد الشيطانُ علىٰ قافيةِ رأسِه ثلاثَ عُقَدٍ، فإذا قامَ وذكرَ اللهَ انحلَّت عقدةٌ، فإن توضأ انحلَّت العقدةُ الثانيةُ، فإذا صلىٰ انحلَّت العقدةُ الثالثةُ، فأصبحَ نشيطاً طيّبَ النفسِ وإلا أصبحَ خبيثَ النفسِ كسلان[٥]، وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما أنه باتَ عند خالته ميمومة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ فلما قام النبيُّ ﷺ جعل يمسحُ النومَ عن وجههِ بيده ثم قرأ: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

---

(١) انظر «السنن الكبرىٰ» للنسائي (٩٨٢٤) و(٩٨٢٥) ما يقول إذا خرج من الخلاء.

(٢) أخرجه البخاري (٦٣١٢) من حديث حذيفة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٦٣٢٠)، ومسلم (٢٧١٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه مسلم (٢٧١٥) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٥) أخرجه البخاري (١١٤٢)، ومسلم (٧٧٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

﴿وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَـَٔايَـٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ [آل عمران: ١٩٠] إلىٰ آخر سورة آل عمران[1]، وفي حديث ثان أن النبيَّ ﷺ قال: «**من استيقظ من الليلِ فقال: لا إلـٰه إلا الله وحدَه لا شريك له، له المُلك وله الحمدُ وهو علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ، والحمدُ لله وسبحان الله ولا إلـٰه إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله ثم قال: اللهم اغفر لي أو دعا إلا استجيب له، فإن توضأ وصلىٰ قُبلت صلاته**»[2] وشرع لعبادِه أذكاراً كانوا يقولونها إذا قلقوا فلم يناموا أو كانوا يفزعون في نومهم، وفي صحيح البخاري أن النبيَّ ﷺ قال: «**إذا رأىٰ أحدُكم رؤيا يُحبُّها فإنما هي من الله فليحمد الله عليها وليحدِّث بها ولا يحدث بها إلا من يحب، وإذا رأىٰ غير ذلك مما يكره فإنما هي من الشيطان فليستعذ من شرها ولا يذكرها لأحد فإنها لا تضرُّه**»[3]، وشرَعَ لعبادِه أن يذكروه عند دخولِ بيوتهم وعندَ الخروج منها، فأمر النبيُّ ﷺ الرجلَ إذا دخلَ بيتَه أن يقول: اللهم إني أسألك خيرَ المولج وخيرَ المخرَج، بسم الله ولجنا وبسم الله خرجنا وعلىٰ الله ربنا توكلنا، ثم ليسلم علىٰ أهله[4]، وكان إذا خَرجَ من بيته قال: بسم الله توكلتُ علىٰ الله، اللهم إني أعوذُ بك أن أَضلَّ أو أُضلَّ، أو أَزِلَّ أو

---

(١) أخرجه مسلم (٧٦٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري (١١٥٤) من حديث عبادة بن الصامت بلفظ: من تعار من الليل.

(٣) أخرجه البخاري (٦٩٨٥) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٤) أخرجه أبو داود (٥٠٩٦) من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه.

أُزل، أو أَظلم أو أُظلم، أو أجهَل أو يُجهل عليّ[١]، وقال: من قال - يعني إذا خرَجَ من بيته - بسم الله توكلت علىٰ الله ولا حولَ ولا قوةَ إلا بالله يقال له: كُفيتَ ووقيتَ وهُديت، ويتنحَّىٰ عنه الشيطان[٢].

أيها الناس: إنَّ ربَّكم كريمٌ وبكم رحيمٌ، فلقد أمرَكُم بذكرِه في أحوالٍ معينةٍ ولأسبابٍ معينةٍ، وأمركم بذكرِه أمراً مُطلقاً، يعمُّ الأوقات والأحوال، فقال تعالىٰ: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢] وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٢]. وكان النبيُّ ﷺ يذكر اللهَ علىٰ كلِّ أحيانِه، فأديموا ذكرَ ربِّكم واغرسوا لأنفسكم في جنات النعيم، فإن غراسها سبحان الله، والحمد لله، ولا إلـٰه إلا الله، والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله، وقال النبيُّ ﷺ: «**كلمتان خفيفتان علىٰ اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلىٰ الرحمٰن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم**»[٣].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) أخرجه أبو داود (٥٠٩٤) من حديث أم سلمة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه أبو داود (٥٠٩٥) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٦٦٨٢)، ومسلم (٢٦٩٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

القسم الثاني عشر

الفتن والتحذير منها



شيء من الفتن قبل قيامِ الساعة

إنَّ الحمدَ للهِ نحمَدُه، ونستعينُه ونستغفرُه ونتوبُ إليه، ونعوذُ بالله من شرور أنفسِنـا، ومن سيئات أعمالِنـا، مَنْ يَهْدِه اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومَن يُضْلِلْ فلا هادِيَ له، وأشهدُ أن لا إلـهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله، وأصحابِه ومَنْ تبعهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين، وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واحذروا الفتَن ما ظهر منها وما بطن، احذروا كلَّ ما يصدُّكم عن دينِكم، من مالٍ وأهلٍ وولدٍ، ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٨] احذروا فتنةَ القولِ والعملِ، وفتنةَ العقيدةِ والآراءِ الهدامةِ، والمشاهداتِ السيئة، فإن ذلك كُلَّه يصدُّكم عن دينِكم، ويُوجبُ هلاكَكم.

انظروا إلىٰ سلفكم الصالحِ من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين، ومَنْ تَبِعَهم بإحسانٍ رحمهم الله واسلكوا طريقهم، فإنكم بذلك أُمِرْتم، وبذلك تُفلحون إن تمسكْتم، ولقد أخبرَ النبيُّ ﷺ أمتَه بما سيكون إلىٰ قيامِ الساعة، فأخبر النبيُّ ﷺ أمتَه بفِتَنٍ في آخرِ الزمان. لعلّهم يحذَرُون، ويتقون، ويرجِعون إلىٰ ما كان عليه أسلافُهم ويتمسكون.

أخبر النبيُّ ﷺ عن فتنِ الدينِ بما يحدث من المغرياتِ الماديةِ والفكرية فقال ﷺ: «**بادروا بالأعمال فتناً كقِطَعِ الليلِ المُظْلِم، يُصبِحُ الرجلُ مؤمناً، ويُمْسي كافراً، ويُمْسي مؤمناً، ويُصبِحُ كافراً، يبيعُ دينه بعَرَضٍ من الدنيا**»(١) رواه مسلمٌ. وأخبر النبيُّ ﷺ عن فتنةِ الجهلِ والطَمَع، والفَوضَىٰ، فقال ﷺ: «**يتقاربُ الزمانُ، ويُقْبَضُ العلمُ، وتظهرُ الفِتَنُ، ويُلْقَىٰ الشحُّ، ويَكثرُ الهَرْجُ**» قالوا: يا رسولَ الله وما الهَرْجُ؟ قال: «**القتلُ**»(٢) متفق عليه.

لقد قُبِضَ العلمُ، وقلَّ العلماءُ، قَلَّ العلماءُ الربانيون، قَلَّ العلماءُ أهلُ الخشية لله، وأهلُ الهداية. إن العلمَ حقيقةً هو العلمُ النافعُ، الذي يكونُ صاحبُه قدوةً في الخيرِ والصلاح، والزهدِ والوَرَعِ، واتباعِ سُنةِ رسولِ الله ﷺ، وخلفائه الراشدين.

ولقد ظهرت فتنٌ، من كُلِّ نوعٍ ومن كلِّ وَجْهٍ، ظهر الطعنُ في الإسلام، والتشكيكُ في الدينِ وتزهيدُ الناسِ، وسَلْبُ محبتِه من قلوبِ الناشئين، تَصاعَدَتِ الفتنةُ من جزئيات الدين وفرعياتِه، إلىٰ أصولِه وأركانِه، وتطورتِ الفتنةُ من الأفراد والأقليات، إلىٰ أن نُسِبتْ إلىٰ الزعماءِ والرؤساء. وتلك طامةٌ كبرىٰ ومصيبةٌ عظمىٰ،

---

(١) أخرجه مسلم (١١٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٧٠٦١)، ومسلم (١٥٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أن تتدرجَ الفِتَنُ هذا التدرجَ، وتتوَسَّعَ هذا التوسعَ، في حَجْمِها وشَكْلِها، نسألُ اللهَ الثباتَ والسلامةَ.

سأل حذيفةُ بن اليمانِ رسولَ الله ﷺ: هل بعد هذا الخير الذي جاء به مِنْ شرٍ؟ قال: «نعم» قال: وهل بعدَ هذا الشرِّ من خيرٍ؟ قال رسولُ الله ﷺ: «**نعم، وفيه دَخَنٌ**» قلت: وما دَخَنُه؟ قال: «**قومٌ يَسْتَنُّون بغيرِ سُنتي، ويَهْدُون بغَيْرِ هَدْيي، تعرفُ منهم وتُنكِرُ**» قلت: فهل بعد ذلك من شرٍ؟ قال: «**نَعَم، دعاةٌ علىٰ أبوابِ جهنَّم مَنْ أجابَهم قَذَفُوهُ فيها**» قلت: يا رسول الله صِفْهُم لنا. قال: «**هُمْ مِنْ جِلْدَتِنا ويتكلمون بألسنَتِنا**»[1].

ولقد أُلقِيَ الشحُّ والطمعُ في قلوبِ العباد، حتىٰ مُنعتِ الزكاةُ الواجبةُ والنفقاتُ الواجبةُ، وطَمعَ الإنسانُ فيما ليس له به حقٌّ. وارتكبَ من أجلِ أطماعِه ما حرَّم اللهُ عليه من الكَذِبِ، والغِشِّ، والخيانةِ، وأكْلِ المالِ بالباطلِ، وكثُرتِ الفوضىٰ والقتلُ.

لقد أخبرَ رسولُ الله ﷺ عن فتنةِ الأمانةِ، وأنها ستُرْفَعُ فلا تكادُ تَرَىٰ أميناً، يقول النبيُّ ﷺ: «**ينامُ الرجلُ النومةَ فتُقبَضُ الأمانةُ مِنْ قلبِه، قال: ويُصْبِحُ الناسُ يتبايعون ولا يكاد أحدٌ يُؤدي الأمانةَ، فيقال: إنَّ في بني فلانٍ رجلاً أميناً، ويقال للرجل: ما أعقله! وما**

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٠٦)، ومسلم (١٨٤٧) من حديث حذيفة رضي الله عنه.

أظرفه! وما أجلده! وما في قلبه مثقالُ حبةٍ من خَرْدَلٍ من إيمانٍ»[١] متفق عليه.

لقد صدقَ رسولُ الله ﷺ، لقد قُبِضَتِ الأمانةُ، فلا تكادُ تَرَىٰ أميناً، ولقد صارَ الأمناءُ يُعدُّون بالأصابع، فترىٰ القبيلةَ ليس فيها إلا أمينٌ واحدٌ، وترىٰ الرجلَ يُعجِبُك في عقلِه وظُرْفِه وجَلَدِه، لكن ليس في قلبه إيمانٌ، لأن الأمانةَ نُزِعَتْ منه. جاء أعرابيٌ إلىٰ رسولِ الله ﷺ: فقال: متىٰ الساعةُ؟ فقال: «**إذا ضُيِّعَتِ الأمانة، فانتظرِ الساعةَ**» قال: وكيف إضاعَتُها؟ قال: «**إذا وُسِّدَ الأمرُ إلىٰ غَيْرِ أهلِه، فانتظرِ الساعة**»[٢]. رواه البخاري ألا وإن من الفتنِ الكبيرةِ العظيمةِ فتنةَ المالِ، التي قَلَّ مَنْ يسلمُ منها، قلّ مَنْ يأخذُ المال مِنْ وجهِه، ويصرِفُه في وجهه. فكان الحلالُ عند كثيرٍ من الناس ما حَلَّ في يدِه بأيِّ طريقةٍ كان. والمصروفُ منه ما صَرَفَه في هواه، ولو في الحرام، قال النبيُّ ﷺ: «**لَيَأْتِيَنَّ علىٰ الناسِ زمانٌ لا يُبالِي المرءُ بما أخذَ المالَ أَمِنَ الحلالِ أم من حرامٍ**»[٣] رواه البخاري.

ولقد صدق النبيُّ ﷺ، فإنَّ الكثيرَ من الناس لا يُبالون بالمال، من أيِّ وجه اكتسبوه. كأنما خُلِقُوا للمال وللدنيا، وكأنه لا حسابَ

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٩٧)، ومسلم (١٤٣) من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٥٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٢٠٥٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

عليهم في ذلك ولا عقوبة. يَكْسَبُون المالَ بالغشِّ والكذب، وبالرشوةِ وبالربا، صريحاً أو خِدَاعاً وحيلةً.

ويكتسبون المال بالدعاوي الباطلة، فيدَّعُون ما ليس لهم، أو يَجْحَدون ما كان عليهم ولا خيرَ في مالٍ عاقبتُه العذابُ والنكالُ.

فاحذروا أيها المسلمون هذه الفتَن واجتنبوها، فإنها إذا ظهرت عَمَّتِ المجتمعَ كلَّه، وأصابَت الصالحَ والفاسدَ، قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٢٥]. وقالت زينبُ أم المؤمنين رضي الله عنها: استيقظَ النبيُّ ﷺ من النوم، مُحْمَراً وجْهُه، يقول: «**لا إلـهَ إلا الله، ويلٌ للعَرَبِ مِنْ شرٍّ، قد اقتربَ، فُتِحَ اليومَ مِنْ رَدْمِ يأجوجَ ومأجوجَ، مثلُ هذه**». وحَلَّقَ بإصبَعِه الإبهام والتي تليها، قيل: أنَهْلِكُ وفينا الصالحون؟ قال: «**نَعَمْ، إذا كَثُرَ الخَبَثُ**»[1] رواه البخاريُّ. ولقد أخبر النبيُّ ﷺ أن الفِرارَ من الفِتَنِ خَيْرٌ للعبد، ولو أن يكونَ صاحبَ غنمٍ، فقال: «**يُوشِكَ أن يكونَ خيرَ مالِ المسلم غنمٌ يتبعُ بها شَعَفَ الجبالِ ومواقعَ القَطْرِ يفِرُّ بدينِه من الفِتَنِ**»[2]. رواه البخاري.

وأمر النبيُّ ﷺ أمتَه أن يستعيذوا من الفِتَنِ في كلِّ صلاةٍ. فقال: «**إذا تشهد أحدُكم ـ أيْ قرأ التحياتِ ـ فليستعذْ باللهِ مِنْ أربَعٍ،**

(١) أخرجه البخاري (٣٣٤٦)، ومسلم (٢٨٨٠) من حديث زينب بنت جحش رضي الله عنها.

(٢) أخرجه البخاري (١٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

يقول: أعوذُ بالله من عذابِ جَهَنَّمَ، ومن عذاب القبرِ، ومِنْ فتنةِ المَحْيا والمماتِ، ومن فتنةِ المسيحِ الدَجَّال»[١] وأمرَ بالصلاةِ لمدافعةِ الفتن. كما في حديث أمِّ سلمةَ رضي اللهُ عنها قالت: استيقظ النبيُّ ﷺ ليلةً فَزِعاً، يقول: «سبحانَ اللهِ ماذا أنزلَ اللهُ من الخزائنِ، وماذا أنزلَ من الفِتَنِ، مَنْ يُوقِظُ صواحِبَ الحُجَراتِ ـ يعني زوجاته ـ لكي يُصَلِّين رُبَّ كاسيةٍ في الدنيا عاريةٌ في الآخرة»[٢].

اللهم نَجِّنا من الفِتَنِ، ما ظهرَ منها وما بطن. اللهم بصِّرنا بالحق، وارزقْنا الثباتَ عليه، اللهم أرِنا الحقَّ حقاً، وارزقْنا اتباعَه، وأرِنا الباطلَ باطلاً، وارزقْنا اجتنابَه يا ربَّ العالمين. اللهم صلِّ وسلِّم علىٰ نبينا محمد، وعلىٰ آله وصحبِه أجمعين.

* * *

---

(١) أخرجه مسلم (٥٨٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (١١٥) من حديث أم سلمة رضي الله عنها.

شيء من المغيبات تكون قبل قيام الساعة

الحمدُ للهِ نحمَدُه ونستعينُه، ونستغفرُه ونتوبُ إليه، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ له، وأشهدُ أنْ لا إلـه إلا الله وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه ومَنْ تَبِعهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ: فقد قال اللهُ سبحانه وتعالىٰ لرسوله ﷺ: ﴿قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا﴾ [الجن: ٢٥-٢٨].

أمر اللهُ نبيَّه ﷺ وهو أشرفُ الخَلْقِ عنده، أن يُعلِنَ للملأِ بأنه ﷺ لا يعلمُ متىٰ يقعُ ما يُوعَدُون به من العذاب، سواءٌ ما يقعُ في القيامة، أو عند الموت، لأنه ﷺ لا يعلمُ متىٰ الساعة، ولا متىٰ يموتون، وإنما عِلْمُ ذلك عند عالمِ الغيبِ والشهادةِ ربِّ العالمين. ولكنه سبحانَه قد يُظْهِرُ علىٰ هذا الغيبِ مَنْ يرتَضِيه مِنْ خَلْقه مِنَ الرسل، ليُبلِّغُوا رسالاتِ ربِّهم، ولقد أظهرَ اللهُ نبيَّه محمداً ﷺ علىٰ غيبٍ كثيرٍ مجملٍ ومفصلٍ، فيما أوحاه إليه من الكتابِ والسنةِ، وليس يعلمُ ﷺ إلا ما أوحاه إليه ربه.

فمن ذلك ما في صحيح البخاريِّ ومسلمٍ، عن أبي هريرةَ رضي اللهُ عنه، أن النبيَّ ﷺ قال: «لا تقومُ الساعةُ حتىٰ تَقْتَتِلَ فئتانِ عظيمتان، تكونُ بينهما مقتلةٌ عظيمةٌ دعوتُهما واحدةٌ، وحتىٰ يُبْعَثَ دجالون كذابون قريبٌ من ثلاثين، كلُّهم يَزعُمُ أنه رسولُ الله، وحتىٰ يُقبَضَ العلمُ، وتكثُرَ الزلازلُ، ويتقاربَ الزمانُ، وتَظْهَرَ الفِتَنُ، ويكثرَ الهَرْجُ ـ وهو القتلُ ـ وحتىٰ يكثرَ فيكم المالُ فيَفيضَ، حتىٰ يُهِمَّ ربَّ المال مَنْ يقبضُ صَدَقتَه، وحتىٰ يَعْرِضَه، فيقولُ الذي يَعْرِضُه عليه: لا أربَ لي به، وحتىٰ يتطاولَ الناسُ في البنيان، وحتىٰ يمرَّ الرجلُ بقبرِ الرجلِ فيقول: يا ليتني مكانَه، وحتىٰ تطلعَ الشمسُ من مغربِها، فإذا طلعت ورآها الناسُ آمنوا أجمعون، فذلك حين لا ينفعُ نفساً إيمانُها لم تكنْ آمنت مِنْ قبلُ أو كسبت في إيمانِها خيراً، ولتَقُومَنَّ الساعةُ وقد نَشَرَ الرجلان ثوبهما بينَهما، فلا يَتَبايعانه، ولا يطويانِه، ولتقومَنَّ الساعةُ وقد انصرفَ الرجلُ بلَبَنِ لقحتِه، فلا يَطْعَمُه، ولتقومَنَّ الساعةُ وهو يَليطُ حَوْضَه، فلا يَسْقِي فيه. ولتقومَنَّ الساعةُ وقد رفعَ أُكْلتَه إلىٰ فَمِه فلا يَطْعَمُها»[١].

في هذا الحديث أخبر النبيُّ ﷺ عن اثني عشر أمراً، يكونُ قبل قيامِ الساعة، أخبر أنه لا تقومُ الساعةُ حتىٰ تقتتِلَ فئتان عظيمتان، دعوتهما واحدة، وفُسِّرَ هذا بما جرىٰ في زَمَنِ عليٍّ ومعاويةَ رضي

---

(١) أخرجه البخاري (٧١٢١) ومسلم مفرقاً في كتاب الفتن من «صحيحه» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وهذا لفظ البخاري.

اللهُ عنهما، حيث كان كل من الفئتين يدعو إلىٰ ما يرىٰ أنه الحقّ، فقُتِلَ منهما نحو سبعين ألفاً علىٰ ما قيل.

وأخبر أنه لا تقومُ الساعةُ حتىٰ يُبعَثَ دجالون كذابون، يزعم كلٌّ منهم أنه نبيٌّ، وقد ظهر كثيرٌ منهم، ولا رسولَ بعدَ محمدٍ ﷺ، ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

وأخبر أنه لا تقومُ الساعةُ حتىٰ يُقْبَضَ العلمُ والمراد به العلمُ الشرعيُّ، علمُ كتابِ الله وسنةِ رسولِه ﷺ، وكيفيةُ قَبْضِه أن يُقْبَضَ العلماءُ، كما في صحيح البخاري، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: **«إنَّ اللهَ لا يَقْبِضُ العلمَ انتزاعاً ينتزعُه من العبادِ، ولكن يَقْبِضُ العلمَ بقَبْض العلماء، حتىٰ إذا لم يَبْقَ عالماً اتخذَ الناسُ رُؤَساءَ جُهَّالاً، فسئلوا فأفتوا بغيرِ عِلْم، فَضَلُّوا وأَضَلُّوا»**(١).

وأخبر النبيُّ ﷺ أنه لا تقومُ الساعةُ حتىٰ تكثُرَ الزلازلُ، وهي نوعان: زلازلُ حسيةٌ تهزُّ الأرضَ، فتدمرُ القُرىٰ والمساكن. وزلازلُ معنويةٌ تزلزلُ الإيمانَ والعقيدةَ، والأخلاقَ والسلوك، حتىٰ يضطربَ الناسُ في عقائدهم وأخلاقِهم وسلوكِهم، فيعودَ الحليمُ العاقلُ حيرانَ، والحديثُ محتملٌ لكلٍّ منهما وهو في الأولِ أظهرُ.

---

(١) أخرجه البخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣) من حديث عبد الله بن عمرو ابن العاص رضي الله عنهما.

وأخبر ﷺ أنه لا تقومُ الساعةُ حتىٰ يتقاربَ الزمانُ، فيقربُ أولُه من آخرِه، وذلك بكثرةِ الغفلةِ والانشغال بالأعمال والأوقات، حتىٰ يمضيَ من الزمن الكثير، وما صنعَ الإنسانُ إلا شيئاً قليلاً، أو أن معناه سرعةُ إنجازِ الأمورِ التي لا تُنْجَزُ إلا بزمانٍ كثيرٍ، كما يشاهَدُ اليومَ في وسائلِ النقلِ، ووسائلِ الإعلام، واللهُ أعلمُ بما أراد رسولُه.

وأخبر ﷺ أنه لا تقومُ الساعةُ حتىٰ تظهرَ الفتنُ فتنُ الدينِ والدنيا أما فتنُ الدين: فكُلُّ ما يصدُّ عن الإيمان باللهِ والقيامِ بأمرِه واتباعِ هديِ نبيِّه ﷺ، من العقائدِ الفاسدةِ، والأفكارِ الهدامةِ والسلوكِ المنحرفِ، والصدِّ عن ذكرِ الله وعن الصلاة، بالانشغال بالشهواتِ واللذائذِ المحرمةِ. وأما فتنُ الدنيا: فما يحصلُ من القتلِ والخوفِ والسلبِ والنهب، وظهورُ الفتن دليلٌ علىٰ ضَعْفِ العلمِ الصحيحِ والإيمانِ الخالصِ والولايةِ العادلةِ.

وأخبر النبيُّ ﷺ أنه لا تقومُ الساعةُ حتىٰ يكثرَ المالُ، وقد كثرت الأموالُ، وسوف يزدادُ حتىٰ يُهِمَّ الرجلُ مَنْ يقبضُ صدقتَه، وحتىٰ يَعْرِضَ الرجلُ المالَ علىٰ الرجلِ هبةً أو صدقةً فيقول: لا حاجة لي به.

وأخبر النبيُّ ﷺ أنه لا تقومُ الساعةُ حتىٰ يتطاول الناسُ في البنيان، سواء كان التطاولُ بجمالِ البنيانِ وتشييدِه، والاعتناءِ به، أو بارتفاعِه، كلُّ ذلك من التطاول، وهو دليلٌ علىٰ اشتغال الخلقِ في أحوال دنياهم، دونَ أحوالِ دينِهم، لأن التطاول في ذلك يشغلُ القلبَ والبدنَ، فيلهو به الإنسانُ عن مصالحِ دينِه.

وأخبر النبيُّ ﷺ أنه لا تقومُ الساعةُ حتىٰ يمرَّ الرجلُ بقبرِ الرجل، فيقول: ليتني مكانَه، قال العلماءُ: لِما يرىٰ من الأمورِ العِظامِ التي يُفضّلُ الموت عليها من عظيمِ البلاءِ ورئاسةِ الجُهَلاء، وخُمولِ العلماء واستيلاءِ الباطل، في الأحكام وعمومِ الظلمِ واستحلالِ الحرام.

وأخبر النبيُّ ﷺ أنه لا تقومُ الساعةُ حتىٰ تطلُعَ الشمسُ من مغربها، ويختلَّ نظامُ سيرِها، فيعلمَ الناسُ حينئذ أنها تسيرُ بتقدير الله وأمرِه فيؤمنون، ولكنَّ الإيمانَ لا ينفعُ إلا مَنْ كان مؤمناً مِنْ قبلُ، أو كاسباً في إيمانِه خيراً.

ثم أخبرَ النبيُّ ﷺ أنَّ الساعةَ تقومُ بغتةً، وضربَ لذلك أربعةَ أمثالٍ، تقومُ والرجلان بينَهما ثوبٌ قد فلّاه يتبايَعانِه فلا يُمكِنُهما البيعُ ولا طيُّ الثوبِ، وتقومُ والرجلُ قد انصرفَ بلَبَنِ ناقتِه ليَشْرَبه فلا يتمكنُ من شُرْبِه، وتقومُ والرجلُ يُصلِحُ حَوضَ إبلِه ليَسْقِيَها فلا يَسْقِي فيه، وتقومُ وقد رفعَ اللقمةَ إلىٰ فَمِه فلا يَطْعَمُها.

فاتقوا اللهَ عبادَ الله، وآمنوا برسولِه، وأعِدُّوا ليوم القيامةِ عدتَه، قبل أن يفجأكم الموتُ فلا تدركون النجاةَ ولا الفوت.

أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

أمورٌ أخبرَ النبيُّ ﷺ مُحذراً منها

الحمدُ للهِ الذي أرسَلَ رسولَه بالهدىٰ ودينِ الحق، ليُظْهِرَه علىٰ الدين كلِّه، وأعطاه من الآياتِ ما يُؤْمِنُ علىٰ مثله البشرُ، شهادةً له بصِدْقِه. وأشهدُ أنْ لا إلـه إلا الله وحدَه لا شريكَ له في ألوهيته، ومُلكه، وحُكْمِه. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، الذي بلَّغَ ما أُنزِلَ إليه من ربِّه، علىٰ أكملِ وجهٍ وأتمِّه. صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه ومَنْ تَبِعَه في هديه، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واحذروا أسبابَ سَخَطِه وعقابِه، وتوبوا إلىٰ ربِّكم بالرجوعِ عن معصيتِه إلىٰ طاعتِه، وعن أسبابِ سَخَطِه إلىٰ بلوغِ مَرْضاتِه.

احذروا ما حذَّرَكم منه نبيُّكم ﷺ، فإنه الناصحُ الأمينُ، المبلغُ المبينُ، فلقد حذَّركم ﷺ من أمورٍ فيها هلاكُكم لتَحْذَرُوها، وبيَّنَها لكم لتَعْلَمُوها، وجاء عنه ﷺ التحذيرُ من أمورٍ أصبحتم اليوم واقعين فيها، أو في أكثرها، فعن أبي هريرةَ رضي اللهُ عنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إذا اتُّخِذَ الفَيْءُ دُوَلاً، والأمانةُ مَغْنَماً، والزكاةُ مَغْرَماً، وتُعُلِّمَ لغيرِ الدين، وأطاع الرجلُ امرأتَه، وعقَّ أمَّه، وأدنىٰ صَديقَه، وأقْصَىٰ أباه، وظهرتِ الأصواتُ في المساجد، وساد القبيلةَ فاسِقُهم، وكان زعيمُ القوم أرْذَلَهم، وأُكْرِمَ الرجلُ مخافةَ**

شَرِّه، وظهرت القَيْناتُ والمعازفُ، وشُرِبتِ الخمورُ، ولعَنَ آخِرُ هذه الأمةِ أولَها. فارتَقِبُوا عند ذلك ريحاً حمراء، وزلزلةً وخَسْفاً ومَسْخاً وقَذْفاً، وآياتٍ تتتابعُ كنِظامٍ قُطِعَ سِلْكُه فتتابعَ»[1] رواه الترمذي. وهذا الحديثُ وإن كان ضعيفَ السندِ لكنْ له شاهدٌ من الحديث، وشاهدٌ من الواقعِ، فإن الخصالَ المذكورةَ في هذا الحديث، صارت في زمنِنا حقائقَ مشهودةً ملموسةً فاستمعوا.

الخَصْلةُ الأولىٰ: اتِّخاذُ الفَيْءِ دُوَلاً والفَيْءُ ما أفاءَ اللهُ علىٰ المؤمنين، فإذا صُرِفَ عن أهلِه المستحقين له إلىٰ آخرينَ لا يستحقونه من أهل الشرفِ والجاهِ والغِنَىٰ والقوةِ، فقد اتُخذَ دُوَلاً. قال اللهُ تعالىٰ: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ﴾ [الحشر: ٧].

الخَصْلة الثانية: اتخاذُ الأمانةِ مَغنَماً وهذه ذاتُ معانٍ كثيرةٍ منها أن يخونَ المؤتمَنُ في أمانتِه التي اؤْتُمِنَ عليها فيُنكِرَها أو يتصرفَ فيها كما يتصرفُ الغانم في غنيمتِه.

الخَصْلةُ الثالثة: اتخاذُ الزكاةِ مَغْرَماً فيؤدِّها كأنها غَرامةٌ وضريبةٌ خسرها، لا يُؤديها بطيبِ نَفْسٍ، واحتسابِ أجْرٍ، وتَعبُّدٍ لله عز وجل وقيامٍ بفريضةٍ من فرائض الإسلام. ومن أجل اتخاذ الزكاة مَغرَماً

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٢١١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

تجدُه يبخلُ بها، ويُؤدّي ما يُؤدّي منها بتثاقُلٍ ونَقْصٍ وربما وضعها في غيرِ أهلِها.

الخَصْلةُ الرابعةُ: أن يتعلمَ العلومَ الشرعيةَ لغير الدين، فلا يتعلمُها تقرُّباً إلىٰ اللهِ ولا حفظاً لشريعةِ الله، ولا رفعاً للجهلِ عن نفسِه، وعن عبادِ الله، وإنما يتعلمُها لنيْلِ المالِ والشهادة والجاهِ والرئاسة.

الخَصْلةُ الخامسةُ والسادسةُ: أن يُطيعَ الرجلُ امرأتَه، ويَعُقَّ أمَّهُ فإذا أمَرتْه زوجتُه بشيءٍ لَبَّىٰ جميعَ طلبها سريعاً، وإذا أمرتْه أمُّه به أعْرَضَ أو تثاقلَ، أو أتىٰ به ناقصاً.

الخَصْلةُ السابعةُ والثامنةُ: أن يُدْنِيَ الرجلُ صَديقَه، ويُقْصِيَ أباه، تَجدُهُ مُلازِماً لصديقِه يُظْهِرُه علىٰ أسرارِه، ويستشيرُه في أمورِه أما مع أبيه فمتباعدٌ عنه كاتمٌ عنه أسرارَه، لا يأنسُ بالجلوسِ عندَه، ولا ينبسطُ بالتحدثِ معه.

الخَصْلةُ التاسعةُ: ظهورُ الأصواتِ في المساجدِ حتىٰ تُصبحَ لا قيمةَ لها ولا احترام، يَزْعَقُ الناسُ فيها ويَصْرُخون كما يَزعَقُون ويصرخون في بيوتِهم وأسواقِهم، غيرَ مبالين ببيوتِ الله، التي بُنِيتْ لعبادتِه وذِكْره.

الخَصْلةُ العاشرةُ: أن يسودَ القبيلةَ فاسِقُهم، أي يكون الفاسقُ العاصي لله ورسولِه سيدَ قبيلتِه، إما لظهورِ الفسقِ فيهم، وكونه ذا قيمةٍ في نفوسِهم، فيكونُ السيدُ فيهم مَنْ بلغَ غايةَ الفسق. وإما

لكونِ الدينِ لا أثرَ له في السيادةِ والقيادةِ، والأثرُ كلُّه للمالِ والجاهِ. فصاحبُهما هو السيدُ وإن كان فاسِقاً.

الخَصْلةُ الحاديةَ عَشْرةَ: أن يكونَ زعيمُ القومِ أرذلَهم، والزعيمُ الرئيسُ، وكان ينبغي له أن يكونَ أعلىٰ قومِه دِيناً وخُلُقاً، ورُجُولةً وشهامةً، ولكنْ تنعكسُ الأمورُ فيكون أرذلَ القومِ في ذلك.

الخَصْلةُ الثانيةَ عشرةَ: أن يُكرَمَ الرجلُ مخافةَ شرِّه، فلا يُكْرَمُ الرجلُ، لأنه أهلٌ للإكرامِ في دينِه أو خُلُقِه، أو جاهِه أو إحسانِه إلىٰ الناس. بل هو خالٍ عن ذلك كلِّه، فليس أهلاً للإكرام، ولكنْ لشرِّه وعدوانه، يُكرِمُه الناسُ خوفاً منه.

الخَصْلةُ الثالثةَ عشرةَ: ظهورُ القَيْناتِ والمعازف، والقَيْناتُ: المُغنياتُ. والمعازف: آلاتُ العزفِ والطَّرَب. ولقد ظهرتِ القيناتُ والمعازفُ في زمننا الحاضر، ظهوراً فاحشاً ما ظهرت مثلَه قَطُّ، ظهوراً مسموعاً بالآذان، ومشهوداً بالعيان في كلِّ وقتٍ وفي كلِّ مكانٍ، في البيتِ والسوقِ والدكان، وفي وقتِ الصلاةِ ومع الآذان، حتىٰ صارت المعازفُ متعةَ كثيرٍ من الناس، ومُنتهىٰ أُنسِهم، أَنِسُوا بما يَصْرِفُهم عن ذكرِ الله، ونَسُوا ما خُلِقُوا له من عبادة الله، وتعلقت قلوبُهم بمعصيةِ الله، وسيجدون غِبَّ هذا الأنسِ وحشةً، وبعدَ هذا التعلق انقطاعاً وزوالاً.

أيها المسلمون: إن الحليمَ من الرجالِ ليقفُ حيرانَ أمامَ هذا الانسيابِ الجارفِ إلىٰ آلاتِ اللهوِ والمعازفِ، وأمامَ هذا التغيرِ

الصالح، وذَمِّهم، وذمِّ طريقتِهم، واعتقادِ أنها طريقُ رجعيةٍ، لا تَصلُحُ لهذا العصر.

أيها المسلمونَ: إن هذه الخصالَ إذا حَصلَتْ فنحن مُهَدَّدُونَ بتلك العقوبة بريحٍ عاصفةٍ حمراء تحمل الرمالَ، وتُدمر المساكنَ. وبزلزلةٍ تصدعُ الأرضَ، وتُفسدُ العُمرانَ، وبخَسْفٍ تتغيرُ به معالمُ الأرضِ، وتزولُ به جبالٌ عن أماكنها، وبمَسْخٍ يُمْسخُ به الإنسانُ قِرْداً وخِنزيراً، وبقَذْفٍ بحجارةٍ من السماء، كما أُرسلَ علىٰ قوم لوط، وبآياتٍ أُخَرَ من العقوبات من حروبٍ طاحنةٍ، وسيولٍ جارفةٍ وغير ذلك.

فاتقوا الله، عبادَ الله، ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٢٥].

اللهم جنِّبنا أسبابَ سَخَطِك وعقابِك، واغفرْ لنا ولوالدِينا ولجميع المسلمين، وصلّىٰ اللهُ علىٰ محمدٍ نبيِّنا وعلىٰ آلِه وصحبه أجمعين.

* * *

شيء من الفتن

إن الحمدُ للهِ نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه ونتوبُ إليه، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا. مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومن يُضْلِلْ فلا هَادِيَ له. وأشهدُ أن لا إلٰهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له. وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه. صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آلِه، وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، وأنيبوا إليه واثْبُتُوا علىٰ دينِه، واستقيموا إليه، فإن دينَ اللهِ دينُ الحقِ، ووسيلةُ الصلاحِ في الدنيا والآخرة، واحذروا الزيغَ والضلالَ عنه. فإن في ذلك الفسادَ والشقاوةَ في الدنيا والآخرة، واحذروا الفِتَنَ، احذروا الفتن ما ظهرَ منها وما بَطَنَ.

إن الفتنَ كُلُّ ما يصدهُ عن دينِ الله، من مالٍ، أو أهلٍ، أو ولدٍ، أو عَملٍ. ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ﴾ [التغابن: ١٥-١٦].

اتقوا فتنةً ينتشر شرُّها وفسادُها إلىٰ الصالحين، كما أصابَ الظالمين ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٢٥].

احذروا فتنةَ العقيدةِ الباطلةِ، والآراءِ المنحرفةِ، والأخلاقِ السافلةِ. واحذروا كُلَّ فتنةٍ في القولِ أو في العملِ، فإن الفتنَ أوبئةٌ

فتاكةٌ، سريعةُ الانتشارِ إلىٰ القلوبِ والأعمالِ، إلىٰ الجماعة والأفراد فتُصِيبُ الصالِحَ والطالِحَ في آثارِها وعقوباتِها، فلقد حَذَّرَ النبيُ ﷺ، أُمتَه من الفتنِ، فقال النبيُ ﷺ: «**بادِرُوا بالأعمالِ فِتَناً بالأعمالِ فِتَناً كقِطَعِ الليلِ المظلمِ، يُصْبِحُ الرجلُ مؤمناً ويُمْسِي كافراً، ويُمْسِي مؤمناً ويُصْبِحُ كافراً، يبيعُ دينَه بعَرِضٍ من الدنيا**»[1] رواه مسلم.

إنها فتنٌ مظلمةٌ لا نورَ فيها، كقِطَعِ الليلِ المظلمِ، تُؤَثِّرُ في عقيدةِ المسلمِ بينَ عشيةٍ وضُحَاها يُصْبِحُ مؤمناً، ويُمْسِي كافراً، أو يُمْسِي مؤمناً، ويُصْبِحُ كافِراً، ذلك لأنها فتنٌ قويةٌ تَرِدُ علىٰ إيمانٍ ضعيفٍ، أضْعَفَتْهُ المعاصِي، وأَنْهَكَتْه الشهواتُ، فلا يجدُ مقاومةً لتلك الفتنِ ولا مدافعةً، فتَفْتِكُ به فَتْكاً وتُمَزِّقُه كما يُمَزِّقُ السهمُ رَمِيَّتَهُ.

أيها الناسُ: إننا في هذا العصرِ ـ بما فتَحَ علينا من الدنيا فتَدَاعَتْ علينا الأُمَمُ من أجلِها فاختلطوا بنا ـ إننا بهذا الفَتْحِ الدنيوي لَعَلَىٰ مُفْتَرَقِ طُرُقٍ دَوْرِ تَحَوُّلٍ، نَرْجُو أن لا يكونَ تَحَوُّراً، فعلىٰ دينِكم أيها المؤمنون فاثْبُتُوا، ولطريقِ نبيِّكم ﷺ وسَلَفِكم الصالحِ رضي اللهُ عنهم فاسْلُكوا، يقول رَبُكم تَبَارَك وتعالىٰ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ

---

(١) أخرجه مسلم (٨١٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، فهذه عباد الله وصية الله تعالىٰ إليكم أن تتبعوا صراطه المستقيم، وأن لا تتبعوا سبيلاً يخالفه فتفرق بكم الطرق عن سبيله وتجرفكم الأهواء.

أيها الناسُ: إننا نسمعُ ونشاهدُ في كلِّ وقتٍ فِتَناً تَتْرَىٰ علينا بدون فتُوُر أو ضَعْفٍ، لأنها وللأسفِ تجدُ مكاناً متسعاً، ومُرَبَّعاً ومَرْتَعاً، فِتَناً تُوجِبُ الإعراضَ عن كتابِ اللهِ تعالىٰ وسنةِ رسولِه ﷺ، عن العلمِ بهما والعملِ، فِتَناً تتواردُ لا أقولُ مِن هناك فحَسْبُ، ولكن من هناك ومن هُنا من أعدائِنا، ومِنْ بَنِي جِلْدَتِنا.

نسمعُ (مثلاً) مَنْ يَدْعُو إلىٰ اختلاطِ النساءِ بالرجال، وإلغاء الفوارقِ بينَهم إما بصريحِ القولِ أو بالتخطيطِ الماكرِ البعيدِ والعملِ من وراءِ الستارِ، وكأن هذا الداعيَ يتجاهلُ أو يَجْهَلُ أن دعوتَه هذه خلافُ الفطرةِ والجِبِلَّةِ التي خَلَقَ اللهُ عليها الذكرَ والأنثىٰ، وفارق بينَهما خِلْقةً وخُلُقاً، كأن هذا الداعيَ يتجاهلُ أو يتجهل أن هذا خلافُ ما يهدف إليه الشرعُ من بناءِ الأخلاقِ الفاضلةِ والبعدِ عن الرذيلةِ، فلقد شرَعَ النبيُ ﷺ ما يُوجبُ بعدُ المرأةِ عن الاختلاطِ بالرجلِ، فكانَ يعْزِلُ النساءَ عن الرجالِ في الصلاةِ، ويقول: «**خيرُ صفوفِ النساءِ آخرُها، وشرُّها أولُها**»[1]. لماذا؟ لماذا يكونُ شرُّ صفوفِ النساءِ أولَها؟ لأن أولَها أقربُ إلىٰ الرجالِ من آخرِها فكان

(١) أخرجه مسلم (٤٤٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

شرَّها، وآخرَها أبعدُ عن الرجال من أولِها فكان خيرِهَا، إذن فكلما ابتعدتِ المرأةُ عن الاختلاطِ بالرجلِ فهو خيرٌ، وكلما قَرُبَتْ من ذلك فهو شرٌ.

كأن هذا الداعيَ إلى اختلاطِ النساءِ بالرجال يتجاهلُ أو يَجْهَلُ ما حَصَل لأمةِ الاختلاطِ من الويلاتِ والفسادِ، وانحطاطِ الأخلاقِ، وانتشارِ الزنىٰ، وكثرةِ أولادِ الزنىٰ، حتىٰ أصبحوا يَتَمَّنْونَ الخلاصَ من هذه المفاسدِ، فلا يستطيعون حيلةً، ولا يهتدون سبيلاً.

ونسمعُ مَنْ يدعو إلىٰ سُفُورِ المرأةِ وتبرجِها، وإبرازِ وجهِها ومحاسِنِها، وخلْعِ جلبابِ الحياءِ عنها، يحاولُ أن تخرجَ المرأةُ سافرةً بدون حياءٍ، وكأن هذا الداعيَ يجهلُ أو يتجاهلُ أن الحياءَ مِنْ جِبِلَّةِ المرأةِ التي خُلِقَتْ عليها، وأن الحياءَ من دينِها الذي خُلِقَتْ له. قال النبيُ ﷺ: «**الحياءُ من الإيمانِ**»[1]. وقال «**إنَّ مما أَدرَكَ الناسُ من كلامِ النبوةِ الأولىٰ، إذا لم تستح فاصْنَعْ ما شِئْتَ**»[2].

كأن هذا الداعيَ إلىٰ السفورِ يجهلُ أو يتجاهلُ ما يُفْضِي إليه من الشرِّ والفسادِ، واتباعِ النساءِ الجميلاتِ، ومحاولةِ غيرِ الجميلةِ أن تُجَمِّلَ نفسَها لئلا تَبْدُوَ قبيحةً مع مَنْ يَمْشِي مِنَ الجميلاتِ في السوقِ. فبقي مجتمعُ النساءِ الإسلامي مَعْرِضَ أزياءٍ.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤)، ومسلم (٣٦) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٨٤) من حديث أبي مسعود رضي الله عنه.

ومن عَجَبٍ أني قرأتَ لكاتبٍ من دُعَاةِ السُفُورِ كاملاً ساقَ فيه حديثاً ضَعِيفاً قال فيه: إنه حديثٌ صحيحٌ مُتفَقٌ علىٰ صحتِه، وهذا الحديثُ رواه أبو داودَ، أن أسماءَ بنتَ أبي بكرٍ رضي اللهُ عنها دخلت علىٰ النبيِّ ﷺ، وعليها ثيابٌ رِقَاقٌ، فأعْرَضَ عنها، وقال: «**يا أسماءُ إن المرأةَ إذا بلغت سِنَّ المحيضِ لم يَصْلُحْ أن يُرَىٰ منها إلا هذا وهذا، وأشار إلىٰ وجهِه وكفيه**»[1]. لكنَّ هذا الحديثَ ضعيفٌ، لأنه غيرُ متصلِ السندِ، ولا موثوقٌ بجميعِ رُوَاتِه.

ونسمعُ من الفِتَنِ ما يُرَوِّجُه أعداءُ الإسلامِ من الدِعايةِ الكاذبةِ العارمةِ، لتفخيمِهم وتعظيمِهم وترويجِ بضاعةِ مدنيتهم الزائفةِ وحضارتِهم المنهارةِ. يُرَوِّجُون ذلك باسمِ التقدمِ والرُّقِيِّ، والتطورِ والتثقيفِ العالَمِيِّ، وما أشبهَ ذلك من العباراتِ الفخمةِ الجَزْلَةِ التي تَنْبَهِرُ بها عقولُ كثيرٍ من الناسِ فيُصدِّقون بما يُقَالُ، ثم يَلْهَثُونَ وراءَ هؤلاءِ الأعداءِ المُروِّجينَ بالتقليدِ الأعمىٰ، والتبعيةِ غيرِ المعقولةِ، بدون تأملٍ أو نظرٍ في الفوارقِ والعواقب ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ۝٣٥ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [القلم: ٣٥-٣٦].

فَرُوَيْدَكَ أيها المنخدعُ رُوَيْدَكَ. إن كُلَّ شيءٍ نافعٍ في حضارةِ هؤلاءِ الذين أَغْرَتْكَ دِعَايتُهم وغَرَّتْك، إن كُلَّ نافعٍ فيها إن قُدِّرَ فيها ففي الدينِ الإسلاميِ ما هو خيرٌ منه، وأنفعُ وأَضْبَطُ للمجتمعِ

(١) أخرجه أبو داود (٤١٠٤) من حديث عائشة رضي الله عنها.

وأَجْمَعُ. فارجِعْ إلىٰ كتابِ اللهِ تعالىٰ، وسنةِ نبيه ﷺ، وسيرةِ خلفائه وسلفِ الأمةِ، لِترَىٰ فيها كُلَّ خيْرٍ نافعٍ للعالَم، في مَعَاشِهم ومَعَادِهم، في حاضرِهم ومستقبلِهم ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

ارْجِعْ إلىٰ ذلك لِتَرَىٰ ما يحاول هؤلاءِ الأعداءُ بكُلِّ قُواهُمْ، أن يَصُدُّوك عنه، لأنهم يعلمون أنك لو طَبَّقته تماماً لَمَلَكْتَ عواصمَ بلادِهم ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة: ٢١].

أيها المسلمونَ، أيها المؤمنونَ: إنَّ أعداءَنا لَيُهَوِّنُونَ هذه الفِتَنَ في نفوسِنا فيَجْلِبونَها إلينا بعد أن أَفْسَدَتْهم، لِيُفْسِدُونا بها كما فَسَدُوا ﴿وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً﴾ [النساء: ٨٩].

وما زال الناسُ في عصرِنا هذا يشاهدون ويسمعون كُلَّ وقتٍ مظهراً جديداً من مظاهر الفتن، كُلُّ فتنةٍ تأتي يستنكرُها الناسُ ويشمئزون حتىٰ إذا لانت نفوسُ بعضِهم إليها، جاءت فتنةٌ أخرىٰ أعظمُ منها، وإن السعيدَ لَمَنْ وُقِيَ الفِتَنَ، ومَنِ ابْتُلِيَ بها فلْيَصْبِرْ علىٰ دينِه، ولْيَثْبُتْ عليه. وفي صحيحِ مسلمٍ، عن عبدِ اللهِ بْنِ عَمْرو ابْنِ العاص رضي اللهُ عنه، قال: قال النبيُ ﷺ: «**إن أُمتكم هذه جُعِلَ عافيتُها في أولِها، وسيصيب آخِرَها بلاءٌ وأمورٌ تُنكِرُونها، وتجيءُ فتنةٌ فيرفق بعضها بعضاً، وتجيءُ الفتنةُ فيقولُ المؤمنُ: هذه مُهْلِكتِي، ثم تَنكَشِفُ، وتجيءُ الفتنةُ فيقولُ المؤمنُ: هذهِ هذهِ،**

فمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عن النارِ ويُدْخَلَ الجنةَ، فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ، وهو يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخر، ولْيَأْتِ إلىٰ الناسِ الذي يُحِبُّ أن يُؤْتَىٰ»[1].

فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ، ولا تنخدعوا بهذه الفتنِ، ولا بكثرةِ الداعين إليها، فإن الهُدَىٰ هُدَىٰ اللهِ، ودينُ اللهِ لا يتغيرُ بتغيرِ الزمنِ، والباطلُ ينقلبُ حقاً بكثرةِ الداعين إليه، والعاملين به.

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٤٤) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

في التحذير مما يكون في بعض الصحف والمجلات

الحمدُ للهِ نحمَدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونتوبُ إليه، ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا. مَنْ يَهدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَادِيَ له. وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آله، وأصحابِه ومَنْ تَبِعَهم بإحسان، وسلَّم تسليماً كثيراً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا الله تعالىٰ، واحذروا الفِتنَ ما ظهرَ منها وما بطن احذروا كُلَّ ما يفتنكم عن عبادة ربكم التي من أجلها خُلِقْتُم. واحذروا كُلَّ ما يفتنكم عن شرفكم وأخلاقِكم، التي هي قوامُ مجتمعِكم.

وإنما الأممُ الأخلاقُ ما بَقِيَتْ ... فإن هُمُ ذَهَبَتْ أخلاقُهم ذَهَبُوا

احذروا الفتنَ، فإنها تَسْرِي إلىٰ القلوب، فتصدّها عن ذكرِ الله وعن الصلاة، إنها تَسْرِي إلىٰ القلوبِ السليمةِ البيضاء، فتُكْسِبُها شُبهةً وظُلمةً، إنها تَسْرِي إلىٰ القلوب التي تَلينُ لذِكْرِ اللهِ تعالىٰ وتخشعُ لعظمته فتُكْسِبُها قوةً واستكباراً، إن الفتنَ تَدُبُّ في القلوبِ، فتفتِكُ بها، كما يسيرُ السمُّ في الجسمِ، فيفتِكُ به.

أيها الناس: احذروا الفتنَ كلَّها واجتنبوا أسبابَها، لا يَقُلْ أحدكم: أنا مؤمنٌ، أنا مستقيمٌ، لن تُؤثِّر عليَّ أسبابُ الفِتَن، لا يَقُلْ

أحدُكم هكذا فيَقْرُبَ من أسبابِ الفتن، مُؤملاً العصمةَ، فإن سِهامَ إبليسَ نافذةٌ، والشيطانُ يجري من ابن آدمَ مَجرَىٰ الدم، كما ثبت ذلك عن النبيِّ ﷺ، ولقد أمرَ النبيُّ ﷺ، بالبُعدِ عن الدَّجَّال، خوفاً من فتنته فقال ﷺ: «**من سَمِعَ بالدجالِ فَلْيَنأَ عنه، فواللهِ إن الرجُلَ لَيَأتِيهِ وهو يَحْسِبُ أنه مؤمنٌ، فيتبعُه مما يبعثُ به من الشبهات**»[١] رواه أبو داود.

إن هذا الحديثَ لعَلَمٌ نصبَه لنا رسولُ اللهِ ﷺ، نَهتَدِي به في كلِّ مواقعِ الفتن، لنَبْتَعِدَ عنها. وإن كنا نظنُ أن نَخْرجَ منها بسلامٍ، فإن الرجلَ لا يضمنُ لنفسِه العصمةَ، ولا يأمنُ عليها من الفتنةِ.

أيها الناسُ: إننا في عصرٍ كثُرَتْ فيه أسبابُ الفتن، وتنوَّعَت أساليبَها، وانفتحت أبوابُها من كلِّ وجهٍ، فُتحتِ الدنيا فتنافسَها أقوامٌ فأهلكتَهم، وبدأت تَدُبُّ شبهاتُ البدعِ إلىٰ قلوبِ السُذَّجِ من الناسِ فأرْدتهم، وكثُرَتْ الفتاوىٰ والنشراتُ الخاليةُ من التحقيق، فذَبْذَبت أفكارَ الناسِ وأقلقتهم.

وانفتحت طامةٌ كبرىٰ، الصحفُ والمجلاتُ الداعيةُ إلىٰ المجون، والفسوقِ والخلاعةِ، في عصرٍ كَثُرَ فيه الفراغُ الجسمي والفكريِّ. وسيطرت الفِطرةُ البهيميةُ علىٰ عقولِ كثيرٍ من الناس،

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٣١٩)، وأحمد ٤/ ٤٣١ من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه.

فعكَفُوا علىٰ هذه الصحفِ والمجلات، فأضاعوا بذلك مصالحَ دينهم، وصاروا فريسةَ ذلك الداءِ العُضَال، نسألُ اللهَ السلامةَ.

أيها الناسُ: إن من المؤسفِ المُحْزِنِ، المُخيفِ المُرَوِّعِ، أن يكون بين أيدي شبابِنا وكهولِنا وشيوخِنا، من ذكورٍ وإناثٍ، مثل هذه الصحفِ والمجلات، التي تدعو كتابةً وتصويراً إلىٰ التحللِ من الفضيلةِ والتَردِّي في أسافلِ الأخلاق.

ولقد كنتُ أسمعُ كثيراً عن مجلاتٍ معينةٍ، وكنت أُقَدِّمُ رِجْلاً وأؤخِّرُ أخرىٰ عن إضاعةِ الوقتِ في النظرِ في مثلِ هذه المجلات، حتىٰ ألحَّ عليَّ بعضُ الطيبين أن أنظرَ ولو بلمحةٍ عابرةٍ سريعةٍ إلىٰ بعض المجلات، حتىٰ أتمكنَ من الحُكْمِ عليها بما تقتضيه حالُها، إذ لا يمكنُ اتقاءُ الشرِّ إلا بمعرفتِه، وبعثَ إليَّ بشيءٍ من هذه المجلاتِ الهدامةِ للأخلاق، المُفسدةِ للأمةِ، والتي لا يَشُكُّ عاقلٌ فاحِصٌ ماذا يريدُه مُرَوِّجُوها بمجتمعٍ إسلاميٍ محافظٍ.

ولقد وجدتُ المنظرَ شراً من المَسْمَع، وجدتُ أقوالاً ساقطةً ماجنةٍ نابيةٍ يمجُّها كلُ ذي خُلُقٍ فاضلٍ، ودينٍ مستقيمٍ، رأيتُ صُوراً من النساءِ علىٰ أغلفةِ تلك المجلات، وفي باطنها صوراً فاتنةً في أزياءٍ منحطةٍ بعيدةٍ عن الحياءِ والفضيلةِ، وجدتُ كلماتٍ تدعو إلىٰ العزفِ والموسيقىٰ واللهو المحرم. وجدتُ صُوَرَ عُلَبِ الدُخانِ للدعايةِ له إلىٰ غيرِ ذلك من المنكرات الكثيرةِ، هذا وما لم يَصِلْ إليَّ أكثرُ وقد يكون أفْظَعَ.

أيها الناس: ماذا أقولُ حيالِ هذه الصحفِ والمجلات ومن أُخاطِبُ؟

أنني لا يُمكنني أن أُخاطِبَ المسؤولين في الدولة مِنْ علىٰ هذا المنبر، لأن ذلك لا يقتضيه العقلُ، ولا يأمرُ به الشرعُ، لأنه ليس من الخير أنْ نُخاطِبَهم من مثل هذا المنبرِ وإذا لم يكنْ من الخيرِ فقد قال رسولُ الله ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقلْ خيراً أو ليصمتْ**»[١].

ولا يُمكنني أن أخاطِبَ المسؤولين عن هذه الصحف، لأنهم ليسوا أمامي ولكني أقول ـ ولعله يَبْلُغُهم ما أقولُ بإذنِ الله تعالىٰ ـ إنهم مسؤولون أمامَ الله عز وجل، حينَ يقفُون بينَ يديه عز وجل، يومَ لا ينفعُ مالٌ ولا بنون، إلا مَنْ أتىٰ اللهَ بقلبٍ سليمٍ، إنهم مسؤولون عن أيِّ نتيجةٍ تحدُثُ من جَرَّاءِ ما نَشَرُوه.

أيها الناس: إذا لم يُمكِنني أن أُخاطِبَ هؤلاء وأولئك، فإنني أوَجِّهُ خطابي إليكم أنتم مَعْشَرَ المواطنين.

إني أدعوكم أيها المؤمنون بوَصْفِكم مؤمنين، إني أدعوكم أيها الشرفاءُ بوصفكم شُرفاء، إني أدعوكم أيها الغيورون بوصف الغِيرة إني أدعوكم أيها الآباء بوصفِ الأُبوة، إني أدعوكم أيها الأولياءُ

---

(١) أخرجه البخاري (٦١٣٨)، ومسلم (٤٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

بوصفِ الولاية، أدعوكم إلىٰ المحافظةِ علىٰ دينِكم، وأخلاقكم، أدعوكم إلىٰ البعدِ عن الفتنِ، ما ظهر منها وما بطن، أحذِّرُكم من أن تتسربَ هذه الصحفُ والمجلاتُ، المملوءةُ بالصُورِ الفاتنة، والأقوالِ المضلةِ، والأزياءِ المنحرفةِ إلىٰ بيوتِكم، فتقعَ في أيدي أهليكم، فتُهْلِكَهم وتُطيحَ بأخلاقِهم وقِيَمِهم. إن كُلَّ شيءٍ يُعرضُ فيها سيُؤَثِّرُ علىٰ مَنْ يقتنيها مقتنعاً بها، وبما يُنشرُ فيها من أفكارٍ ومظاهر.

إن وجودَ هذه المجلات والصحفِ في البيوت، مانعٌ مِنْ دخولِ الملائكة إليها، لأن الملائكةَ لا تدخلُ بيتاً فيه صورة فاقتناءُ مثل هذه المجلاتِ حرامٌ، وشراؤها حرامٌ، وبيعُها حرامٌ، ومكسبُها حرامٌ، وإهداؤُها وقبولُها حرامٌ، وكلُّ ما يُعينُ علىٰ نشرِها بينَ المسلمين حرامٌ، لأنه من التعاون علىٰ الإثم والعدوانِ، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾ [المائدة: ٢].

فاتقوا اللهَ عبادَ الله، واحذروا أن تَبْقىٰ هذه الصحفُ والمجلاتُ في أيديكم واحْرِقُوها فإنها قد قامت عليكم الحجّةُ بما سَمِعْتُم، احْرِقُوا هذه المجلاتِ أَتْلِفُوها لا تَبْقي في أيديكم ولا في أيدي أهلِكم لا في أيْدي البنينَ ولا في أيدي البنات، وإياكم أن تَبْذُلُوا الأموالَ في شرائها، أو المساهمةِ فيها، فإن في ذلك مفاسدَ كثيرةً:

فمِنْ هذه المفاسد إضاعةُ المالِ الذي جعله اللهُ تعالىٰ قياماً للناس، تقومُ به مصالحُ دينهم ودنياهم، وإضاعةُ المالِ صَرْفُه فيما لا نفع فيه، أو فيما فيه ضَرَرٌ، وقد ثبتَ عن النبيِّ ﷺ، أنه نهىٰ عن إضاعةِ المالِ.

ومِنْ مفاسدِ هذه الصحفِ والمجلات، إضاعةُ الوقتِ الذي هو عند العقلاء أثمنُ من المالِ، لأنه الحياةُ التي هي ظَرْفُ العمل، وإضاعتُه خُسرانُ الحياةِ. والإنسانُ مسؤولٌ عنه كما يُسْألُ عن المالِ ولو أمضىٰ الإنسانُ عمرَه في قراءةِ ما ينفعُه من كتابِ الله تعالىٰ، وسنةِ رسوله ﷺ، وما يُعينُ علىٰ فهمهما، من التفسيرِ وسيرةِ النبيِّ ﷺ، وخلفائِه الراشدين، لحصَلَ له خيرٌ كثيرٌ.

ومِنْ مفاسدِ هذه الصحفِ والمجلاتِ ما يحصُلُ للقلبِ من هُيَامٍ في الحبِ وإغراقٍ في الخيالِ، الذي لا حقيقةَ له، فهو كَسَرابٍ بقِيعَةٍ يحسَبُه الظمآنُ ماءً، حتىٰ إذا جاءه لم يجدْه شيئاً. ووجدَ اللهَ عنده فوفّاهُ حِسابَه، واللهُ سريعُ الحساب، لم يحصُلْ له من هذا الهُيَامِ والخيالِ، سِوىَ قلقِ النفسِ، وتشتيتِ الفكرِ ونسيان مصالح دينه ودنياه.

ومِنْ مفاسدِ هذه الصحفِ والمجلات، أنها تُؤثِّرُ علىٰ الأخلاقِ والعاداتِ، بما يُشاهَدُ فيها من صُوَرٍ وأزياء، فينقلبُ المجتمعُ إلىٰ مجتمعٍ مُطابقٍ لتلك المجتمعات الفاسدة.

فيا أيها المؤمنون: قاطِعُوا هذه الصحفَ والمجلات، ولا تُعِينُوا نَاشِريها علىٰ إثْمِهم، فإن شراءَكم إياها إثراءٌ لهم، وتقويةٌ لرصيدِهم المالي، وإغراءٌ لهم علىٰ نَشرِها، فيكونُ المشتركُ والمشتري، والقابلُ مُعيناً علىٰ الإثم، واذكروا دائماً قولَ اللهِ عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

في التحذير مما يكون في بعض الصحف والمجلات

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهدُ أن لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبده ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين وسلم تسليماً.

أما بعد، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ واحذروا الفتن ما ظهر منها وما بطن احذروا ما يفتنكم عن دينكم وشرفكم وأخلاقكم فإن الفتن تسري إلىٰ القلوب فتصدها عن ذكر الله وعن الصلاة. تسري إلىٰ القلوب النقية البيضاء فتكسبها شبهة وظلمة. تسري إلىٰ القلوب التي تلين لذكر الله وتخشع لعظمته فتكسبها قسوة واستكباراً تسري إلىٰ القلوب فتفتك بها كما يسري السم إلىٰ الجسم فيفتك به.

احذروا أيها المؤمنون الفتن كلها لا تقولوا نحن مؤمنون نحن متستقيمون ولن تؤثر علينا أسباب الفتن لا تقولوا هكذا فإن سهام إبليس نافذة لقد أمر الرسول ﷺ بالفرار من الدجال خوفاً من فتنته فقال ﷺ: «**من سمع بالدجال فلينأ عنه فوالله أن الرجل ليأتيه وهو**

يحسب أنه مؤمن فيتبعه بما يبعث به من الشبهات»[١] رواه أبو داود.
إن هذا الحديثَ أيها المؤمنون لعَلَمٌ نهتَدِي به في كلِّ مواقعِ الفتن، أن نبتعد عنها. وإن كنا نظنُّ أن نَخْرجَ منها بسلامٍ، فإن الرجلَ لا يأمن علىٰ نفسه الفتنةِ.

أيها المؤمنون: لقد كثُرَتْ في عصرنا هذا أسبابُ الفتن، وتنوَّعَت أساليبَها، وانفتحت أبوابُها من كلِّ ناحية، فُتحتِ الدنيا فتنافسَها كثير من الناس فأهلكتَهم، وجاءت الوسائل الإعلامية ما بين مسموعة ومشاهدة في وقت كثُرَ فيه الفراغ فعكَفَ الناسُ عليها فضاعت بها مصالح دينهم ودنياهم وأردتهم.

إنَّ وسائلَ الإعلامِ في الصحفِ والمجلات وغيرها لوسائلُ فعالةٌ في المجتمع عقيدةً وسلوكاً وأخلاقاً. إن استعملت في الخير وتبصير الناس في دينهم ومصالح دنياهم كانت من أفضل الوسائل وأنفعها وإن استعملت في ضدِّ ذلك كانت من أضرِّ الوسائل وأفسدها. وإن من المؤسف أن يكون في هذه الوسائل الإعلامية ـ الصحف والمجلات وغيرها ـ من المؤسف أن يكون فيها ما يدعو إلىٰ الشرِّ والفساد، إلحادٌ في آيات الله وتحريف لكتاب الله، ودعوةٌ إلىٰ انحطاط الأخلاق والتحلل من الفضيلة.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٣١٩)، وأحمد ٤/ ٤٣١ من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه.

لقد كنت أسمع الكثير عن ذلك أسمع الكثير عن مجلات معينة وكنتُ أقدِّم رِجلاً وأؤخِّر أخرىٰ عن إضاعة الوقت في قراءة مثل هذه المجلات حتىٰ رأيت من الواجب أن أمرَّ مروراً عابراً علىٰ شيءٍ من تلك الصحف لأعرف ما فيها من شرٍّ أتقيه وأحذر منه فأتحت الفرصة لنفسي في المرور علىٰ مجلة النهضة التي تصدر في الكويت وتدخل إلىٰ بلادنا وتُباع في أسواقنا وتقع في أيدي شبابنا من ذكور وإناث فوجدت المنظر شراً من المسمع.

وجدت أقوالاً نابية في الحبِّ والغرام منظومةً ومنثورةً، وجدت صُوراً من النساء جميلة تثير الشهوةِ وتفتن القلبَ إلىٰ حدٍّ أنها أجرت مسابقةً لعرض الأجمل من النساء والمعبر عنها بملكة الجمال فصورت أجملَ من تقدم لها علىٰ الغلاف بصورة مغرية. وجدت تصوير عِناقٍ وضمٍّ بين رجلٍ وامرأةٍ تحت عنوان (رسولُ الحبِّ) وتحته قصيدة كلها غرام بالحبِّ. وجدت أزياء وأشكالاً من الألبسةِ علىٰ تلك الصور لا يقرها دين سماويٌّ ولا ضميرٌ شريف. وجدت دعايةً للتدخين عليها صورُ رجالٍ ونساء في أيديهم سجائر. وجدت هذا كلَّه في لمحةٍ سريعةٍ لسبعةِ أعدادٍ فقط وما فاتني من صفحاتها وأعداها الأخرىٰ أكثر، هذه المجلة أنموذج واحد من كثيرٍ من المجلات التي ربما تكون أقبحُ من هذه وأخبث.

فيا أيها المواطنون يا أيها المؤمنون: إنني أدعوكم باسم الإيمان بالله وباسم الإسلام وبكلِّ وصفٍ تستحقونه من شرفٍ وفضيلةٍ أنْ لا

تتسرب إلىٰ بيوتكم وإلىٰ أيديكم مثل هذه المجلات التي تصرفكم عن الصراطِ المستقيمِ وتحرفكم عن أخلاقِكم وقِيمَكم، إن كلَّ ما يُعرض فيها لا بدَّ أن يُؤثِّر علىٰ من قرأها مقتنعاً بها وبما تنشره من أفكارٍ ومظاهرٍ.

فاتقوا الله عباد الله وإياكم أن تبذلوا الأموال في شرائها والمساهمة فيها فإن في ذلك مفاسد كثيرةً منها إضاعة المالِ حيث يبذله فيما لا نفعَ فيه بل فيه مضرَّةٌ وقد جعلَ اللهُ المالَ للناس قياماً تقوم به مصالح دينهم ودنياهم ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَـٰمًا﴾ [النساء: ٥].

فمن صرَفَ المالَ في غيرِ ذلك فقد غيَّره عما خُلِقَ من أجله وصرَفَه في غيرِ محلّه وصَدقَ عليه أنه أضاعَه وارتكَب ما نهىٰ عنه رسول الله ﷺ من إضاعةِ المال ومن مفاسدِها إضاعةُ الوقت الذي هو عند العقلاء أثمنُ من المال لأنه ظرفُ العملِ ونتيجتُه وسعادةُ المرءِ وشقاوته وهو مسؤولٌ عنه كما يُسأل عن المالِ فعن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال: «**لا تزولُ قدما ابن آدم يومَ القيامة حتىٰ يُسأل عن خمسٍ: عن عمرِه فيم أفناه، وعن شبابِه فيم أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وما عمل فيما علم**»(١) رواه الترمذي وقال غريب قال الألباني ولكنه صحيح لشواهده.

---

(١) أخرجه بنحوه الترمذي (٢٤١٦) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

ولو أمضىٰ الإنسانُ وقتَه في قراءةِ ما ينفعه كالقرآن وتفسيرِه والحديث وشرحِه وتاريخ حياةِ النبيِّ ﷺ وخلفائِه الراشدين لحصَلَ له خيرٌ كثيرٌ وكسبَ عمره في هذه الدنيا.

ومن مفاسدِ هذه المجلات ما يحدثُ للقلبِ من هيام في الحبِّ وإغراقٍ في الخيال الذي لا حقيقة له فيه كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً حتىٰ إذا جاءَه لم يجده شيئاً. يسيحَ قلبُه في خيالٍ فارغ لا يحصلُ به إلا قلقُ النفسِ وتشتيت الفكر ونسيان مصالح دينِه ودنياه.

ومن مفاسدِها تأثيرها علىٰ الفكرِ والأخلاق والعادات حيث يألف ما يقرؤه من أفكارٍ منحرفةٍ وما يشاهده من مظاهر فاتنةٍ في الصور وأزياء الألبسة وغيرها فيتأثرُ بذلك الفردُ والمجتمع وينطبعان بهذا الطابع الفاسد.

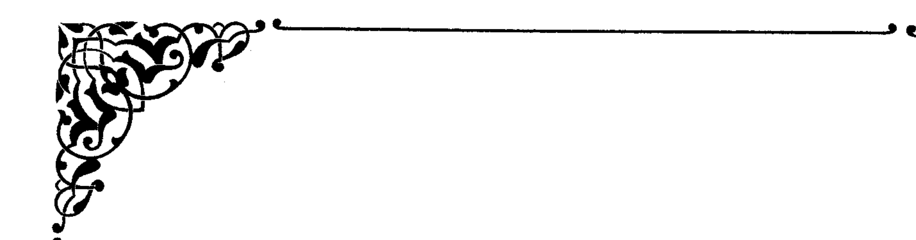
ومن مفاسدها إغراءُ ناشريها علىٰ نشرها وتقوية رصيدهم المالي لينشروا ما هو أفظع من ذلك وأقبح متىٰ سنحت لهم الفرصة فيكون المُشتري والمشترك والمتقبل لها مشاركاً في نشر الفساد وعليه من إثمه نصيب.

فيا أيها المؤمنونَ قاطعوا هذه المجلات وجانبوها وإياكم واقتناءها واحذروها. أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٢٥].

أعاذني الله وإياكم من مضلات الفتن وحمانا جميعاً بقوته وعزته من الزيغ والزلل وجعلنا دعاةً إلىٰ الخير والرشاد نُهاةً عن الشرِّ والفسادِ. إنه هو الكريمُ الجوادُ وصلَّىٰ اللهُ وسلَّم علىٰ نبينا محمدٍ وآله وصحبه وسلم.

أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊





رعاية الأهل وتربية الأولاد





وجوب رعاية الأولاد والأهل

الحمدُ للهِ الذي منَّ علينا بنعمةِ الأولادِ، وفتح لنا من أسباب الهداية كلَّ بابٍ، ورَغَّبَ في طُرُقِ الصلاحِ، وحذَّر من طُرُقِ الفساد، وأشهدُ أنْ لا إلـه إلا الله وحدَه لا شريكَ له، الملكُ الكريمُ الوهابُ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أفضلُ الخلقِ بلا ارتياب صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ المآب، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واشكروه علىٰ ما أنعمَ به عليكم من نعمةِ الأولاد، واعلموا أنَّ هذه النعمةَ فتنةٌ للعبدِ واختبارٌ، فإما منحةٌ تكون قرةَ عينٍ في الدنيا والآخرة، سرورٌ للقلب وانبساطٌ للنفس، وعونٌ علىٰ مكابد الدنيا، وصلاحٌ يَحْدُوهم إلىٰ البرِّ في الحياةِ وبعدَ الممات، اجتماعٌ في الدنيا علىٰ طاعةِ الله، واجتماعٌ في الآخرةِ في دار كرامةِ الله: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ كُلُّ ٱمْرِيٍٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾ [الطور: ٢١] وإن مِنْ أسباب هذه المنحة، أنْ يقومَ الوالدُ من أمٍ وأبٍ، والأبُ هو المسؤولُ الأولُ، لأنه راعٍ في أهلِه ومسؤولٌ عن رعيتِه، أنْ يقومَ كلٌّ من الوالدين علىٰ أولادِه وفي أولادهم بما يَجبُ عليه من رعايةٍ، وعنايةٍ، وتربيةٍ صالحةٍ. ليُخَلِّفَ بعده ذريةً صالحةً تنفعُه وتنفعُ المسلمين، فإنَّ العبد متىٰ أصلَحَ ما بينَه وبينَ ربِّه، أصلَحَ اللهُ

له ما بينَه وبينَ الخلق، ومع حُسنِ النيةِ والاستعانةِ بالله وكثرةِ دعائِه واللجوءِ إليه، يَحصُلُ الخيرُ الكثيرُ، والتربيةُ الصالحةُ، يقولُ اللهُ تعالىٰ في وَصْفِ عبادِ الرحمٰن: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤] فوالله ما سألوا ذلك وقَعدُوا عن فعلِ الأسباب، فإن العقلَ والشرعَ كلٌّ منهما يَقتَضي أنك إذا سألت اللهَ شيئاً، فلا بُدَّ أن تفعلَ ما تَقْدِرُ عليه من أسبابه، فإنَّ كلَّ واحدٍ لو سألَ اللهَ رِزْقاً لسَعَىٰ في أسبابه، لأنه يعلمُ أنَّ السماءَ لا تُمْطِرُ ذهباً، ولو سألَ اللهَ ذريةً لسَعَىٰ في حصولِ الزوجةِ، لأن الأرضَ لا تُنْبِتُ أولاداً، وهكذا إذا سأل اللهَ صلاحَ ذريتِه، وأن تكونَ قرةَ عينٍ له، فلا بُدَّ أن يَسْعَىٰ بما يَقْدِرُ عليه من أسبابِ ذلك لتكونَ نعمةُ الأولادِ منحةً.

أما الشطرُ الثاني من نعمةِ الأولاد، فأن تكونَ مِحْنةً وعناءً، وشَقاءً وشُؤماً علىٰ أهلِهم ومجتمِعهم، وذلك فيمَنْ لم يَقُمْ بما أوجبَ اللهُ عليه لهم، من رعايةٍ وعنايةٍ وتربيةٍ صالحةٍ، أهملَهم فلم يُبالِ بهم، أكبرُ هَمِّه نحوَهم حين كانوا شهوةً قذفَها في رَحِمِ الأم، أضاعَ حقَّ اللهِ فيهم، فأضاعوا حقَّ الله فيه، لم يُحْسِنْ إليهم بالتربية فلم يُحْسِنُوا إليه بالبرِّ، جَزاءً وفاقاً، ففاته نَفْعُهم في الدنيا والآخرة وأصبحَ من الخاسرين، وليَكُونَنَّ من النادمين ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الزمر: ١٥] لقد ضلَّ أقوامٌ اعتَنَوا بتنميةِ أموالِهم ورعايتِها وصيانتِها وحفظِها،

فأشغلوا أفكارَهم وأبدانَهم، وانشغلوا بها عن راحتِهم ومنامِهم، ثم نَسُوا أهلَهم وأولادَهم، وما هي قيمةُ هذه الأموالِ بالنسبةِ للأهل والأولاد؟ أليس من الأجدرِ بهؤلاءِ أن يُخَصِّصُوا شيئاً من قُواهم الفكريةِ والجسميةِ لتربيةِ أهلِهم وأولادِهم. حتىٰ يكونوا بذلك شاكرين لنعمةِ الله، ممتثلين لأمرِه حيث يقول جلَّ وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦] لقد جعل اللهُ لكم الولايةَ في هذه الآيةِ وحمَّلكم مسؤولية الأهل، أمركم بأن تَقُوا أنفسَكم وأهليكم تلك النارَ المزعجةَ، لم يأمرْكم أنْ تقوا أنفسَكم فحَسْبُ، بل أنفسَكم وأهليكم، ومِنْ عَجَبٍ أنَّ هؤلاءِ المضيعين لأمرِ اللهِ في حقِّ أولادِهم وأهليهم لو أصابت نارُ الدنيا طَرَفاً من وَلِده أو كادت لسعىٰ بكلِّ ما يستطيع لدفعَها وهَرَعَ إلىٰ كلِّ طبيبٍ للشفاءِ من حَرْقِها، أما نارُ الآخرة فلا يُحاوِلُ أن يُخَلِّصَ أولادَه وأهلَه منها.

أيها الناسُ: إنَّ علىٰ كُلِّ واحدٍ منا أنْ يُراقِبَ أهلَه وأولادَه، في حركاتِهم وسكناتِهم في ذهابِهم وإيابِهم، في أصحابِهم وأخلائهم، حتىٰ يكونَ علىٰ بصيرةٍ من أمرِهم ويقينٍ في اتجاهاتِهم وسيرِهم، فيُقِرَّ ما يراه من ذلك صالحاً ويُنكرَ ما يراه فاسداً ويكلمَهم بصراحةٍ ويأخذَ منهم ويردَّ عليهم، ولا يغضب فيَجْفُوَهم ويُعرض عنهم، فإنَّ ذلك يزيدُ من البلاءَ والفسادَ. إنَّ الإنسانَ إذا لم يقمْ علىٰ مراقبةِ

أهلِه وأولادِه وتربيتِهم تربيةً صالحةً، فمَنِ الذي يقومُ عليها؟ هل يقومُ عليها أباعدُ الناسِ ومن لا صلةَ له فيهم، أم يُتركُ هؤلاء الأولادُ والأغصانُ الغضَّةُ تعصِفُ بها رياحُ الأفكارِ المضللةِ والاتجاهاتِ المنحرفةِ والأخلاقِ الهدامةِ، فينشأُ من هؤلاء جيلٌ فاسدٌ لا يَرْعَىٰ للهِ ولا للناسِ حرمةً ولا حقوقاً، جيلٌ فَوْضَوِيٌّ متهورٌ، لا يعرف معروفاً، ولا يُنكر منكراً متحرراً من كل رِقٍّ إلا من رِقِّ الشيطانِ، منطلق من كلِّ قيدٍ إلا من قَيْدِ الشهوةِ والطغيان، نَعَمْ لا بُدَّ أن تكونَ هذه هي النتيجة، إلا أن يشاءَ اللهُ، إنَّ بعضَ الناسِ يقول معتذراً: أنا لا أستطيع تربيةَ أولادي إنهم كَبِرُوا وتَمرَّدُوا عليَّ، وجوابُنا علىٰ هذا أن نقولَ: لو سلمنا هذا العذرَ جدلاً أو حقيقةً واقعةً، ثم فَكَّرنا لوجْدنا أنك أنت السببُ في سقوطِ هيبتِك من نفوسِهم، لأنك أضَعْتَ أمرَ اللهِ فيهم في أولِ أمرِهم، فتركتهم يتصرفون كما يشاؤون، لا تسألُهم عن أحوالِهم ولا تَأْنَسُ بالاجتماعِ إليهم، لا تجتمعُ معهم علىٰ غداءٍ ولا علىٰ عَشاءٍ ولا غيرهما، فوقعتِ الجَفْوَةُ بينَك وبينَ أولادِك، فنَفرُوا منك ونَفَرْتَ منهم، فكيفَ تطمعُ بعد ذلك أن ينقادوا لك، أو يأخذوا بتوجيهاتِك؟ ولو أنك اتقيتَ اللهَ في أول أمرِك، وقُمْتَ بتربيتهم علىٰ الوجهِ الذي أُمِرْتَ لأصلَحَ لك أمرَ الدنيا والآخرة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾

[الأحزاب: ٧٠-٧١].

أيها الناسُ: لقد كانتِ المدارسُ تأخذُ وقتاً كثيراً من أوقاتِ الأولادِ وتتحملُ عِبْئاً ثقيلاً من تربيتهم، والآنَ وقد أوشكتِ المدارسُ علىٰ إغلاقِ أبوابِها لهذا العام، وأقبلتْ أيامُ إجازةِ الصيف، فإنَّ الأولاد سيجدون فراغاً كبيراً فكرياً وزمنياً، فعلينا أنْ نحاولَ مِلْءَ هذا الفراغِ واستغلالَ هذه الفرصةِ من أعمارِ شبابِنا، بما يكونُ نافعاً لهم حتىٰ لا تَخْمُلَ أفكارُهم، أو يستغلوها بما يكونُ لغواً أو ضارّاً، إنه يمكنُ استغلالُ هذه الفرصةِ بقراءةِ الكتبِ النافعةِ كُلٌّ بحَسَبِ طَبَقَتِه وما يتحمله عقلُه، أو بمراجعةِ مقرراتِ السنةِ التي نجحَ إليها، أو بأعمالٍ نافعةٍ من بيعٍ وشراءٍ، ومساعدة أبيه في أعمالِه، علينا أنْ نضاعفَ جهودَنا في مراقبتِهم وتربيتِهم، وأن نشعرَ بأن العبءَ ثقل علينا حتىٰ نُنَمِّيَ هذه المضاعفة. إنَّ علىٰ شبابِنا من ذكورٍ وإناثٍ، أن يستغلوا هذه الفرصةَ بما يكونَ نافعاً، وأن يحذروا غايةَ الحَذَرِ من مطالعةِ الكتبِ والمجلاتِ والصحفِ التي تحملُ في طَيَّاتها مَعاوِلَ الفسادِ والهدمِ من أفكارٍ منحرفةٍ، وأخلاقٍ سافلةٍ، وأزياءٍ بعيدةٍ عن الزيِّ الإسلاميِّ وعلينا أن نَحذَرَ السفرَ إلىٰ بلادٍ لا نستفيدُ من ورائها إلا صرفَ النفقات الباهظة وإضاعةَ الوقتِ فيما لا فائدةَ فيه، بل فيما فيه مضرةٌ أحياناً في الدينِ والخُلقِ، وها هي بلادُنا وللهِ الحمدُ فيها من وسائلِ الراحةِ والمتعةِ ما يكفي، مع سلامة الإنسانِ مما يُخْشَىٰ خَطَرُه في السفرِ إلىٰ بلادٍ أخرىٰ.

وبهذه المناسبة أوَدُّ أن أُنبهَ إلىٰ أمرٍ خطيرٍ، يفعلُه الطلابُ في كتبِ دروسِهم حين ينتهون منها، إنهم يرمون هذه الكتبَ في الأسواق، تُداسُ بالأرجلِ والنِّعالِ، بل يرمونها في المزابل، مع الأقذارِ والأوساخ، إنهم يرمون هذه الكتب غيرَ مبالين بما فيها، قد تكونُ كلامَ اللهِ، أو تفسيراً لكلامِ اللهِ، أو حديثاً عن رسولِ اللهِ ﷺ، أو شرحاً لذلك، أو كلاماً لأهلِ العلمِ يتضمنُ شرحَ أحكامِ الله، وكلُّ هذا إهانةٌ لهذه الكتبِ ووضْعٌ لقَدْرِها. فعلىٰ المؤمنِ أن يتَّقِي ربَّه، وأن يُعظِّمَ ما أوجبَ اللهُ عليه تعظيمَه، حتىٰ يكونَ قائماً بشكر اللهِ عزَّ وجلَّ، ليَزيدَه من فَضْلِه، وإذا انتهىٰ من هذه الكتب، فليدَّخِرْها عندَه، أو يُهدِيها لمَنْ ينتفعُ بها، أو يَبيعُها، وإذا لم تكنْ صالحةً لذلك فلْيَحْرِقْها إن شاءَ إحراقاً كاملاً، لا يَبْقَىٰ منها شَيْءٌ، أما أنْ يَرْمِيَ بهذه الكتبِ في المزابلِ والأسواق، فهذا غيرُ لائقٍ وليس مِنْ شُكْرِ نعمةِ الله عليك، الذي سهَّلَها لك حتىٰ أكملتَ دراستَك بها.

اللهم وفِّقْنا للقيامِ بما أوجبْتَ علينا من عبادتِك، وحقوقِ عبادِك واهْدِنا صراطَك المستقيم، واغفرْ لنا وللمسلمين، إنك أنت الغفورُ الرحيم.

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

تربية الأولاد وحفظ أوقاتهم

الحمدُ للهِ الذي مَنَّ علىٰ عبادِه بالأموالِ والأولادِ، وجعل ذلك فتنةً لهم ليَختبرَ مَنْ يقومُ بالحقِّ الواجب عليه، ممَّنْ يُضَيِّعُ ذلك فيقَعُ في الخَسَارةِ والوَبال. وأشهدُ أنْ لا إلـه إلا الله وحدَه لا شريكَ له، الملكُ الكبيرُ المتعالُ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه الذي فاق الخليقة في شرفِ الخِصَال، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ ما تعاقبت الأيامُ والليالِ، وسلَّم تسليماً كثيراً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واعلموا أنما أموالُكم وأولادُكم فتنةٌ، وأنَّ اللهَ عنده أجرٌ عظيمٌ.

أيها الناسُ: إنَّ الشباب في هذه الأيامِ يُعاني من مشكلةِ الفراغ، فقد انقضىٰ العامُ الدراسيُّ وزال انشغالُ كثيرٍ من الشباب، فصاروا الآنَ في فراغٍ فكريٍّ، فهذا الفراغُ الحاصلُ بانتهاءِ الدراسةِ لا بُدَّ أن يُستَغَلَّ، إما في خيْرٍ وصلاحٍ في الدنيا والآخرة، فيكونُ رِبْحاً وغنيمةً للفردِ والمجتمع، لأنه رَبِحَ نفسَه ورَبِحَ وَقْتَه. واستَغَلَّ قواه فيما ينفع، وإما أن يُستَغَلَّ في شَرٍّ وفَسادٍ في الدنيا أو في الآخرة، فيكونَ خَسارةً وغُرْماً للفردِ والمجتمع، لأنه خَسِرَ نفسَه ووقْتَه، واستغل قُواهُ فيما فيه الضررُ عليه وعلىٰ أمته، وإما أنْ يَقْضِيَ وقْتَه ويُضيِّعـه سَبَهْلَـلاً، لا يعمـل ولا يَتحـرَّكُ، يَتَسَكَّـعُ فـي الأسـواقِ والمجالِس خَاوِيَ الذهن مُتَبَلْبِلَ الفِكْرِ، وهذا قَتْلٌ للفِكْرِ وتَجْميدٌ

وضياعٌ للقُوىٰ، وخَسارةٌ لما أَوْدَعَه اللهُ تعالىٰ في النَّفْسِ وفي الجسمِ وغَبْنٌ في الصحةِ والفراغ.

إنَّ الشبابَ بعدَ الجُهْدِ الجَهيدِ الذي أمْضاهُ في عامِه الدراسيِّ جسميّاً وفكريّاً إذا حَصَلَتْ له هذه العطلةُ فسوف يَجِدُ الفراغَ والفَجْوَةَ بينَ أيامِه الماضيةِ، وأيامِه الحاضرةِ. فعلىٰ الشبابِ المتطلعِ إلىٰ العُلَىٰ والمكارم أنْ يستغلَّه، إما في مذاكرةِ العلمِ ودَراستِه، سَواءٌ في دُرُوسِه الرسمية الماضيةِ أو المستقبلة، أو في دروسٍ أخرىٰ يتثقفُ بها ثقافةً عامةً، مثلَ كُتُبِ التفسيرِ القيمةِ السالمةِ من تحريفِ معاني القرآن، وكُتُب الحديثِ الصحيحةِ عن رسولِ اللهِ ﷺ، وكُتُبُ التاريخِ البعيدةِ عن الأهواءِ خصوصاً تاريخَ صَدْرِ الإسلام: كالسيرةِ النبويةِ، وسيرةِ الخلفاءِ الراشدين، لأن ذلك يزيدُ القارىء عِلْماً بأحوالِ النبيِّ ﷺ، وأصحابه ومحبةً لهم وفِقْهاً في الدين وأسرارِ أحكامِه وتشريعاته.

وفي هذا المجال يجبُ أنْ يتجنب النظر والقراءة فيما يخشىٰ منه علىٰ العقيدة أو الأخلاق، عليه أنْ يتجنَّبَ القراءةَ في كُتُبِ الإلحاد والبِدَعِ، وما يُخالِفُ العقيدةَ السليمةَ التي كان عليها رسولُ الله ﷺ وأصحابُه، عليه أنْ يتجنَّبَ النَّظَرَ في الصُحُفِ والمَجلّاتِ الخليعةِ التي تنشر مقالاتِ الحُبِّ والغَرامِ، وتُصَوِّرُ الصُورَ الخليعةَ الفاتنةَ، لأن ذلك يُؤَثِّرُ علىٰ فِكْرِه وسُلوكِه وأخلاقِه، وقد يقرأ أو ينظرُ وهو يظنُّ أنه لا يتأثرُ بذلك، ولكنَّ الشيطانَ لا يزالُ به حتىٰ يُزَيِّنَ له السُوءَ.

وعلىٰ الشبابِ إذا لم يَستَطِعِ القراءةَ والدراسة أن يَستغِلَّ فراغَه في عَمَلٍ جسمِيٍّ، فينضمَّ إلىٰ أبيه في دُكَّانِه أو عَمَلِه، أو يشتَغِلَ في عَمَلٍ حُكوميٍّ أو شَعْبِيٍّ، لينتفعَ بوقتِه وينفعَ غيرَه.

أما إضاعةُ الوقتِ هكذا سبهللاً، تَسَكُّعٌ في الأسواق، وخُروجٌ للْمُنتزهاتِ، واجتماعاتٌ علىٰ اللهوِ والقيلِ والقَالِ، فإنَّ هذا خَسَارةٌ وإضاعةٌ لنعمَةِ الشبابِ والصحةِ والفراغ. وهو في نَفْسِ الوقتِ يُنتجُ عَواقِبَ وخيمةً علىٰ الفردِ والمجتمع.

أيها الناسُ: إنَّ علىٰ الأولياءِ أنْ يلاحظوا أولادَهم في هذه العطلةِ، ويُحَبِّبُوا إليهم العملَ واكتسابَ الوقتِ فيما ينفعُ عليهم، أن يُراقِبُوهم ويَمْنَعُوهم من صَحْبَةِ الأشرارِ الذين يُضِلّونَهم عن سبيلِ الله، يُغْرُونَهم علىٰ الشرِّ والفسادِ، فإنَّ المرء علىٰ دينِ صديقِه كما جاء في الحديثِ عن النبيِّ ﷺ، أنه قال: «**المَرْءُ علىٰ دينِ خَليلِه، فلْينظُرْ أحدُكم مَنْ يُخالِلُ**»(١). أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

بارِكَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٧٨)، وأحمد ٣/ ١١٠ وأبو داود (٤٨٣٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

تربية الأولاد

الحمدُ للهِ الذي خلق السمٰوات والأرض وجعل الظلماتِ والنورَ، والحمدُ للهِ الذي منحَ عبادَه الأموالَ والأولادَ فتنةً، فمنهم مَنْ يكون للموهوب منحةً ونعمةً، ومنهم مَنْ يكون محنةً ونِقْمَةً، ونشهدُ أنْ لا إلـه إلا الله وحدَه لا شريكَ له، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه ومَنْ تَبِعَهم بإحسانٍ وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ: فقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: ٢٨] أموالُكم وأولادُكم فتنةٌ تُفتنُون بها وتُخْتَبرون، فإنْ شَكَرتُم هذه النعمةَ وقُمْتُم بواجبِها كُنتم من الرابحين. وإنْ كَفَرتُمُوها ولم تقوموا بواجبِها كُنتم من الخاسرين.

أيها الناسُ: إنَّ صلاحَ أولادِكم من أعظم أسبابِه وأكبرِ موجباتِه تربيتُهم علىٰ الوجهِ الصحيحِ الذي أمرَ اللهُ به ورسولُه، وأنتم مسؤولون عن ذلك يومَ القيامة، كما قال النبيُّ ﷺ: «**كُلُّكُم راعٍ وكُلُّكم مسؤولٌ عن رعيتِه، والرجلُ راعٍ علىٰ أهل بيتِه ومسؤولٌ عن رعيتِه**»[1] فاتقوا اللهَ وقوموا برعايةِ أولادِكم ومراقبتِهم وتعليمِهم ما ينفعُهم، وإلزامِهم

(١) أخرجه البخاري (٨٩٣)، ومسلم (١٨٢٩) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

بما أوجبَ اللهُ عليهم. مُرُوهم بالصلاةِ، واضربوهم عليها إذا بلغوا عَشْرَ سنينَ، وعلِّموهم ما يَجِبُ عليهم فيها من الطهارةِ والقراءةِ والأذكارِ. واجعلوا بُيُوتكَم مدارسَ ودُوراً لتقويمِهم وتهذيبهم.

لقد كانت المسؤوليةُ أيامَ الدراسةِ مُوزَعةً بينَكم وبينَ المدرسةِ، وإن كان عليكم منها الحظُّ الأوفَرُ. أما الآنَ وبعدَ انتهاءِ الدراسةِ فالمسؤوليةُ كلُّها عليكم أيها الأولياءُ، ففكِّروا وانظُرُوا هل قمْتُم بواجبِ تلك المسؤوليةِ؟

إنَّ كثيراً من الناس يتركون أولادَهم هَمَلاً لا يسألونهم ماذا فَعَلوا، وماذا تَركُوا، ربما يعلمون أنهم لا يُصَلُّون ثم لا يأمرونُهم بالصلاةِ ولا يَضرُبونَهم عليها، وربما يمرون بهم في الأسواقِ أوقاتَ الصلاةِ ولا يأخذُونَهم معهم إلىٰ المساجدِ، يَغِيبُون معظمَ النهارِ وكثيراً من الليل ولا يسألونَ أين كانوا.

فيا سبحانَ الله، ما أدْري ماذا يُجيبُ هؤلاء ربَّهم يومَ القيامة إذا وَقَفُوا بينَ يديهِ وسألَهم عما استرعاهم عليه. كثيرٌ من الناس يَدَّعونَ أنهم لا يَقْدِرُون علىٰ أولادِهم وهذا قد يكونُ صحيحاً، ولكن ما هي أسبابُه لنعرِفَ علاجَه؟ إنَّ من أكبرِ أسبابِه أنْ الأولياءَ يُهْمِلونَ أولادَهم في أول الأمرِ في حال صِغَرِهم، ولا يُهَيِّبونَهم بالأمرِ والتأديب، فتُنزعَ المهابةُ من قلوبِ الأولاد، ويَشِبُّون علىٰ الاستهانة بأوليائِهم، فلا يَنْصَاعُونَ بعد ذلك لأوامرهم.

ومن أسبابِ تَمَرُّدِ بعضِ الأولاد: أن أولياءَهم ربما لا يُحْسِنونَ معاملتَهم في التأديب، ولا يُنزِلونهم منزلتهم ومن المعلوم أن مراعاةَ حالِ المؤدَّب وانطباعاته من أكبرِ العونِ علىٰ معرفةِ كيفيةِ علاجه، فمِنَ الأولادِ مَنْ يكونُ عزيزَ النفس عاليَ الهمةِ يقتنعُ بالقولِ النيّرِ البيّن ويَنْفِرُ من التوبيخِ والتفشيلِ أمام أقربائه فمثل هذا يعامل بأسلوبٍ هادىءٍ مقنعٍ سيّرٍ، ومنَ الأولادِ مَنْ يكون بَلِيداً لا ينفعُ فيه إلا الضربُ والتوبيخُ والتهديدُ، والحكمةُ أن تُنزِلَ كُلَّ واحدٍ منزلتَه وتُعامِلَ كُلَّ واحدٍ بما يَليقُ به.

أيها الناسُ: إنَّ مِنَ المُشاهدِ أنّ مَنْ ضيَّعَ واجبَ اللهِ في أولادِه وأهلِه وأهملَ تربيتَهم فمن المُشاهدِ أنه يُعاقَبُ فيهم بإضاعةِ حقِّه وعَدَمِ بِرِّه والتمردِ عليه، فاتقوا اللهَ أيها الأولياءُ، وتَفَقَّدُوا أولادكم وأهْلِيكم خُصوصاً في هذه الأيام، التي ليس فيها دراسةٌ تَشْغَلُهم، وأنتم أيها الأولادُ العقلاء، الشبابُ النبلاءُ، الذين وهبهم اللهُ عقولاً وعِلْماً لا تُضَيِّعُوا أوقاتكم سُدًى، ولا تَظُنُّوا أن العطلةَ النظامية عطلةٌ علمية فإنَّ الدراسةَ العلمية مستمرةٌ لا تنتهي، فاشغلوا أوقاتكم وزَهْرَةِ شبابِكم بالجدِّ والعمل، والمثابرةِ علىٰ قراءةِ الكتبِ النافعة، فإن النَّفْسَ وما عَوَّدْتها، إن عَوَّدْتها علىٰ البطالةِ وضَياعِ العُمرِ سَبَهْلَلاً كان ذلك طبيعةً لها، وكان أمرُك فُرُطاً، وإن عوَّدْتَها علىٰ العملِ والجِدِّ والتعلُّمِ كان ذلك مألوفاً لها سهْلاً عليها، تأنسُ به وتكونُ كئيبةً بفَقْدِه، وعندَ الصباحِ يَحْمَدُ القوم السُّرَىٰ، وإنَّ خيرَ

ما تَقرؤونَ وتفهمون كتابُ اللهِ ثم سنةُ رسولِ الله ﷺ، ثم أقوالُ العلماءِ المحققين من السلفِ الصالحِ فمَنْ بعدَهم، فإنَّ كلامَ أهلِ العلم والإيمانِ شَرْحٌ وتَبيينٌ لما يَخْفَىٰ من معاني كلامِ الله وكلامِ رسوله ﷺ.

واستعينوا أيها الشبابُ علىٰ حِفْظِ عِلْمِكم بالعَمَل به، فإنَّ العِلْمَ لا يُقَيَّدُ بمِثْلِ العَمَلِ به، ومَنْ عَمِلَ بما عَلِمَ ورَّثَه اللهُ عِلْمَ ما لم يَعْلَمْ، ومَنْ لم يَعملْ بما عَلِمَ سلبه اللهُ ما عَلِمَ ونزَعَ منه برَكتَه.

اللهم أَصلِحْ أمورَنا وعلِّمْنا ما ينفعُنا وارزقنا القيامَ بما أوجبتَ علينا من الرعايةِ ووفِّقْنا بسلوك طريقِ الهدايةِ، اللهم أَصْلِحْ شبابَنا وشيبنا وسدِّدِ أمورَهم وأَصْلِحْ أحوالَهم، واجعل مستقبلَهم خيراً من ماضِيهم، إنك أَرْحَمُ الراحمين، وأَكْرَمُ الأكرمين.

بارَكَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

تربية الأولاد وتعليمهم

الحمدُ للهِ الذي مَنَّ علىٰ عبادِه بالأموالِ والأولادِ، وجعلهم فتنةً لعبادِه ليختبرَ بذلك مَنْ يقومُ بحقِّهم ويصونُهم عن الفسادِ، ممن يُضيِّعُهم ويتركُهم هَمَلاً، فيكونون خسارةً عليه في الدنيا ويوم يقومُ الأشهادُ، ونشهدُ أنْ لا إلـهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، الملكُ الكريمُ الجوادُ، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واشكروا نعمةَ اللهِ عليكم بالأولاد. الأولادُ الذين جعلهم اللهُ فتنةً لكم، فإما قرةُ عينٍ في الدنيا والآخرة، وإما حسرةٌ وندَمٌ ونكادٌ.

ألا وإنَّ شُكْرَ نعمةِ الله عليكم فيهم أن تقوموا بما أوجبَ اللهُ عليكم مِن رعايتِهم وتأديبِهم إلىٰ أحسنِ الأخلاقِ والأعمالِ، قال اللهُ تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

أيها المؤمنونَ: قوا أنفسَكم وأهليكم النارَ بفتح أبواب الخيرِ لهم، وتوجيهِهم إليها، وتشجيعِهم عليها. بيِّنُوا لهم الحقَّ، ومُرُوهُمْ به، وبيِّنُوا لهم الباطلَ ومضارَّه وحَذِّروهم منه، فإنكم رُعاةٌ عليهم، وكُلُّ راعٍ مسؤولٌ عن رعيتِه، فمَنْ قام بحُسْنِ رعايتِه فيها أفلَحَ ونَجا، ومَنْ فرَّطَ في رعايتِه فيهم خَسِرَ وهَلَك، عَرِّفوهم

أصول الإيمان، وهي: الإيمانُ بالله، وملائكتِه، وكتبِه، ورسلِه واليوم الآخر، والقدَرِ خيرِه وشرِه، أَلْزِمُوهم بأركانِ الإسلام، وهي: شهادةُ أنْ لا إلـهَ إلا اللهُ، وأنَّ محمداً رسولُ الله، وإقامُ الصلاةِ، وإيتاءُ الزكاةِ، وصومُ رمضانَ، وحجُّ البيتِ الحرامِ، مُرُوهم بالصلاةِ لسبعٍ، واضربوهم عليها لعَشْرٍ، علِّموهم كيف يتطهرون، وكيف يُصَلُّون، وماذا يقولون في صلاتِهم، وماذا يفعلون، وماذا يجتنبون ويتركون.

اغْرِسُوا في قلوبِهم محبةَ اللهِ وتعظيمَه، وبَيِّنُوا لهم نِعَمَ اللهِ الظاهرةَ والباطنةَ العامةَ والخاصة، لتَرْسَخَ في قلوبِهم محبةُ اللهِ وتعظيمُه، وذِكْر آلائه ونِعَمِه، واغْرِسُوا في قلوبهم كذلك محبةَ النبيِّ ﷺ، وبيِّنُوا ما حصلَ علىٰ يديه من الخيرِ العظيمِ لأمتِه، وأنه ﷺ الإمامُ المطاعُ، الذي يجب تقديمُ محبتِه وأمرِه علىٰ جميعِ المخلوقين. بيِّنُوا لهم أخلاقَ النبيِّ ﷺ، وأخلاقَ أصحابِه الكريمةَ، وما قاموا به من العباداتِ الجليلةِ والأعمالِ العظيمةِ، حتىٰ نصرَ اللهُ بهم الإسلامَ وأقام بهم الدينَ. فإنهم هم العظماءُ النبلاءُ الذين حازوا قَصَبَ السَّبْقِ في أعمالِ الدنيا والآخرة، وقَادُوا الناسَ إلىٰ الخيرِ، فانقادُوا إلىٰ ذلك برغبةٍ صادقةٍ لمَّا نَظَرَ الناسُ إلىٰ أحوالِ النبيِّ ﷺ، وأصحابِه وأعمالِهم عرَفُوا أنهم علىٰ الحقِّ، وأن طريقتَهم هي الطريقةُ المُثْلَىٰ التي يقومُ عليها أمرُ الآخرةِ والدنيا. فدخلوا في دين الله أفواجاً من غيرِ إكراهٍ.

عَلِّمُوا أولادَكم الصدقَ بالقولِ والفعلِ، فإذا حَدَّثْتُموهم فلا تَكْذِبُوا عليهم، وإذا وعدَّتموهم فلا تُخْلِفُوا وَعْدَكم، يُرْوىٰ عن النبيِّ ﷺ أن «**مَنْ قال لصبي تعال هاكِ ثم لم يُعْطِه فهي كذبةٌ**»[١] وإن أولادَكم إذا رأوكم تكذبُونَ هانَ عليهم الكذبُ، وإذا رَأَوْكُم تُخْلِفُونَ الموعد هان عليهم الإخلاف، عَوِّدُوهم الإحسانَ إلىٰ الخَلْقِ وفِعْلَ المروءةِ، وحَذِّروهم من الاعتداءِ والظُّلْمِ، اغْرسُوا في قلوبهم محبةَ المؤمنين، وبيِّنوا أنَّ المؤمنَ للمؤمنِ كالبنيانِ يشدُّ بعضُه بعضاً، وأن الواجب علىٰ المسلمين أن يكونوا أمةً واحدةً، ليَشِبُّوا علىٰ الأُلفةِ والمحبةِ والاتحادِ، ومَنْ كان من أولادكم يستطيعُ القراءةَ فحُثُّوه علىٰ قراءةِ الكتبِ النافعةِ، مثْلِ: كُتُبِ التفسيرِ القيمةِ، السالمةِ من تحريفِ معاني القرآن، ومثل كُتُبِ الحديثِ الصحيحةِ عن النبيِّ ﷺ، ومثْل مؤلفاتِ العلماءِ المحققين المخلصين كشيخِ الإسلامِ ابنِ تيميةَ وتلميذِهِ ابنِ القيمِ، ومثل مؤلفاتِ شيخِنا عبد الرحمٰن غفرَ اللهُ لهم جميعاً، ومثل كُتُب التاريخِ الصحيحةِ البعيدةِ عن الأهواءِ خصوصاً تاريخَ صدرِ الإسلام، لأن قراءةَ تاريخِ ذلك العصرِ يزيدُ القارىءَ عِلْماً بأحوالِ النبيِّ ﷺ وأصحابه، ومحبةً لهم وفِقْهاً في الدين، وأسرارِ أحكامِه وتشريعاتِه.

وحَذِّرُوهم من قراءةِ الكتبِ الضارةِ التي تُخِلُّ بعقيدةِ الإنسانِ أو أخلاقِه، أو عباداته. ومِنْ قراءةِ الصحفِ والمجلاتِ الضالةِ التي

---

(١) أخرجه أحمد ٢/ ٤٥٢ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

تتضمن الشكَّ والتشكيك، وإثارةَ الفتنِ أو تبحثُ في أمرٍ من أمورِ الدينِ علىٰ وجهِ الخطأ، فإنَّ قراءةَ مِثْلَ هذه الكتب الضارةِ تؤثرُ في عقيدةِ قارئِها واتجاهِه وعِلْمِه، إلا مَنْ شاء اللهُ ممن وهبهم اللهُ عِلْماً وإيماناً وتمييزاً بين الحقِّ والباطلِ والضارِّ والنافعِ.

أيها المؤمنون: إنَّ مسؤوليتَنا كبيرةٌ أمامَ اللهِ في أولادِنا وأهلِنا ذُكُورِهم وإناثِهم فنسألُ اللهَ الذي حَمَّلَنا إياها أنْ يعيننا عليها، وأن يوفقنا للصلاح والإصلاح. فإنَّ الفردَ لو أصلَحَ نفسَه وأهلَه لصَلُحَتِ الأمةُ لأن الأمةَ بأفرادِها.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

رعاية الأولاد

الحمدُ للهِ الذي مَنَّ علينا بالأموالِ والأولاد، وفتَحَ لنا من أسبابِ الهدايةِ كُلَّ بابٍ، وأشهدُ أنْ لا إلـه إلا الله وحدَه لا شريكَ له، من غَيْرِ شكٍّ ولا ارتيابٍ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، المصطفىٰ علىٰ جميعِ العبادِ، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الحشر والمآب، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واشكروه علىٰ ما أنعمَ به عليكم من نعمةِ الأولاد. واعلموا أنهم فتنةٌ للعبد واختبارٌ، فمِنَ الناسِ مَنْ كان أولادُه قرةَ عَينٍ له في الدنيا والآخرةِ. لأنه قام عليهم وقام فيهم بما يجبُ فأَصْلَحَهم الله. قال اللهُ تعالىٰ في وصف عباد الرحمٰن: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ [الفرقان: ٧٤]، وهم لم يسألوا اللهَ تعالىٰ هذا إلا وقد سَعَوْا في أسبابِه وألزَمُوا أنفسَهم به. ومن الناس مَنْ كان أولادُه خسارةً عليه في الدنيا والآخرة. لأنه لم يَقُمْ عليهم ولم يُقِمْ فيهم بما يَجِبُ. أضاعَ حقَّ اللهِ فيهم، فأضاعوا حقَّ اللهِ فيه، فلم ينتفعْ به في دنياه ولا في أُخراه. فأصبحَ من الخاسرين ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الزمر: ١٥].

عبادَ الله: لقد استرعاكم اللهُ علىٰ أولادِكم وأهليكم، وأمرَكم بحفظِهم من المفاسدِ وتوجيهِهم إلىٰ المصالح، قال اللهُ تعالىٰ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦] أمرنا اللهُ تعالىٰ أنْ نَقِيَ أنفسَنا وأهلينا هذه النارَ الرهيبةَ المزعجَةَ ولا يمكن وقايتُها إلا بحفظِ النفسِ والأهلِ عن المفاسدِ، والتزامِ المصالحِ، فهل نحن قُمْنا بهذا الأمر؟ هل سَعَيْنا بقَدْرِ ما نستطيعُ في حفظِ أولادِنا وتقويمِهم وتربيتِهم؟ هل فعلنا الأسبابَ التي يكونُ فيها صلاحُهم؟ هل راقبنا حركاتِهم وسكناتِهم؟ هل لاحظنا أقوالَهم وأفعالَهم وذهابَهم وإيابَهم، أم كنا غافلين عن ذلك كلِّه، مُنهمكين في طلبِ حُطامِ الدنيا أو راكنين إلىٰ الكسلِ وعدم المبالاة؟

إذا لم نَقُمْ علىٰ أولادنا، فمَن الذي يقومُ عليهم؟ وإذا لم نَسْعَ فيما يُهذِّب أخلاقَهم ويُصْلِحُ أحوالَهم، فمَنِ الذي يَسعىٰ في ذلك؟ أيَسعىٰ في ذلك أباعدُ الناسِ ومَنْ لا صلةَ له فيهم؟ أم يُترك هؤلاءِ الأولادُ والأغصانُ الغضَّةُ تتلاعبُ بها الأهواءُ المُضِلّةُ؟ والأفكارُ المنحرفةُ، والأخلاقُ الهدامة؟ واللهِ ما استرعاكم اللهُ عليهم ولا أمركم بحفظِهم إلا وهو يريدُ منكم أنْ تقوموا بالرعايةِ حقِّ الرعاية، وأنْ تلتزموا بحفظِهم وتؤدوا الأمانة، لأنهم في الغالب ضعفاءُ بسطاءُ لا يستطيعون إصلاحَ أنفسهم بأنفسِهم، فأنتم رُعاتُهم، فاتقوا اللهَ فيهم، فإنه سائلُكم عنهم.

أيها الناس: إنَّ بعضاً منكم يقيمُ العُذْرَ الواهي لنفسه إذا طُلِبَ منه تربيةُ أولادِه، يقول: إنه لا يستطيعُ تربيتَهم، وإنهم تمردوا عليه،

ولو فَكَّرَ هذا في أمرِه لوجدَ أن الخلَلَ من عندِ نفسه، لأن هذا الرجلَ أضاعَ أمرَ اللهِ فيهم في البداية فتمردوا عليه في النهاية، ولو اتقىٰ اللهَ لجعلَ اللهُ له مخرجاً، ولجعلَ له من أمره يُسراً، ولكنه فرَّطَ في تأديبهم حالَ صِغَرِهم وأضاعهم، فعَتَوْا عن أمرِه في الكِبَر واستهانوا به وأضاعُوه، ولكنْ مع هذا يجِبُ عليه أنْ لا ييْأسَ من رَوْحِ الله، يجبُ عليه أنْ يتوبَ إلىٰ اللهِ من تفريطه في تربيتِهم فيما مضىٰ، ويستعينَ اللهَ في إصلاحِهم في المستقبلِ مع كثرةِ الدعاءِ وسلوكِ الحكمةِ، ولعل اللهَ أن يُسَخِّرَهم له ويُصْلِحَهم علىٰ يديه.

أيها الناسُ: لو فَكَّرنا في مجتمعِنا لوجَدْنا أنَّ الكثيرَ منّا بل أكثرَنا يحرِصُ علىٰ مالِه أكثرَ ما يحرِصُ علىٰ عيالِه، فقد شغلَ بدنَه وفكره في المالِ كيف يُحَصِّلُه، وكيف يُنَمِّيه ويُصْلِحُه ويَحْفَظُه، أما عيالُه فلم يهتمَّ بهم ولا يسألُ عنهم، ولا يبحثُ عن مجيئِهم وذهابِهم وعن أصحابِهم ورُفَقائهم، وهذا خطأٌ كبيرٌ وجَهْلٌ ظاهرٌ، فإنَّ الحِرْصَ علىٰ العيالِ أَوْجَبُ وأوْكَدُ، والعنايةَ بهم أهَمُّ، لأن في صلاحهم صلاحاً للأجيالِ المستقبلةِ، وفي فسادهم فساداً للأجيالِ المستقبلةِ، هل نرضىٰ ونحن مسلمون أنْ ينشأ عنا جيلٌ يتهاونُ بدينه، ويتهاون بأخلاقِه الفاضلة؟

وإننا أيها الإخوةُ في استقبال أيام العطلةِ الصيفيةِ التي يَحْصُلُ فيها فراغُ الشبابِ فِكْرياً وبَدِنياً، فيجبُ أنْ نستغلَ هذه الفرصةَ بما يكون نافعاً لهم، إما بقراءةِ الكتبِ النافعةِ كلٌّ بحسبِ طَبَقَته، وما

يتحملُه فَهْمُه وتفكيرُه، وإما بمراجعةِ دروسِ السنةِ التي هو مُقبِلٌ عليها، وإما بأعمالٍ نافعةٍ من بيعٍ وشراءٍ ومساعدةِ أبيه في عملِه، أو غيرِ ذلك من الأعمالِ النافعةِ التي تسدُّ الفراغَ وتشغلُ الذهنَ، فإن الإنسانَ لا بُدَّ له من حركةٍ وعمليةٍ كما في الحديث، فإنْ شَغَلَ هذه الحركةَ فيما ينفعُ اكتسبَ خيراً، وإلا فإنها تنحرفُ به عن الصراطِ المستقيم، أو تُوجِبُ له الكسلَ والخُمولَ والقلقَ النفسيَّ والاضطرابَ الفكريَّ. فانتهزوا أيها الأولادُ فرصةَ هذه العطلةِ فيما ينفعُ وجَنِّدُوا أيها الآباء أنفسَكم لمراقبةِ أولادِكم وتربيتِهم. وفَّقَ اللهُ الجميع لما يُحبُّ ويرضىٰ وأصلَحَ لنا أحوالَ الآخرة.

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❋ ❋ ❋

حفظ وقت الشباب

إنَّ الحمدَ للهِ نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه ونتوبُ إليه، ونعوذُ بالله من شُرور أنفسنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِه اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومن يُضْلِلْ فلا هادِيَ له، وأشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله وحدَه لا شريكَ له، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه ومَنْ تَبِعَهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدين، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واشكروه علىٰ ما خَوَّلَكم من الأموالِ والأولاد، واعلموا أنَّ هذه النعمةَ إما مِنْحةٌ يَسْعَدُ بها الإنسانُ في دنيـاه وآخرته، وإما مِحْنَةٌ تكونُ سبباً لخَسَارتِه وشِقْوتِه، فإنْ راعَىٰ الإنسانُ هـٰذه النعمةَ، وقام بما أوجبَ اللهُ عليه فيها فهي مِنْحةٌ وسعادةٌ، وإنْ ضَيَّعَ واجبَ اللهِ فيها وأهملَها، صارت مِحْنةً وشِقْوَةً.

أيها الناسُ: في هذه الأيام يختتمُ الشبابُ عامَه الدراسيَّ، الذي أمضَىٰ فيه جُهْداً كبيراً في النظَرِ والعَملِ، وسوف يُعاني من مشكلةِ الفراغِ، التي قال فيها رسولُ الله ﷺ: «**نعمتان مغبونٌ فيهما كثيرٌ من الناس: الصحةُ والفراغُ**»[1] وهاتان النعمتانِ متوفرتان الآن لشبابِنا، فما أدري أيكونُ شبابُنا من الكثيرِ المغبونِ فيهما، أم سيكونُ من ذَوِي الحَزْمِ والقوة، الذين يَربحونَ أوقاتَ صحتِهم وفراغِهم؟

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤١٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

أيها الناسُ: إنَّ هذا الفراغَ الذي حصلَ للشبابِ بعدَ انقضاءِ العامِ الدراسي الذي كانوا فيه مشتغلين مستغلين أوقاتَهم وقُواهم العقلية والفكرية والجسمية، هذا الفراغُ الذي حصلَ لا بُدَّ أنْ تنعكسَ آثارُه علىٰ نفوسِهم وتفكيرِهم وسلوكِهم، فإما أنْ يستغلوه في خيرٍ وصلاحٍ، فيكون رِبْحاً وغنيمةً للفردِ والمجتمع، يربحُ فيه النفسَ والوقتَ، ويستغل قُواه فيما يُسْعِدُه، ويُسْعِدُ أمته، وإما أنْ يستغلوه في شَرٍّ وفسادٍ، فيكون خسارةً وغَبْناً للفردِ والمجتمع، يَخْسَرُ فيه نفسَه ووقتَه، ويستغلُ قُواه فيما يَشْقَىٰ به وتَشْقَىٰ به الأمة، وإما أن يُمْضُوا أوقاتَهم ويُضيِّعوها سُدًى، لا يعملون ولا يُفيدون، يتَجوَّلون في الأسواقِ والمجالسِ بأذهانٍ خاويةٍ، وأفكارٍ ميتةٍ، ينتظرون طلوعَ الشمسِ وغروبَها ووجباتِ غذائِهم فتتجمد أفكارَهم، وتتبلدُ أذهانُهم، ويصيرون عالةً علىٰ المجتمع.

إنَّ الشبابَ بعدَ الجُهْدِ الجَهيدِ، الذي أمْضاهُ في عامِه الدراسيِّ، إذا صارتِ العطلةُ فسَيجِدُ الفَجوةَ الواسعةَ بينَ حالِه اليومَ وحالِه بالأمس، وسيُحِسُّ بالفراغِ النفسيِّ والفكريِّ، سيقول: ماذا أعملُ؟ بماذا أُمْضِي هذه العطلةَ؟ ولكنَّ الشبابَ المتطلعَ إلىٰ المَجْدِ والعُلىٰ يستطيعُ أنْ يستغلَ هذه العطلةَ بما يعودُ عليه وعلىٰ أمتِه بالخير. يمكنُ أنْ يستغلَ وقتَ العطلةِ بمذاكرةِ العلمِ ودراستِه سَواءٌ في دروسه الرسميةِ الماضيةِ أو المستقبلة، أو في دروسٍ أخرىٰ يتثقَّف بها ثقافةً عامةً، فيقرأُ في كُتُبِ التفسيرِ القيمةِ السالمة من الزَيْغ في

تحريف معاني القرآن، ويقرأُ في كُتُب الحديث الصحيحة، مثلِ صحيحِ البخاريِّ ومسلم، ويقرأُ في كُتُبِ التاريخِ المعتمدةِ البعيدةِ عن الأهواء، لا سيما تاريخَ صدر الإسلام، كسيرةِ النبيِّ ﷺ، وخلفائه الراشدين، لأنها سيرةٌ وسلوكٌ، تزيدُ القارئَ عِلْماً بأحوالِ النبيِّ ﷺ، وخلفائِه ومحبةً لهم، وفِقْهاً في الدينِ وأسرارِ أحكامِه وتشريعاته.

ولْيَحذَرْ الشبابُ من النظرِ أو القراءة فيما يُخْشَىٰ منه علىٰ عقيدته وأخلاقه وسلوكه، سواءٌ كانت كتباً مؤلفةً، أو صُحُفاً يوميةً، أو مجلات أسبوعية، فإنَّ كثيراً من الناس ينظرُ في مثل هذا أو يقرؤه، يظن أنه واثقٌ من نفسه، ثم لا يزالُ الشرُّ يتجارىٰ به فلا يستطيعُ الخلاصَ منه.

وإنَّ الشبابَ إذا لم يُمْكِنْه استغلالَ العطلةِ بالقراءةِ والنظر، فإنه يُمْكِنُه أن يستغلها بالعمل البدنيِّ، يكونُ مع أبيه في دكانه، أو فِلاحته، أو مَصْنَعِه، أو أيِّ مهنةٍ مُباحةٍ يُمارِسُها أو يشتغلُ في عَمَلٍ حكوميٍّ أو شعبي، ليكْسَبَ من ذلك ويُفيدَ غيرَه، ويَسْلَمَ من خُمُول الذهنِ وتَبَلْبُلِ الفكرِ، واضطرابِ المنهجِ والسلوك، فإن ذلك يُنتِجُ عواقبَ وخيمةً علىٰ الفردِ والمجتمع.

إنَّ الشبابَ إذا لم يُمكِنْه استغلالَ العطلةِ بالقراءة والنظر، ولا بالعملِ البدني، فإنه يمكنه أنْ يَقْضِيَ وقتاً في رحلة يَكْسَبُ بها استطلاعاً علىٰ البلاد، وتَعَرُّفاً علىٰ إخوانه، ودعوةً إلىٰ دينِ الله بشرط أن يُحافِظَ علىٰ دينِه وخُلُقه، فيصلي الصلاةَ بوقتها علىٰ

الوجهِ المطلوب، ويتجنب كُلَّ رذيلةٍ وخُلُقٍ سافلٍ، ويستصحبُ القُرناءَ الصالحين الذين يُذَكِّرونه إذا نَسِي ويُقَوِّمونه إذا اعوجَّ.

أيها الناسُ: إننا نتحدثُ عن الشباب، لأنهم جيلُ المستقبل، ورجالُ الغد، وأمانةٌ في أعناقِ مَنْ فوقهم، وفي أعناقِ أوليائِهم بالذات. ولقد كان للمدرسةِ أثناءَ الدراسةِ دورٌ كبيرٌ في حفظهم ورعايتِهم، أما الآنَ فقد أصبح العبءُ الثقيلُ والمسؤوليةُ علىٰ أولياء أمورِهم من الآباءِ والأمهاتِ والإخوةِ والأعمام، فعلىٰ هؤلاء مراعاةُ أولادِهم وحمايتهم من ضَيَاعِ الوقتِ وانحرافِ العملِ والسلوكِ، عليهم أنْ يتفقدوهم كلّ وقتٍ، وأنْ يمنعوهم من معاشرةٍ ومُصَاحبةِ مَنْ يُخْشَىٰ عليهم منه الشرُّ والفسادُ، فإنهم عنهم مسؤولون، وعلىٰ أهمالِهم رعايتِهم وتأديبِهم مُعاقَبُون.

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٢٧ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: ٢٧-٢٨].

أعانني اللهُ وإياكم علىٰ أداءِ الأمانة، وحسنِ التوجيهِ والرعايةِ، ووهَب لنا منه رحمة وجعلناه هداة مهتدين.

أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

حفظ وقت الشباب في الإجازة

إنَّ الحمدَ للهِ نحمَدُه ونستعينُه، ونستغفرُه، ونتوبُ إليه، ونعوذُ بالله من شُرورِ أنفسِنا، ومن سيئات أعمالِنا، مَنْ يَهْدِه اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ له، وأشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله وحدَه لا شريكَ له، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، بلَّغَ الرسالةَ، وأدىٰ الأمانةَ، ونصَحَ الأمة، فصلواتُ الله وسلامُه عليه، وعلىٰ آله وأصحابِه ومَنْ تَبِعَهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدين، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واعْرِفُوا قَدْرَ الأوقاتِ التي هي خزائنُ أعمالِكم، وبادروها بالأعمالِ الصالحة، قبل فواتِ الأوان، وانصرمِ الزمان، إنَّ كُلّ يومٍ بل كُلَّ ساعةٍ، بل كُلَّ دقيقة، بل كُلَّ لحظةٍ تمرُّ بكم فلن تَرْجِعَ إليكم. وكُلُّ يومٍ، وساعةٍ، ودقيقةٍ ولحظةٍ تمرُّ بكم فإنها قِصَرٌ في أعمارِكم، ودُنوٌّ لآجالِكم، فانتبهوا لهذه الحقيقةِ الواقعيةِ التي نغفلُ عنها كثيراً، ويغفلُ عنها كثيرٌ من الناس.

أيها الناسُ: إنَّ المعلمين منا والمتعلمين يستقبلون في هذه الأيامِ إجازةَ نصفِ السنةِ الدراسيةِ، فيا تُرَىٰ بماذا سيقضون هذه الإجازة؟

إنَّ منهم مَنْ يَقْضِيها في بَلَدِه، لا يُغادِرُها في رحلاتٍ ولا أسفارٍ ولكنْ يتفرغُ لأعمالِه الخاصة. وإني أوَجِّهُ الخطابَ لهؤلاءِ أن يَحْرِصُوا علىٰ أن تكونَ إجازتُهم إجازةَ عملٍ بَنَّاءٍ نافع، تحصلُ به

مصالحُهم الدينيةُ والدنيويةُ، إما في مراجعةِ علومٍ يودُّون التخصصَ فيها، وإما في اجتماعٍ علىٰ درْسٍ ثقافةٍ عامةٍ، وإما في الحضورِ إلىٰ المكتباتِ للاستزادة من العلم، وإما في اشتغالٍ بمصالح دنيوية مع أوليائهم.

ومِنَ الناس مَنْ يقضي الإجازةَ بالسفرِ إلىٰ مكةَ والمدينةِ للعمرةِ والصلاةِ في المسجدِ الحرامِ وللصلاةِ في المسجدِ النبويِّ، وزيارةِ قَبْرِ النبيِّ ﷺ بعدَ الصلاةِ في المسجد، وهذا من أفضل الأعمالِ.

فإنَّ العمرةَ إلىٰ العمرةِ كفارةٌ لما بينَها، والصلاةُ في المسجدِ الحرامِ المسجدِ الذي فيه الكعبةُ أفضَلُ من مئة ألْفِ صلاةٍ. وإنما يختصُ هذا الفضلُ في المسجد الذي فيه الكعبةُ، دونَ غيرِه من مساجد مكةَ وبقاعِها، لأنَّ اللهَ تعالىٰ قال: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

وقد أُسرِيَ به من الحجر الذي هو جزءٌ من الكعبة. وفي صحيحِ مسلمٍ، عن ميمونةَ زوجِ النبيِّ ﷺ: أنها سمعت النبيَّ ﷺ يقولُ عن المسجدِ النبويِّ: «**صلاةٌ فيه أفضلُ من ألفِ صلاةٍ فيما سِواهُ، إلا مسجدَ الكعبة**»(١). وإني أُوَجِّهُ الخطابَ إلىٰ هؤلاء أن يُخْلِصوا النيةَ

---

(١) أخرجه مسلم (١٣٩٦) من حديث ميمونة رضي الله عنها، وفي الباب عن أبي هريرة رضي الله عنه عند مسلم (١٣٩٤).

لله عَزَّ وجل، وأن يَحْرِصُوا علىٰ تطبيق سنةِ الرسولِ ﷺ، واتباعِ هَدْيِه، فإنَّ العبادة لن تكونَ مقبولةً ولا صحيحةً، حتىٰ تُبْنَىٰ علىٰ هذين الأساسين، الإخلاصِ لله عَزَّ وجل والمتابعةِ لرسوله ﷺ.

فلْيَحْرِصُوا علىٰ الصلاةِ في أوقاتِها، يُصَلُّونَ قصْراً من حينِ الخروجِ من بلدِهم إلىٰ أن يَرْجِعوا، إلا أن يُصَلُّوا خَلْف إمامٍ يُتِمُّ الصلاةَ، فإنه يلزمُهم الإتمامُ تبعاً له، سواءٌ أدركوا الصلاةَ معه من أولِها، أم من أثنائها، لعمومِ قولِ النبيِّ ﷺ: «**ما أَدْرَكْتُم فصَلُّوا، وما فَاتَكُمْ فأَتِمُّوا**»[1] وإذا كانوا في البلدِ لَزِمَهم حضورُ الجماعة وإنْ كانوا مسافرين.

أما الجمعُ للمسافرين، فإنْ كان سائراً فهو أفضلُ من تركِه، فيجمعُ بينَ الظهرِ والعصرِ، وبين المغربِ والعشاءِ، إما جَمْعَ تقديمٍ أو تأخيرٍ، حسبَ الأيسر له، وإنْ كان نازلاً فتركُ الجمعِ أفضلُ وإذا وصلوا الميقاتَ أو حاذُوه في الطائرة، فيُحرِمُوا أي يَنْوُوا الدخولَ في النُّسُكِ، والأفضلُ أنْ يَغتَسِلُوا في الميقات، فإذا وصلوا مكةَ بادَرُوا بأداءِ العمرةِ فطافوا بالبيتِ، وصَلُّوا ركعتين خَلْفَ المقام، وإلا ففي أيِّ مكان من المسجد، ثم سَعَوْا بينَ الصفا والمروة، يبدؤون بالصفا ويختمون بالمروة، ومن المعلومِ أنَّ الطوافَ

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٥)، ومسلم (٦٠٤) من حديث أبي قتادة رضي الله عنه. وأخرجه البخاري (٦٣٦)، ومسلم (٦٠٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

والسعيَ كُلُّ واحدٍ منهما سبعةُ أشواطٍ، وبعد السعيِ يُقَصِّرُونَ أو يَحْلِقُون رُؤُوسَهم، ويكونُ التقصيرُ شاملاً لجميعِ الرأسِ، لا لجهةٍ واحدةٍ منه. ثم إن كان من نيتِهم أن يخرجوا من مكةَ من حينِ انقضاءِ عمرتهم كفاهم الطواف الأول عن طواف الوداع، وإن مكثوا في مكة، فلا يخرجوا حتىٰ يطوفوا للوداع لعموم قول النبيِّ ﷺ: «**لا ينصرف أحدٌ حتىٰ يكون آخرُ عهده بالبيت**»[1]. وقد سمىٰ النبي ﷺ العمرة حجاً أصغر.

وإذا كانت المرأةُ حائضاً عند الوصولِ إلىٰ الميقاتِ، فإن كانت تَرْجُو أن تَطْهُرَ قبلَ رجوعِهم من مكة فإنها تغتسلُ، وتَنْوِي الدخولَ في النُّسُكِ، ولكنْ لا تطوفُ ولا تَسْعَىٰ حتىٰ تَطْهُرَ، وإن كانت لا تَرْجُو أن تَطْهُرَ قبلَ رجوعِهم من مكة، فلا حرجَ عليها أن تتركَ الإحرامَ ولا تعتمرُ، لكنْ إن قُدِّرَ أن تَطْهُرَ قبلَ خروجِهم من مكة، فلها أن تأتِيَ بالعمرة، فيخرجَ بها مَحْرَمُها إلىٰ التنعيم، وَتُحْرِمَ بالعمرةِ من هناك.

أما في المدينة فالصلاةُ في المسجدِ النبويِّ أفضلُ من ألفِ صلاةٍ فيما سواه، إلا المسجدَ الحرامَ مسجدَ الكعبةِ، فيُصَلِّي الإنسانُ فيه ما أَحَبَّ ولا يتقيدُ بخمسِ صلواتٍ بل إنْ صلَّىٰ خمسَ صلواتٍ أو أقلَّ أو أكثرَ، فكلُّه علىٰ خَيْرٍ، ثم يزورُ قَبْرَ النبيِّ ﷺ وإلىٰ جَنْبه قَبرَيْ صاحِبَيْهِ أبي بكرٍ، وعُمَرَ رضِيَ اللهُ عنهما، والمرأةُ لا تزورُ القبورَ.

---

(١) أخرجه مسلم (١٣٢٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

فهذان صنفانِ من الناس في قضاءِ الإجازة، الصنفُ الأولُ مَنْ يَبْقَىٰ في بلدِه، والثاني مَنْ يذهبُ إلىٰ مكةَ والمدينة.

الصنفُ الثالث: مَنْ يسافر إلىٰ أقاربه ليزورهم ويغرسَ الوُدَّ بينَه وبينَهم، وهذا من صلةِ الرحمِ التي يثابُ عليها ويُؤْجَرُ، وقد تعهدَ اللهُ تعالىٰ للرحمِ أن يَصِلَ مَنْ وصلَها، ويَقْطَعَ مَنْ قطعَها.

الصنفُ الرابعُ: مَنْ يقضي هذه الإجازاتِ بالرحلاتِ إلىٰ البرِّ للأُنس مع إخوانِه وإذهابِ المَلَلِ والكَلَلِ عنهم. وهذا من الأمورِ الجائزة وإني أوجهُ الخطابَ إلىٰ هؤلاء بالأمورِ التالية:

١ ـ أن تكون الرفقةُ علىٰ سِنٍ متقاربٍ، فإنهم إذا كانوا علىٰ فارقٍ بيّنٍ في السن، لا يحصلُ بينهم التئامٌ وتناسقٌ، لتفاوتِ ما بينَهم في المستوىٰ العقليِّ، والفكريِّ والعمليِّ، والبدنيِّ، فيكونُ الصغارُ عالةً علىٰ الكبارِ، وربما أدىٰ ذلك إلىٰ مفاسدَ وانحدارٍ في الأخلاق.

٢ ـ أنْ يحرصُوا علىٰ أداءِ الواجباتِ الشرعية، كالطهارةِ والصلاةِ جماعةً في أوقاتِها، فيتوضؤوا من الحدثِ الأصغرِ، ويغتسلوا من الحدثِ الأكبر كالجنابة، وينبغي أن يتخذوا مكاناً خاصاً ساتراً لقضاءِ الحاجةِ، والاستنجاءِ، ومكاناً خاصاً ساتراً مَصُوناً عن عواصِفِ الرياحِ للاغتسال، وأن يُخصصوا خَيمةً للصلاةِ فيها، ويَحْسُنُ أنْ يَجْعَلوا فيها مصاحفَ وكُتَباً لمن أراد قراءةَ القرآنِ أو المطالعة.

٣ ـ أنْ يتأدبوا بالآداب الشرعية عندَ نزولِ المنزلِ والأكلِ والشرب، فيقولون إذا نزلوا منزلاً: (أعوذ بكلماتِ اللهِ التاماتِ من شرِّ ما خلق) فإنَّ مَنْ قالها عند نُزولِه لم يَضُرَّه شيءٌ حتىٰ يرتحلَ من منزِله، وأن يُسَمُّوا اللهَ عند الأكلِ والشربِ، ويحمَدُوه إذا فَرغُوا ولا يَحْمِلُهم الأشَرُ والبَطَرُ علىٰ امتهانِ النعمةِ والسخريةِ بها، كما يفعلُه السفهاءُ.

٤ ـ أنْ يَتَحاشَوْا ما يُخِلُّ بالدينِ والأخلاق، فلا يَستَمِعُوا إلىٰ الأغاني المحرمةِ، ولا يتلفظوا بالألفاظِ البذيئةِ أو الساقطة، ولا يأتوا بحركاتٍ بينَهم لا تَليقُ بالمؤمن الرجلِ العاقل. ولا حرجَ عليهم أن يَتَرَفَّهُوا بالمسابقة علىٰ الأقدام، أو المصارعة، أو اللعبِ بكرةِ القدم أحياناً بشرطِ أنْ لا تشغلُهم عن واجبٍ، وأن يكونَ عليهم سراويلُ تسترُ ما بين السرةِ والركبةِ، وأن لا يأتوا بكلماتٍ نابيةٍ عند الغالبيةِ أو المغلوبية.

٥ ـ أنْ يجعلوا عليهم أميراً ليُرتبَ أمورَهم، ويُنزِلَ كُلَّ إنسانٍ فيما يَليقُ به من عَمَل الرحلة، ولْيَكُنِ الأميرُ من خِيارِهم في الدين، والخلقِ، والتدبيرِ، وقوةِ الشخصية.

الصنفُ الخامسُ: مَنْ يَقضِي هذه الإجازات بالسفرِ إلىٰ الخارجِ إلىٰ بلادٍ دُمِّرَتْ بالكفرِ، والفجور والمُجُونِ، ومُسْكِراتِ العقول، ومُفْسِداتِ القلوبِ، فيرجعُ وقد تَلَوَّث بهذه الأعمال، ونَقَصَ إيمانُه، أو كادَ يُفْقَدُ، وسُلب عقلُه بما افتتنَ به، فيكونُ مِمّن بَدَّلُوا

نعمةَ اللهِ كُفْراً، واستعانوا بما أعطاهم اللهُ من المالِ علىٰ معصيتِه، فخَسِرَ دينَه ودنياه.

فلْيَحذَر العاقِلُ اللبيبُ أنْ يكونَ من هذا الصنف، وليعلمْ أنْ هؤلاء وإنْ نَعَّمُوا أبدانَهم بما نالوه من التَرَف، فقد أتْلَفوا أرواحَهم، وفقدوا راحتَهم بما حصلَ لهم من التعبِ الفكريِّ والقلقِ النفسيِّ، إلا أن يكونوا قد طُبع علىٰ قلوبهم فلا يفقهون ولا يشعرون.

وإنني أختم خطبتي هذه بما وجَّهَهُ اللهُ تعالىٰ إلىٰ عبادِه المؤمنين في قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٢] وأسألُ اللهَ أن يُعينَني وإياكم علىٰ ذكرِه، وشُكرِه، وحُسْنِ عبادته.

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊

التحذير من تشبه الرجل بالمرأة

الحمدُ للهِ الحكيمِ العليمِ الربِّ العظيمِ، خَلَقَ وقَدَّرَ، وأعطىٰ كلَّ شيء خلقه ثم هَدَىٰ ويَسَّر، وأشهدُ أنْ لا إلـه إلا الله وحدَه لا شريكَ له، الملكُ العليُّ الأعلىٰ، له الحُكمُ فلا مُضادَّ لحُكْمِه، ولا مُبَدِّلَ لكلماتِه، وهو السميعُ العليمُ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، المصطفىٰ علىٰ الخلقِ أجمعين، أهدىٰ الناس طريقاً، وأقومُهم دعوةً، وأفصحُهم بياناً، وأنصحُهم قصداً وإرادةً، فصلواتُ اللهِ وسلامُه عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه، وأتباعِه المتمسكين بهَدْيِه المتبعين لشريعته، المبتعدين عن اتباعِ الشهواتِ والأهواءِ المخالفةِ لذلك.

أما بعدُ: ففي هذا الأسبوعِ عُرِضَتْ في التلفزيون وقائعُ الحفلاتِ التي أقيمت في الأندية في مُدُنِ القصيم، وشاهدَ الناسُ من بين وقائعِ هذه الحفلات ما يقومُ فيه الشبابُ تمثيلِ المرأةِ، تمثيلِ المرأةِ في لِبَاسِها عَبَاءةً مقطع مُلَوَّنٍ، خِمَارٍ علىٰ الرأس، وفي كلامِها وهيئتِها، تمثيلاً متقناً كأنه المرأةُ تماماً.

سُبحانَ الله! سُبحانَ الله! لقد كنت أتحاشىٰ أنْ أتكلمَ علىٰ هذا الموضوع من علىٰ هذا المنبر، ولكن:

إذا لم يكنْ إلا الأسنة مَرْكَبٌ فما حيلةُ المضطرِ إلا رُكُوبُها

لقد كنتُ أفضِّلُ أنْ يكونَ الكلامُ بيني وبين القائمين بهذه الأدوار، ولكنْ لما أصبحَ الأمرُ شائعاً بين الناس، الذين شاهدوا ذلك، أو سَمِعُوا عنه كان علينا أنْ نُبينَ ذلك بياناً شائعاً مِثْلاً بمِثْلٍ، ووفاءً بعهدِ الله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

وحَذَراً من العقوبة في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ﴾ [البقرة: ١٥٩-١٦٠].

وكتمانُ العلمِ إخفاؤُه عندما تدعو الحاجةُ إلىٰ بيانِه جواباً بالسؤال أو اقتضاءِ الحال.

أيها المسلمونَ: إنَّ مما يقضِي به العجبُ ولا ينقضِي به أن يقوم شاب فضَّله الله على المرأة ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨] فينزل بنفسِه مُختاراً إلىٰ درجةِ المرأة، ليُمثلَها في لباسِها، وهيئتها، وكلامها، علىٰ أن الشابَ لو قيلَ له يا شبيهَ المرأة لاستشاط غضباً، ورأىٰ ذلك مسَبَّةً له.

فاللهُ أكبرُ؛ ما هذا التناقض، يغضبُ من قولٍ يُشَبَّه به بالمرأة، ويراه مَسَبَّةً له، ثم يحققُ بنفسِه تلك المشابهةَ، والفعلُ أبلغُ من القولِ لأنه أمرٌ واقعٌ.

إن تمثيل الشابِّ لدورِ المرأةِ لا يُجْدِي نَفْعاً، ولا يدفعُ ضَرَراً، ولا يحُل مشكلةً، إنَّ المشاهدين له سيكونون ثلاثةَ أصنافٍ: صِنْفٍ

يسخرُ به ويحتقرُه، وصنْفٍ يَعجَبُ بما شاهده منه، من إتقانِ دورِ التمثيلِ، وصنفٍ ثالثٍ يخْطُرُ في نفوسهم أشياءَ أخرىٰ، أما أن يكونَ صنفٌ رابعٌ يفكرُ في إصلاحِ المجتمعِ، بناءً علىٰ ما شاهد، فأظنه معدوماً أو كقطرةٍ من بَحْرٍ.

إن إصلاحَ المجتمعِ لا يكونُ بمثلِ هذه الطرقِ المحرمةِ، إنَّ الطرقَ المحرمةَ لا خَيْرَ فيها ولا بركةَ، ولو كان فيها خيرٌ أو بركةٌ، ما منعَ منها الربُّ الرحيمُ الحكيمُ.

إنَّ الطرقَ المحرمةَ، فاسدةٌ بنفسِها، «**كُلُّ شرطٍ ليس في كتابِ الله فهو باطلٌ**»(١) والفاسدُ بنفسِه لا يمكن أن يكونَ وسيلةً للإصلاح، كما أن الماءَ النَّجِسَ لا يُطَهِّرُ.

لقد أصلحَ اللهُ تعالىٰ بنبيِه محمدٍ ﷺ، وخلفائِه الراشدين، الذين خَلَفوه في العلمِ والإيمان، والدعـوةِ والعملِ، أصلـحَ اللهُ بهم شعوباً وأمَماً، وما سلكوا هذه الطريقَ وأمثالَها في الدعوةِ إلىٰ اللهِ وإصلاحِ عبادِه. أفلا يجدُرُ بنا إن كنا صادقين في الدعوةِ إلىٰ اللهِ، وإصلاحِ عبادِه، أنْ نسلكَ طريقَ نبينا محمدٍ ﷺ، وخلفائه الراشدين، لا أن ندعو إلىٰ اللهِ تعالىٰ، وإصلاحِ عبادِه بما نَعْصِي اللهَ به.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥٦١) ومسلم (١٥٠٤) من حديث عائشة رضي الله عنها.

إنَّ تمثيلَ الرجلِ لدورِ المرأةِ، كما أنه لا يُصلِحُ الأمةَ ولا يَحُلُّ مشاكلَها، فهو أيضاً خطيرٌ من الناحيةِ الشرعيةِ، فقد ثبت في صحيحِ البخاريِّ وغيرِه من حديثِ ابنِ عباسٍ رضي اللهُ عنهما، قال: «**لعنَ رسولُ الله ﷺ المتشبهين من الرجالِ بالنساءِ، والمتشبهاتِ من النساءِ بالرجال**»[١]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «**لعنَ رسولُ الله ﷺ الرجلَ يَلْبَسُ لِبْسَةَ المرأة، والمرأةَ تَلْبَسُ لِبسةَ الرجلِ**»[٢]. رواه أبو داود، والنسائيُّ، وابنُ ماجه، وابنُ حبَّان في صحيحه، والحاكمُ، وقال: صحيحٌ علىٰ شرط مسلم.

إنَّ النبيَّ ﷺ تكلَّمَ بهذا الكلامِ وهو يعني ما يقولُ ويُدركُ تماماً خَطَرَ ما يقولُ، ليس يتكلمُ بكلامٍ لغوٍ عابرٍ لا يقصِدُ معناه، ولا يُدركُ خَطَرَه. كلاَّ أبداً.

إن معنىٰ ما يقولُ هو الطردُ والإبعاد عن رحمةِ الله، وما أعظمَ خطَرَ الطرد والإبعاد عن رحمةِ الله علىٰ مَنْ طُرِدَ وأُبعِدَ! إنه الخسارةُ في الدنيا والآخرة، إنه تَخَلِّي اللهِ عن العبدِ حتىٰ يَخْلُوَ به شيطانُه ونفسُه الأمارةُ بالسوء، فلا يُوَفَّقُ لخيرٍ أبداً، قال الخليفةُ الراشدُ عُمَرُ بنُ عبدِ العزيز رحمَه الله: لقد خابَ وخَسِرَ مَنْ خرَجَ مِنْ رحمةِ الله التي وَسِعَتْ كُلَّ شيءٍ، وحُرِمَ جنةً عرضُها السمواتُ والأرضُ.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٨٨٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٠٩٨)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٩٢٥٣)، والحاكم ٤/ ١٩٤.

إنَّ القائمَ بتمثيلِ دورِ المرأةِ في مثل هذه المناسباتِ كما عَرَّض الحاضرين أيضاً لمثلِ ذلك الخطرِ، فإن من أقام مع العاصِي حينَ معصيتِه، مختاراً للإقامةِ كان مِثلَه، وبهذا الوعيدِ الشديدِ، والخطرِ العظيمِ، صار تَشَبُّهُ الرجلِ بالمرأة، وتَشَبُّهُ المرأةِ بالرجلِ من كبائرِ الذنوبِ التي لا بُدَّ فيها من توبةٍ نَصُوحٍ، ورجوعٍ إلىٰ اللهِ صحيحٍ، يَنْدَمُ فيه المرء علىٰ ما جرىٰ منه، ويَعْزِمُ علىٰ أن لا يعودَ.

فاتق الله أيها الشابُّ المسلمُ في نفسِك، واستَغْنِ بما أُحِلّ لك من التمثيلياتِ التوجيهية، أو الترفيهيةِ المباحةِ، ولا تشغلْ نفسَك بما يَضُرُّك، لا تغرنَّك الأمانيُّ ولا تَغُرنَّك الدنيا، فبعدَ الشباب هَرَمٌ قريبٌ أو موتٌ أقربُ وبعدَ الموت بعثٌ وجزاءٌ ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ [النساء: ١٢٣-١٢٤].

وفَّقَنا اللهُ جميعاً لما يُحِبُّ ويرضاه، وجنَّبَنا ما فيه سخطُه وعقابُه، إنه جوادٌ كريمٌ. والحمدُ لله ربِّ العالمين، وصلَّىٰ اللهُ علىٰ نبينا محمدٍ، وآله وصحبِه أجمعين.

* * *

حفظ المرأة وصيانتها

الحمدُ لله نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه ونتوبُ إليه ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا ومِنْ سيئاتِ أعمالِنا، من يَهْدِه اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومن يُضْلِلْ فلا هَادِيَ له. وأشهدُ أنْ لا إلـه إلا الله وحدَه لا شريكَ له، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه ومَنْ تَبِعَهم بإحسانٍ، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، وامْتَثِلُوا أمرَ اللهِ بقوله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾ [التحريم: ٦]، أنها لمسؤوليةٌ كبيرةٌ أنْ يُحمِّلَنا اللهُ وقايةَ أهلينا من هذه النارِ، كما حَمَّلَنا وقايةَ أنفسِنا، إنَّ علينا أنْ نقومَ بإصلاحِ أهلِنا كما علينا أنْ نقومَ بإصلاحِ أنفسِنا، إنَّ الأهلَ أمانةٌ في أعناقِنا، فعلينا أن نقومَ بحق هذه الأمانة.

أيها المسلمون: إنه كُلَّما عَظُمَ الخَطَرُ عَظُمَتِ المسؤوليةُ، وكُلَّما كَثُرَتْ أسبابُ الفتنةِ وجَبَ قوةُ الملاحظة. وإن من أسباب الفتنةِ ما وقعَ فيه كثيرٌ من النساء اليومَ من الاختلاطِ بالرجال، واتخاذِ الألبسةِ المغريةِ بهن، وهي الألبسة الجميلةُ والقصيرةُ، تخرج المرأةُ لابسةً هذه الثيابَ ليس فوقَها سِوىٰ عَباءةٍ يفتحُها الهواءُ أحياناً، وترفعَها المرأةُ أحياناً. فتنْكشِفُ عن ثيابٍ فاتنةٍ في جمالها وهيئتها، وتخرجُ المرأةُ أحياناً متطيبةً بطيبٍ فاتنٍ، يُفتَنُ به

كُلُّ من مرت به من الرجال، وتخرجُ المرأةُ بخِمَارٍ تُغطي به وجهَها لا يسترُ الوجهَ لرقتِه وخِفَّته، وتخرجُ المرأةُ وقد ملأتْ يديها من حُلِيِّ الزينة، فتُخرِجُ يديها كأنما تقولُ للناسِ شَاهِدُوا ما علَيَّ من الزينة.

وتَمْشي المرأةُ في السوق كما يَمشِي أقوىٰ الرجال الشباب وأجلدهم، كأنما تُريدُ أنْ يَعْرِفَ الناسُ قوتَها ونشاطَها، مع أنها مأمورة بمشيةِ الحياءِ والهونِ، وتمشي المرأةُ مع صاحبتِها في السوق وهي تُمازِحُها وتُدافِعُها بأصواتٍ مسموعةٍ، وتَدافُع مُشاهَدٍ. وتقفُ المرأةُ علىٰ صاحب الدُّكانِ تُبايِعُه وتُشارِيه، وقد كشفَتْ يدَيْها وربما تكشفُ وجْهَها، وربما تُمازِحُه أو تَضْحَكُ معه، وتدخلُ المرأةُ إلىٰ المَعْرِضِ مع صاحبِ المَعْرِضِ، ويدورُ بها علىٰ كُلِّ المَعْرِض، وربما لا يكون معها مَحْرَمٌ في هذه الحال، وكُلُّ هذه الأفعال وأمثالُها وما هو أعظمُ منها تُوجِبُ إغراءِ أهلِ الفُجُورِ والفِسْقِ بالنساء، وتَتَبُّعِهن في الأسواقِ ومحاولة جَرِّهِنَّ إلىٰ الفتنةِ بسببِ أفعالِهن المُغْرِية بقَصْدٍ أو بغيرِ قَصْدٍ، وبسبب إهمالِ أوليائِهن ورِجالِهن وغَفلتِهم عن هذا الخطرِ الجسيمِ الذي لا يعلمُ غايتَه إلا اللهُ.

ونحنُ إنْ لم نتدارك هذا الأمرَ بمنع النساءِ من الخروج إلا للحاجةِ التي لا بُدَّ منها، نَعَمْ نمنعُهُنَّ من ذلك، لأن المرأةَ ربةُ البيتِ وبيتُها خيرٌ لها. وإذا كان لا بُدَّ من الخروج فإننا نمنعُها من الخروج بثيابٍ جميلةٍ أو قصيرةٍ أو غيرِ ساترةٍ، ونمنعُها من الخروجِ متطيبةً، وتمشي في السوقِ بهدوءٍ وسكينةٍ. ويكون لنا عَيْنٌ مِنْ ورائها ودونِها نراقبُها في كلِّ هذه الأمور.

إنَّ علينا جميعاً أنْ نتساعدَ أولاً في حَسْمِ مادَّةِ الشرِّ وسَبَبِه. وذلك بخروجِ النساء علىٰ الوجهِ الشرعيِّ السليم، بحيث يَعْتَنِي كُلُّ واحدٍ منا بأهلِه، وإذا أصلحَ كُلُّ واحدٍ منا أهلَه، صَلَحَ الجميعُ، وثانياً بتضييق الخِناقِ علىٰ أهلِ الفِسْقِ والفُجورِ، بحيث لا نُبْقِي لهم مَجالاً للعملِ ولا مكاناً في المجتمع، وأنْ لا نتهاونَ في أمرِهم أو نَسْكُتَ علىٰ شَرِّهم. فإنَّ شَرَّهم كَشَرارةِ النار إن أطْفَأْتَها وإلا أحْرَقَتِ المنزلَ.

إنه لا ينبغي أبداً أن يُطْلَقَ العِنانُ للمرأةِ تَخْرُجُ متىٰ شاءت وعلىٰ أيِّ صفَةٍ أرادتْ. وإن علىٰ رجالِهن أولاً مَنْعَهُنَّ من الخروجِ علىٰ غيرِ الوجه المشروع، ثم إنَّ علىٰ مَنْ مرَّتْ به في السوقِ وهي متبرجةٌ أو متطيبةٌ أن يتكلمَ عليها ويَزْجُرَها، خصوصاً رجالَ الحِسْبة هيئةَ الأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عن المنكر، أعانهم اللهُ وسدَّدَ خُطَاهم وإذا تعاونّا علىٰ حَسْمِ الشرِّ بنيةٍ صادقةٍ وإخلاصٍ لله وحكمةٍ نسيرُ عليها واستعانةٍ باللهِ تعالىٰ حصلَ الخيرُ واندفعَ الشرُّ.

﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [المائدة: ٢] اللهُمَّ وفِّقْنا للصلاحِ والإصلاحِ، وأصْلِحْ نيَّاتِنا وأعمالَنا وأهلَنا إنك جوادٌ كريمٌ.

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

رعاية المرأة

الحمدُ للهِ نحمَدُه ونستعينُه، ونستغفرُه ونتوبُ إليه، ونعوذُ بالله من شُرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِه اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومن يُضْلِلْ فلا هَادِيَ له، وأشهدُ أنْ لا إلـه إلا الله وحدَه لا شريكَ له، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه ومَنْ تَبِعَهم بإحسانٍ، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، وقوموا بما أوجبَ اللهُ عليكم. ﴿ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾ [التحريم: ٦] قوا أنفسَكم وأهليكم هذه النار، بفعلِ الوقاية منها، ولا يكون ذلك إلا بامتثالِ أمرِ الله ورسوله، واجتنابِ نهيِ الله ورسوله، والقيامِ بما أوجبَ اللهُ علينا.

وحَمَّلَنا من الرعايةِ والحمايةِ، خصوصاً في النساءِ، فإِنَّ النساءَ يَحْتَجْنَ إلىٰ زيادةِ الرعايةِ، لأنهن ناقصاتٌ في العقل، وناقصاتٌ في الدين. كما أخبرَ بذلك سيدُ المرسلين ومَنْ لا يَنْطِقُ عن الهوَىٰ، وكما يَشْهَدُ الواقعُ المحسوسُ، فالمرأة قاصرةُ النظرِ والتفكيرِ، نظرُها لا يتجاوزُ قَدَمَيْها، وتفكيرُها مضطربٌ لا يَقَرُّ علىٰ شيءٍ، وكُلُّ شيءٍ يُغَيِّرُه، عاطفتُها متداعيةٌ كُلُّ شيءٍ يجذبُها، ويَمِيلُ بها.

ولذلك جعلَ اللهُ سبحانه وتعالىٰ الرجالَ قَوّامين عليهن. فقال سبحانه: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ﴾ [النساء: ٣٤] فقوموا أيها الرجالُ بما جعَلكم اللهُ قوّامين به ولا تَبْخَسُوا أنفسَكم حقَّها، لا تغلبنكم النساءُ علىٰ رُجُولَتِكم، ولا يُلْهِيَنَّكم الشيطانُ عن رعايةِ أهليكم، ولا تشتغلوا بأموالِكم عن أولادِكم، ولا بمكاسبِكم عن أخلاقِكم وشَرَفِكم.

أيها المسلمون: إنَّ كثيراً من النساءِ في هذا العصرِ قد لَعِبَ الشيطانُ بهن، بأفكارِهن وتصرفاتِهن، وجَنَّبَهُنَّ طريقَ الهُدَىٰ إلىٰ طريقِ الهوَىٰ والرَّدَىٰ، تخرجُ الواحدةُ منهن إلىٰ السوقِ بدون حاجة. وقد قال رسولُ الله ﷺ: «**بيوتُهن خيرٌ لهن**»[١].

وتخرجُ الواحدةُ متزينةً بالثيابِ والحُلِيِّ ومتطيبةً، وقد قال رسولُ الله ﷺ: «**إنَّ المرأةَ إذا استَعْطَرَتْ فمَرَّت بالمجلس فهي كذا وكذا**»[٢]. يعني زانية. رواه الترمذي، وقال: حسن صحيح.

وتخرجُ الواحدةُ فتمشي في السوق مشية الرجل، بقوةٍ وجَلَدٍ، وتَرفعُ صوتَها كما يتكلمُ الرجلُ، وتُزاحِمُ الرجال وتخالطُ الرجالَ في السوق، وعند الدكاكين، وكُلُّ هذا مخالفٌ لهَدْيِ السلفِ

(١) أخرجه أبو داود (٥٦٧)، وأحمد ٢/ ٢٧٦ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه أبو داود (٤١٧٣)، والترمذي (٢٧٧٦) من حديث أبي موسىٰ رضي الله عنه.

الصالح. فإن النبيَّ ﷺ خرج من المسجد، وقد اختلط النساءُ مع الرجال في الطريق، فقال النبي ﷺ للنساء: «**استأْخِرْنَ فإنه ليس لكن أن تَحْتَضِنَّ الطريقَ، عَلَيْكُنَّ بحَافَاتِ الطريق**»[1].

فكانت المرأةُ تَلْصَقُ بالجدار، حتىٰ إنَّ ثوبَها لَيَعلَقُ به. وقالت أمُّ سَلَمة رضيَ الله عنها: لما نزلت هذه الآية: ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٩] خرج نساءُ الأنصار كأن علىٰ رؤوسهن الغِرْبانَ من السكينة، وعليهن أكْسِيَةٌ سودٌ يَلْبَسْنها.

وقالت عائشةُ رضِيَ الله عنها: ما رأيتُ أفضلَ من نساءِ الأنصار أشَدّ تصديقاً لكتاب الله، ولا إيماناً بالتنزيل، لقد أُنزلت سورةُ النور: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣١] فانقلبَ الرجالُ يتلون عليهن ما أنزل الله إليهم، يتلو الرجلُ علىٰ امرأتِه وابنتِه وأختِه، وعلىٰ كلِّ ذي قرابته، فما منهن امرأةٌ إلا قامتْ إلىٰ مِرْطِها: وهو كساءٌ من صُوفٍ أو خَزٍّ. المُرَحَّلِ: بُرْدٌ فيه تصاويرُ رَحْلٍ، أو إزارٌ فيه عَلَم. فاعتجرتْ به: أي لبسته ولفته علىٰ جسمها، تصديقاً وإيماناً بما أنزل الله في كتابه.

أيها المسلمونَ: إنَّ تَرْكَ الحَبْل علىٰ الغارب للنساء، وإطلاقَ سراحِهن يخرجن متىٰ شِئْنَ، علىٰ أيِّ كيفيةٍ أرَدْنَ بدون مبالاةٍ، ولا حياءٍ من الله، ولا مراقبةٍ له، إنه لمِنْ أكبرِ أسبابِ الشرِّ والفساد، وسُقوطِ المروءة والأخلاقِ، والسمعةِ السيئةِ للبلاد، وحلولِ العذابِ

---

(١) أخرجه أبو داود (٥٢٧٢) من حديث أبي أسيد الأنصاري رضي الله عنه.

والعقاب، قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَـٰهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء: ١٦] وقال تعالىٰ: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٢٥].

وقال ﷺ: «**إنَّ المرأةَ تُقْبِلُ في صورةِ شيطانٍ، وتُدْبِرُ في صورةِ شيطان**»[١] رواه مسلم، وقال: «**المرأةُ عورةٌ، فإذا خرجت استشرفَها الشيطان**»[٢] أي زيَّنَها في نظرِ الرجال، رواه الترمذي، وقال الألباني: إسنادُه صحيح، وقال ﷺ: «**ما تركتُ بعدي فتنةً هي أضرُّ علىٰ الرجالِ من النساء**»[٣] متفق عليه.

فاتقوا الله أيها المسلمون، واحذروا هذه الفتنةَ التي حذَّركم منها نبيُّكم ﷺ، اقضوا علىٰ أسبابِ الشر، قبل أنْ تَقْضِيَ عليكم. وأغْلِقُوا أبوابَ الفساد، قبل أن تتكسرَ الأبوابُ.

أيها الناس: إنه لا يُستغربُ إذا خرجت المرأةُ الشابةُ متزينةً بثيابٍ جميلةٍ، ليس فوقَها سوىٰ عباءةٍ قصيرةٍ، أو مرفوعةٍ إلىٰ أعلىٰ بدنِها، ولا يُستغربُ إذا خرجَت متطيبةً بطيبٍ يحرّكُ النفسَ، ولا يُستغرَبُ إذا خرجت مع رفيقتِها في الأسواق، تتدافعان وتتمازحان

---

(١) أخرجه مسلم (١٤٠٣) من حديث جابر رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الترمذي (١١٧٣) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٥٠٩٦)، ومسلم (٢٧٤٠) من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما.

ولا يُستغرَبُ إذا وقفت علىٰ صاحبِ الدكانِ تُقلبُ السلعَ، وهذه تَصْلُحُ وهذه لا تَصلُحُ، وهي تضحكُ عندَه، مع رفيقتِها. ولا يُستغربُ إذا أسفرت عن ذراعيها ليُرَىٰ ما عليها من حُليٍّ وغيرِه.

ولا يُستغرَبُ إذا ضربت برِجْلَيْها ذاتِ الجوارِبِ المكعبةِ الطويلة ولا يُستغرَبُ مع هذا كلِّه أو بعضِه أن يطمعَ فيها مَنْ في قلبه مَرَضٌ، فيلاحقُها في سيارتِه أو علىٰ قدميه، أو يُلْقِي إليها كلاماً. لأن اللهَ يقول: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب: ٣٢] والخضوعُ باللباسِ والفعلِ، يُطْمِعُ فيها مَنْ في قلبه مرضٌ، لأنه ضعيفُ الإيمان، والمراقبة لله، قليلُ الخوفِ من ربِّه، عادِمُ المروءة في بني جنسِه، وقد رأىٰ مع ضعفِ إيمانِه، ومَرَضِ قلبه، وانعدامِ مروءتِه ما يُغْرِيه من هذه المرأةِ، فأصبح صَيْدَ شَرَكِها وقتيلَ فِتْنَتها.

أيها الناسُ: لقد أصبحت مشكلةُ النساءِ مشكلةً خطيرةً، لا ينبغي تجاهلُها، أو السكوتُ عنها. لأنها إن بقيتْ علىٰ ما كانت عليه، فسيكونُ لها عاقبةٌ وخيمةٌ علىٰ البلدِ وأهلِها وسُمْعتِها. أفلا يَعْقِلُ المسؤولون عن أهليهم وعن بلادِهم، إنَّ علىٰ كُلِّ واحدٍ منهم مسؤولية أهله؟ أفلا يمكنُه أنْ يَنصَحَ امرأتَه وبنتَه، وأختَه وذاتَ قرابتِه. كما فعلَ رجالُ الأنصار، حين أُنزِلت سورةُ النور؟

ثم ألا يُمْكِنُه أن يمنعَ نساءَه من الخروجِ إلا لحاجةٍ لا بُدَّ منها؟ ويُلزمَها إذا خرجَت أن لا تخرجَ متبرجةً أو متطيبةً، ثم ألا يُمكنُ مَنْ له بناتٌ، أو أخواتٌ، أو أقاربُ يُدَرِّسْنَ أن يَحُثَّهنَّ علىٰ بثِّ الوعي بين

الطالبات، وتحذيرهن من التجوّل في الأسواق، وخروجِهن بالزينة، إنه كلَّه ممكنٌ ويسيرٌ، إذا صدقَ الإنسانُ بنيتِه، وقَوِيتْ عزيمتُه.

وإنَّ علىٰ وُلاةِ الأمورِ في البلدِ مسؤوليةَ مَنْ في الأسواق مِنْ رجالٍ ونساءٍ، ومَنْعَهم من أسبابِ الشرِّ والفتنةِ، والقبضَ علىٰ مَنْ قامتِ القرينةُ علىٰ اتهامه، والتحقيقَ معه، وإجراءَ ما يلزمُ مِنْ تأديبه.

وإنَّ علىٰ عامةِ الناس، مساعدةَ وُلاةِ الأمور في ذلك بقَدْرِ ما يستطيعون من زَجْرِ مَنْ يَرَوْنَها متبرجةً، أو محاولةً للفتنة. وإلقاءِ الأضواء علىٰ المشتبهِ فيهم، مِمَّنْ في قلوبِهم مَرَضٌ، حتىٰ لا يَبْقَىٰ لهم في مجتمعنا مكانٌ.

فإذا حَرَصْنا علىٰ مَنْعِ أسبابِ الفتنةِ من كثرة النساءِ في الأسواقِ وتبرجهن، وحَرَصْنا علىٰ مقاومةِ مَنْ يُلاحِقُونَهم وإجراءِ اللازم من تأديبهم، وقُمْنا في ذلك لله وبالله، مَثْنَىٰ وفُرادىٰ، فسوف نَلْقَىٰ العونَ من اللهِ عَزَّ وجل، والخيرَ الكثير.

اللهم طهِّرْ مجتمعَنا من أسابِ الفتنِ والفساد، وجَنِّبْنا موجباتِ الهلاكِ والعقاب، وهَيِّىءْ لنا من أمرِنا رشداً، وأصْلِحْ لنا شؤوننا، واغفرْ لنا ذنوبَنا، وكَفِّرْ عنا سيئاتِنا، وتَوَفَّنا مع الأبرار، يا ذا الجلال والإكرام، اللهم صلِّ وسلِّم علىٰ نبينا محمدٍ، وعلىٰ آله وصحبِهِ أجمعين.

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

رعايةُ المرأة

الحمدُ للهِ الذي جعلَ الرجالَ قَوَّامينَ علىٰ النساءِ بما فَضَّلَهم عليهِنَّ في الخِلْقةِ والدينِ، والعقلِ والذكاءِ. وجعل النساءَ عندَ الرجالِ عَوَانِيَ بمنزلةِ الأَسْرَىٰ، وأوجبَ علىٰ الرجال أنْ يقوموا بحُقُوقِهِنَّ وإصلاحِهِنَّ، لِيَخْرُجُوا بذلك من المسؤوليةِ الكُبرىٰ. وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له. إلٰهَ الأرضِ والسماءِ وأشهد أنّ محمداً عبدهُ ورسولُه الذي عظَّمَ اللهُ حُرْمَتَه فأنزلَ في نسائِه ﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ أصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ، إلىٰ يومِ المآبِ والجزاءِ وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيهاه الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ في أنفسِكم وفي أهليكم، واتقوه في النساءِ، فإنهن عَوَانٍ عندَكم والعَانِي هو الأسيرُ. أَدُّوا إليهن حُقُوقَهن بالتربيةِ والإصلاحِ، والمنعِ من الأعمالِ السيئةِ القِبَاحِ. لقد قال اللهُ تعالىٰ: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [النساء: ٣٤]. جعلكم اللهُ أنتم القائمين علىٰ النساءِ أيها الرجالُ، وحَمَّلَكم مسؤوليتَهن. فقُومُوا بهذه المسؤوليةِ، وقُومُوا علىٰ نسائِكم. فإن السلطةَ لكم عليهن، لا تجعلوا أنفسَكم بمنزلةِ المعدومين لا تأمُرون ولا تَنْهَوْن، ولا تُصْلِحُون ولا تُوَجِّهُون.

ولقد وصَفَ النبيُّ ﷺ النساءَ بِنُقْصَانِ العقلِ ونُقْصَان الدينِ. وإنّ هذا الوصفَ له مغزاه، لأن الغرضَ منه بيانُ حالِ المرأةِ واتصافِها بهذا النقصِ، لنقومَ نحن الرجالَ عليها فَنَجْبُرَ من نقصِها ما أمكنَ، ونُعِينَها في إصلاحِ دينِها ودُنياها.

أيها الناسُ: لو أَنَّ راعِيَ غَنَمٍ أهْمَلَ غنَمه، ولم يسلكْ بها مسَالِكَ الخِصْبِ، لقال الناسُ إنه مُفَرِّطٌ مُهْمِلٌ. ولو سلَكَ بها طريقَ مَهْلَكةٍ، ورعاها في أماكنَ ضارةٍ، لقال الناسُ إنه مُعتدٍ ظالمٌ. فكيف برجُلٍ استرعاه اللهُ علىٰ أهلِه وعيالِه، ثم أهملَهم واضاعَهم، أو فَتحَ لهم أبوابَ الشرِّ وشجَّعَهم عليها؟ أفلا يُعَدُّ هذا من أكبرِ الظلمِ والعدوانِ؟!

إنَّ كثيراً من الرجال، ولا أقولُ أكثرَ الرجالِ، قد أضاعوا نساءَهم وأهملوهن. وبعضُهم ربما يُشَجعُ المرأةَ علىٰ التهاونِ بما يَجِبُ لا لشيءٍ، إلا لأن نفسَه الأمارةَ بالسوء تَهْوَىٰ ذلك، وتأمرُه به.

كثيرٌ من النساءِ يخرجْنَ إلىٰ الأسواقِ علىٰ مَسْمَعٍ ومَرْأىً من رجالِهن، يخرجْنَ إلىٰ الأسواقِ بصفةٍ مُنْكَرةٍ، يخرجن مُتبرجاتٍ لابساتٍ أحسنَ ثيابِهن، أو ثياباً قصيرةً تكشفُ أَسَافِلَهن. وليس فوقَ هذه الثيابِ القصيرةِ أو الحسنةِ سِوَىٰ عباءةٍ يَكْشِفُها الهواءُ أحياناً، وتستتر بها أحياناً. وربما تجمعُها بِيَدَيْها وترفعُها إلىٰ نصفِ جَسَدِها.

كثيرٌ من النساءِ يخرجْن متطيباتٍ بطيبٍ فاتنٍ، يفتنُ من يمرُرْن به مِن الرجالِ. كثيرٌ من النساءِ يملأن أيديهن بالحُلِيِّ ثم يَفْسِرْنَ العباءَةَ عنه، ويُخْرِجْنَ أيدِيَهن للناسِ.

كثيرٌ من النساءِ يَسْتُرْنَ وجوهَهن بسِتْرٍ رقيقٍ لا يمنعُ من رؤيةِ الوجهِ من ورائه. وبعضُهن يَشْدُدْنَ الغطاءَ علىٰ الوجهِ، حتىٰ تبرز مَلامِحُ وَجْهِها، أنفُها وجبهتها ووجنتاها. ولقد قال النبيُّ ﷺ، مُحَذِراً أمتَه عن مِثْلِ هذا العملِ: «**صِنْفَانِ من أهلِ النارِ لم أرَهُما بَعْدُ: قَومٌ معهم سِيَاطٌ كأذنابِ البقرِ يضربون بها الناسَ، يعني بهم الظلمةَ الذين يضربون الناسَ بغيرِ حقٍّ، والصنفُ الثاني: نساءٌ كاسياتٌ عارياتٌ مائلاتٌ مميلاتٌ رُؤُوسُهن كأَسْنِمَةِ البُخْتِ المائلةِ، لا يدخلْنَ الجنةَ، ولا يجِدْنَ رِيحَها، وإنَّ رِيحَها لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرةِ كذا وكذا**»[١].

وصف النبيُّ ﷺ هؤلاءِ الصنف من النساءِ اللاتي من أهلِ النارِ: بأنهن كاسياتٌ عارياتٌ: يعني أن عليهن كُسْوةً لكنها لا تُفِيدُ ولا تَسْتُرُ، إما لكونِ الثيابِ قصيرةً لا تَستُر ما يَجِبُ سَتْرُه من الجسمِ، وإما لكونها خفيفةً يُرَىٰ الجِلْدُ من وَرَائِها، وإما لكونها ضيقةً جِداً يتبينُ مِنْ ورائِها مَقَاطِعُ جِسْمِ المرأةِ. فَمَنِ اكْتَسَتْ بمِثْلِ هذه الأصنافِ، فهي كاسيةٌ عاريةٌ، وهذه لِبْسَةُ نساءِ أهلِ النارِ. ووصفهن النبيُّ ﷺ بصفةٍ أخرىٰ مائلاتٍ مميلاتٍ: أي مائلاتٍ عن الصراطِ المستقيمِ، وعن طريقِ الدينِ والحياءِ، فلا حياءَ عندهن ولا دِينَ. مميلاتٍ: أي فاتناتٍ غيرَهن حتىٰ يميلَ عن الحقِّ، وذلك بما عليهن من لِبَاسِ التبرجِ والطِّيبِ وغيرِها من أسبابِ الفتنةِ. ووصفهن النبيُّ ﷺ بصفةٍ

---

(١) أخرجه مسلم (٢١٢٨)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ثالثةٍ: بأنَّ رؤوسَهن كأسمنةِ البُخْتِ المائلةِ: أي كأسنمة الإبلِ البختِ، لأنهن يَجْمَعْنَ شُعُورَهن علىٰ رؤوسِهن حتىٰ يصيرَ كَسَنَامِ البعيرِ مُعَرْبِداً علىٰ رأسِها.

أيها الناسُ: إنما بَيَّنَ رسولُ اللهِ ﷺ لأمتِه هذه الصفاتِ الذميمةَ لِيُحَذِّرَ الناسَ منها، ويَبْعُدُوا عنها ويَمْنَعُوا نِساءَهم من الاتصاف بها. فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ، وكونوا من هذه الألبسة، ومن أسبابِ الفتنِ علىٰ حَذَرٍ، فأنتم في زَمَنِ فِتَنٍ تموجُ كموجِ البحرِ لا يَسْلَمُ منها إلا القليلُ. فكونوا من الناجين ولا تكونوا من الهالكين. وامنعوا البناتِ الصغارَ من الألبسةِ القصيرةِ. فإن الأُنثىٰ إذا اعتادت هذا اللباسَ زَمَنَ الصغرِ هان عليها في زمن الكبر وأَلِفَتْهُ وصَعُبَ علىٰ وليِّها مَنْعُها منه كما هو الواقع.

أيها الناسُ: وإنَّ مِن أسباب الفتنِ كثرةَ خروجِ النساءِ إلىٰ الأسواق. فإنَّ النبيَّ ﷺ قال للنساءِ: «**بيوتُهن خَيْرٌ لَهُنَّ**»[1]. يقوله للنساءِ اللاتي يأتينِ إلىٰ المسجدِ، فكيف بالنساءِ اللاتي يخرجْنَ إلىٰ السوقِ. ليس لهن غَرَضٌ إلا التفرجُ، أو شِراءُ حاجةٍ يمكن أن يشتريَها لها الرجلُ أو الولدُ الصغيرُ. وإن لُزومَ المرأةِ بيتَها أسترُ لها وأحفظُ لها من الفتنِ وأقومُ لدينِها، إلا إذا كان الخروجُ لحاجةٍ أو مصلحةٍ. وإن اختلاطَ النساءِ بالرجالِ ومكالمتَهن إياهم إذا كانوا

---

(١) أخرجه أحمد ٢/ ٢٧٦، وأبو داود (٥٦٧) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

غيرَ محارمَ لهن، قد يُؤَدِّي إلىٰ شرٍّ وفتنةٍ. فعلينا أن نَنْتَبِهَ لهذا، وأن نأخذَ حِذْرَنا منه. ولقد خرج النبيُّ ﷺ ذاتَ يومٍ من المسجد، وقد اختلطَ النساءُ مع الرجالِ في الطريق. فقال النبيُّ ﷺ للنساءِ: «**استأخرن فليس لكن أنْ تَحْتِضِنَّ الطريقَ، عليكن بِحَافَاتِ الطريق**»[1]. فكانت المرأة تدنو إلىٰ الجدار حتىٰ إن ثوبها ليتعلق به من قربها منه.

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّـٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣٠-٣١].

بارك اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا واستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيمُ.

* * *

(١) أخرجه أبو داود (٥٢٧٢) من حديث أبي أسيد الأنصاري رضي الله عنه.

وجوب رعاية المرأة والقيام بالأمانة نحوها

إنَّ الحمدَ للهِ نحمَدُه ونستعينُه، ونستغفرُه ونتوبُ إليه، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالنا. مَنْ يَهْدِه اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلل فلا هَادِيَ له. وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه. صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه، ومَنْ تَبِعهم بإحسان، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، وقوموا بما أوجبَ اللهُ عليكم من رعايةِ أولادِكم وأهليكم. قوا أنفسَكم وأهليكم ناراً، وقودُها الناسُ والحجارةُ، فإنكم رُعَاتُهم، والمسؤولون عنهم. قال النبيُّ ﷺ: «**الرجلُ رَاعٍ في أهلِه ومسؤولٌ عن رعيتِه**»(١).

أيها المسلمونَ: يا رجالَ الإسلامِ، اذكروا هذه الأمانةَ العظيمةَ، واشكروا اللهَ علىٰ هذه النعمةِ، التي حباكم بها، وقُومُوا بها علىٰ الوجهِ الأكملِ، اسمعوه يقولُ: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ﴾ [النساء: ٣٤].

لم يجعلْكم اللهُ قوَّامِينَ عليهن إلا لعلمِه بقصورِهن عَقْلاً ودِيْناً. ولقَدْ أكَّدَ ذلك رسولُ اللهِ ﷺ حين قال في النساء: «ما

---

(١) أخرجه البخاري (٨٩٣)، ومسلم (١٨٢٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

رأيتُ من ناقصـاتِ عقلٍ وديـنٍ أذهـبَ لِلُبِّ الرجـلِ الحـازمِ من إحداكن»[١].

فاعرفوا أيها الرجالُ هذا الفضلَ، وقُومُوا بهذه الأمانةِ، ولا تَغْلِبَنَّكم النساءُ علىٰ رُجُولَتِكم، ولا يُلْهِيَنَّكم الشيطانُ عن رعايةِ أهليكم، ولا تَشْتَغِلُوا بأموالِكم عن الحفاظِ علىٰ ما هو أَهمُّ وأولىٰ.

أيها المسلمون: إنَّ مشكلةَ النساءِ ليست بالمشكلةِ التي يُتَهَاونُ بها، وليست بالمشكلةِ الجديدة. إنها مشكلةٌ عظيمةٌ يَجِبُ الاعتناءُ بها، ودراسةُ ما يَقْضِي علىٰ أسبابِ الشرِّ والفسادِ. إنها مشكلةُ الوقتِ كلِّه، قديماً وحديثاً.

لقد كانت مشكلة بني إسرائيلَ، وهي مشكلةُ هذه الأمةِ. قال النبيُّ ﷺ: **«ما تركتُ بعدي فتنةً أضرَّ علىٰ الرجال من النساء»**[٢]. وهذا الحديثُ الثابتُ في الصحيحين يتضمن التحذير من هذه الفتنةِ العظيمةِ، والسعيَ في القضاءِ علىٰ أسبابِ الشرِّ قبل أن يستفحلَ.

أيها المسلمون: إنَّ مشكلةَ النساءِ عندنا هذا الزمنَ في التبرجِ، والاختلاطِ، والتَسكُّعِ في الأسواق. وكُلُّ ذلك مما نَهَىٰ اللهُ عنه ورسولُه. فالتبرجُ أن تستشرفَ المرأةُ للرجالِ باللباسِ، والزينةِ،

---

(١) أخرجه مسلم (٧٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما. وأخرجه البخاري (٢٠٤) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٩٦)، ومسلم (٢٧٤٠) من حديث أسامة رضي الله عنه.

والقولِ، والمشيةِ، ونحوِ ذلك مما تُظْهِرُ به نفسَها للرجالِ، وتُوجِبُ لَفْتَ النظر إليها.

ولقد قال اللهُ تعالىٰ: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣]. ولقد توسَّعَ بعض النساءُ في التبرجِ باللباسِ، فصارت المرأةُ تَلْبَسُ للسوقِ من أحسنِ اللباسِ، وتضعُ عليه عباءةً ربما تكون قصيرةً لا تستره، أو رهيفةً، أو ترفعُها المرأةُ عن أسفل جِسْمِها، حتىٰ يبينَ جمالُ ثيابِها وزينتِها.

وربما شَدَّتِ العباءةَ بِيدَيْها مِنْ فوق عجيزتها حتىٰ يتبينَ حجمُها، وكُلَّ هذا مما نَهَىٰ اللهُ عنه، لقد قال اللهُ تعالىٰ: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]. نهىٰ اللهُ النساءَ أنْ يضربن بأرجلِهن، فيُعلمَ الخلخالُ الذي تُخْفِيه، فإذا كان اللهُ نَهىٰ عن الضربِ بالرِّجْلِ، خَوْفاً من سَمَاعِ الخَلْخَالِ المستورِ. فكيف بمَنْ تَلْبَسُ جميلَ الثيابِ، ثم ترفعُ العباءة عنه ليراه الناسُ بأعينِهم، فيَفْتِنُهم؟

وإنَّ الفتنةَ بما يُرىٰ أعظمُ من الفتنةِ بما يُسمعُ. ليس الخبرُ كالمعاينةِ، إذا كان اللهُ تعالىٰ نَهَىٰ عن الضَرْبِ بالرِجْلِ خوفاً من سَمَاعِ الخلخالِ، فكيف بمَنْ تكشِفُ عن ذِرَاعيْها، لِتُظْهِرَ ما عليها من الحُلِيِّ والزينة ونُعومةِ اليدِ، كأنما تقولُ للناسِ: انظروا إلىٰ نعومة يَدِي، وإلىٰ ما عليها من الحُلِيِّ والزينةِ.

وإنَّ من التبرج: أنْ تخرجَ المرأةُ متعطرةً متطيبةً. فإنَّ هذا خلافُ أمرِ النبيِّ ﷺ. فإنَّ النبيَّ ﷺ، قال: «**ولِيَخْرُجْنَ تَفِلاتٍ**»[١] أي غيرَ متطيباتٍ وقال: «**إذا خرجَتْ إحداكُنَّ للمسجدِ، فلا تَمَسَّ طِيباً**»[٢]. وقال ﷺ: «**إنَّ المرأةَ إذا استعطرتْ فمرتِ بالمجلسِ، فهي كذا وكذا**»[٣]، يعني زانية رواه الترمذي، وقال: حسن صحيح.

ولقد كثُرتِ الزينةُ والتطيبُ في أيامِ الأعراسِ، تخرجُ النساءُ من بيُوتِهن في أحسنِ ثيابِهن، وأطيبِ طِيبِهن. وربما مَشَيْنَ مجتمعاتٍ يتحدثْنَ بالأسواقِ بأصواتٍ مرتفعةٍ، وتَدَافُعٍ بينهن أحياناً، مما يُثِيرُ الفتنةَ، ويُهَيِّج الشرَّ.

وأما اختلاطُ النساءِ بالرجالِ، ومزاحمتُهن لهم. فهذا موجودٌ في كثيرٍ من محلاتِ البيعِ والشراءِ، وهو خلافُ الشرعِ. فلقد خرج النبيُّ ﷺ من المسجدِ، وقد اختلطَ النساءُ مع الرجالِ في الطريق. فقال ﷺ للنساءِ: «**استأخِرْنَ فإنه ليس لَكُنَّ أنْ تَحْتَضِنَّ الطريقَ عليكن بحَافَاتِ الطريق**»[٤].

---

(١) أخرجه أحمد ٢/ ٤٣٨، والشافعي ١/ ١٠٢، وأبو داود (٥٦٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد ٦/ ٣٦٣ من حديث زينب امرأة عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه أحمد ٤/ ٣٩٤ والترمذي (٢٧٨٦)، والنسائي ٨/ ١٥٣، وفي الكبرىٰ (٩٤٢٢) من حديث أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه.

(٤) أخرجه أبو داود (٥٢٧٢) من حديث أبي أسيد الأنصاري رضي الله عنه.

فكانت المرأة تَلْصَقُ بالجِدارِ، حتىٰ إنَّ ثَوْبَها لَيَعْلَقُ به. ولقد رَغَّبَ النبيُّ ﷺ، أُمتَه بالبعدِ عن اختلاطِ النساءِ بالرجالِ حتىٰ في أماكنِ العبادةِ. فقال ﷺ: «**خيرُ صفوفِ النساءِ ـ يعني اللاتي يصلين مع الرجال، خير صفوف النساء ـ آخرُها، وشرُّها أولُها**»[١]. وإنما كان آخرُ صفوفهن خيراً لبعده عن الرجال ومخالطتهم، ورؤيتهم لهن، ألم يكنْ في هذا أوضحُ دليلٍ علىٰ محبةِ الشرعِ لبُعْدِ المرأةِ عن الرجالِ، واختلاطِها بهم.

وأما التسكعُ في الأسواقِ، والتمشي فيها، فما أكثرَ مَنْ يفعلُه من النساءِ. تخرجُ المرأةُ من بيتِها لغير حاجةٍ، أو لحاجةٍ يسيرةٍ يمكن أن يَأْتِيَ بها أحدٌ من البيتِ من الرجالِ، أو الصبيانِ.

ولقد قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**لا تَمْنَعُوا إماءَ اللهِ مساجدَ اللهِ، وبيوتُهُنَّ خَيْرٌ لهن**»[٢]. فبيتُ المرأةِ خَيْرٌ لها حتىٰ مِنَ المسجدِ فكيفَ بغيرِه؟ وإن هذا الحديثَ الصحيحَ في النهي عن مَنْعِ النساءِ من المساجدِ ليدلُّ علىٰ أنه يجوزُ للرجلِ أنْ يمنعَ المرأةَ من الخروجِ للسوقِ ما عدا المسجدِ، ولا إثمَ عليه في ذلك ولا حرجَ. أما منعُها من التبرجِ والتعطرِ عند الخروجِ، فإنه واجبٌ عليه، ومسؤولٌ عنه يومَ القيامة.

وعلىٰ المرأةِ إذا خرجت، أنْ تخرجَ بسكينةٍ، وخَفْضِ صَوْتٍ، ولا تمشي كما يمشي الرجلُ، بقوةٍ تضربُ الأرضَ برِجْلِها وتهزُ

---

(١) أخرجه مسلم (٤٤٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أبو داود (٥٦٧) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

كَتِفَيْها، وترفعُ صوتَها. قالت أمُّ سَلَمةَ رضِيَ اللهُ عنها: لما نزلت هذه الآية ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٩]، خرج نساء الأنصار، كأن علىٰ رؤوسهن الغربان، من السكينة، وعليهن أكسية سود يلبسنها.

هذه صفاتُ نساءِ الؤمنين، فاقْتَدُوا بهم لعلكم تُفلحون. ولا تَغرنَّكم الحياةُ الدنيا وزينتُها. ولا يَغرنَّكم مَنْ لا يؤمنون باللهِ واليومِ الآخرِ، فإنَّ هذا التبرجَ والثيابَ القصيرةَ والضيقة، إنما صُنِعتْ تقليداً لهم، وإنَّ أعداءَكم يعلمون أنهم لو دَعَوْكم إلىٰ الكفرِ ما كفَرتُم، ولو دَعَوْكم إلىٰ الشرك ما أشركتم. ولكنْ يَرْضَوْنَ منكم أن يَهْدِمُوا أخلاقَكم ودينَكم، من جهاتٍ أخرىٰ، من جهةِ محقراتِ الذنوبِ التي يُحقِّرُونَها في أَعْيُنِكم، فتحتقرونها وتواتونها، حتىٰ تنزلَ بكم إلىٰ النارِ. قال النبيُّ ﷺ: «**إنَّ الشيطانَ قد أيسَ أنْ تُعبدَ الأصنامُ في أرضِ العربِ، ولكنه سَيَرْضَىٰ منكم بدونِ ذلك، بالمحقراتِ وهي الموبقاتُ يومَ القيامة**»[١].

فاتقوا اللهَ أيها المسلمون، ولا تنخدعوا بما يُقَدِّمه لكم أعداؤُكم، إنكم الآنَ علىٰ مُفْتَرقِ طُرُقٍ فُتِحَتْ عليكم الدنيا، وانهالَ عليكم الأعداء قَدِمَ البعض إلىٰ البلاد بعاداتهم السيئة،

---

(١) أخرجه أبو يعلىٰ (٥١٢٢)، والطبراني في «الكبير» (٢٢٦٧) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، وعزاه الهيثمي في «مجمع الزوائد» ١/ ١٨٩ إلىٰ أبي يعلىٰ وقال: وفيه إبراهيم ابن مسلم الهجري وهو ضعيف.

وتقاليدهم المنحرفة، وسافر البعض منكم إلىٰ بلادهم، وشاهدتموهم في وسائِل الإعلامِ في الصحفِ والتلفزيون.

فإما أن يكونَ في دينِكم صلابةٌ تتحطمُ عليها مكايدُ الأعداءِ، وفيكم قوةُ الشخصيةِ الإسلاميةِ، فلا تقتدون بهم، ولا تغترون بهم، وتتمسكون بما كان عليه أسلافُكم الصالحون، فتنالون خيْرَ الدينا والآخرةِ.

وإما أن يكونَ الأمرُ بالعكس، لينٌ في الدينِ، وضَعْفٌ في الشخصيةِ، وانهيارٌ أمامَ التياراتِ، فتبؤون بالصفقةِ الخاسرةِ. ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الزمر: ١٥]. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣٠-٣١].

بارك اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيمُ.

وجوب رعاية المرأة ومنعها من التبرج

الحمدُ للهِ الذي خلَق كُلَّ شيءٍ، فقدَّره تقديراً، وفاوت بينَ خَلْقِه في ذَوَاتِهم وصِفَاتِهم وأعمالِهم، حِكمةً وتدبيراً. وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وكان اللهُ علىٰ كلِّ شيءٍ قديراً. وأشهدُ أنّ محمداً عبدُه ورسولُه، المبعوثُ إلىٰ الخلقِ كافةً، بشيراً ونذيراً. صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه، وتابعيهم بإحسان، وسلَّم تسليماً كثيراً.

أما بعدُ: فقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰۚ﴾ [البقرة: ٢٨٢]. قال اللهُ تعالىٰ: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْۚ﴾ [النساء: ٣٤].

أيها الناسُ: إنَّ من هاتين الآيتين الكريمتين يتبينُ لنا مَدَىٰ نَقْصِ المرأةِ في عقلِها وتدبيرِها. ففي الآيةُ الأولىٰ بيانُ نَقْصِ عَقْلِها وإدراكِها وإحاطتِها، حتىٰ فيما تُستشهدُ عليه. ويُطلبُ منها رِعايتَه وضَبْطَه. وفي الآيةِ الثانيةِ بيانُ نَقْصِ تدبيرِها وتصرفِها، وأنها بحاجةٍ إلىٰ مسؤولٍ يتولىٰ القيامَ عليها وهو الرجلُ لهذا وجبَ علىٰ الرجالِ رعايةُ النساءِ، والقيامُ عليهن لتكميلِ ما فيهن من نَقْصٍ. ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨]. وإنه كلما عَظُمَ

الخطرُ عَظُمَتِ المسؤوليةُ، وكلما كَثُرَتْ أسبابُ الفتنةِ وجَبتْ قُوةُ الملاحظةِ.

وإننا في عَصْرٍ عَظُمَ فيه الخطرُ، وكثرت أسبابُ الفتنةِ بما فُتِحَ علينا من زَهْرةِ الدنيا واتصالنا بالعالمِ الخارجيِّ مباشرةً، أو بواسطةِ وسائلِ الإعلام. وبسببِ ذلك وبسببِ ضَعْفِ كثيرٍ من الرجالِ أو تهاونِهم بالقيامِ بمسؤوليتِهم تجاهَ نسائِهم. وقَعَ كثيرٌ من النساءِ في شَرَكِ هذه الفتنةِ، وهاويةِ ذلك الخطرِ، حتىٰ إنك لترىٰ المرأةَ الشابةَ تخرجُ من بيتِها إلىٰ السوقِ، بألبسةٍ مُغْرية، ألبسةٍ جميلةٍ، إما قصيرةٍ وإما طويلةٍ ضيقةٍ، ليس فوقَها سِوىٰ عباءةٍ قصيرة أو طويلةٍ يفتحُها الهواءُ أحياناً، وترفعُها هي نفسُها عَمْداً أحياناً.

تخرجُ بخِمَارٍ تسترُ به وجهَها، لكنه أحياناً يكون رقيقاً يصِفُ لونَ جِلْدِ وجهِها، وأحياناً تشدُّه علىٰ وجهها شَداً قوياً، بحيث يُبرز مرتفعاتِ وجهِها. كأنفها ووجنتيها.

تخرجُ لابسةً من حُلِيِّ الذهبِ ما لَبِستْ. ثم تكشفُ عن ذِرَاعَيْها حتىٰ يَبْدُوا الحُلِيُّ كأنما تقولُ للناس: شاهدوا ما عَلَيَّ. فتنةٌ كُبْرىٰ، ومِحْنةٌ عُظْمَىٰ.

تخرجُ متطيبةً بطيبٍ قويِ الرائحةِ يفتن كُلَّ مَنْ في قلبه مَرَضٌ من الرجالِ، وربما خَلَعَ ثيابَ الحياءِ، فصار يُلاحِقُها.

تخرجُ من بيتِها تمشي في السوق مَشْياً قَوِياً كما يمشي أَقْوَىٰ الرجالِ وأشبُّهم، كأنما تُرِيدُ أنْ يعرِفَ الناسُ قوتَها ونشاطَها.

وتمشي كذلك في السوقِ مع صاحبتِها، تمازحُها وتُضاحِكُها بصوتٍ مسموعٍ، وتُدَافِعُها بتدافعٍ منظورٍ.

وتقفُ علىٰ صاحبِ الدكان تُبَايِعُه، وقد كشفتْ عن يَدَيْها وعن ذِراعَيْها، وربما تُمَازِحُه أو يُمَازِحُها، أو يضحكُ معها، إلىٰ غيرِ ذلك مما يفعلُه بعضُ النساءِ من أسبابِ الفتنةِ والخطرِ العظيم، والسلوكِ الشاذِّ، الخارجِ عن توجيهاتِ الإسلامِ، وطريقِ أمةِ الإسلامِ.

يقول اللهُ تعالىٰ لنساءِ نبيه ﷺ وهن القدوةُ: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، ويقول النبيُّ ﷺ: «**لا تمنعوا إماء الله مساجد الله وبيوتهن خير لهن**»[1]. خيرٌ لهن من أين؟ من مساجدِ الله. فكيف بخروجهن للأسواقِ؟ ويقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍ بِزِينَةٍ﴾ [النور: ٦٠].

فإذا كانت المرأةُ من العجائزِ ممنوعةً من التبرّجِ بالزينةِ، فكيف تكونُ الشابةُ التي هي محلُّ الفتنةِ؟ ويقولُ اللهُ سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]. فإذا كانت مأمورةً بأن تضربَ بالخمار وهو ما تُغطي به رأسَها علىٰ جَيْبِها، ليسترَ ما قد يبدو من رَقَبَتِها، أو من علىٰ صَدْرِها. فكيف تُخَالِفُ المرأةُ

(١) أخرجه أبو داود (٥٦٧) من حديث ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ بهذا اللفظ وأخرجه بنحوه البخاري (٨٦٥)، ومسلم (٤٤١) من حديث ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ دون قوله: «وبيوتهن خير لهن».

المسلمةُ المؤمنةُ أمر الله ورسولِه إلىٰ محاولةِ إبداءِ وجهِها وهو محل الفتنةِ والتعلّقِ بها؟

ويقول الله سبحانه: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]. وهو صوتُ الخَلْخَالِ التي تَلْبَسُه برجلِها، وتُخْفِيه بثوبِها، فإذا ضربت برجلِها علىٰ الأرض سُمِعَ صوتُه، فإذا كانت المرأةُ مَنْهِيةً أن تفعلَ ما يُعْلَمُ به زينةُ الرِجْلِ المخفاةُ، فكيف بمَنْ تكشفُ عن ذِرَاعَيْها، حتىٰ تُشَاهَدَ زينةُ اليدِ؟

إن فتنةَ المشاهدةِ أعظمْ من فتنةِ السماعِ. ويقول النبيُّ ﷺ: «**صِنْفَانِ من أهلِ النارِ لم أرَهُما بعدُ: قومٌ معهم سِياطٌ كأذْنَابِ البقرِ يضربون بها الناسَ**»[1]. ويعني بهم الظلمة من ذَوِي السلطةِ الذين يضربون الناسَ بغير حقٍّ أما من يضربون الناس بحقٍّ لتقويمِهم وتأديبِهم. فليسوا مِنْ هؤلاءِ، وقد يكونُ المقصودُ من الحديث كراهةَ هذا النوعِ من السياطِ. أما الصنفُ الثاني: فيقول فيه النبيُّ ﷺ: «**ونساءٌ كاسياتٌ عارياتٌ، مائلاتٌ مُمِيلاتٌ، رؤوسُهن كأسنمةِ البُخْتِ المائلةِ، لا يدخلْنَ الجنةَ ولا يجدْنَ، ريحها وإن رِيحَها لَيُوجَدُ مِنْ مسيرةِ كذا وكذا**». وصفَهن النبيُّ ﷺ، بأنهن كاسياتٌ عليهن كُسوةٌ، ولكنها عارياتٌ، لأن هذه الكُسوةَ لا تَسْتُرِ إما لقصرِها أو خِفَّتِها أو ضِيقِها. مائلاتٌ عن طريق الحقِّ، مميلاتٌ لغيرهن بما يحصلُ منهن من الفتنةِ. رؤوسُهن كأسنمةِ البُخْتِ

---

(١) أخرجه مسلم (٢١٢٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

المائلةِ، بما يَلْفُفْنَ عليهن من شُعورِهن أو غيرِه، حتىٰ يكونَ كسَنامِ البعيرِ المائلِ.

وصَحَّ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**أيُّما امرأةٍ أصابتْ بخُوراً فلا تشهدْ معنا العشاءَ الآخرة**»[(١)] فمنعَها من حضورِ المسجدِ للصلاةِ لأنها أصابتْ بُخُوراً. فكيف بمن تتطيبُ بما هو أطيبُ من البخورِ، وأشدُّ جاذبيةً، ثم تخرجُ إلىٰ الأسواقِ. وصَحَّ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**خَيْرُ صفوفِ النساءِ آخرُها، وشَرُّها أولُها**»[(٢)]. لماذا كان ذلك؟ كان ذلك لأن آخرَ الصفوفِ أبعدُ عن الرجال والاختلاطِ بهم. هذا وهو في العبادةِ والصلاةِ، فكيف بمَنْ تلي الرجالَ تختلطُ بهم في الأسواق؟

هذه أيها المسلمون توجيهاتُ اللهِ سبحانه في كتابِه، وتوجيهاتُ رسولِه لله، في سُنتِه: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦]. ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

هذه توجيهاتُ الإسلامِ. أما طريقُ أهلِ الإسلامِ، فقد قالت أُمُّ سَلَمَةَ رَضِي اللهُ عنها، لما نزلت هذه الآيةُ: ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن

(١) أخرجه مسلم (٤٤٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) أخرجه مسلم (٤٤٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

جَلَٰبِيبِهِنَّۚ﴾ [الأحزاب: ٥٩]. خرج نِساءُ الأنصار، كان علىٰ رؤوسِهن الغِربانَ من السكينةِ وعليهن أكْسِيةٌ سُودٌ يلبسنها.

أفلا نأخذُ أيها المسلمون بهذه التوجيهاتِ الإسلاميةِ، ونعتبرُ بطريقِ أهلِ الإسلام؟ أفلا نتقي اللهَ عزَّ وجلَّ؟ أفلا نتداركُ ما وقعَ فيه كثيرٌ من النساءِ من مخالفةِ طريقِ أهلِ الإسلامِ، ونُلْزِمُهم بالسلوكِ السليمِ، والصراطِ المستقيمِ، حتىٰ يكونَ مجتمعُنا مجتمعاً إسلامياً في رجالِه ونسائِه، في عباداتِه وأخلاقِه. لقد كان الكثيرُ من النساءِ يخرجْنَ من بيوتِهن في أيامِ الدراسةِ إما لشراءِ بعضِ الأدواتِ المدرسية، وإما للاتصال بزميلتِها فيما يتعلقُ بالدراسةِ. أما الآن وقد أَغْلَقَتِ المدارسُ أبوابَها في هذا العامِ، أو أَوْشَكَتْ. فجديرٌ بنسائِنا أن يلزمْنَ بيوتَهنَّ، وأن لا يخرجْنَ إلىٰ الأسواقِ، وسيجدن ذلك ثقيلاً عليهن في أول الأمرِ، لكنهن سَيَأْلفْنَ ذلك ويخِفُّ عليهن في النهايةِ، فيَصِرْنَ ذواتِ الخُدُورِ ورباتِ الحياءِ. وإنَّ علىٰ أولياءِ أمورِهن من الرجال أن يَتَفَطَّنُوا لذلك، وأنْ يقوموا بما أوجبَ اللهُ عليهم من رعايةٍ وأمانةٍ، حتىٰ يُصْلِحَ اللهُ لهم الأمورَ، ويمنعَهم من الفتنةِ. قال اللهُ تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

بارك اللهُ لي ولكم في القرآنِ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيمُ.



مواعظ عامة ومواضيع متنوعة

أن المعاصي سبب المصائب

الحمدُ حَمْداً كثيراً طَيِّباً مُبَارَكاً فيه كما يُحِبُّ ربُّنا ويَرْضَىٰ وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، له المُلْكُ وله الحمدُ في الآخِرةِ والأولىٰ. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المصطفىٰ، وخليلُه المجتبىٰ. صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه، وأصحابِه ومَنْ بِهُدَاهُمُ اهْتَدىٰ، وسلّم تسليماً كثيراً.

أما بعدُ: يا عبادَ الله اتقول اللهَ تعالىٰ، وإياكم والغفلةَ عن شريعةِ اللهِ، إياكم والغفلةَ عن آياتِ اللهِ، إياكم والغفلةَ عن تَدَبُّرِ كتابِ اللهِ، إياكم والغفلة عن معرفةِ سنةِ رسولِ الله ﷺ. فإن كتابَ اللهِ وسنةَ رسولِه ﷺ سعادتُكم في الدنيا والآخرة إن التزمتم بهما تصديقاً للأخبار وامتثالاً للأوامر.

عبادَ الله: إن مِنَ الناس مَنْ يَشْكُونَ ويُشَكِّكُون في كَوْنِ المعاصي سبباً للمصائب، وذلك لِضَعْفِ إيمانِهم، وقلَّةِ تَدَبُّرِهم لكتابِ الله عزَّ وجل. وإني أتْلُوا علىٰ هذا وأمثالِه قولَ اللهِ عزَّ وجل: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَ أَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩].

قال بعضُ السَّلَفِ: إذا رأيتَ اللهَ يُنْعِمُ علىٰ شَخْصٍ ورأيتَ هذا الشخصَ مُتَمَادِياً في معصيتِه، فاعلم أنَّ هذا من مَكْرِ اللهِ به وأنه داخلٌ في قوله تعالىٰ: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [الأعراف: ١٨٢-١٨٣].

أيها المسلمونَ: يا عبادَ اللهِ إنَّ المعاصِيَ لَتُؤَثِّرُ في أمْنِ البلادِ، وتُؤَثِّرُ في رَخَائِها واقتصادِها، وتُؤَثِّرُ في قلوبِ الشَّعْبِ، إن المعاصِيَ لَتُوجِبُ نُفُورَ الناسِ بعضِهم من بعضٍ. إن بعضَ المعاصِي لَتُوجِبُ أن يَرَىٰ كُلُّ مسلمٍ أخاه المسلمَ وكأنه علىٰ مِلَّةٍ أخرىٰ غيرِ مِلَّةِ الإسلامِ. ولكن إذا كُنا مصلحين لأنفسِنا ولأهلِنا ولجيرانِنا ولأهلِ حَارَتِنا ولكل مَنْ نستطيعُ إصلاحَه، كنا نتآمرُ بالمعروف ونَتَنَاهَىٰ عن المنكرِ، ونُؤَازِرُ مَنْ يقومُ بذلك بالحكمةِ والموعظةِ الحسنةِ، فإن بذلك يكون الاجتماع والائتلاف. يقول اللهُ عزَّ وجل: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٤-١٠٥].

إني أدْعُو نفسِي وإياكم أيها الإخـوةُ إلىٰ أن نَتَآلَفَ في دينِ اللهِ عزَّ وجل، وأن نَتَكَاتَفَ علىٰ إقامةِ شريعةِ اللهِ، وأن يَنْصَحَ بعضُنا بعضاً بالحكمةِ والموعظةِ الحسنةِ، وأن نُجَادِلَ مَنْ يحتاجُ إلىٰ المجادلةِ بالتي هي أحْسَنُ في الأسلوبِ والإقناع بالحُجَجِ الشرعيةِ والعقليةِ. وأن لا نَدَعَ أهلَ الباطلِ في بَاطِلِهم، لأن لهم حقاً علينا أن نُبينَ لهم الحقَّ، وأن نُرَغِّبَهم فيه، وأن نُبَيِّنَ لهم الباطلَ، وأن نُحَذِّرَهم منه.

أما أن نكونَ أمةً متفرقةً لا يَلْوِي بعضُنا علىٰ بَعْضٍ، ولا يَهْتَمُّ بَعْضُنا ببعضٍ فلا. فإنَّ مَنْ لم يَهْتَمَّ بأمرِ المسلمين فليس منهم.

أيها المسلمون: إنني أُكَرِّرُ وأقُولُ: أنه يَجِبُ علينا ونحن وللهِ الحمدُ مسلمون مؤمنون أن نَنْظَرَ إلىٰ الأحداث والمصائبِ نظرةً شرعيةً مقرونةً بكتابِ اللهِ، وسُنةِ رسولِه ﷺ، لأننا لو نظرَنا إليها نظرةً ماديةً لكان غيرُنا من الكفار أقْوىٰ منا من الناحيةِ الماديةِ وأعْظَمَ منا، وبها يَتَسَلَّطُونَ علينا ويَسْتَعْبِدُونَنا. ولكننا إذا نَظَـرْنا إليها نظرةً شرعيةً من زاويةِ الكتابِ والسنةِ، فإننا سوف نَرْجِعُ عما كان سَبَباً لهذه المصائبِ. ونحن إذا رجَعَنا إلىٰ اللهِ ونَصَرْنا دِينَ اللهِ عزَّ وجل، فإن اللهَ يقولُ في كتابه، وهو أصدقُ القائلين، وأقْدرُ الفاعلين. يقولُ عزَّ وجل: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤٠-٤١].

لم يَقُلِ: الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا مسارحَ الفِسْقِ واللهو والمُجُونِ. ولكنه قال: الذين أن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة، وآتَوُا الزكاةَ، وأمَرُوا بالمعروف، ونَهَوْا عن المنكرِ وللهِ عاقبةُ الأمور.

وتأمل يا أخي المسلمُ كيف قال اللهُ تعالىٰ: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠﴾ [الحج: ٤٠]. أكد هذا النصرَ بمؤكداتٍ لفظيةٍ وهي:

القسمُ المُقَدَّرُ، واللامُ التي تدل علىٰ التوكيد، ونُونُ التوكيد. وأكدَّ ذلك بمؤكداتٍ معنويةٍ، وهي قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠]، فَبِقُوَّتِه وعِزَّتِه يَنْصُرُ مَنْ ينصرُه. وتأمَّلْ كيف خَتَم الآيتين بقوله: ﴿وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١]، فإن الإنسانَ قد يقولُ بفِكْرِهِ الخاطِىءِ: كيف نَنْتَصِرُ علىٰ هذه الأممِ الكافرةِ، وهي أَقْوَىٰ منا وأعتىٰ منا فبيَّنَ اللهُ تعالىٰ أن الأمرَ إلىٰ اللهِ وحدَه، وأنه علىٰ كل شيء قديرٌ.

ولا يَخْفَىٰ علينا جميعاً ما تُحْدِثُه الزلازلُ التي تكونُ بأمرِ اللهِ عزَّ وجل، بأن يقول: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [يَس: ٨٢]. فيَحْدُثُ من الدَّمَارِ العظيمِ الشاملِ في لحظةٍ واحدةٍ ما لا تُحْدِثُه قُوَىٰ هذه الأممِ. واللهِ لو نَصَرْنا اللهَ حقَّ النصرِ لانْتَصَرْنا علىٰ كُلِّ عَدُوٍّ لنا في الأرض. لكنْ مع الأَسَفِ إن كثيراً منا كانوا أَذْيالاً لأعداءِ اللهِ، وأعداءِ رسولِه، ينظرون ماذا يفعلون من المُحَادَّةِ للهِ ورسولهِ فَيَتَّبِعونَهم علىٰ ذلك وربما يَذْهَبُون إلىٰ بلادِهم، فيُلْقُونَ بأفلَاذِ أكْبَادِهم من الأولادِ بنينَ وبناتٍ، ومن الأَهْلِ في تلكِ الديارِ التي لا تَسْمَعُ فيها إلا النَّواقِيس، لا تَسْمَعُ فيها ذِكْراً للهِ عزَّ وجل، لا تَرَىٰ فيها إلا مسارحَ اللهوِ والمُجُونِ.

فنسأل اللهَ تعالىٰ أن يَرُدَّ ضَالَّ هذهِ الأمةِ إليه رَدّاً جميلاً، وأن يجعلَنا جميعاً متكاتفين علىٰ الحقِّ متعاونين علىٰ البرِّ والتقوىٰ، حتىٰ يعود لهذه الأمةِ ما انْدَثَر من مَجْدِها وكَرَامتِها إنه وَلِيُّ ذلك والقادرُ عليه.

اللهم تَقَبَّلْ منا إنك أنت السميعُ العليمُ. اللهم تَقَبَّلْ منا إنك أنت السميع العليمُ. اللهم تَقَبَّلْ منا إنك أنت السميعُ العليمُ. اللهم صَلِّ علىٰ محمدٍ وعلىٰ آلِ محمدٍ، كما صَلَّيْتَ علىٰ إبراهيمَ وعلىٰ آل إبراهيم إنك حميد مَجِيدٌ. اللهم بَارِكْ علىٰ محمدٍ وعلىٰ محمدٍ، كما بَارَكْتَ علىٰ إبراهيمَ وعلىٰ آلِ إبراهيمَ، إنك حميدٌ مجيدٌ.

بارك اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا واستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيمُ.

* * *

التحذير من الذنوب

الحمدُ للهِ الحكيمِ في خَلْقِه وأَمْرِه، القويِ في أَخْذِه وقَهْرِه، مَنْ بارزَ بالعصيانِ أذاقه عذاباً أليماً، ومَنِ استغفرَه مِنْ ذنوبه وجدَه غفوراً رحيماً، ومَنْ سألَه مِنْ فضلِه وجدَه غنياً جواداً كريماً، يعطي لِحِكْمةٍ ويمنعُ لِحِكمةٍ وكان اللهُ عليماً حكيماً، ونشهدُ أن لا إلٰهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له والمولىٰ، ونشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه المصطفىٰ علىٰ جميعِ العبيدِ، صلَّىٰ اللهِ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه والتابعين لهم بإحسان إلىٰ يوم الدين، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها المؤمنون: اتقوا اللهَ تعالىٰ، وارجعوا إليه بالتوبةِ والاستغفارِ، والقيام بطاعتِه اناءَ الليلِ والنهارِ، فإن اللهَ تعالىٰ إنما خلقكم لتعبدوه، وأَدرَّ عليكم الأرزاقَ والنِعَمَ لتشكروه، واقتضتْ حِكمتُه أن يمنعَ عنكم بعضَ ما تُحبون لترجعوا إليه وتَعْرِفُوه، ولِتُقدِّرُوا نعمتَه حَقَّ قَدْرِها إذا ابتليتم بفَقْدِها، ولِتعلموا أنكم فقراءُ إلىٰ اللهِ محتاجون إليه، ليس لكم حَوْلٌ ولا قوةٌ إلا به، وليس لكمْ غِنىً عنه طرفةَ عين.

يا أيها الناسُ: أنتم الفقراءُ إلىٰ اللهِ، واللهُ هو الغنيُ الحميدُ، فاعْرِفُوا قَدْرَ فَقْرِكم إلىٰ فَضْلِ ربِّكم، واعلموا أن اللهَ تعالىٰ لم يمنعْكم شيئاً من فَضْلِه إلا لمصلحتِكم، وذلك أن الذي يحصلُ في الأرضِ من الجَدْبِ والقَحْطِ وغيرِهما من المصائبِ، إنما هو بسببِ ما كسَبَتْ أيدِي الناسِ من الأعمالِ والذنوبِ، فإذا أذنبَ الناسُ،

وأسْرَفُوا علىٰ أنفسِهم، عُوقِبُوا بالمصائبِ، لعلهم يرجعون، قال ربُّكم تعالىٰ: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِي عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١]، فارجِعُوا إلىٰ ربِّكم، وأَقْبِلُوا عليه، فإنَّ مَنْ تقرَّبَ إليه شِبْراً، تقرب اللهُ إليه ذِرَاعاً، ومَنْ تقرَّبَ إليه ذِرَاعاً، تقرب المولىٰ الجوادُ الكريمُ إليه باعاً، ارجعوا إلىٰ ربِّكم، فأَدُّوا ما أوجبَ اللهُ عليكم، من الحقوقِ التي له والحقوق التي لعباده، من حقوق النفس والأولاد والأهل والعاملين، ارجعوا إلىٰ ربِّكم، فأقلعوا عن المعاصي، وانْدَمُوا علىٰ فِعْلِها، فإنكم إنما تَعْصُون مَنْ هو بكل شيء عليمٌ، ومَنْ إذا أَخَذَ الظالمَ لم يُفْلِتْه ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢]، إن الذي يَعْصِي منكم، إنما يَعْصِي إلهاً عظيماً قوياً قهاراً، لا يَخْفَىٰ عليه ما عَمِلْتُم، سِراً ولا جِهاراً، يعلمُ خائنةَ الأعين، وما تُخْفِي الصدورُ، واجتنبوا رَحِمَكم اللهُ، العداوةَ والبغضاءَ، فإن بَعْضَ الناسِ قد يكونُ بينَه وبينَ أخيه شيءٌ من سُوءِ التفاهم، أو الخلافِ في الرأي، أو شيءٍ من أمورِ الدنيا، وهذا خطأٌ كبيرٌ، فالأمرُ الدنيويُّ، لا يكونُ سبباً للعداوةِ والبغضاءِ، والأمرُ الديني، يَجِبُ علىٰ الجميع أن يتفقوا عليه من غيرِ نزاعٍ متىٰ ظَهَر الحق لهم، فإنَّ الحقَّ ضالةُ المؤمنِ، أينما وجَدَه أخذَ به، وليكنْ هدفُكم دائماً جميعاً، إقامةَ الدينِ والنفعَ العمومي للمسلمين، واجتمعوا رَحِمَكم اللهُ علىٰ هذه الأهدافِ، قبلَ فَوَاتِ الفُرصِ، وحُلولِ الندامةِ، واسْلُكُوا كُلَّ مَسْلَكٍ لتحقيقِ هذا الغرضِ وإنْ

صَعُبَ علىٰ النفوسِ، فإن سُلَّمَ العُلَىٰ سلوك الصِعَابِ، ونحن نَعْرِفُ أن النفوس الأمارةَ بالسُّوءِ، قد تَرِيدُ انتصارَها بالحقِّ، وبغيرِ الحقِّ، ولكنَّ العاقلَ المؤمنَ يكبَحُ النفس عن هَوَاها، وينظرُ في المصالح والمفاسد، فيأخذ بأعلىٰ المصلحتينِ عن أدْنَاهما، ويدفعُ أعظمَ المَفْسدَتين ضرراً بأدناهما، فأصلحوا ذاتَ بينِكم، وانفعوا إخوانكم بالصدقةِ والإحسانِ، فإنَّ اللهَ يجزي المتصدقين، وأكثْرُوا من الاستغفارِ والتوبةِ، فإنَّ مَنْ لَزِمَ الاستغفارَ جعلَ اللهُ له من كُلِّ هَمٍّ فَرَجاً، ومن كُلِّ ضِيقٍ مخرجاً، وسيدُ الاستغفارِ، أن يقولَ العبدُ: اللهم أنتَ ربِّي، لا إلٰهَ إلا أنت، خَلَقْتَنِي وأنا عبدُك، وأنا علىٰ عهدِك، ووَعْدِك ما استعطتُ، أعوذُ بك من شَرِّ ما صنعتُ، أبَوُءُ لك بنعمتِك عَلَيَّ، وأبُوءُ بذنبي فاغفْر لي، إنه لا يغفرُ الذنوبَ إلا أنت، فإن مَنْ قالَها في النهارِ مُوقِناً بها، فماتَ مِنْ يومِه دخلَ الجنةَ، ومَنْ قالَها في الليلِ مُوقِناً بها، فماتَ في ليلتِه دخلَ الجنةَ، وقال النبيُّ ﷺ: «إني لأَستغفِرُ اللهَ، وأَتوبُ إليه في اليوم، أكثرَ من سبعين مرة»[(١)]، أعوذُ باللهِ من الشيطانِ الرجيم: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ۝٣ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [هود: ٣-٤].

بارك اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا واستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيمُ.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٠٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أسباب المعاصي

الحمدُ للهِ غافِرِ الذنبِ، وقابلِ التوبِ، شديدِ العقابِ، ذي الطَوْلِ، لا إلٰهَ إلا هو، إليه المصيرُ. وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له. له الملكُ وله الحمدُ، وهو علىٰ كل شيء قديرٌ. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، البشيرُ النذيرُ، والسراجُ المنيرُ. صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه، ومَنْ تَبِعَهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الجزاءِ والمصيرِ، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: أيها الإخوةُ المؤمنون. فقد ذَكَرْنا سابقاً أن ما يُصِيبُ الناسَ مِن المصائبِ العامةِ أو الخاصةِ، الفرديةِ أو الجماعيةِ. فإنه بما كَسَبَتْ أَيْدِيهم، هُمْ أسبابُه، وهُمْ أهلُه. هُمْ أسبابُه حيثُ فَعَلوُا ما يُوجِبُه، وهُمْ أهلُه حيثُ كانوا مستحقين له ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الزخرف: ٧٦]. وبَرْهَنَّا علىٰ ذلك من كتابِ اللهِ تعالىٰ، وسُنَةِ رسولِه ﷺ.

ولكن ما دواءُ ذلك؟ وهل يمكنُ رَفْعُ ما وَقَع، أو رفعُه ودَفْعُ ما يُتَوقَّعُ؟

والجوابُ: أن ذلك ممكنٌ، فإن اللهَ تعالىٰ، ما أنزل داءً إلا أنزلَ له دواءً. فإذا شُخِّصَ المرضُ وعُرِفَ سببُه سَهُلَ الوصولُ إلىٰ دَوَائِه، وإن هذه المصائبَ التي سببُها الذنوبُ والمعاصِي تَرْتَفِعُ أو تترقعُ، ويُدْفَعُ منها ما يُتوقعُ بالرجوعِ إلىٰ اللهِ تعالىٰ، رُجُوعاً حقيقياً بأداءِ الواجبات والإقلاعِ عن المحرماتِ. واللجوءِ إليه بالدعاءِ في

أوقاتِ الإجابةِ وأحوالِ الإجابةِ، في أوقاتِ الإجابة مثلِ آخرِ الليلِ وما بينَ الأذانِ والإقامةِ.

وفي أحوالِ الإجابةِ بأن نَدْعُو اللهَ تعالىٰ دُعَاءَ مُضْطَرٍّ، يُشْعِرُ بأنه في غايةِ الافتقارِ إلىٰ اللهِ تعالىٰ. وأن نُكْثِرَ من الدعاءِ حالَ السجودِ بعدَ قول سبحانَ ربي الأعلىٰ علىٰ الوجهِ الوارِدِ، لقول النبيِّ ﷺ: «**وأما السجودُ فأَكْثِرُوا فيه من الدعاءِ، فقمنٌ أن يُسْتَجابَ لكم**». أي حَرِيٌّ أن يُستجابَ لكم[(١)].

أيها المسملون: إن كُلَّ عاقلٍ مؤمنٍ باللهِ ورسولِه، مُقْبَلٍ علىٰ تَدَبُّرِ كتابِ اللهِ وسنةِ رسولِه ﷺ، لا بُدَّ أن تُحْدِثَ له المصائبُ إحساساً وشعوراً بالخطأ وتنبيهاً للتوبةِ النَصُوحِ التي يمحو اللهُ بها ما سَلَفَ من الخطايا، ويرفعُ بها ما حلَّ من البلايا، ويدفعُ بها ما يُتَوقَعُ من الرزايا. لا بُدَّ أن تغيرَ مسارَه من سَيِّءٍ إلىٰ حسَنٍ، ومن حَسَنٍ إلىٰ أحْسَنَ، إن كان عاقلاً مُؤْمِناً حَييَّ القلبِ ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧]. أما الغافلُ ضعيف ميتُ القلبِ، فلن تُغْنِيَ عنه الآياتُ شيئاً ﴿وَمَا تُغْنِي ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١].

أيها المسلمون: تُوبُوا إلىٰ ربِّكم توبةً نَصُوحاً ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]، توبوا إلىٰ اللهِ فإن اللهَ يُحِبُّ التوابين، استغفروه من ذُنُوبِكم، فإنه خيرُ الغافرين،

---

(١) أخرجه مسلم (٤٧٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

إن التوبة ليست مجردَ قولٍ باللسانِ. ولكنها عَمَلٌ بالقلبِ، ونُطْقٌ باللسانِ، وحركةٌ بالجوارحِ والأركانِ. إنها عَمَلٌ بالقلبِ، إخلاصٌ للهِ تعالىٰ، لا يَحْمِلُ عليها إلا الإخلاصُ للهِ تعالىٰ، رغبةً في ثَوَابِه، وهَرَباً من عقابِه.

إنها عَمَلٌ بالقلبِ، نَدَمٌ علىٰ ما فَرَّطَ العبدُ في جَنْبِ الله، علىٰ ما أَهْمَلَ من أوامرِ اللهِ، علىٰ ما انتهكَ من معاصِي اللهِ، إنها نَدَمٌ وانكِسارٌ بين يَدَي اللهِ تعالىٰ، يُشْعِرُ التائبَ بالخَجَلِ أمامَ ربِّه وخالقِه. إنها قولٌ باللسان يُعْلِنُ فيها التائبُ بقوله النابعِ من قلبه: «اللهم تُبْ عليَّ، واغفرْ لي إنك أنت التواب الرحيم». فها هو نبيُّنا ﷺ الذي غَفَرَ اللهُ له ما تَقَدَّم من ذنبِهِ وما تأخرَ. يقولُ: **«واللهِ إني لأستغفرُ اللهَ وأتوبُ إليه في اليوم أكثرَ من سبعين مرةً»**[1]. أخرجه البخاريُ من حديث أبي هريرةَ رضي الله عنه.

إن التوبةَ عَمَلٌ بالأركانِ، يُقْلِعُ بها التائبُ عن المعاصِي، ويقومُ بها بالواجباتِ. فلا توبةَ مع الإصرارِ، ولا نَدَمَ مع الاستكبارِ. كيف تَصِحُّ توبةٌ عن تَرْكِ الصلاة وهو مُصِرٌّ علىٰ تَرْكِها؟ بل ربما تَمَادَىٰ به الطغيانُ، إلىٰ أن يَسْخَرَ بمَنْ يُقِيمَ الصلاةَ ويَعتبرُ إقامتَها تخلفاً ورجعيةً؟! وكيف تَصِحُّ توبةُ مَنْ بَخِلَ بالزكاةِ، وهو مُصِرٌّ علىٰ مَنْعِها؟ بل ربما اعتقدَ أنها ضريبةٌ وغرامةٌ، وهو يُنفِقُ الكثيرَ من مالِه في غيرِ مرضاةِ الله تعالىٰ؟

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٠٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

كيفَ تَصِحُّ توبةُ المرابي وهو مُقِيمٌ علىٰ الربا؟ كيف تصحُّ توبةُالغاشِّ في بيعِه وشرائِه، وسائرِ معاملاتِه، وهو مُقِيمٌ علىٰ غِشِّهِ وخِيانَتِه؟ كيف تَصِحُّ توبةُ المُرْتَشِي الذي يَطْلُبُ الرِّشْوةَ علىٰ عَمَلٍ مُكَلَّفٍ به، مُلْزَمٍ بأدائِه، وهو لا يزالُ يَرْتَشِي ويَطْلُبُ الرَّشْوةَ؟ كيف تَصِحُّ التوبةُ مِمَّنْ يغتابُ الناسَ ويأكلُ لُحومَهم وهو مُصِرٌّ علىٰ الغيبة؟

كيف تَصِحُّ التوبةُ مِنْ شَخْصٍ يَمْشِي بينَ الناسِ بالنميمةِ ولا يزالُ يَسْعَىٰ بالإفسادِ بينَهم، كيف تَصِحُّ التوبةُ من الكَذِبِ وهو لا يزالُ يكْذِبُ؟ كيف تَصِحُّ التوبةُ من المماطلة في حقوق الناس وهو لا يزال يُماطلهم كيف تَصِحُّ التوبةُ من شَخْصٍ يَمْنَعُ الحقوقَ التي عليه لأهلِه من زوجاتٍ وأقاربَ، وهو مُصِرٌّ علىٰ منع هذه الحقوق؟

كيف تَصِحُّ التوبةُ من التقصيرِ في رعايةِ أهلِه، وهو مُصِرٌّ علىٰ ذلك، لا يكادُ يأمرُهم بمعروفٍ، ولا يكادُ ينهاهم عن مُنْكَرٍ، يعلمهم نائمين في فُرُشِهم عن الصلاة فلا يُوقِظُهم، يَرَاهم يُضَيِّعون أوقاتَهم بما لا فائدةَ فيه فلا يُرْشِدُهم، يرىٰ النساءَ من أهلِه يخْرُجْنَ إلىٰ الأسواقِ بدون حاجةٍ، فلا يُرْشِدُهنَّ، يعلمُ بهن يَخْرُجْنَ متبرجاتٍ بالطِيبِ والزينةِ فلا يَمْنَعُهُنَّ، يَعلمُهنَّ يتراخين في الحِجَابِ، فلا يَستُرن وجوهَهن، إلا بِسِتْرٍ غيرِ كافٍ، فلا يَزْجُرُهُنَّ؟

كيف تَصحُّ التوبةُ مِنْ شَخْصٍ يأكلُ أموالَ الناسِ بالباطلِ، تارةً بِجَحْدِ ما يَجِبُ عليه وتارةً بادعاء ما ليس له، وهو مُصِرٌّ علىٰ ذلك.

إن أمْرَ هؤلاءِ لَعَجَبٌ، إنهم إلىٰ السخريةِ أقربُ منهم إلىٰ الجَدِّ.

فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ، وتُوبُوا إلىٰ ربِّكم واحْذَرُوا أن يُصِيبَكم ما جاء في الحديثِ «**ما ظَهَرَتِ الفاحشةُ في قَوْمٍ قَطُّ، حتىٰ يُعْلِنُوا بها إلا فَشَا فيهم الأوجاعُ التي لم تَكُنْ في أسلافِهم، ولم يَنْقُصُوا المكيالَ والميزانَ، إلا أُخِذُوا بالسنينَ، وشِدَّةِ المَؤُونةِ، وجَوْرِ السلطانِ، ولم يَمْنَعُوا زَكاةَ أموالِهم إلا مُنِعُوا القَطْرَ من السماءِ، ولولا البهائمُ لم يُمْطَرُوا، ولا نقضوا عَهْدَ اللهِ ورسولِه، إلا سَلَّطَ اللهُ عليهم عَدُواً من غيرِهم فيأخذُ بعضَ ما في أيديهم، وما لم تَحْكُمْ أئمتُهم بكتاب الله تعالىٰ، إلا جَعلَ بأسَهم بينَهم**»(١).

أيها الناس: تُوبُوا إلىٰ اللهِ قبلَ أن يُغْلَقَ البابُ. فإنَّ اللهَ تعالىٰ، يقبلُ التوبةَ ما لم يَحْضُرِ الأجلُ، فإذا حَضَرَ الأجلُ فلا توبةَ. قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ﴾ [النساء: ١٧]. وقال تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [المؤمنون: ١٠٠].

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٠١٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

اللهم وَفِّقْنا للتوبةِ النصوحِ التي تَمْحُوا بها ما سَلَفَ من ذُنُوبنا ووفِّقْنا للعملِ الصالحِ الذي تَرْضَىٰ به عَنَّا. اللهم قِنَا شَرَّ الفتنِ ما ظهرَ منها وما بطنَ. اللهم أصْلِحْ وُلاةَ أمورِنا. اللهم وفِّقْهم لما فيه صلاحُ البلادِ والعبادِ. اللهم انصرْهم بالإسلامِ، وانصر الإسلامَ بهم، إنك علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمين. وصلّىٰ الله وسلّم علىٰ نبينا محمد، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

* * *

شرحُ قولِ النبيِّ ﷺ «يُصبحُ علىٰ كلِّ سُلامىٰ من الناس صدقةٌ»

الحمدُ للهِ الذي أتم علينا نعمتَه، وأكملَ لنا الدينَ، وشرَعَ لنا من الأعمالِ الصالحاتِ أنواعاً وأصنافاً لنتقرب بها إلىٰ ربِّ العالمين. ونشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، أكرمُ الأكرمين. ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المصطفىٰ علىٰ جميعِ المرسلين، صلَّىٰ اللهُ عليه، وعلىٰ آلِه وأصحابه والتابعين لهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدين، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها المؤمنون: اتقوا اللهَ واعلموا أنَّ الإنسانَ إذا أصبحَ كان عليه لكل عَظْمٍ من عِظَامِهِ صدقةٌ، لكنها صدقةٌ لا تختصُ بالمالِ، بل تَعُمَّ جميعَ ما يُقرِّبُ إلىٰ اللهِ، من الأقوالِ والأعمالِ، ففي الصحيحينِ عن النبيِّ ﷺ، أنه قال: «**كُلُّ سُلاَمَيَ من الناسِ عليه صَدَقةٌ، كُلَّ يومٍ تطلع فيه الشمسُ** ثم بيَّنَ نوعَ هذه الصدقةِ، فقال: «**تَعْدِلُ بينَ اثنين صدقةٌ وتُعينُ الرجلَ في دابته فتحملُه عليها، أو تَرْفَعُ له عليها متاعه صدقةٌ، والكلمةُ الطيبةُ صدقةٌ، وبكلِّ خطوةٍ تمشيها إلىٰ الصلاة صدقةٌ، وتُمِيطُ الأذىٰ عن الطريقِ صدقةٌ**»[1].

فجعل النبيُّ ﷺ العدلَ بين الاثنين صدقةً، فمَنْ عدلَ بين اثنين في

---

(١) أخرجه مسلم (١٠٠٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

القضاءِ بينهما فهو صدقة، ومَنْ عدلَ بينهما فأصلح بينهما فهو صدقةٌ، ومَنْ عدلَ بين أولادِه فيما يجِبُ عليه العدلُ فيه بينهم فهو صدقةٌ، ومَنْ عدلَ بين زوجتيه في القَسْمِ فهو صدقةٌ، وجعل النبيُّ ﷺ إعانة الرجلِ في دابته صدقةً، فمَنْ وجدَ رجلاً لا يستطيعُ الركوبَ علىٰ دابته فأمْسكَها حتىٰ يركبَ، أو حمَلَه عليها فذلك صدقةٌ، ومَنْ وجدَ شَخْصاً يُرِيدُ أنْ يحمل علىٰ دابته شيئاً فساعده علىٰ حَمْلِه أو أمسكَ الدابةَ له فهو صدقةٌ، وجعل النبيُّ ﷺ الكلمةَ الطيبةَ صدقةً، والكلمةُ الطيبةُ تشملُ كُلَّ قولٍ يُقَرِّبُ إلىٰ اللهِ تعالىٰ، فالأمرُ بالمعروف صدقةٌ، والنهيُ عن المنكرِ صدقةٌ، وبكل تسبيحةٍ أو تكبيرةٍ أو تهليلةٍ صدقةٌ، وتعليمُ العِلْمِ النافعِ صدقةٌ، وابتداءُ السلامِ وردُّه صدقةٌ، وجعل النبيُ ﷺ بكل خطوةٍ يَخْطُوها العبدُ إلىٰ الصلاةِ صدقةً، وكلما بَعُدَتْ طريقُ الصلاةِ كانت الصدقاتُ أكثرَ، وهذا من أكبرِ فضائلِ صلاةِ الجماعةِ في المساجدِ، وجعل النبيُ ﷺ إزالةَ الأذىٰ عن الطريق صدقةً، فمَنْ عزَلَ حَجَراً أو شَوْكةً أو عَظْماً عن طريقِ الناسِ فذلك صدقةٌ يُثابُ عليها ويُؤْجَرُ عليها، وفي الصحيحِ من حديثِ أبي هريرةَ رضي الله عنه، أن النبيَّ ﷺ، قال: «**مَرَّ رجلٌ بغُصْنِ شَجَرةٍ علىٰ ظَهْرِ طريق، فقال: واللهِ لأُنَحِّيَنَّ عن المسلمين لا يُؤْذِيهم فأَدخلُ الجنةَ**»[1]. وفي رواية: «لقد رأيت

(١) أخرجه مسلم (١٩١٤) (١٢٨) بإثر (٢٦١٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

رجلاً يتقلَّبُ في الجنةِ ـ أي يروحُ فيها ويَجيءُ كما شاء ـ في شجرةٍ قَطَعَها من ظَهْرِ الطريقِ، كانت تُؤْذِي الناسَ»، وفي رواية: «بينما رجلٌ يمشي بطريقٍ وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ علىٰ الطريقِ فأَخَّرَهُ، فشكرَ اللهُ له فغفَرَ له»(١). ويدخلُ في إماطةِ الأذىٰ عن الطريق تسهيلُ الطرقاتِ الضيقةِ التي تَشُقُّ علىٰ من سلَكَها وتُؤْذِيهم، فإنَّ إصلاحَها وتسهيلَها إزالةٌ لأذاها ومشقَّتِها، فمن ساهم في ذلك بمالِه أو بدنِه فقد فَعَلَ خيراً، ومَنْ يفعلْ ذلك ابتغاءَ مرضاةِ الله، والإحسانِ إلىٰ عبادِ الله فسوف يَلْقَىٰ الذِّكْرَ الطيبَ في الدنيا، والثوابَ الجزيلَ في الأخرىٰ إن شاء اللهُ.

وفقني اللهُ وإياكم إلىٰ المسارعةِ في الخيراتِ، والمساهمةِ في جميعِ المشاريعِ النافعةِ، وجعل عملَنا خالصاً لوجهِه موافقاً لمرضاتِه، إنه قريبٌ مجيبُ الدعواتِ، أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤].

بارك اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيك، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا واستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيمُ.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٢)، ومسلم (١٩١٤) (١٦٤)، و(١٩١٤) (١٢٧) بإثر (٢٦١٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

التحذير من إطلاق اللسان

الحمدُ للهِ الذي خَلَق الإنسانَ، ويعلمُ ما تُوَسْوِسُ به نفسُه، وهو أقربُ إليه من حَبْلِ الوريدِ، إذ يتلقّىٰ المتلقيان عن اليمينِ وعن الشمالِ قعيدٌ، ما يَلْفِظُ من قولٍ إلا لديه رقيبٌ عتيدٌ. ونشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، له الملكُ وله الحمدُ، وهو علىٰ كلِّ شيءٍ شهيدٌ. ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أشرفُ العبيدِ، صلَّىٰ اللهُ عليه، وعلىٰ آلِه وأصحابِه، ومَنْ تَبِعَهم بإحسانٍ، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ واعلموا أنه ما من أَحَدٍ منكم إلا وقد وَكَّلَ اللهُ به مَلَكين، أحدُهما عن اليمينِ، والثاني عن الشمالِ. أحدُهما مأمورٌ بكَتْبِ الحسناتِ، والثاني مأمورٌ بكَتْبِ السيئات، فما تَلْفِظُونَ من قَوْلٍ وما تَعْمَلُون من عَمَلٍ إلا كُتِبَ عليكم، وأُحْصِي عليكم إحصاءً لا يُغَادِرُ صغيرةً ولا كبيرةً، سواءٌ تلفظتم بذلك جَهْراً أو سِرّاً، وسواءٌ فعلتموا الفعل خِفْيَةً أو علانيةً، فكُلُّ ذلك يُكْتَبُ عليكم ويُحْصَىٰ، ثم تُنَبَّئُونَ بما عَمِلتم يومَ القيامة، ويُعْطَىٰ كُلُّ إنسانٍ كتابَه، فيقال: اقرأ كتابَك كفىٰ بنفسِك اليوم عليك حسيباً، فطُوبَىٰ لعبدٍ مُلِىءَ كتابُه بالخير والأعمالِ الصالحاتِ، وبُؤْساً لعبدٍ سَوَّد كتابَه بالشرِّ والأعمال السيئاتِ.

أيها الناسُ: كُلُّنا نؤمنُ بذلك إن شاء اللهُ، نؤمن بأن ما عَمِلْنا من قولٍ أو فِعْلٍ، فإنه مكتوبٌ مُحْصىً، سواءٌ كان صغيراً أو كبيراً،

ولكنَّ الكثيرَ منّا يعملون العملَ جُزَافاً، كأنه غيرُ مكتوبٍ عليهم يُطلقون الكلامَ القبيحَ من غيرِ مبالاة، يَلْعَنُون مَنْ لا يستحقُّ اللعنَ، تَجِدُ الواحدَ منهم يَلْعَنُ أخاه المسلمَ، وربما لَعَن أخاه لأبيه وأُمه، وربما لَعَنَ ولدَه أو أُمَّه أو أباه، وهذا غايةُ ما يكونُ من الجهلِ والحماقةِ، فقد ثبت أن النبيَّ ﷺ، قال: «**إنَّ اللعَّانين لا يكونون شُفَعَاءَ، ولا شُهَدَاءَ يومَ القيامة**»[1]. وفي الحديثِ عنه أنه قال: «**إن العبدَ إذا لَعَنَ شيئاً صَعَدَتِ اللعنةُ إلىٰ السماءِ، فتُغْلَقُ أبوابُ السماءِ دُونَها، ثم تَهْبِطُ إلىٰ الأرض فتُغْلَقُ أبوابُها دُونَها، ثم تأخذ يميناً وشمالاً، فإنْ لم تَجِدْ مَسَاغاً رجَعَتْ إلىٰ الذي لَعَن، فإنْ كان أَهْلاً وإلا رَجَعَت إلىٰ قائِلِها**»[2]. وتجدُ الواحدَ من الناس يَسُبُّ أخاه عند المخاصمةِ سَباً قبيحاً، قد يكونُ متصفاً به، وقد يكون غيرَ متصفٍ به، وفي الحديث عن النبيِّ ﷺ، أنه قال: «**المتسابان ما قالاه فعلىٰ البادىءِ منهما حتىٰ يتعدىٰ المظلومُ**»[3]. يعني أن إثم المتسابين يكون علىٰ من ابتدأ السب أولاً إلا أن يعتدي المظلومُ، وتجدُ بعضَ الناسِ يتكلمُ بأخيه بما يكرهُ وهو غيرُ حاضر، فيسبُّه في غَيبتِه، وهذه هي الغيبةُ التي شاعت عندَ كثيرٍ من الناس وتهاونوا بها مع أنها من كبائر الذنوب، وقد شَبَّه اللهُ مَنْ يغتابُ الرجلَ بمَنْ يأكلُ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٩٨) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٩٠٥) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٤٢٣)، ومسلم (٢٥٨٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

لحمَه مَيْتاً، وفي الحديث عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**يا معشرَ مَنْ آمن بلسانِه ولم يدخلِ الإيمانُ قلبَه لا تغتابوا المسلمين ولا تَتَبَّعُوا عَوْرَاتِهم، فإنه مَنْ يتبع عَوْرَاتِهم يتبع الله عَوْرَتَه، ومَنْ يتبعِ اللهُ عَوْرَتَه يفضحْه في بيتِهِ**»[1]. وفي حديث آخر «**يفضحه ولو في جَوْفِ رَحْلِه**».

أيها الناسُ: ما أكثرَ هؤلاء اليوم! ما أكثرَ مَنْ يتبعون عَوْرَاتِ الناسِ ويتطلبون زَلاَّتِهم! فإذا رأوا زلةً من أحدٍ فَرِحوا بها ونَشَرُوها، وإذا رَأَوْا استقامةً ومَفْخَرةً كتموها وحَمَلُوها علىٰ غَيْرِ مَحِلِّها، وهؤلاءِ هم الذين عناهم الرسولُ ﷺ بقوله: «**يا معشر مَنْ آمن بلسانِه ولم يدخلِ الإيمانُ قلبَه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عَوْرَاتِهم**».

فاتقوا اللهَ أيها المسلمون، وحاسبوا أنفسَكم علىٰ ما تقولون وما تفعلون، فإنكم عن ذلك مسؤولون وعليه محاسبون، واللهُ يعلمُ ما تُسِرُّون وما تُعلنون، إنه عليمٌ بذات الصدورِ.

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ﴾[الانفطار: ٩]، ﴿وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ [الانفطار: ١٩].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا واستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيمُ.

---

(١) أخرجه أحمد ٤/ ٤٢٠، وأبو داود (٤٨٨٠)، من حديث أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه. وفي الباب عن ابن عمر رضي الله عنهما عند الترمذي (٢٠٣٢).

كيف ينظرُ العبدُ إلىٰ نِعم الله تعالىٰ

الحمدُ للهِ الذي فَاوَتَ بينَ خَلْقِه في تقديرِه وتدبيره، لِيَبْلُوَهم أيُّهم أَحْسَنُ عَمَلاً، وأحْكَمُ تَصَرُّفاً في شؤونِه وأمورِه. ونشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، الحكيمُ في شَرْعِه وخَلْقِه، عسيرِ ما قدَّرَهُ ويَسيره ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أكملُ الناس شُكْراً عندَ النِّعَمِ، وأقواهم صَبْراً عندَ الشدائدِ والبلاءِ. صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه، ومَنْ تَبِعهم بإحسان إلىٰ يومِ الدين والجزاء، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ: فقد قال ﷺ: «**انظروا إلىٰ مَنْ هُوَ دوُنَكم، ولا تَنْظُرُوا إلىٰ مَنْ هُوَ فَوْقَكم، فإنَّ ذلك أجْدَرُ أنْ لا تَزْدَرُوا نِعمةَ اللهِ عليكم**»[1].

أيها الناسُ: إنكم لن تستطيعوا أنْ تُحْصُوا نِعمةَ اللهِ عليكم، لا نعمةَ الدين، ولا نعمةَ الدنيا. لن تستطيعوا أن تُحْصُوا ما مَنَحَكم اللهُ تعالىٰ من الصِّحَّةِ، والعافيةِ، والرزقِ، والأموالِ والأولادِ. لن تَسْتطِيعُوا أن تُحْصُوا ما دَفَع اللهُ عليكم من النقَمِ التي شاهدتم أسباب وُقُوعِها، ثم صَرَفَها عنكم والتي لم تشاهدوا أسبابَها، فصرفها اللهُ عنكم وأنتم لا تعلمون.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٩٠)، ومسلم (٢٩٦٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أيها الناسُ: إنَّ نعمةً واحدة من نِعَمِ اللهِ عليكم، لا تستطيعون أن تُحْصُوها، فهذا النَّفَسُ يكونُ في الدقيقةِ الواحدةِ من اثنتي عشرة مرةً إلىٰ خَمْسَ عشرة مرةً، وهذه نَبَضَاتُ القلبِ التي تُوزِّعُ الدمَ النَقِيَّ علىٰ كُلِّ جُزْءٍ من أجزاءِ البدن، وتستردُ الدمَ الرَدِيءَ ليكونَ دماً نقياً مرةً أخرىٰ.

هذه النَبَضَاتُ يكونُ في الدقيقةِ الواحدةِ منها ثِنْتانِ وسبعون مرةً، وهذه نِعْمَةُ العَقْل والسَّمْعِ والبَصَرِ، والطعامِ والنكاحِ، وغيرِها من النعَمِ التي لا نُحْصِيها، كلُّها من فضَلِ اللهِ علينا وإحسانِه، وليست بِحَوْلِنا ولا قُوتِنا. إذ لا نستطيعُ تحصيلَها بأنفسِنا لو فُقِدَت، ولا والمحافظةَ علىٰ بقاء الموجود منها لو أراد اللهُ أن يسلبَه منّا.

فعلينا أيها المسلمون أن نعترفَ للهِ بالفضلِ، وأن نستعملَ نِعْمَتَه فيما يُرضِيه عنا، وأن لا ننظرَ إلىٰ هذه النِّعَمِ بعينِ الازدراءِ والاحتقارِ، فإن إنكارَ النِّعَمِ وكُفْرَها سببٌ لحُلُولِ النقَمِ وخَرَابِ الديارِ.

أيها المسلمون: لقد أرشدَنا نبيُّنا ﷺ في هذا الحديثِ الجليلِ إلىٰ أعظمِ الطرقِ، وأقومِ السُّبلِ لمعرفةِ نِعَمِ اللهِ علينا. حيث أمرَنا أن ننظرَ إلىٰ مَنْ هو دُونَنَا لا إلىٰ مَنْ هُوَ فوقَنا، لأننا إذا نظرْنا هذه النظرةَ، عَرَفْنا بذلك قَدْرَ نعمةِ اللهِ، وكبُرَتِ النعمةُ في نفوسِنا.

فمَنْ أعطاهُ اللهُ مالاً بقَدْرِ قوتِه، فلينظره إلىٰ الفقيرِ الذي لا يَجدُ كِفَايَته. ومَنْ كان فَقيراً فلينظُر إلىٰ مَنْ هُوَ أفقرُ منه، وإذا كان أولادُك قليلين، فانظرْ إلىٰ من لا أولاد له. وإذا كنت ضَعِيفاً في

جِسْمِك، فانظر إلىٰ مَنْ كان مَرِيضاً عاجزاً. وإذا كان لك سمعٌ قليلٌ، فانظرْ إلىٰ الأَصَمِّ الذي لا يسمعُ أبداً. وإذا كنت قليلَ الإبصارِ، فانظرْ إلىٰ فَاقدِ البصرِ. وإذا كنت أعْرَجَ، فانظر إلىٰ مَنْ لا يَمْشِي أبداً.

وهكذا جميعُ النِّعَمِ، إذا كنت تَرَاها ناقصةً في حَقِّك، فانظرْ إلىٰ مَنْ هُوَ أَنْقَصُ منك فيها، يتبينُ لك قَدْرُ نعمةِ اللهِ، وكذلك المصائبُ إذا أُصبتَ بمصيبةٍ وأردت أن تَهُونَ عليك، فانظرْ إلىٰ مَنْ أُصِيبَ بما هو أعظمُ.

وأعلم أيها العاقلُ، أنَّ الدنيا اسمٌ طابق مُسَمَّاه، ووَصْفٌ لا يتعدىٰ موصوفَه. فهي دنيا ناقصةٌ، ليس فيها شيءٌ يكون كاملاً. فاعتبروا أيها العقلاءُ، واتقوا اللهَ تعالىٰ، وانظروا إلـىٰ نِعَمِهِ نَظَرَ مَنْ يُجِلُّها ويُعَظِّمُها، وَيَراها مِنةً من اللهِ عليه، لعلكم تقومون بشُكْرِها.

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: قال الله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٢-٣٤].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافةِ المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيمُ.

انهماكُ الناسِ في الدنيا وتحصيل المال

الحمدُ للهِ الذي خَلَقَ للعباد دارين، دارَ عَمَلٍ واكْتِسَابٍ، ودارَ جَزَاءٍ وثوابٍ، فدارُ العملِ والاكتسابِ هي الحياةُ الدنيا، جعلَها اللهُ عُبُوراً للعبادِ، ومَزْرَعةً يَحْصِدُون ما زَرَعوا فيها يومَ يقومُ الأشهادُ، وحينئذٍ يتبينُ ربحُ التجارة من الكسادِ، أما دارُ الجزاءِ والثوابِ فهي الدارُ الآخرةُ، والحياةُ الباقيةُ إما في جنةٍ وإما في نارٍ، ونشهدُ أن لا إلٰهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، له الملك وله الحمد، وله العزة والاقتدارُ. ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المصطفىٰ المختارُ، صلَّىٰ اللهُ عليه، وعلىٰ آلِه وأصحابِه، ومَنْ تَبِعَهم بإحسان آناءَ الليلِ والنهارِ، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واعْرِفُوا ما لأجلِه خُلِقْتُم، وماذا تَصِيرون إليه إذا أنتم مِتُّمْ، فَكِّروا في هذه الدنيا وأحوالِها وتقلباتها، تَجِدُوها غُروراً وباطلاً، ولهواً ولَعِباً ولَحَظاتٍ تمرُّ سريعاً، وتمضي جميعاً قِيسُوا ما يُستقبلُ منها بما مَضَىٰ، واعتبروا يا أولي الأبصارِ.

أليس فينا مَعْشَرَ الحاضرين مَنْ عَمَّرَ طويلاً، ومَنْ كان صَغِيراً، وكُلُّنا بالنسبةِ لما مَضَىٰ واحدٌ، فكلُّ ما مَضَىٰ من زمنٍ طويلٍ، فكأنه أحلامُ نائمٍ أو خيالُ هائمٍ، والإنسانُ في اللحظةِ التي هو فيها.

هذه أيها الناسُ حقيقةُ الدنيا، فكيف يَلِيقُ بالعاقلِ أن تكونَ أكبر همِّه! كيف يَليقُ به أن يُقَدِّمَها علىٰ الآخرة! كيف يَلِيقُ به أن يشغلَ

قلبَه وفِكْرَه وجِسْمَه في الحصول عليها وهو عَنِ الآخرةِ في إعراضٍ!

إنَّ كثيراً من الناس قد انهمَكَ في الدنيا، حتىٰ صارْت أكبرَ هَمِّه، ومَبْلَغَ عِلْمِه، يجمعُ المالَ لا يُبَالِي من أينَ جَمَعه؟ ويُسْرِفُ في إنفاقِه علىٰ وَجْهٍ غيرِ مشروعٍ، لا يُبَالِي كيف أنفقَه؟ كأنه خُلِقَ في هذه الدنيا لِيَخْلُدَ، وليتناولَ ما شاء من شهواتِه، ولو كان في غَضَبِ الله. إن باع أو اشترىٰ، فكذِبٌ وخِداعٌ وغِشٌّ، وإن صَنَعَ شيئاً لأحدٍ لم يُؤَدِّ فيه الأمانةَ، وإن صار في وظيفةٍ أضاعَها وأهملَها، يتقاضىٰ راتبَها ولا يُؤَدِّي عملَها كاملاً، وجديرٌ بمَنْ يأكلُ الأموالَ بمثلِ هذه الأمورِ أن يسمىٰ السارقَ الخَفِيَّ.

أيها الناسُ: إن اتجاهاتِ الناسِ وأغراضَهم كثيرةٌ، فمنهم من يريدُ المالَ ويسعىٰ لتحصيلِه ولو بالطرقِ المحرمةِ، ومنهم من يُريدُ الجاهَ والرئاسةَ والعلوَّ علىٰ الخلقِ، ومنهم من يريدُ السيطرةَ علىٰ الناس بحقٍّ أو بغيرِ حقٍّ، ومنهم من يريدُ اللهوَ بالأغاني والألعابَ وغيرَها، فيَصُدُّ عن ذكرِ اللهِ وعن الصلاةِ، إلىٰ غيرَ ذلك من الأغراض الدنيوية.

ولقد قال النبيُّ ﷺ، مبيناً حال هؤلاء وأمثالَهم: «**تَعِسَ عبدُ الدينار تَعِسَ عبدُ الدرهم، تَعِسَ عبدُ الخَمِيلةِ، تَعِسَ عبدُ الخَمِيصةِ، إن أُعْطِيَ رَضِيَ، وإن لم يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وانْتَكَسَ وإذا شِيكَ فلا انْتَقَشَ، طُوبَىٰ لعبدٍ آخذٍ بعِنَانِ فَرَسهِ في سبيلِ اللهِ أشعثَ رأسُهُ مُغبرَّةً قَدَماه، إن**

كان في الحراسة كان في الحراسةِ، وإن كان في الساقةِ كان في الساقةِ، إن شَفَعَ لم يُشَفَّعْ، وإن استأذَنَ لم يُؤْذَنْ له»[١].

أيها الناس: إنه لم يُطْلَبْ منكم أن تَتْرُكُوا الدنيا بَتَاتاً، فإن هذا شيءٌ لا يمكنُكم، وإنما يُطْلَبُ منكم أن تَعْتَدِلُوا في طَلَبِها، فتطلبُوها باتزان واعتدال علىٰ وَجْهٍ مُبَاحٍ لا يصدُّكم عن ذِكْرِ اللهِ وطاعتِه، فتقوموا بطاعةِ اللهِ، وتَسْعَوْا في طَلَبِ رِزْقِ اللهِ علىٰ ما أمرَ به اللهُ، صِدقٌ في المعاملةِ وأداءٌ للأمانة، ونُصْحٌ للخَلْقِ، وإخلاصٌ للخالقِ، وبذلك تدركون الدنيا والآخرةَ. قال الله تعالىٰ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيمُ.

* * *

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٨٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

موعظةٌ عامةٌ والاستعدادُ ليومِ الرحيلِ

الحمدُ للهِ الذي كتب الفناء علىٰ أهلِ هذه الدارِ، ونقلَهم منها إلىٰ دارِ البقاءِ والقرارِ، ونشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له الحيُّ القيومُ القهارُ، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المصطفىٰ المختار، صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ ما تعاقب الليلُ والنهارُ وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا اللهَ تعالىٰ وأكثروا من ذكرِ الموت واسْتَعِدُّوا له بالأعمالِ الصالحةِ قبلَ أن يأخذَكم بغتةً، فلا مَفَرَّ ولا فَوْتَ، واعتبروا في هذه الأيامِ والليالِ فإنها خزائنُ الأعمالِ ومقاديرُ الآجال تمضي جميعاً وتزولُ سريعاً، فما يَدْرِي النبيهُ إلا وقد سَقَطَ صَرِيعاً، واعلموا أن كُلَّ وقتٍ، بل كُلَّ لحظةٍ، تُقرِّبُكم من الدار الآخرة وتُبْعِدُكم من هذه الدارِ الدنيا، فلا تَغْتَرُّوا ولا تمهلوا اعمروا هذه الأوقاتَ بطاعةِ المولىٰ، وشَمِّروا للأعمال الصالحة فذلكم أجدرُ بكم وأولىٰ، إن الأعمالَ الصالحةَ هي القرائنُ في القبورِ، فإن العبدَ إذا مات خرج معه ثلاثةٌ فيرجِعُ اثنان ويبقىٰ واحدٌ، يخرجُ معه أهلُه ومالُه وعملُه، فيرجِعُ أهلُه ومالُه ويبقىٰ عملُه، فإن كان صالحاً فنِعْمَ القرينُ، وإن كان غيرَه فذلك هو الخسرانُ المبينُ، لقد سَعِدَ مَنْ عَرَفَ شأنَ الآخرةِ فأرادها واستبدَلها، وعَرَفَ حقيقةَ الدنيا فما

تَعلَّقَ بها قلبُه وما مَالَ لها، ولقد شَقِيَ مَنِ اغترَّ بالدنيا فركَنَ إليها وأعرضَ عن الآخرةِ فما رفَعَ بها رأساً ولا سَعَىٰ لها سعيها، كيف يرضىٰ العاقلُ أن يشتغِلَ بحُطامٍ فانٍ عن النعيم المقيم؟ كيف يرضىٰ أن يُنَافِسَ في الدنيا ويَدَعَ المنافسةَ في جنات النعيم؟ ومع ذلك فإنه إذا سعىٰ للدنيا وحدَها، فاتته الدنيا والآخرة، وإذا سعىٰ للأخرىٰ حصلت له الدنيا والآخرةِ.

خطب عُمَرُ بْنُ عبدِ العزيز رضي الله عنه آخر خطبةٍ خطبها فقال: (أيها الناسُ إنكم لم تُخْلَقُوا عَبثاً ولن تُتركوا سُدىً، وإن لكم مَعَاداً ينزلُ اللهُ فيه، للفصلِ بين عباده، فقد خَابَ وخَسِرَ مَنْ خرجَ من رحمةِ اللهِ التي وَسِعتْ كُلَّ شيءٍ، وحُرِمَ جنةً عرضُها السمواتُ والأرضُ، أما عَلِمْتُمْ أنكم في أصلابِ الهالكين وسيرثُها بعدَكم الباقون، كذلك حتىٰ تُرَدَّ إلىٰ خيرِ الوارثين. وفي كل يومٍ تُشَيِّعون غَادِياً ورَائِحاً إلىٰ اللهِ، قد قضىٰ نحبه وانقضىٰ أجلُه، فتودعونه وتدعونه في صُدْعٍ من الأرضِ، غَيْرِ مُوَسَّدٍ ولا مُمَهَّدٍ، قد خَلَعَ الأسباب، وفارق الأحبابَ، وسَكَنَ التُرابَ وواجه الحسابَ، غَنِياً عما خلَّف من المالِ، فقيراً إلىٰ ما أسْلَفَ من الأعمال، فاتقوا اللهَ عبادَ الله قبل نزول الموتِ وانقضاءِ مواقيتِه، وإني لأقولُ لكم هذه المقالةَ، وما أعلمُ عندَ أحدٍ من الذنوب أكْثَرَ مما عندِي، ولكن أستغفرُ الله وأتوبُ إليه)، ثم رفع طَرَفَ ردائِه وبكىٰ حتىٰ شَهِقَ، ثم نزل فما عاد إلىٰ المنبر بعدَها حتىٰ مات رحمة الله عليه.

أعوذُ باللهِ من الشيطانِ الرجيم: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾ [الكهف: ٤٥].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا واستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيمُ.

❊ ❊ ❊

حال العبد في هذه الدنيا

الحمدُ لله الذي خلق جميعَ الخلقِ ليعبدوه، وليقوموا بأداءِ حقوقِه ويَتَّقُوهُ، ولم يجعلْ لعبادتِه أجلاً دونَ الموت، فاحفظوا حدودَه وراقبوه، ونشهدُ أن لا إلٰهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، شهادةً نَرْجُو بها النجاةَ من النارِ والوصولَ إلىٰ دارِ النعيمِ والأنوارِ، ونشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه المصطفىٰ المختارُ، صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وصحبِه البررةِ الأطهارِ، وعلىٰ التابعين له بإحسانٍ ما تعاقب الليلُ والنهارُ، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ: فيا أيها الذين آمنوا اتقوا اللهَ وقولوا قولاً سديداً يُصْلِحْ لكم أعمالَكم ويغفرْ لكم ذُنوبَكم، اتقوا اللهَ يجعلْ لكم من كل همٍّ فَرَجاً ومن كُلِّ ضِيقٍ مَخْرجاً اتقوا اللهَ يُيَسِّرْ لكم من أموركم ويجعلْ لكم نُوراً تمشون به وفُرْقاناً تُفَرِّقون به بينَ الحقِّ والباطلِ، اتقوا اللهَ تعالىٰ تفوزوا بسعادة الدنيا والآخرة، وتُدْرِكُوا كُلَّ تجارةٍ رابحةٍ، التقوىٰ أن تَتَّخِذَ ما يَقِيكَ من عذابِ النارِ، التقوىٰ هي القيامُ بطاعة الله ورسولِه، التقوىٰ أن تأتمرَ حيثُ أمرَكَ اللهُ وأن تَنْتَهِيَ حيثُ نَهاكَ اللهُ.

واعلموا أيها المؤمنون باللهِ ورسولِه أن المواسمَ التي يجعلُها اللهُ تعالىٰ لعباده مَغْنَماً، وللزيادة من الأعمالِ الصالحاتِ مَوْسِماً، لا تنتهي العبادةُ بانتهائِها ولا تزولُ بزوالِها، فمَنْ قام منكم في شهرِ رمضانَ بِفِعْلِ الواجباتِ وتَرْكِ المحرماتِ فلْيَقُمْ بذلك فيما بَقِيَ من

عُمْرِه من الأوقاتِ، فإنَّ أجلَ العبادةِ لا ينتهي إلا بالممات، قال اللهُ تعالىٰ: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [الحجر: ٩٩]. واليقينُ هو الموتُ، ألاَ وإنَّ من علامةِ قبولِ الحسنةِ فِعْلَ الحسنةِ بعدَها، ألاَ وإنَّ من المحرماتِ إتباعَ الحسنةِ بسيئةٍ بعدَها.

عبادَ الله: لقد التزمَ كلُّ واحدٍ من بني آدمَ أن يكونَ للهِ عبداً، وأن يكونَ اللهُ له رباً وسيِّداً، والعبد يأتمر بأمْرِ سيدِه وينتهي عما نُهِيَ عنه، قال اللهُ تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٢-١٧٣]، وفي الصحيحين عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**يُقَالُ للرجلِ من أهلِ النارِ يومَ القيامة أرأيتَ لو كان لك ما علىٰ الأرضِ من شيءٍ أكنتَ مُفْتَدِياً به، قال: فيقول: نَعَمْ، فيقولُ: قد أردتُ منك ما هو أهونُ من ذلك، قد أخذتُ عليك في ظَهْرِ آدمَ أن لا تُشْرِكَ بي شيئاً فأبيتَ إلا أن تُشْرِكَ**»[1] وهكذا سائرُ العباداتِ قد أخذَ اللهُ علىٰ العبدِ الميثاقَ أن يقومَ بها، لأن اللهَ أخذَ علينا أنه رَبُّنا، ومعنىٰ ذلك أن نَنْقَادَ لِحُكْمِه ونمتثلَ لأمرِه، سوف يُسألُ العبدُ يومَ القيامة عن أربعٍ: عن عُمْرِه فيما أفناه؟ وعن شَبَابِه فيما أبلاه؟ وعن مَالِه من أين اكتسبه؟ وفيم أنفقه؟ وعن عِلْمِه ماذا

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٣٤) و(٦٥٣٨)، ومسلم (٢٨٠٥) من حديث أنس رضي الله عنه.

عمل فيه؟ فاتقوا اللهَ تعالىٰ وأَعِدُّوا لهذه الأسئلةِ الأربعةِ جواباً سديداً قبل أن يَخْرَسَ اللسانُ ويَذْهَلَ الجَنَانُ، وتَشْهَدَ علىٰ العاملِ بما عمله الجوارحُ والأركان، قبل أن تقولَ نفسٌ: يا حَسْرَتا علىٰ ما فَرَّطْتُ في جَنْبِ الله، يا ويلي لقد أضَعْتُ حقوق الله، قبل أنْ يَعَضَّ الظالمُ علىٰ يديه يقول: ﴿يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ۝٢٧ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ۝٢٨ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾ [الفرقان: ٢٧-٢٩].

وفقني اللهُ وإياكم لاغتنامِ أعمارِنا وقوتِنا بطاعتِه، وأعاننا علىٰ ذِكْرِه وشُكْرِه وحُسْنِ عبادتِه، ويَسَّرَ لنا أسبابَ السعادةِ والهُدَىٰ وأبعدَنا من الشقاءِ والرَّدَىٰ إنه سميعٌ قريبٌ، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كل ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊

الحثُّ علىٰ فعل الطاعات

الحمدُ للهِ الكريمِ المنان، المتفضل بالكرمِ والإحسانِ، أَعْطَىٰ عبادَه ما لا يدورُ في الخيالِ ولا يخطرُ علىٰ الجَنَانِ، ونشهدُ أن لا إلٰهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له في الألوهيةِ والربوبيةِ والأسماءِ والصفاتِ الحسانِ، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المبعوثُ إلىٰ جميعِ الخَلْقِ من إنْسٍ وجَانٍّ، صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابه والتابعين لهم بإحسان وسلّم تسليماً.

أما بعدُ: أيها المؤمنون اتقوا اللهَ تعالىٰ وافعلوا الخيرَ لعلكم تفلحون، وانوْوُا ما تَعْجِزُون عن فِعْلِه من الطاعاتِ لعلكم تُدْرِكُون، فإنَّ الإنسانَ إذا هَمَّ بحسنةٍ فعَمِلَها كتبها اللهُ عَشْرَ حَسَناتٍ إلىٰ سَبْعِمائةِ ضِعْفٍ، إلىٰ أضعافٍ كثيرةٍ لا يعلمُها إلا اللهُ، وإنَّ الرجلَ ليتصدقُ بقَدْر التمرةِ من كَسْبٍ طَيِّبٍ، ولا يقبلُ اللهُ إلىٰ الطيبَ، فيُربِّيها اللهُ لصاحبِها كما يُرَبِّي أحدكُم فَلُوَّهُ حتىٰ تكونَ مِثْلَ الجبلِ العظيمِ، وإنْ هَمَّ بحسنةٍ ولم يعملْها فإن كان قد تَرَكَها عَجْزاً وعادتُه فعْلُها فإن اللهَ يكتبُ له أجْرَها كاملا، ففي الحديث عن النبيِّ ﷺ **«مَنْ مَرِضَ أو سافر كُتِبَ له ما كان يعملُ صحيحاً مقيماً وإن لم يَكُنْ له عادةٌ بفِعْلِها وأَتَىٰ بما يَقْدِرُ عليه منها كتب اللهُ له مِثْلَ أَجْرِ فاعِلِها علىٰ التمامِ»**[1]

(١) أخرجه بنحوه البخاري (٢٩٩٦) من حديث أبي موسىٰ رضي الله عنه.

كما قال اللهُ تعالىٰ: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [النساء: ١٠٠]، وعن أبي كَبْشَةَ الأنماريِّ رضي اللهُ عنه أنه سمع رسولَ الله ﷺ يقول: «**ثلاثٌ أُقْسِمُ عليهِنَّ وأُحَدِّثكم حديثاً فاحْفَظُوه: ما نَقَصَ مالُ عَبْدٍ من صدقةٍ، ولا ظُلِمَ عبدٌ مظْلَمةً فصَبَرَ عليها إلا زاده اللهُ عِزّاً، ولا فَتَحَ عبدٌ بابَ مسألةٍ إلا فتحَ اللهُ عليه بابَ فَقْرٍ، وأُحَدِّثُكم حديثاً فاحفظوه: إنما الدنيا لأربعةِ نَفَرٍ: عبدٌ رزقَه اللهُ مالاً وعلماً فهو يَتَّقِي فيه ربَّه، ويَصِلُ به رَحِمَهُ، ويعلمُ لله فيه حقاً، فهذا بأفضلِ المنازلِ، وعبدٌ رزقَه اللهُ عِلْماً ولم يرزقْهُ مالاً فهو صادقُ النيةِ، يقول: لو أن لي مالاً لعَمِلْتَ بعَمَلِ فلانٍ، فهو بنيتِه فأجرهما سواءٌ، وعبدٌ رزقَه اللهُ مالاً ولم يرزقْه عِلْماً، فهو يَخْبِطُ في مالِه بغيرِ عِلمٍ، لا يَتَّقِي فيه ربَّه، ولا يَصِلُ فيه رَحِمَهُ، ولا يعلمُ للهِ فيه حقاً، فهذا بأَخْبَثِ المنازل. وعبدٌ لم يرزقه اللهُ مالاً ولا عِلْماً فهو يقولُ: لو أن لي مالاً لعَمِلْتُ فيه بعَمَلِ فلانٍ فهو بنيتِه فوزرهما سَواءٌ**»[1]، فجعل النبيُّ ﷺ لمَنْ نوىٰ فِعْلَ الخير وهو عاجزٌ عنه في نيتِه مِثْلَ أَجْرِ فاعلِه، ومَنْ نَوَىٰ فِعْلَ السُّوءِ وهو عاجزٌ عنه فقد جعل له النبيُّ ﷺ بنيتِه مِثْلَ وِزْرِ فاعلِه، وأما مَنْ هَمَّ بالسيئةِ فإن عَمِلَها كتبها اللهُ سيئةً واحدةً، وإنْ هَمَّ بها ولم يَعْمَلْها فإن كان تركَها خوفاً من اللهِ ورجاءً لِمَا عندَه فإنها تكتبُ له حسنةً وإنْ تركَها عَجْزاً عنها وعَمِلَ بها أعمالاً فإنه كمَنْ فعلَها، ولذلك

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٢٥).

قال النبيُّ ﷺ: «**إذا التقىٰ المسلمان بسيفيهما فالقاتلُ والمقتولُ في النارِ**»، قالوا: يا رسولَ اللهِ هذا القاتلُ فما بالُ المقتولِ؟! قال: «**لأنه كان حريصاً علىٰ قَتْلِ صاحبِه**»(١)، وأما مَنْ هَمَّ بالسيئةِ فتركَها لا خوفاً من اللهِ ولا عَجْزاً عنها، فإنه لا له ولا عليه، لا ثوابَ له ولا وِزْرَ عليه.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٦٠].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا واستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيمُ.

* * *

---

(١) أخرجه البخاري (٣١)، ومسلم (٢٨٨٨) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.

حديث عبد الرحمٰن بن سمرة في رؤيا النبيِّ ﷺ عجباً

الحمدُ للهِ الذي يَسَّرَ للسالكين إليه الطُّرقَ والأسبابَ، وفَتحَ لهم من خزائِنِ الأعمالِ الصالحةِ، وما يُقَرِّبُ إليه كُلَّ بابٍ، ونشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، إقراراً بلا ارتيابٍ، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، الذي مَنَّ اللهُ به على المؤمنين، يتلو عليهم آياتِه ويُزَكِّيهم ويعلمُهم الحكمةَ والكتابَ، صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه، والتابعين لهم بإحسانٍ إلىٰ يوم المآب، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ، واعلموا أن اللهَ برحمتِه وإحسانِه يَسَّرَ لكم إلىٰ الخيراتِ طُرُقاً وأسباباً، وفَتَحَ لكم إلىٰ خزائِنِها أبواباً، فاسْتَبِقُوا الخيراتِ، وخُذُوا من كُلِّ قِسْطٍ منها بنصيبٍ وافرٍ تَحْمَدُوا عُقْبَاه في الحياةِ والمماتِ، واسْتَمِعُوا إلىٰ هذا الحديثِ العظيمِ الذي رآه النبيُّ ﷺ في منامِه، ورُؤْيا الأنبياءِ حقٌّ ووَحْيٌ، قال عبدُ الرحمٰنِ بن سَمُرةَ رضي الله عنه: خرَجَ علينا رسولُ الله ﷺ ونحنُ في صفة بالمدينة فقال: «**إني رأيتُ البارحة عجباً، رأيتُ رجلاً مِن أمتي أتاه ملك الموت ليقبض روحَه، فجاءه برّه بوالديه فردَّ مَلك الموت عنه، ورأيتُ رجلاً من أمتي قد احتوشته الشياطين، فجاءَه ذِكرُ اللهِ فطردَ الشياطين عنه، ورأيتُ رجلاً مِن أمتي قد احتوشته ملائكةُ العذاب، فجاءته صلاتُه فاستنقذتْه مِن أيديهم، ورأيتُ رجلاً مِن**

أمتي يلهثُ عَطشاً كلّما دنا مِن حوضٍ مُنعَ وطُرِدَ، فجاءَه صيامُ رمضان فأسقاه وأرواه، ورأيتُ رجلاً مِن أمتي ورأيت النبيّين جلوساً حِلقاً حِلقاً كلما دنا إلىٰ حَلقةٍ طُردَ ومُنع، فجاءَه غُسله من الجنابةِ فأخذَ بيدهِ فأقعدَه إلىٰ جنبي، ورأيتُ رجلاً مِن أمتي من بين يديه ظلمةٌ ومن خلفِه ظُلمةٌ، وعن يمينِه ظُلمةٌ وعن يسارِه ظُلمةٌ، ومن فوقِه ظُلمةٌ ومن تحتِه ظلمةٌ، وهو مُتحيّر في ذلك، فجاءَه حجّه وعمرتُه فاستخرجاه من الظلمةِ وأدخلاه في النورِ، ورأيتُ رجلاً من أمتي يتقي وهج النار وشررها، فجاءته صدقته فصارت سِتراً بينَه وبين النار، وظلاً علىٰ رأسِه، ورأيتُ رجلاً مِن أمتي يكلّم المؤمنين ولا يكلِّمونه، فجاءَته صِلتُه لرحمه فقالت: يا معشرَ المؤمنين إنه كان وصولاً لرحِمه فكلّموه. فكلَّمه المؤمنون وصافحوه وصافحَهم، ورأيتُ رجلاً مِن أمتي قد احتوشَتْه الزبانية، فجاءَه أمرُه بالمعروف، ونهيُه عن المنكر فاستنقذه مِن أيديهم وأدخله في ملائكةِ الرحمةِ، ورأيتُ رجلاً مِن أمتي جاثياً علىٰ ركبتيه وبينه وبين الله حجاب فجاءَه حُسن خُلقه فأخذَ بيدِه فأدخلَه علىٰ الله عزَّ وجلَّ، ورأيتُ رجلاً مِن أمتي قد أخذ صحيفته مِن قبل شمالِه، فجاءَه خوفُه من الله عزَّ وجلَّ فأخذَ صحيفته فوضعَها في يمينِه، ورأيتُ رجلاً مِن أمتي قد خَفَّ ميزانُه، فجاءَه أفراطه فثقلوا ميزانَه، ورأيتُ رجلاً مِن أمتي قَائماً علىٰ شفيرِ جهنّم، فجاءَه رجاؤه في الله عزَّ وجلَّ فاستنقذَه مِن ذلك ومضىٰ، ورأيتُ رجلاً مِن أمتي قد هوىٰ في النار، فجاءَته دمعته التي قد بكاها مِن خشية الله عزَّ وجلَّ فاستنقذَته من ذلك، ورأيتُ رجلاً مِن أمتي قائماً علىٰ الصراط يرعدُ

كما ترعد السعفَةَ في ريح عاصِف، فجاءَه حُسن ظنه باللهِ عزَّ وجلَّ فسكن رِعدته ومضىٰ، ورأَيتُ رجلاً من أمتي يزحف علىٰ الصراط يحبو أحياناً ويتعلق أحياناً فجاءته صلاته عليّ فأقامته علىٰ قدميه وأنقذته، ورأيت رجلاً من أمتي انتهىٰ إلىٰ أبوابِ الجنةِ فغلقت الأبواب دونه، فجاءته شهادةُ أنْ لا إلٰهَ إلا الله ففتحت له الأبوابَ وأدخلته الجنة»(١).

فهذا أيها المسلمون حديث عظيم بيّن فيه النبي ﷺ ما رآه من الأعمال الصالحات المنجية من العذاب، فخذوا بكلٍّ واحدةٍ منها بنصيب، واعلموا أنَّ للصدقةِ في أيام الحاجة وأيام الشتاء شأناً كبيراً، فإنَّ الصدقة كلما كانت أنفع للخلقِ وأخلصُ للربِّ، كانت أفضل وأعظمُ أجراً، فتفقدوا إخوانكم الفقراء وجودوا عليهم مما جاد اللهُ به عليكم ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ [المزمل: ٢٠]. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩﴾ [الحج: ٧٧].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا واستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيمُ.

---

(١) أخرجه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» ٣/ ٢٣٤، وعزاه الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٧/ ١٧٩ إلىٰ الطبراني وأورده ابن الجوزي في «العلل المتناهية» ٢/ ٦٩٩، وابن كثير في «التفسير» ٤/ ٥٠٣ [إبراهيم: ٢٧] من حديث عبد الرحمٰن بن سمرة رضي الله عنه.

الحثُّ علىٰ اغتنامِ الأوقات

الحمدُ للهِ مُنْشِىءِ الأيامِ والشهورِ، ومُفني الأجيالِ ومُصَرِّفِ الأمورِ، مُضَاعِفِ الثوابِ لِمَنْ أطاعَه والأجُورِ، وغَافِرِ الذنبِ لِمَنْ تاب إليه من المعاصي والفجورِ، يعلمُ خائنةَ الأعين وما تُخْفِي الصدورَ، ويسمعُ دَبِيبَ النملِ في دَيَاجِي الظُّلَمِ علىٰ سَوْدَاءِ الصُّخُورِ، فسبحانَه من إلٰهٍ عظيمٍ، وربٍّ حكيمٍ، تُسبِّحُ له السمٰواتُ والأرضُ ومَنْ فيهن، وإنْ مِنْ شيءٍ إلا يُسَبِّحُ بحَمْدِهِ، ولكن لا تفقهون تسبيحَهم، وهو الحليم الغفورُ. ونشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، شهادةً نرجو بها الأُنسَ في وَحْشةِ القبورِ، والأَمْنَ من فَزَعِ يومِ النُّشورِ، والزُّلْفَىٰ لَدَيْهِ في جناتِ النعيم وأَعْلَىٰ القُصُورِ، ونشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه، أهدىٰ آمِرٍ وأَتْقَىٰ مأمورٍ، الموصوفُ بكامل الأوصافِ في التوراةِ والإنجيلِ، والفرقانِ والزبورِ، صاحبُ المنزلةِ العليا، والشفاعةِ العُظمىٰ، والعَلَم المنشورِ في يومِ النشورِ. اللهم صلِّ وسلِّم علىٰ نبيك محمدٍ، وعلىٰ آلِه وأصحابِه، وضَاعِفِ اللهُمَّ لهم الثوابَ والأجورَ.

أما بعدُ، أيها المؤمنون: اتقوا اللهَ تعالىٰ، شَمِّرُوا لِطَلَبِ الخيراتِ في أوقاتِها، واغتنموا الأعمالَ الصالحة قبل فَوَاتِها، فإنَّ هذه الليالِيَ والأيامَ خزائن للأعمال، فانظروا ماذا تُودِعُونها، وإن كُلَّ يومٍ بل كُلَّ لحظةٍ تُقَرِّبُكم من الآخرةِ فانظروا بماذا تَسْتقبِلونَها،

لقد مَضَتِ الأمورُ والحوادث وكأنها أحلامٌ وخيالاتٌ، ولقد مرت الأعوامُ وكأنها لحظاتٌ، فاعتبروا في ما بَقِي بما مضىٰ، فَسَتَمُرُ الأوقاتُ، وتفنىٰ الأعمارُ.

إخواني كُلُّنا راعٍ، وكُلُّنا مسؤولٌ عن رعيتِه، فالإنسانُ راعٍ علىٰ نفسِه، ومسؤولٌ عنها، وكبيرُ البيتِ راعٍ علىٰ أهلِه وولدِه ومسؤولٌ عنهم، والمدرسُ راعٍ علىٰ تلاميذِه، وما يُلقيه من دُروسٍ ومسؤولٌ عن ذلك، والإمامُ راعٍ علىٰ رعيتِه ومسؤول عنها، ومَن دون الإمام، وكُلُّكم راعٍ، وكُلُّكم مسؤولٌ عن رعيتِه، كل بحسبه راعٍ علىٰ ولايته مسؤولٌ عنها كيف رعاها، وكيف عَمِلَ لها، وكيف عَرَف طريقَ مصلحتِها، وما سلكها، وكيف عَرَف سُبُلَ مفاسدِها، وما حَجَبَها، ولا مَنَعَها.

إخواني، واللهِ ما قامتِ الدنيا إلا بقيامِ الدينِ، ولا نَالَ العِزَّةَ والكرامةَ إلا مَنِ استذَلَّ وخَضَعَ لربِّ العالمين، ولا استتبَّ الأمنُ واستمرتِ الطمأنينةُ، إلا باتباعِ منهجِ المرسلين، خَطَبَ عُتبةُ بْنُ غَزْوَانَ رَضِي اللهُ عنه، وهو أميرٌ علىٰ البصرةِ، فحَمِدَ اللهَ وأَثْنَىٰ عليه، ثم قال: أما بعدُ، فإن الدنيا قد آذَنتْ بصَرْمٍ، ووَلَّتْ سريعةً، ولم يَبْقَ منها إلا صَبابةٌ كصَبَابةِ الإناءِ، يَتَصابُّها صاحِبُها، وإنكم منتقلون منها إلىٰ دارٍ لا زوالَ لها، فانتقلوا بخيرِ ما بحضرتكم، فإنه قد ذُكِرَ لنا أن الحَجَرَ يُلْقَىٰ من شَفِيرِ جهَنَّمَ، فيَهْوِي فيها سبعين عاماً، لا يُدْرِكُ لها قَعْراً، واللهِ لَتُمْلأَنَّ أفَعَجِبْتُم! ولقد ذُكِرَ لنا أن ما بين مِصْرَاعين من

مَصَاريع الجنة، مسيرةُ أربعين عاماً، ولَيَأْتِيَنَّ عليها يومٌ وهو كَظِيظٌ من الزحامِ، ولقد رأيتني سَابِعَ سبعةٍ مع رسولِ الله ﷺ، وما لنا طعامٌ إلا ورقُ الشجرِ، حتىٰ تَجَرَّحَتْ أَشْدَاقُنا، فَالْتَقَطْتُ بُرْدَةً فشَقَقْتُها بيني وبين سَعْدِ بْنِ مالكٍ، فأتَزَرْتُ بنصفِها وأتزرَ سعدٌ بنصفِها، فما أصبحَ اليومَ منا أحدٌ إلا أصبحَ أميراً علىٰ مِصْرٍ من الأمصارِ، وإني أعوذُ باللهِ أن أكونَ في نفسِي عظيماً، وعندَ اللهِ صغيراً.

وهكذا أصبحَ هؤلاءِ الفقراءُ أئمةَ البلادِ، وقادَتها وأمراءَ المؤمنين وسادتَهم، وذلك بقيامِهم في دينِ اللهِ أتمَّ قيامٍ، فهم ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْأٓمِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١١٢].

فاتقوا اللهَ تعالىٰ عبادَ اللهِ، واعلموا أنَّ المَعَاصِيَ سببُ الخِذْلانِ والنقص في الثمراتِ والأموالِ، والأنفسِ والبلدانِ، ولا يغترَنَّ أحد بِنعَمِ اللهِ تعالىٰ عليه، وهو مقيمٌ علىٰ معاصِيه، فإنما هو استدراجٌ من اللهِ وآخِرُ أمرِه أن يُهْلِكَه ويرديه فإن اللهَ يقول: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٤٤-٤٥].

واعلموا أن شهرَكم هذا هو أَحدُ الأشهرِ الأربعةِ الحُرُمِ، فلا تظلموا فيه أنفسَكم بالمعاصِي، وصُوموا رَحِمَكم اللهُ منه اليومَ

التاسعَ، واليومَ العاشرَ فإن صومَ يومِ عاشوراءَ يكفِّرُ السنةَ التي قبلَه، والنبيُّ ﷺ قال: «**إذا كان العامُ المقبلُ إن شاء اللهُ صُمْنا اليومَ التاسعَ**»[١]، فلم يأتِ العامُ المقبلُ حتىٰ تُوُفِّيَ رسولُ الله ﷺ.

اللهم إنا نسألُك بأننا نشهدُ أنك أنت اللهُ لا إلٰهَ إلا أنت، أن تجعلَ عامَنا هذا عاماً مباركاً سعيداً، عامَ خَيْرٍ ورَخَاءٍ، وعافيةٍ واطمئنانٍ، عامَ عِلْمٍ نافعٍ، وعَمَلٍ صالحٍ، وأَمْنٍ وإيمانٍ. اللهم اجمعْ فيه كلمةَ المسلمين علىٰ الحقِّ، ووحِّدْ صفوفَهم. اللهم قَوِّ جُنْدَهم. اللهم اهْزِمْ عدوَّهم، اللهم ومَنْ أَرادَهم بسوءٍ فاجعل كَيْدَه في نَحْرِه، يا حيُّ يا قيومُ.

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا واستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيمُ.

* * *

(١) أخرجه مسلم (١١٣٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

شُكر النِّعم

الحمدُ لله الذي تفضلَ علينا بالجودِ والإحسانِ، ووَالَىٰ علينا نعَمه ليلاً ونهاراً في جميع الأحوال، فلا يُحْصَىٰ لها حِسْبان، ونشهدُ أن لا إلٰهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، الجوادُ الكريمُ المَنَّانُ، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، الذي فاق جميعَ الخلقِ بالعبادةِ والشُّكْران، صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه والتابعين لهم بإحسان وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ: أيها المؤمنون اتقوا اللهَ تعالىٰ واشكروه علىٰ نِعَمِه التي أَسْبَغَها عليكم ظاهرةً وباطنةً، فإن شُكْرَ النِّعَمِ يُبْقِيها ويَزِيدُها، وكُفْرَ النِّعَمِ يَمْحَقُها ويُزِيلُها، اشكروه علىٰ ما أنعم به عليكم من نعمةِ الإسلامِ والإحسانِ، وعلىٰ ما أنعم به علينا من الأَمْنِ في الأوطانِ والصحةِ في الأبدانِ، واشكروه علىٰ ما أنعم به عليكم من العيشِ الرغيدِ في هذه الأيامِ، كيف تَرَوْنَ وللهِ الحمدُ أن اللهَ يَسَّرَ لنا الأرزاقَ والأقواتَ، وجَلَبَ لنا أنواعَ الكمالياتِ والحاجياتِ في الطعامِ والشرابِ واللباسِ في جميع الجهاتِ، وكيف ضربَ الأمْنُ أطنابَه في هذه البلادِ حتىٰ صار الراكبُ يسيرُ وحدَه من غير خَوْفٍ ولا انزعاجٍ، فتأملوا رَحِمَكم اللهُ نِعَمِ اللهِ واعْرِفُوها وقُومُوا بشُكْرِها لِتُقَيِّدُوها، واعلموا أن الشكرَ لا بُدَّ فيه من ثلاثةِ أمورٍ:

الأولُ: إقرارُ القلب بأن هذه النعمَ من اللهِ وحدَه لا شريكَ له، و الذي خلقَها وابتدأها وأوجد أسبابَها حتىٰ أتمها وأنها ليس بحَوْلِنا

ولا قوتِنا، لأننا ضُعفاءُ عاجزون لا نملِكُ لأنفسِنا جَلبَ منفعةٍ ولا دَفْعَ مضرةٍ إلا بربِّنا.

الأمرُ الثاني: أن يُثْنِيَ بلسانِه علىٰ اللهِ تعالىٰ بما أنعم به.

الثالثُ: أن يقومَ بطاعةِ المُنْعِم، وذلك بأن يفعلَ ما أمرَ اللهُ به من الأقوال والأفعالِ، وأن يتركَ ما حرَّمَ اللهُ عليه من سَيِّءِ الأعمالِ والأقوالِ، فليس الشكرُ بالتَمنِّي ولا بالتَّحَلِّي، وإنما الشكرُ ما قام بالقلبِ وصدقتْه الأقوالُ، هل يُعَدُّ شاكراً للهِ مَنْ كان مُقيماً علىٰ معاصِي الله؟ وهل يُعَدُّ شاكراً من يَعْرِفُ أوامرَ اللهِ ويتركُها إعراضاً وتهاوناً من غيرِ مُبالاةٍ؟

واعلموا أن من شُكرِ اللهِ أن يَحْمَدَ الإنسانُ ربَّه إذا فَرَغَ من طعامِه أو شرابِه، فإن اللهَ لَيَرْضَىٰ عن العبدِ يأكلُ الأكلةَ فيحمَدَه عليها ويشرب الشربَةَ فيحمَدَه عليها، ومِنْ شُكْرِ اللهِ أن يأكلَ الآكلُ بيمينه ويشربَ الشاربُ بيمينِه، فإن الأكلَ بالشمالِ والشربَ بها من أعمالِ الشيطان، كما قال النبيُّ ﷺ: «**إذا أكلَ أحدُكم فليأكلْ بيمينِه، وإذا شَرِبَ فليشربْ بيمينِه فإنَّ الشيطانَ يأكلُ بشماله ويشربُ بشماله**» ورأىٰ رجلاً يأكلُ بشِمالِه فقال: «**كُلْ بيَمينِيك**» فقال: لا أستطيعُ قال: «**لا استطعت**» ما مَنَعَهُ إلا الكِبْرُ فما رفعَها إلىٰ فَمِه»[1].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٠٢١) من حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم: ٧].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيمُ.

* * *

تحريم استعمال آلات اللهو

الحمدُ للهِ الذي خلق الخلقَ ليعبدوه، وأدَرَّ عليهم النعم والأرزاق ليشكروه، وأمرَهم بحمايةِ أعمارِهم وحِفْظِ أوقاتِهم أن يضيعوها سُدىً، ليستفيدوا من حياتِهم، ويفوزوا بالربح والفلاحِ في الدار الآخرة، ونشهد أن لا إلٰهَ إلا الله وحده لا شريك له، له الحكمة في خلقه وشرعه، وله الحكمُ المطلقُ بين خلقه، يوم تبيَضُّ وجوهٌ وتسوَدُّ وجوهٌ، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أفضلُ النبيِّين وإمامُ المتقين وسيدُ أولي العزم من المرسلين الذي بعثه اللهُ رحمةً للعالمين، وقدوةً للعاملين، وحجةً علىٰ العباد أجمعين، وبيَّنَ للعبادِ طُرقَ سيرِهم إلىٰ الله، ونَظَّم لهم شؤونَهم وأعمالَهم في هذه الدنيا وبعد الممات، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسانٍ وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واعلموا أنكم لم تُخْلَقُوا عَبَثاً، ولن تُتْرَكُوا سُدىً، وإنما خُلِقْتُمْ لأمرٍ عظيمٍ وهُيِّئْتُم للقيامِ بعَمَلٍ جليلٍ جسيمٍ. خُلِقْتُم لعبادةِ اللهِ، والامتثالِ لأوامرِه، والانزجارِ عن نواهِيه. لقد أمرَكم اللهُ تعالىٰ بكلِّ ما يُقَوِّمُ هذه العبادةَ، ونهاكم عن كُلِّ ما يَصُدُّكم عن ذِكْرِ اللهِ، وعن طريقِ السعادةِ. ألا وإن في مجتمعكم مشكلةً تصدُّ عن ذكر اللهِ وتوجبُ للعبدِ الغفلةَ عن طاعةِ اللهِ. لا أقول أنها مشكلةٌ عِلميةٌ لأن الكثيرَ يَعْرِفُ حُكْمَها، ولكنَّ

المُشْكِلَ فيها هو العملُ والتنفيذُ، ألا أُنبئُكم ماهي المشكلةُ؟ هي مشكلةُ الإصرارِ علىٰ اللهوِ من الاستماعِ إلىٰ آلاتِ الطربِ والغناءِ المُحَرَّمِ، التي أصبح كثيرٌ من الناس عاكفاً عليها، حتىٰ شغلتْهُ عن كثيرٍ مما يُهِمُّه ويَعْنِيه في دينِه ودنياه. فكان في ذلك ضياعٌ للوقت ونفاذٌ للمال، وإصرارٌ علىٰ المعصيةِ وتَعَلُّقُ القلبِ بغير الله.

ولا أدري أيها الإخوانُ ما شأنُ المصرِّين عليها، هل هُمْ في شَكٍّ في تحريمِها؟ أم عندَهم ضعفٌ في إيمانِهم وعزيمتِهم؟ أم هُمْ رأوا كثرةَ الأسبابِ المقتضيةِ لها. فظنوا أنه لا بأسَ بها. وصدق عليهم قولُ القائلِ: معَ كَثْرةِ الإمساسِ يقلُ الإحساسُ. فمَنْ كان في شَكٍّ من تحريمِها، فليستمعْ إلىٰ بعضِ النصوصِ الواردةِ فيها.

فمِنْ ذلك قولُه تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [لقمان: ٦].

أكثرُ المفسرين علىٰ أن المرادَ بذلك اللهوُ الغناء. قال ابْنُ مسعودٍ رضي اللهُ عنه: واللهِ الذي لا إلٰهَ غيرُه أن ذلك هو الغناءُ، وكرَّرها ثلاثَ مراتٍ. وتفسيرُ الصحابي حجةٌ، لأنهم أعلمُ الناسِ بفَهْمِ القرآنِ لفظاً ومَعْنىً. حتىٰ قال بعضُ العلماءِ: إنه في حُكْمِ المرفوعِ. وفي صحيحِ البخاري عن النبيِّ ﷺ، قال: «**ليكوننَّ من أمتي أقوامٌ يستحلون الحِرَّ والحَرِيرَ والخَمْرَ والمَعَازِفَ**»[1]. والمعازفُ هي آلاتُ اللهوِ، فذمهم

(١) أخرجه البخاري (٥٥٩٠) من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه.

النبيُّ ﷺ علىٰ استحلالِها وقَرَن ذلك باستحلال الحِرَّ. وهي الفروج يعني استحلالَ الزنا، وباستحلالِ الحريرِ والخَمْرِ، ووردت أحاديثُ أخرىٰ كثيرةٌ في السُنَنِ والمسند تدلُ علىٰ التحريمِ والوعيدِ لمَنِ استحلَّ ذلك وأَصَرَّ عليه. ولولا خوفُ الإطالةِ لذكرناها مع أن المؤمنَ يكفيه دليلٌ واحدٌ صحيحٌ عن النبيِّ ﷺ. قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦]. قال ابْنُ القَيِّمِ رحمه اللهُ: حكىٰ أبو عَمْرِو بْنِ الصَلاَحِ الإجماعَ من أهلِ العلمِ علىٰ تحريمِ السماع الذي جَمَع الدُّفَّ والشَبَّابة وهما آلتان من آلاتِ اللهوِ.

فيا مَنْ شَكَّ في تحريمِه، هذه أدلةُ التحريمِ. ويا مَنْ عَرَفَ الحَقَّ وضَعُفَتْ عَزيمتُه حتىٰ احترفته التياراتُ، ارجع إلىٰ نفسِك فَحَاسِبْها، أَقْنِعْها بالرجوع عن الإصرارِ عليه، واسْتَعِنْ بالله علىٰ ذلك. واعْلَمْ أنَّ مَنْ تَرَكَ شَيئاً للهِ عَوَّضَه اللهُ خيراً منه. وأن مَنْ أصَرَّ علىٰ المعصيةِ مع عِلْمِه بها فلا عُذْرَ له. ويُوشِكُ أن يَزِيغَ قلبُه ويُطْبَعَ عليه فيلتبس عليه الحق ويخسرَ دينَه ودنياه. ولا تغترَّ أيها العاقلُ المؤمنُ بعَمَلِ الناسِ، ولكن اعْرِضْ عملهم علىٰ كتابِ وسُنَّةِ نبيِّك ﷺ، فإنْ وَجَدْتَ فيهما تحريمَ ذلك فاجْتَنِبْه، فإن الحسابَ غداً علىٰ ما في الكتابِ والسنةِ لا علىٰ عَمَلِ الناس.

وبعدُ فقد يقولُ قائلٌ: دَعُونا نُرَفِّهْ عن أنفسِنا، دَعُونَا نُدْخِلِ الفَرحَ والسُرورَ عليها. والجوابُ علىٰ قول هذا أن نقولَ: الترفيهُ علىٰ

نوعين: نوعٌ مباحٌ لا يُمْنَعُ الإنسانُ منه، وهو ما أحلَّه اللهُ ورسولُه من المُنْتَزهاتِ والنظرِ في جَمَالِ الطبيعةِ من الأنهارِ والأشجارِ والجِبَالِ ونحوِها، ومن المسابقةِ علىٰ الأقدامِ وغيرِها، والسباحةِ ونحوِها مما هو حلالٌ نافِعٌ في الدين أو في الدنيا، فهذا لا بأسَ.

أما النوع الثاني: ترفيهٌ بَرِيء من الأجرِ، مَلِيءٌ من الوِزْرِ، فهذا يُمْنَعُ الإنسانُ منه، منعُه منه عَيْنُ المصلحةِ. ألا ترىٰ إلىٰ الطبيبِ يمنعُ المريضَ من الطعامِ الذي يضرُّه لوقايتِه من الضَرَرِ وجَلْبِ ما ينفعُه، وذلك مِثْلُ الترفيهِ بما حرَّم اللهُ، فهذا ممنوعٌ منه.

وفقني اللهُ وإياكم لفِعْلِ مَرَاضِيه وجَنَّبنا أسبابَ سَخَطِه ومَعَاصِيه، وأَرانا الحقَّ حقاً، ورزَقَنا اتباعَه، وأرانا الباطلَ باطلاً، ورزَقَنا اجتنابَه. إنه جوادٌ كريمٌ، رؤوفٌ رحيمٌ.

* * *

التقوىٰ

الحمدُ للهِ القويِّ القهارِ، العزيزِ الجبارِ. لا رَادَّ لقضائِه، ولا مُعقِّبَ لحُكْمِه، ولا مُبَدِّلَ لكلماتِه، وهو السميعُ العليمُ ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٢ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ۝٣ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [التغابن: ٢-٤]. ونشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، له الملكُ، وله الحمدُ وهو علىٰ كل شيء قديرٌ. ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، الذي عَلَّم وبَيَّنَ، وبَشَّرَ وأنْذَرَ، ورَغَّبَ وحَذَّرَ. فنِعْمَ البشيرُ ونِعْمَ النذيرُ. صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه، ومَنْ تَبِعَهم بإحسان إلىٰ يوم الدين، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا اللهَ حقَّ تُقَاتِه، ولا تَموتُنَّ إلا وأنتم مسلمون. عبادَ اللهِ، ما أكثرَ ما نسمعُ الأمرَ بالتقوىٰ؟! ما أكثرَ ما تقال في الخطب؟! ما أكثر ما تلقىٰ في المواعظ؟! وما أكثر ما نقرؤها؟! وكأنها كلمةٌ عابرةٌ، لا تُشِيرُ إلىٰ مَعْنىً عظيمٍ، كأنها ألفاظٌ جَوْفَاءُ لا تُحَقِّقُ مطلوباً، ولا تُنْجِي من مَرْهُوبٍ. مع أنها الأمرُ الكبيرُ والشأنُ الخطيرُ، وهي وصيةُ اللهِ لِخَلْقِه أجمعين، الأولين منهم والآخرين ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١].

عبادَ اللهِ: هل تعرفون ما التقوىٰ؟ إنها أنْ يُطاعَ اللهُ فلا يُعْصَىٰ، وأن يُذْكَرَ فلا يُنْسَىٰ، وأن يُشْكَرَ فلا يُكْفَرُ.

أيها المسلمون: هل من التقوىٰ أن يَرَىٰ العبدُ نِعَمَ مولاه، تَتَكَرَّرُ عليه كُلَّ وقتٍ، نَعِماً خاصةً ونعماً عامة، نِعَماً ظاهرةً، ونِعَماً باطنةً، ومع ذلك يُبَارِزُ مَوْلاه بالعصيانِ، لا يتبعُ أمرَه ولا يجتنبَ نهيَه؟! هل من التقوىٰ أن يَرَىٰ المنكرَ وهو يَقْدِرُ علىٰ تغييره ولا يُغيرُه؟! هل من التقوىٰ أن يَرَىٰ الرجلُ أولادَه وأهلَهُ يُفرطون في الطاعةِ فلا يأمرُهم ولا يُحَذِّرُهم؟!

هل من التقوىٰ أنْ نَعْلَمَ عِظَمَ قَدْر الصلاةِ في دِينِ اللهِ، وانها عمودُ الإسلام، ولا حَظَّ في الإسلامِ لِمَنْ تركَ الصلاةَ ونتهاون فيها، لا نُؤدِّيها مع الجماعةِ، ولا نُقيمُ قِيامَها وقعُودَها، ولا رُكوعَها وسجودَها؟! إنْ أداها بعضُ الناس نَقَرَها نَقْرَ الغُرابِ، وإنْ صَلَّاها مع الجماعةِ سابقَ الإمامَ، فخَسِرَ وخَابَ. فلا وحدَه صَلَّىٰ، ولا بإمامِه اقتدَىٰ.

أيها المسلمونَ: يا عبادَ اللهِ، لقد رأينا، ورأىٰ غيرُنا كيف نَقْصُ جَماعةِ المساجدِ بعد رمضانَ. فهل نُسِخَ وُجوبُ الجماعةِ أم هل حصلَ للناس أعذارٌ شرعيةٌ تُبيحُ لهم الصلاةَ في بيوتِهم؟! كَلَّا، ولكنه الكسلُ والحِرمانُ. لو عَلِمَ هذا الكسلانُ أن له موعداً ينالُ به شيئاً من أمور الدنيا ما أهملَه، ولصارَ يَرْتَقِبُ ساعاتِ الليلِ حتىٰ يُدْرِكَه. وثوابُ الآخرةِ خيرٌ وأَبْقَىٰ ومع ذلك قد أهملَه.

هل من التقوىٰ أن لا يختارَ الرجلُ يوماً يخرجُ إلىٰ البرِّ للتنزُّهِ إلا يومَ الجُمُعَةِ. اليومُ الذي هَدَىٰ اللهُ هذه الأمةَ إليه، ومَنَّ به عليهم من بينِ الأُممِ. وهو عِيدُ أُسبوعِهم. ألم يَقُل النبيُّ ﷺ: «**مَنْ تَرَكَ ثلاثَ جمع تهاوناً، طَبَعَ اللهُ علىٰ قلبِه**»(١).

أيها المسلمون: هل من التقوىٰ أنْ تَضِيعَ حقوقُ الأقاربِ والجيرانِ، والمساكينِ والأيتامِ؟ هل من التقوىٰ أن تعامل الناسَ بالغِشِّ والكَذَبِ والكِتْمانَ؟ هل من التقوىٰ أن يأكلَ المسلمُ لَحْمَ أخِيه، وينتهك عِرْضَه بالغِيبةِ والبُهتانِ؟

فاتقوا اللهَ أيها المسملون، فإنَّ التقوىٰ سببٌ للفلاحِ والنجاحِ، والسعادةِ في الدنيا والآخرة. فمَنْ يتقِ اللهَ يجعلْ له مَخْرَجاً، ويرزقْه من حيثُ لا يحتسبُ. ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا﴾ [الطلاق: ٤]. ﴿إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ﴾ [الأنفال: ٢٩]، ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠].

وإنَّ بفَقْدِ التقوىٰ أيها المسلمون، حُلُولَ العقوبةِ والنكالِ، ودَمَارَ البلادِ، وتلفَ النفوسِ والأموالِ.

---

(١) أخرجه أبو داود (١٠٥٢)، والنسائي ٣/ ٨٨ وفي الكبرىٰ (١٦٥٦)، وأحمد ٣/ ٤٢٤، والترمذي (٥٠٠)، وابن ماجه (١١٢٥) من حديث أبي الجعد الضمري رضي الله عنه.

فانظروا رحمكم اللهُ ما أصابَ ثِمَارَكم وأشجارَكم بسبب البَرْدِ. واتعظوا بذلك، واعلموا أن ما أصابَكم من مصيبةٍ. فبما كَسَبت أيديكم ويعفو عن كثير. وأَكْثِرُوا من التوبةِ والاستغفارِ، واسألوا اللهَ تعالىٰ الخَلَفَ العاجلَ، والثوابَ علىٰ ما أصابكم في دارِ القرار واقْرِنُوا هذه المصيبةَ بما هو أعظمُ منها، واحْمَدُوا اللهَ أن كانت في الأموالِ دون الأبدانِ ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦].

أيها المسلمون: قد يُعَاقَبُ الإنسانُ بما هو أعظمُ من عقوبةِ الأموالِ والنفوسِ، أكْبَرُ فداحة وأَعْظَمُ خَسَارةً، فقد يُعَاقَبُ بقسوةِ القلبِ ومَوْته، وفَقْدِ الغِيرةِ الدينيةِ منه، وسَلْبِ البصيرةِ منه، بحيث لا يَرَىٰ الحقَّ حقاً ولا الباطل باطلاً، وربما عَمِي قلبُه وزُيِّنَ له سُوءُ عَمَلِه، فرأىٰ الباطلَ حقاً والحقَ باطلاً. نعوذ بالله من ذلك.

اللهم اجعلْنا من أوليائِك المؤمنين، وحِزْبِك الغالبين المفلحين، ولا تُخْزِنا يومَ الدين، واغفرْ لنا ولوالدينا ولجميعِ المسلمين، برحمتِك يا أرحمَ الراحمين. اللهم صلِّ وسلِّم علىٰ عبدِك ونبيِّك محمدٍ، وآلِه وصحبه أجمعين.

* * *

العدوان علىٰ البوسنة

إنَّ الحمدَ لله نحمَدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا. مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَادِيَ له. وأشهدُ أن لا إلٰهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له. وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه. صَلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه، ومَنْ تَبِعَهم بإحسان، وسلَّم تسليماً كثيراً.

أما بعدُ: فقد قال اللهُ تعالىٰ مُذَكِّراً عبادَه المؤمنين، بما مَنَّ اللهُ به عليهم من الأُلفةِ بعدَ العُدوانِ، والاجتماع بعدَ التفرقِ، والهدايةِ بعد الضلال: ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣]. وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

وقال النبيُّ ﷺ: **«مَثَلُ المؤمنين في تَوَادِّهم وتَرَاحُمِهم وتعاطفهم كمَثَلِ الجسدِ الواحدِ إذا اشتكىٰ منه عُضْوٌ تداعىٰ له سائرُ الجَسَد بالسهر والحُمَّىٰ»**[١]. وقال: **«المؤمنُ للمؤمنِ كالبنيانِ يَشُدُّ بعضُه بعضاً»**[٢] وشَبَّكَ بينَ أصابِعه. وقال ﷺ: **«مَنْ كانَ في حاجةِ أخيهِ**

(١) أخرجه مسلم (٢٥٨٦) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري (٤٨١) و(٢٤٤٦)، ومسلم (٢٥٨٥) من حديث أبي موسىٰ رضي الله عنه.

كان اللهُ في حاجتِه، ومَنْ فَرَّجَ عن مُسلمٍ كربةً فرَّجَ اللهُ عنه بها كُربةً مِنْ كُرَبِ يوم القيامة»(١).

أيها المسلمون: لقد حدَث في هذا العام عدوانٌ آثمٌ من جماعةِ النصارىٰ الأرثوذكس، الذين يسعون إلىٰ إقامةِ دولةِ صِرْبيا الكبرىٰ.

حَدَثَ عدوانٌ آثِمٌ من هذه الجماعةِ، وربما يساعدُهم في ذلك جماعةُ النَصارَىٰ الكاثوليك علىٰ جمهوريةِ البوسنةِ والهرسكِ. تلك الجمهوريةُ المسلمةُ التي انفصلت عن جمهوريات يوغسلافيا، بعدَ تمزُّقِ الاتحادِ اليوغسلافيِّ الشيوعيِّ.

اعترفَ كثيرٌ من دولِ العالَمِ باستقلالِ هذه الجمهوريةِ، ومنهم الولاياتُ المتحدةُ، ومعظمُ دولِ أوروبا، وبعضُ الدولِ الإسلاميةِ والعربيةِ. وتقعُ هذه الجمهوريةُ جنوبَ شرقي أوروبا. وقد انتشرَ الإسلامُ فيها خِلالَ العصورِ الوُسْطىٰ، إثْرَ دخولِ الجيشِ الإسلاميِّ فيها، بقيادة محمدٍ الفاتحِ عام ٨٦٧هـ. أي منذ خمسمائة وخمسة وأربعين عاماً.

وصار من أهْلِها مَنْ كان من كِبارِ القادة البارزين، والعلماءِ العاملين، والدعاةِ المصلحين. وانتشرتْ فيها المساجدُ والمدارسُ الإسلاميةُ حتىٰ بلغت مساجدُ عاصمتِها أكثرَ من مئةٍ وسبعين مسجداً وجامعاً، حتىٰ صارَ الأوروبيون يطلقون عليها مدينة المساجدِ.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٤٢)، ومسلم (٢٥٨٠) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

ولقد حَدَثُ هذا العدوانُ الآثِمُ من جماعةِ النصارَىٰ علىٰ هذه الجمهوريةِ الإسلاميةِ، مما أدَّىٰ إلىٰ خسائرَ كبيرةٍ ماليةٍ وبشريةٍ. فقد قيل: إنه حصَلَ قتلُ وجَرْحُ أكثرَ من مائتي ألفِ مسلمٍ، وحَوَالَيْ مليون مُشَرَّد ولاجىءٍ علىٰ مَسْمَعٍ ومَرْأىٰ من دولِ العالمِ.

وكان الموقفُ العالميُّ تجاهَ هذا العدوانِ موقفاً بارداً، فَاتِراً. والسببُ في ذلك واضحٌ، ولكن علىٰ الأمةِ الإسلاميةِ شعوباً ودُوَلاً أن تَقِفَ موقفاً حاسماً ضد هذا العدوانِ النصرانيِّ الصِّرْبيِّ، لِتُؤَدِّيَ حقَّ إخوانِهم المسلمين، الذين ينتظرون المساعدةَ والمساندَة من إخْوانِهم.

فلقد قال النبيُّ ﷺ: «**المؤمنُ للمؤمنِ كالبنيانِ، يَشُدُّ بعضُه بعضاً**»[1]. وقال: «**مَثَلُ المؤمنين في تَوَادِّهم وتراحُمِهم وتعاطُفِهم، كمَثَلِ الجَسَدِ الواحدِ إذا اشتكىٰ منه عُضْوُ تَدَاعَىٰ له سائرُ الجسدِ بالسهر والحُمَّىٰ**»[2].

فإخوانُكم في هذه الجمهوريةِ، جمهوريةِ البوسنةِ والهرسكِ، مُحْتَاجون لمساعدتِكم، فأعِينُوهم وسَاعِدُوهم.

أولاً: بمشاعرِكم وشُعُورِكم أنهم منكم وأنكم منهم وأن آلامَهم آلامٌ لكم، وسرورَهم سرورٌ لكم، وانتصارهم انتصار لكم ولدينكم،

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨١) و(٢٤٤٦)، ومسلم (٢٥٨٥) من حديث أبي موسىٰ رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٨٦) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما.

كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ﴾ [التوبة: ٧١].

ثانياً: بالدعاءِ الخالصِ لهم، أنْ يُفرجَ اللهُ عنهم كرباتِهم، ويرفعَ بُؤْسَهم، ويكشِفَ ضُرَّهم، ويحمي أوطانَهم، ويرد مُشَرَّدِيهم، وينصرَهم علىٰ أعدائهم الذين هم أعداؤكم.

ثالثاً: ببَــذْلِ الأموالِ السخيــةِ لنصرتِهم، ودَفْع حاجاتهم وضروريات‍هم ومساندتِهم في جهادِهم، وبَذْلِ الأموالِ في جِهَادٍ في سبيل الله بالأموال.

اللهم إنا نسألُك في مَقَامِنا هذا أنْ تَنصرَ إخوانَنا في البوسنةِ والهرسكِ علىٰ أعدائِهم، وأن تمنحَهم رقابَهم وتُورِّثَهم ديارَهم، وأموالَهم ونساءَهم وذرياتِهم.

بارك اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيمُ.

* * *

حادثة تفجير الخبر

إنَّ الحمدَ للهِ نحمَدُه، ونستعينُه ونستغفرُه ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيئاتِ أعمالِنا، من يهده الله فلا مُضلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له. وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له. وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه. صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه، ومَنْ تَبِعَهم بإحسان إلىٰ يوم الدين، وسَلَّم تسليماً كثيراً.

أما بعدُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

عبادَ الله: إنَّ دينَ الإسلامِ الذي ارتضاه اللهُ لكم وبعَثَ به محمداً ﷺ، دينُ الوفاء، دينُ الأمانةِ، دينُ العدلِ، دِينُ الصدقِ، دينُ البرِّ، دِينُ الصلةِ. قال الله تعالىٰ: ﴿وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا﴾ [الإسراء: ٣٤]. وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾ [المائدة: ١]. وقال تعالىٰ في الأمانة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٧]. وقال في العدل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا

يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨] . وقال في الصدق: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]. وقال في البرِّ: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا﴾ [النساء: ٣٦]. وقال في الصلة: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ [الرعد: ٢١].

إنَّ دِينَ الإسلامِ دينٌ يُحَارِبُ الغَدْرَ والخيانةَ، والجَوْرَ والكَذِبَ، والعُقوقَ والقطيعةَ. قال النبيُّ ﷺ، مُحَذِّراً من هذه الأخلاقِ السيئةِ: **«أربعٌ مَنْ كُنَّ فيه كان مُنَافِقاً خالصاً، ومَنْ كان فيه خَصْلةٌ منهن كان فيه خَصْلةٌ من النفاقِ حتىٰ يَدَعَها: إذا ائتمن خَانَ، وإذا حَدَّثَ كَذَبَ، وإذا عَاهَدَ غَدَرَ، وإذا خَاصَمَ فَجَرَ»**[1]. وقال النبيُّ ﷺ: **«ألا أُنبِّئُكم بأكبرِ الكبائر»**. قلنا: بلىٰ يا رسولَ اللهِ. قال: **«الإشراكُ باللهِ، وعقوقُ الوالدين»**[2]. وقال النبيُّ ﷺ: **«لا يدخلُ الجنةَ قاطعٌ»** يعني قاطعُ رَحِمٍ[3].

(١) أخرجه البخاري (٣٤)، ومسلم (٥٨) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٥٤)، ومسلم (٨٧) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٥٩٨٤)، ومسلم (٢٥٥٦) من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه.

عبادَ اللهِ: إن الوفاءَ بالعهدِ من خُلُقِ الإسلامِ الفاضلةِ التي أمرَ اللهُ بها وحَثَّ عليها، ومَدَح عليها، وإنَّ الغَدْرَ والخيانةَ من الأخلاقِ الذميمةِ التي تُحرمُها الشرائعُ وتَنْفِرُ منها الطبائعُ. وإنَّ من أعظمِ الغَدْرِ قتلَ النَفْسِ التي حَرَّم اللهُ إلا بالحقِّ، والنفوسُ التي حَرَّم اللهُ قتلَها أربعٌ: نفسُ المسلم، ونفسُ الكافرِ الذِّميِّ، ونفسُ الكافرِ المُعَاهَدِ، ونفسُ الكافِرِ المستأْمَنِ.

أما نفسُ المسلم فظاهرٌ، فمن أظْهَرَ لنا إسلامَه فنفسُه محرمةٌ، وإنْ عَمِلَ ما عَمِلَ من المعاصي التي لم يدلَّ القرآنُ والسنةُ علىٰ أنها تُبيحُ قتلَه. وأما الذميُّ والمُعَاهَدُ، فقد ثبت عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**مَنْ قتلَ مُعاهَداً لم يَرَحْ رائحةَ الجنةِ، وإنَّ رِيحَها تُوجَدُ من مسيرةِ أربعين عاماً**»[1]. رواه البخاريُّ. وروىٰ البخاريُّ أيضاً عن عبد الله ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**لن يزال المؤمن في فسحةٍ من دينهِ ما لم يُصِب دماً حراماً**»[2]. قال ابن عُمر: إنَّ من ورطات الأمور التي لا مخرجَ لمن أوقع نفسَه فيها: سفكُ الدمِ الحرام بغير حلّه[3]، ودمُ المعاهد حرام، وسفكه من كبائر الذنوب، لأن النبيّ ﷺ أخبر أنَّ من قتله لم يَرُح رائحة الجنة.

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٦٦) و(٦٩١٤) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري (٦٨٦٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه البخاري (٦٨٦٣) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

وأما المستأمن فقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾ [التوبة: ٦]. وفي صحيح البخاري ومسلم، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**ذمة المسلمين واحدة يسعىٰ بها أدناهم، فمن أخفر مسلماً فعليه لعنة الله والملائكة، والناس أجمعين لا يقبل منه صرفاً ولا عدلاً**»(١). وفي صحيح البخاري: أنّ أمَّ هانىءٍ بِنْتَ أبي طالبٍ رضي الله عنها، أتت النبيَّ ﷺ يوم فتح مكة، فسلمت عليه فقال: من هذه؟ قلت: أنا أم هانىء بنت أبي طالب. فقال: مرحباً بأم هانىء، فقلت: يا رسول الله: زعم ابن أمي عليّ أنه قاتل رجلاً قد أجرته، فقال النبيُّ ﷺ: «قد أجرنا من أجرت» فأجاز النبي ﷺ أمان المرأة(٢).

وعلىٰ هذا فمَنْ كان من الكفارِ عندَنا بأمانٍ، فهو محترمٌ مُحَرَّمُ الدمِ. وبذلك نَعْرِفُ خطأ عمليةِ التفجيرِ التي وقعت في الخُبَرِ في مكان آهلٍ بالسكان المعصومين في دمائهم وأموالِهم ليلة الأربعاء العاشر من هذا الشهر شهر صفر ١٤١٧هـ. الذي حصل من جَرَّائِه أكثرُ من ثمانية عشرَ قتيلاً، وثلاثمائة وستة وثمانون مصاباً، منهم المسلمونَ والأطفالُ، والنساءُ والشيوخُ، والكهولُ والشبابُ،

---

(١) أخرجه البخاري (١٨٧٠)، ومسلم (١٣٧٠) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٣٥٧)، ومسلم (٣٣٦) (٨٢) قبل حديث رقم (٧٢٠) من حديث أم هانىء رضي الله عنها.

وتَلَف من جَرَّائه أموالٌ ومساكن كثيرةٌ، ولا شك أنَّ هذه العملية لا يقرها شرع، ولا عقل، ولا فطرة.

أما الشرعُ، فقد استمعتم إلىٰ النصوصِ القرآنيةِ والنبويةِ الدالةِ علىٰ وجوبِ احترامِ المسلمين في دمائِهم وأموالِهم، وكذلك الكفارُ الذين لهم ذمةٌ أو عهدٌ أو أمانٌ، وأن احترامَ هؤلاءِ من مَحَاسنِ الدين الإسلاميِّ، ولا يلزمُ من احترامِ هؤلاءِ بمقتضىٰ عهودِهم محبةٌ ولا وَلاءٌ ومناصرةٌ. ولكنه الوفاءُ بالعهدِ إنَّ العهدَ كان مسؤولاً.

وأما العقلُ فلأن الإنسانَ العاقلَ لن يتصرفَ أبداً في شيءٍ مُحَرَّمٍ، لِمَا يعلمُ من سُوءِ النتيجةِ والعاقبةِ، ولن يتصرفَ في شَيْءٍ مُبَاحٍ حتىٰ يتبينَ له ما نتيجتُه؟ وماذا يترتبُ عليه؟ وإذا كان النبيُّ ﷺ جَعَلَ من مقتضياتِ الإيمانِ وكمالِه أن لا يقولَ الإنسانُ إلا خَيْراً، أو يَسْكُتُ. فكذلك يقال إنَّ من مقتضياتِ الإيمانِ وكمالِه أن لا يفعلَ الإنسانُ إلا خَيْراً أو لِيمُسْكْ. ولا شَكَّ أنَّ هذه الفعلةَ الشنيعة يترتبُ عليها من المفاسدِ ما سنذكر ما تيسر منه إن شاء اللهُ.

وأما الفطرةُ، فإنَّ كُلَّ ذي فطرةٍ سليمةٍ يكره العدوانَ علىٰ الغيرِ ويراهُ من المُنْكَرِ فما ذَنْبُ المصابين بهذا الحادثِ من المسلمين؟ ما ذَنْبُ المصابين من المعاهَدِين والمستأمنين؟ ما ذَنْبُ الأطفالِ والشيوخِ والعجائزِ؟ إنه لحادثٌ منكرٌ لا مُبررَ له.

وإنه ليترتبُ عليه مفاسدُ عظيمةٌ:

أولاً: فمن مفاسدِ ذلك: إنه معصيةٌ للهِ ورسولِه، وانتهاكٌ لحُرُماتِه وتَعَرُضٌ للعنةِ اللهِ تعالىٰ والملائكةِ والناسِ أجمعين، وأن لا يُقْبَلَ من فاعلِه صَرْفٌ ولا عَدْلٌ.

وثانياً: من مفاسده: تشويهُ سُمْعةِ الإسلامِ، فإنَّ أعداءَ الإسلامِ سوف يَسْتغلونَ مثلَ هذا الحدثِ لتشويهِ سُمْعةِ الإسلام، وتنفيرِ الناسِ عنه، مع أنَّ الإسلامَ بَرِيءٌ من ذلك. فأخلاقُ الإسلام صِدْقٌ وبِرٌّ ووفاءٌ، والدينُ الإسلاميُ يُحَذِّرُ من هذا وأمثالِه أشدَّ التحذير.

وثالثاً: من مفاسِدِه: أنَّ الأصابعَ في الداخلِ والخارجِ سوف تُشيرُ إلىٰ أن هذا من صُنْعِ الملتزمين بالإسلامِ، مع أننا نعلمُ عِلْمَ اليقين أن الملتزمين بشريعةِ اللهِ حقيقةً لن يَقْبَلُوا مثلَ ذلك، ولن يَرْضَوْا به أبداً. بل يتبرؤون منه وينكرونه أعظمَ إنكارٍ، لأن الملتزمَ بدين اللهِ حقيقةً هو الذي يقومُ بدينِ اللهِ علىٰ ما يريدُ اللهُ، لا علىٰ ما تَهواه نفسُه، ويُمْلِي عليه ذوقُه المبنيُّ علىٰ العاطفةِ الهَوْجَاءِ والمنهجِ المنحرفِ.

ورابعاً: من مفاسده: أنَّ كثيراً من العامةِ الجاهلين بحقيقةِ الالتزام بدينِ اللهِ سوف ينظرون إلىٰ كثيرٍ من الملتزمين البُرَءَاءِ من هذا الصنيعِ، نَظْرةَ عَدَاءٍ وتَخَوُّفٍ وحَذَرٍ وتَحْذِيرٍ، كما سَمِعْنا عن بعضِ جُهَّالِ العوامِ، من تَحْذِيرِ أبنائِهم من الالتزامِ، لا سِيَّما بعد أن

شاهدوا صُوَرَ الذين حُكِمَ عليهم في قضيةِ تفجيرِ المفجرات في الرياضِ. وإنني بهذه المناسبةِ، لأعْجَبُ من أقوامٍ أطلقُوا ألسنتهم بشأنِ الحُكْمِ فيهم، مع أنه صادرٌ بأقوىٰ طُرُق الحكمِ. فقد صَدَر من عددٍ من قُضَاةِ المحكمةِ وأُيد الحُكْمُ بموافقةِ هَيْئَةِ التمييزِ، ثم بموفقةِ المجلسِ الأعلىٰ للقضاءِ، ثم جَرَىٰ تنفيذُه من قِبَلِ وَلِيِّ أمرِ هذه البلادِ.

أفبعدَ هذا يمكنُ أن يُطْلِقَ المسلمُ لسانَه في هذا الحُكْمِ، ويقول ما هو أقربُ فيه إلىٰ الإثمِ من السلامةِ، وإذا كان الإنسانُ يقولُ في هذا الحكمِ الصادرِ بأقوىٰ أدواتِ الحكمِ ما يقولُ، فإنه يمكن أن يقولَ فيما دونه ما يقول. ومن المعلومِ للخاصةِ والعامةِ أن بلادَنا ولله الحمدُ أقوىٰ بلادِ العالَمِ الآن في الحُكْمِ بما أنزلَ اللهُ عزَّ وجلَّ، يشهدُ بذلك القَاصِي والدانِي. وإذا تنزلنا جَدَلاً لما يقولُ هؤلاءِ، فإنَّ الحاكِمَ مغفورٌ له مأجورٌ بأجْرٍ واحدٍ، والحُكْمُ نكالٌ لمن حاول الفسادَ والإفسادَ، والمحكومُ عليهم قَضَوْا ما قَدَّر اللهُ لهم من حياةٍ وأُثِيبُوا علىٰ ما حصَلَ لهم من فَوَاتٍ.

وخامساً: من مفاسدِ هذه الفعلةِ القبيحة: أعني التفجيرَ في الخُبَرِ أنها تُوجِبُ الفَوْضَىٰ في هذه البلاد التي ينبغي أن تكونَ أقوىٰ بلاد العالمَ في الأمنِ والاستقرار، لأنها تشملُ بيتَ اللهِ الذي جعَلَه مثابةً للناس وأمْناً، وفيها الكعبةُ البيتُ الحرامُ التي جعلها اللهُ قِياماً

للناس، تقومُ بها مصالحُ دِينِهم ودنياهم. قال اللهُ تعالىٰ: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ [البقرة: ١٢٥]. وقال تعالىٰ: ﴿۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٩٧].

وسادساً: من مفاسدها: ما حصَلَ بها من تَلَفِ النفوسِ والأموالِ وتَضَرُّرِها، كما شاهدَ الناسُ في وسائل الإعلام ما شاهدوا منها، وإن القلوبَ لتتفجَّرُ، والأكبادَ تَتَفَتَّتُ، والدموعَ تُذْرَفُ حين يُشَاهَدُ الأطفالُ علىٰ سُرُرِ التمريضِ ما بين مصابٍ بعينِه أو أُذنِه أو يَدِه أو رِجْلِه. وهم تدورُ أعينُهم فيمَنْ يَعُودُهم، لا يملكون رَفْعاً لما وقَعَ ولا دَفْعاً لما يُتَوَقَّعُ.

ولا أدْرِي ماذا يُرادُ من مثلِ هذه الفعلةِ؟ أيرادُ الإصلاحُ، فالإصلاحُ لا يأتي بمثلِ هذا. إنَّ السيئةَ لا تأتي بحسنةٍ ولن تكونَ الوسائلُ السيئةُ طُرَقاً لإصلاحٍ أبداً، كيف يُطَهَّرُ القَذَرُ بما هو أقذرُ منه. وإننا وغَيْرَنا من ذوي الخِبْرَةِ والإنصافِ ليَعْلَمُ أن بِلادَنا خَيْرُ بلادِ المسلمين اليومَ في الحُكْمِ بما أنزلَ اللهُ، وفي اجتناب سَفَاسِفِ الأمورِ ودَمَارِ الأخلاقِ، ليس فيها وللهِ الحمدُ قُبورٌ يُطَافُ بها وتُعْبَدُ، وليس فيها خُمُورٌ تُبَاعُ علنا وتُشْرَبُ، وليس فيها كَنَائِسُ يُعْبدُ فيها غَيْرُ اللهِ سبحانَه جِهَاراً، وليس فيها ما يوجد في كثيرٍ من بلادِ المسلمين اليوم! فهل يَلِيقُ بِنَاصِحٍ للهِ ورسولِه والمؤمنين أن ينقلَ الفِتَنَ إلىٰ هذه البلادِ؟ ألا فلْيَتقُوا اللهَ وليقولوا قولاً سديداً، ولْيفعلوا فِعْلاً حَميداً.

اللهم إنا نسألُك أن تَقِيَ بلادَنا شَرَّ الفِتَنِ ما ظهرَ منها وما بطنَ. اللهم قِنَا شرورَ أنفسِنا، وشرورَ عبادِك وأَدِمْ علىٰ بلادِنا أَمْنَها، وزِدْها صَلاحاً وإصْلاحاً. إنك علىٰ كل شيء قديرٌ. اللهم اقْمَعِ المفسدين، ورُدَّ كيدَهم في نُحُورِهم، واجعلْ تدبيرَهم تدميراً عليهم يا ربَّ العالمين.

أقولُ قولي هذا واستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيمُ.

❊ ❊ ❊

حال السلف وحال الخلف

الحمدُ للهِ العليِّ الكبيرِ القويِّ القديرِ نحمَدُه وهو بالحمدِ جديرٌ ونشكرهُ علىٰ ما أولاه من الفضلِ والإحسانِ، وهو نِعْمَ المولىٰ ونِعْمَ النصيرُ، ونشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ الكاملُ في صفاتِه وأفعالِه ليس كمثله شيءٌ وهو السميعُ البصيرُ، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، الذي سن لأمتِه أكملَ السننِ، وهَداها إلىٰ أقومِ الطرقِ، فهو الداعِي إلىٰ اللهِ علىٰ بصيرةٍ وهو السراجُ المنيرُ، صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه ومَنْ سار علىٰ هديهم القويمِ وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ وحققوا إيمانكم، وتمسكوا بدينِكم فإنه لن يُصلحَ آخرَ هذه الأمة إلا ما أصلح أولَها، إيمانٌ باللهِ ورسولِه، جهادٌ بالقولِ والفعلِ والمالِ في سبيلِه، إقامةٌ للصلوات إيتاءٌ للزكاة، مسارعةٌ في الخيرات، وتباعدٌ عن المنكرات، لقد كان السلفُ الصالحُ رَضِيَ اللهُ عنهم، ورزقَنا اتباعَهم، لقد كانوا إذا ذُكِّرُوا بآياتِ ربِّهم لم يَخِرُّوا عليها صُمّاً وعُمْيَاناً، بل يفتحون لها قلوبَهم ويُقْبِلُون إليها بآذانٍ واعيةٍ وأبصارٍ رائية وقلوبٍ خاشعةٍ، كانوا إذا ذُكِرَ اللهُ وجَلَتْ قلوبُهم وإذا تُلِيَتْ عليهم آياتُه زادَتْهُم إيماناً، إذا فُتِحَ لهم بابُ الخيرِ دخلوا فيه مسرعين، وإذا بُيِّنَ لهم الشرُّ فَرُّوا عنهم هاربين، شعارهم دائماً ما ذكره عنهم العليم الخبير: ﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، فكونوا رَحِمَكم اللهُ مِثْلَ سلفِكم الصالحِ تنجوا من النار وتفوزوا

بالنعيمِ المقيمِ، تَحْيَوْا حياةً طيبةً كريمةً عزيزةً، تُجزوا بعدَ الموت أجرَكم بأحسنِ ما كنتم تعملون.

أيها الناسُ: إننا إذا نظرنا إلىٰ واقعِ كثيرٍ من المسلمين اليومَ وجدناه واقعاً مُرّاً مُؤْلِماً، يؤثرون الحياةَ الدنيا وهي زائلةٌ، علىٰ الحياةِ الأخرىٰ وهي الباقيةُ، تراهم إذا أُصِيبُوا بمَرَضٍ في أبدانِهم هُرِعُوا إلىٰ الأطباءِ مسرعين، يتطلبون الدواءَ من كُلِّ وجهٍ، ويَسْعَوْنَ إلىٰ الشفاءِ من كُلِّ طريقٍ، أما مَرَضُ القلوبِ فهم عنه لاهُونَ مُعْرِضُون، لا يفكرون في طَلَب الدواءِ لقلوبِهم، ولا يَسْعَوْنَ في طريق الشفاءِ، تراهم علىٰ حِفْظِ الأموالِ، وعلىٰ حُسْنِ التصرفِ فيها وتنميتها حَرِيصِينَ مُشْفِقين، أما حفظُ الأوقاتِ والأعمالِ الصالحةِ، فهم فيه مُفَرِّطُون مضيعون، تراهم يُضَيِّعُون كثيراً من أوقاتهم باللهوِ والغفلةِ، ولا يُنَمُّون أعمالهم الصالحةَ ويسلكون لها الطريقَ الأَوْلَىٰ، تراهم إذا أُصِيبَ أَحدُ أعضائهم بألمٍ تألَّمَ له سائرُ الجسدِ، وإذا أُصيب أحدٌ من المؤمنين بمصيبةٍ لم يتألموا له، بل ربما كانوا فرحين شامتين مع أن النبيَّ ﷺ قال: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم تعاطفهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكىٰ منه عضوٌ تداعىٰ له سائر الجسد بالحُمَّىٰ والسَهَرِ**»[1]، وعلىٰ كلِّ حالٍ إذا نظرت إلىٰ المؤمنين اليومَ وجَدْتَهم في حالٍ مؤلمةٍ مؤسفةٍ، وإنَّ كثيراً منهم

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.

بعيدون كُلَّ البعدِ عن أهدافِ دينِهم وأحكامِه عِلْماً وعَمَلاً، ولذلك صارت الأهواءُ تتجارىٰ بهم وأمواج الفِتَنِ تتقاذفُهم، فصار الحقُّ ملتبساً عليهم بالباطلِ، وربما كانوا إلىٰ تصديقِ الباطلِ أقربَ، إذا زُخْرِفَ لهم الباطلُ بأدنىٰ زَخْرَفةٍ قَبِلُوه، وإنْ كان بأوْهَىٰ دليل، وإذا ذُكِرَ لهم الحق تَشَكَّكُوا فيه، ولو كان بأقْوَىٰ دليل، وما ذاك إلا لِمَرَضِ القلوبِ الذي كان من جَرَّاءِ المعاصِي والذنوبِ.

وفي صحيحِ البُخاريِّ عن حُذَيفةَ بْنِ اليَمَانِ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: كان الناسُ يسألون رسولَ اللهِ ﷺ عن الخيرِ، وكنت أسألُه عن الشرِّ مخافةَ أن يُدْرِكَني، فقلت: يا رسولَ اللهِ إنا كنا في جاهليةٍ وشرٍّ فجاءنا اللهُ بهذا الخيرِ فهل بعدَ هذا الخيرِ من شَرٍّ، قال: «**نَعَمْ**»، قلت: وهَلْ بعدَ هذا الشرِّ من خيرٍ، قال: «**نَعَمْ وفيه دَخَنٌ**»، قلت: وما دَخَنُه قال: «**قومٌ يَهْدُونِ بغيرِ هديي تعرفُ منهم وتُنكِرُ**»، قلت: فهل بعدَ ذلك الخيرِ من شرٍّ، قال: «**نَعَمْ، دُعَاةٌ علىٰ أبوابِ جَهَنَّمَ مَنْ أجابَهم إليها قَذَفُوه فيها**»، قلت: يا رسولَ الله صِفْهم لنا، قال: «**هم من جِلْدَتِنا ويتكلمون بألسنتنا**» قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك، قال: «**تلزمُ جماعةَ المسلمين وإمامَهم**»، قلت: فإن لم يكنْ لهم جماعةٌ ولا إمامٌ، قال: «**فاعتزلْ تلك الفرقَ كُلَّها، ولو أنْ تَعَضَّ بأصلِ شجرةٍ حتىٰ يُدْرِكَكَ الموتُ وأنت علىٰ ذلك**»[1].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٠٦)، ومسلم (١٨٤٧) من حديث حذيفة رضي الله عنه.

أعوذُ باللهِ من الشيطان الرجيم، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [النساء: ١٧٤-١٧٥].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيمُ.

* * *

فضائل الأعمال

الحمدُ للهِ الذي جعل الآجالَ مقادير الأعمار، وجعل هذه الأعمارَ مواقيتَ للأعمالِ، وكتب الفلاحَ لِمَنْ شغلَها بالأعمالِ الصالحاتِ، والخسارةَ لِمَنْ فَرَّطَ فيها فأضاعَها وشَغَلها بالأعمالِ السيئات ونشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا الله وحده لا شريك له رب الأرض والسمٰوات، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أفضلُ المخلوقات، صلَّىٰ اللهُ وسلَّم عليه، وعلىٰ آلِه وأصحابه، والتابعين لهم بإحسان ما تعاقبت الأزمانُ والأوقاتُ، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واعلموا أنَّ عملَ المؤمن لا ينتهي بانتهاءِ مواسمِ العبادةِ، وإنما ينتهي بالموتِ، لأن العمرَ كُلَّه مَحلٌّ للطاعةِ، قال اللهُ تعالىٰ لنبيِّه ﷺ: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩]. فاعمرُوا أوقاتكم بطاعةِ اللهِ وما يُقَرِّبُكم إليه، واعلموا أنَّ اللهَ تعالىٰ قد سهَّلَ العبادةَ ويسَّرَها غايةَ التيسيرِ، وجعل للخير أبواباً لِيَلِجَها مَنْ للخير يَقْصِدُ ويُرِيدُ، انظروا إلىٰ الصلاةِ التي هي آكدُ أركانِ الإسلام بعد التوحيدِ، تجدوها قليلةَ الكُلفةِ كثيرةَ الأجرِ، فهي خَمْسٌ بالفعل، وخمسون في الميزانِ، خَمْسٌ مُفَرَّقَةٌ في أوقاتٍ مناسبةٍ، حيث لا يحصلُ المَلَلُ للكسلانِ، وإذا أقامها الإنسانُ في جماعةٍ كانت الصلاةُ مع الجماعةِ أفضلَ من صلاةِ الفذ بسبع وعشرين درجةً، وهذه النوافلُ التابعةُ للمكتوباتِ،

اثنتا عشْرةَ ركعةً، أربعٌ قبلَ الظهرِ وركعتان بعدَها، وركعتان بعد المغرب وركعتان بعد العشاء، وركعتان قبلَ صلاةِ الفجرِ، مَنْ صَلاَّهُنَّ بَنَىٰ اللهُ له بيتاً في الجنةِ، وهذه الأذكارُ خَلْفَ الصلواتِ المكتوباتِ، مَنْ سَبَّحَ اللهَ دُبُرَ كُلِّ صلاةٍ ثلاثاً وثلاثين، وحَمِدَ اللهَ ثلاثاً وثلاثين، وكَبَّرَ اللهَ ثلاثاً وثلاثين، فتلك تِسْعٌ وتِسْعُونَ، وقال تمامَ المئةِ لا إلٰهَ اللهُ وحدَه لا شريكَ له، له الملكُ وله الحمدُ، وهو علىٰ كل شيء قديرٌ، غُفِرَتْ خطَاياه ولو كانت مِثْلَ زبَدِ البَحْرِ، وهذا الوتِرْ سنه رسول الله ﷺ وقال: «**إن اللهَ وِتْرٌ يُحِبُّ الوِتْرَ**»[1]. وأقلُّه ركعةٌ واحدةٌ، وأكثرُه إحدىٰ عَشْرةَ ركعة، وهو مؤكدٌ لا ينبغي للإنسان تركُه، قال الإمامُ أحمدُ: من ترك الوتر فهو رجلُ سُوءٍ لا ينبغي أن تُقبلَ له شهادةٌ، ووقتُ الوِتْرِ من صلاةِ العشاءِ الآخرةِ إلىٰ طلوع الفجرِ، وإذا توضأ الإنسانُ فأسبغَ الوُضوءَ ثم قال: أشهدُ أن لا إلٰهَ إلا الله وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، اللهم اجعلْني من التوابين واجعلْني من المتطهرين، فُتِحَتْ له أبوابُ الجنةِ الثمانيةُ يدخلُ مِنْ أيِّها شاء. وهذه الصدقاتُ إذا كانت بنيةٍ خالصةٍ ومِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، فإنَّ اللهَ يَقْبلُها بيمينِه ويُربِّيها لصاحبِها حتىٰ يكونَ ما يُعادلُ التمرةَ مثلَ الجَبَلِ العظيمِ، فالرجلُ يُنْفِقُ علىٰ نفسِه، ويُنْفِقُ علىٰ أهلِه، ويُنْفِقُ علىٰ بَهَائِمِه، يحتسِبُ الأجرَ بذلك

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤١٠)، ومسلم (٢٦٧٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

علىٰ اللهِ فيكونُ له أجرٌ، قال النبيُ ﷺ: «**إنَّ اللهَ ليرضىٰ عن العبدِ يأكلُ الأكلةَ فيحمَدُه عليها، ويشرب الشربةَ فيحمده عليها**»[١] وقال لسَعْدٍ: «**واعلمْ أنك لن تُنفِقَ نفقةً تَبْتَغِي بها وَجْهَ اللهِ إلا أُجِرْت عليها، حتىٰ ما تجعلَه في فَمِ امرأتِك**»[٢]. وقال: «**الساعِي علىٰ الأرملةِ والمسكين كالمجاهدِ في سبيلِ اللهِ وأحسبه قال: كالصائمِ لا يُفْطِرُ، وكالقائم لا يَفْتُرُ**»[٣]. والساعِي علىٰ الأرملة والمسكين هو الذي يطلبُ الرزقَ لهم، ويكونُ في حاجتِهم، فأولادُك الصغارُ الذين لا يستطيعون القيامَ بأنفسِهم هم من المساكين، فالسعيُ عليهم كالجهادِ في سبيلِ اللهِ، وفي صحيحِ مسلمٍ عن عائشةَ رَضِي اللهُ عنها، أن النبيَّ ﷺ قال: «**خَلَقَ اللهُ ابْنَ آدَمَ علىٰ سِتِّينَ وثلاثمائة مَفْصِلٍ، فمَنْ ذَكَر اللهَ وحَمِد الله وهلَّل اللهَ، وسبَّحَ اللهَ، وعَزَلَ حَجَراً عن طريقِ المسلمين، أو عَزَل شوكةً، أو عَزَلَ عَظْماً، أو أَمَرَ بمعروفٍ، أو نَهَىٰ عن مُنْكَرٍ، عَدَد تلك الستين والثلاثمائة أَمْسَىٰ مِنْ يومِه وقد زَحْزَحَ نفسَه عن النار**»[٤]. وقال: «**يُصْبِحُ علىٰ كُلِّ سُلاَمَىٰ**

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٣٤) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٥٦) و(١٢٩٥)، ومسلم (١٦٢٨) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٥٣٥٣) و(٦٠٠٦)، ومسلم (٢٩٨٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه مسلم (١٠٠٧) من حديث عائشة رضي الله عنها.

ـ يعني كل عُضْو ـ من أحدِكم صدقة. فكلُ تسبيحةٍ صدقةٌ، وكلُّ تحميدةٍ صدقةٌ، وكلُّ تَهليلةٍ صدقةٌ، وكلُّ تكبيرةٍ صدقةٌ، وأمرٌ بالمعروفِ صدقةٌ، ونهيٌ عن المنكر صدقةٌ، ويُجْزِيءُ من ذلك رَكْعَتان يَرْكَعْهما في الضُّحَىٰ»[(١)]. وقال: «ما أطعمتَ نفسَك فهو لك صدقةٌ، وما أطعمتَ ولدَك فهو لك صدقةٌ، وما أطعمتَ زوجَك فهو لك صدقةٌ»[(٢)]. وقال: «في بُضْعِ احدِكم ـ يعني إتيان أهله ـ صدقةٌ»[(٣)]. فأبوابُ الخير كثيرةٌ جداً، فالكَيِّسُ من دانَ نفسَه وعَمِلَ لِمَا بعدَ الموتِ، والعاجزُ مَنْ أتبعَ نفسَه هواها، وتَمَنَّىٰ علىٰ اللهِ الأماني. أعوذُ باللهِ من الشيطان الرجيم: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

بارك اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيمُ.

* * *

---

(١) أخرجه مسلم (٧٢٠) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد ٤/ ١٣١، والبخاري في «الأدب المفرد» (٨٢) و(١٩٥) والنسائي في الكبرىٰ (٩١٨٥) من حديث المقدام بن معدي كرب.

(٣) أخرجه مسلم (١٠٠٦) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

تحريم الظلم

الحمدُ للهِ الذي حرّم الظلـمَ علىٰ نفسِه وجعله بين عبادِه مُحَرَّماً، وجعل عاقبةَ الظلمِ دماراً علىٰ أهلِه وهلاكاً ومأثماً، فتلك بيوتُهم خاويةً بما ظَلَموا فبئس المصيرُ لِمَنْ بَغَىٰ، ونشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له شهادةً نرجو بها عَالِيَ الجِنَانِ نُزُلاً، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المبعوثُ إلىٰ كافة القُـرَىٰ ﷺ وعلىٰ آلِه وأصحابِه الذين أقاموا العدلَ فيما وُلُّوا عليه، فأكْرِمْ بهم أولياءَ!

أما بعدُ، أيها المؤمنون: اتقوا اللهَ تعالىٰ واحذروا الظلمَ، فإنَّ الظلـمَ ظلمـاتٌ، ظلمـاتٌ فـي القلـبِ، وظلمـاتٌ علـىٰ الـوجـهِ، وظلماتٌ في القبرِ، وظلماتٌ يوم القيامة، والظلمُ علىٰ نوعين: ظلمٌ في حق اللهِ وظلمٌ في حقوقِ عبادِ الله.

فمِنَ الظلمِ في حقِّ اللهِ أن يُشرِكَ المرءُ بعبادةِ ربِّه أحداً، مثل: أنْ يُصَلِّيَ رياءً أو يصومَ رِياءً أو يتصدَق رياءً أو يعملَ ما يقربُ إلىٰ اللهِ لا يقصِدُ إلا التقربَّ إلىٰ المخلوقين، فهذا خاسرٌ وعملُه باطلٌ، وفي الصحيحِ عن أبي هريرةَ رضي اللهُ عنه، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**قال اللهُ تعالىٰ: أنا أغنىٰ الشُّركاءِ عن الشركِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أشْرَكَ فيه معي غيري تركتُه وشِرْكَه**»[1]. ومن الشركِ أنْ يحلِفَ الإنسانُ بغيرِ اللهِ مثل: أنْ يحلفَ بالنبيِّ ﷺ، أو بالكعبةِ، أو بحياةِ المخلوقين، فمَنْ كان حالفاً فليحلِفْ باللهِ أو ليصْمُتْ، ومِنَ الظلمِ في حقِّ اللهِ

(١) أخرجه مسلم (٢٩٨٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أنْ يُنْكِرَ الإنسانُ شيئاً من أسماءِ اللهِ وصفاتِه، أو يُحَرِّفَها عن معانِيها وحقائِقها، ومِنَ الظُّلْمِ أن يصفَ اللهَ تعالىٰ بما لم يَصِفْ به نفسَه، يقول بعضُ العوام إذا رأىٰ شخصاً متكبراً: (الله أكبر منك رأس)، وهذا لا يجوز لأن اللهَ تعالىٰ لا يوصف إلا بما وصف به نفسه، لا يتعدىٰ في ذلك القرآن والحديثَ، ومِنَ الظلمِ في حقِّ اللهِ أن تَعْلَمَ أنَّ اللهَ أوجبَ عليك شيئاً، أو حَرَّمَ عليك شيئاً، فتخالفَه في ذلك، فإن حقَّ اللهِ عليك أن تعبدَه وحدَه لا شريكَ له، بأن تكونَ له عبداً سامعاً مطيعاً. وأما ظلمُ العبادِ فكثيرٌ: فمِنْ ظلم العباد أن يَنْتَهِكَ أعراضَهم بالغِيبةِ والغِيبةُ فسَّرها النبيُّ ﷺ بأنها ذكرُك أخاك بما يكرَهُ»، قالوا يا رسولَ الله أرأيت إن كان في أخي ما أقولُ، قال: «**إنْ كان فيه ما تقول فقد اغتبتَه، وإنْ لم يكنْ فيه ما تقول فقد بَهَتَّه**»[1]، ومن مكائدِ الشيطانِ لابن آدم أنَّ كثيراً من الناس قد ابتلي بالغِيبةِ، مع أنها من كبائرِ الذنوب، وهذا الرجلُ المبتلَىٰ بها تَجِده في بعضِ الناسِ كثيرَ الصلاةِ والعبادةِ، ولكنه يُوَزِّعَ صلاتَه وعبادتَه علىٰ مَنْ يغتابُهم، فإنهم يأخذون من حسناتِه بقَدْرِ غِيبتِه إياهم، فإن بَقِيَ مِنْ حسناتِه شيءٌ وإلا أُخِذَ من سيئاتِهم فطُرِحَ عليه ثم طُرِحَ في النارِ، وكلما كانت الغِيبةُ أعْظَم ضرراً كان إثمُها أكبرَ بحَسَبِ ما يَنْتُجُ عنها من الضَرَرِ، ولما قال النبيُّ ﷺ لمُعَاذٍ: «**ألا أُنبئُكْ بمِلاَكِ**

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٨٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ذلك كُلِّه»، قال: بلىٰ يا رسولَ الله، فأخذ النبيُّ ﷺ بلسانِ نفسِه، وقال: «**كُفَّ عليكَ هذا**»، فقال معاذٌ: يا رسولَ اللهِ وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به، قال: «**ثَكِلَتْكَ أُمُّك يا معاذُ وهل يَكُبَّ الناسَ في النارِ علىٰ وجُوهِهم، أو قال: علىٰ مَناخِرِهم، إلا حَصَائِدُ ألسنتِهم**»[1]، ومِنْ ظلمِ الناسِ أنْ يمنعَ حقوقَهم التي أوجبَها اللهُ لهم عليه، فمن ذلك أنْ يمنع النفقةَ الواجبةَ عمن تجبُ نفقته مثل أن يمنع نفقةَ زوجتِه أو نفقةَ أقاربِه الفقراءِ، أو يمتنع عن نَصْرِ الظالمِ أو نَصْرِ المظلومِ، أما نصرُ الظالمِ فهو أن يمنعَه من الظلم لأنه إذا منَعه من الظلم، فقد نصَرَه علىٰ نفسه الأمارةِ بالسُّوءِ التي من أعدائه، وأما نَصْرُ المظلومِ فأن يدفعَ الظلمَ عنه بما استطاع، ومِنْ ظلمِ الناسِ أن يكذِبَ عليهم إذا حَدَّثَهم، ويُخلِفَ وَعْدَهم إذا وَعَدَهم، ويَغْدِرَ بهم إذا عاهَدهم، وتلك علاماتُ المنافقين وصفاتُهم، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ ۝٤١ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [الشورىٰ: ٤١-٤٢].

بارك اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيمُ.

---

(١) أخرجه أحمد ٥/٢٣١، والترمذي (٢٦١٦)، وابن ماجه (٣٩٧٣)، والنسائي ٤/١٦٦ من حديث معاذ رضي الله عنه.

التوبــة

الحمدُ للهِ الملكِ الوهابِ، غافرِ الذنبِ وقابلِ التوبِ شديدِ العقابِ، ذي الطولِ لا إلٰهَ إلا هو عليه توكلنا وإليه المآب، ونشهدُ أن لا إلٰهَ إلا الله وحدَه لا شريكَ له، له العظمةُ والكبرياءُ وهو الواحدُ القهارُ، ونشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه، أفضلُ سالكٍ إلىٰ ربِّه في الجَهرِ والإسرارِ، صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه البررةِ الأطهارِ وعلىٰ التابعين لهم بإحسان ما تعاقبَ الليلُ والنهار وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها المؤمنون: اتقوا اللهَ واعْرِفُوا ما للهِ تعالىٰ من الحِلْمِ الواسعِ العظيمِ، وماله من المغفرةِ والعفوِ للمستغفرينَ المُسْتَعِفْينَ، ثم اعْرِفُوا ماله من القوةِ والقهرِ والعظمةِ والأخذِ الأليم لِمَنْ عصاه، فإن اللهَ لَيُمْلِي للظالم حتىٰ إذا أخذَه لم يُفْلِتْه ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢]، فَسِيرُوا إلىٰ ربكم بين الخوفِ والرجاءِ، ولا يَغْلِبَنَّ الرجاءُ عليكم فتكونوا مِمَّنْ أَمِن مكر الله ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩]، وإياكم أن يسيطرَ عليكم الخوفُ، فتَقْنَطُوا من رحمةِ الله ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦]، انظروا إلىٰ سَعَةِ رحمةِ اللهِ وفضلِه وإحسانِه فاطمعوا في ذلك واسْعَوْا بفِعْلِ الأسبابِ التي تُوَصِّلُكم إلىٰ فضلِه، فإنه لا يَهْلِكُ علىٰ اللهِ إلا هالكٌ، لا يستهوِيَنَّكم الشيطانُ في التمادي بفِعْلِ المعصيةِ، مُتَعَلِّلِينَ

بمغفرةِ اللهِ فإن بعضَ الناسِ قد يفعلُ المعصيةَ ويستمرُ فيها ويقولُ: إنَّ اللهَ غفورٌ رحيمٌ، وهذا غُرورٌ يؤدي إلىٰ أن يأمنَ الإنسانُ مَكرَ اللهِ ويستمرَّ في معصيتِه، ولكن المُوَفَّقُ مَنْ إذا عصىٰ اللهَ ذَكَر عظمَةَ مَنْ عصاهُ، فاستغفرَ لذنبِهِ وتاب إلىٰ ربه، كذلك بعضُ الناسِ يستولي عليه اليأسُ من رحمةِ اللهِ فإذا نظرَ إلىٰ ظُلْمه لنفسِه وكثرةِ ذنوبه وعَظَمَتِها أيس من الخَلَاصِ منها، وقال كيف أحاول ما لا يمكنُ زوالُه، وهذا خطأ وضلالٌ فإنَّ اللهَ يقول: ﴿ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]، فالعاقلُ إذا نظَرَ إلىٰ ذنوبه وأعمالِه خافَ من عقوبةِ اللهِ ونكَالِه، وإذا نظر إلىٰ فَضْلِ اللهِ وإحسانِه طَمِعَ في رحمتِهِ ونَوَالِه، ثم سَعَىٰ في الأسبابِ التي تدخلُه في رحمةِ الله. إذا نظرنا إلىٰ ما أنعم اللهُ به علينا من نعمةِ الإسلام والإيمانِ حيث عافانا مما ابْتَلَىٰ به الكافرين الجاحدين حَمِدْنا اللهَ علىٰ ذلك واستبشرْنا وأمَّلْنا فَضْلَه وثوابَه علينا، وإذا تأملنا في أحوالنا، وأننا قد تخلفنا عن رتبةِ السابقين أوجب لنا ذلك الخوفَ من ربِّ العالمين والتوبةَ إليه والندم علىٰ التفريط. أعوذُ باللهِ من الشيطانِ الرجيم: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَـٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ [الزمر: ٩].

بارك اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيمُ.

عمل المسلم بعد رمضان

الحمدُ للهِ الذي جعلَ الليلَ والنهار خِلْفَةً لِمَنْ أرادَ أن يَذَّكَّرَ أو أرادَ شُكُوراً، ووفَّقَ مَنْ شاءَ مِنْ عبادِه لِعمَارتِها بأنواعِ الطاعاتِ، لِيَزْدَادُوا إيماناً مع إيمانِهم وأولئك كان سعيُهم مشكوراً، وخَذَلَ مَنْ أعرض عن ذِكْرِه واتبعَ هَوَاهُ وأولئك مأواهم جهنمُ وساءت مصيراً، وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، له الملكُ وله الحمدُ وكان اللهُ علىٰ كلِّ شيءٍ قديراً، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه أرسلَه بين يَدَي الساعةِ بشيراً ونذيراً وداعياً إلىٰ اللهِ بإذنِهِ وسِرَاجاً منيراً، صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابه وأتباعهم وسلَّم تسليماً كثيراً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: فقد كنتم ترتقبون مَجِيءَ شَهْرِ رمضانَ ولقد جاء شهرُ رمضانَ وخَلَّفتموه وراءَ ظهُورِكم، وهكذا كُلُّ مستقبلٍ لكم سوف تبلغونه وتُخَلِّفُونَه وراءَ ظُهُورِكم، حتىٰ يأتيَكم الموتُ، ولقد أَوْدَعْتُم شهرَ رمضان ما شاء اللهُ من الأعمالِ، فمَنْ كان منكم مُحْسِناً فليُبْشِرْ بالقبولِ والأجْرِ، فإن اللهَ لا يُضِيعُ أجْرَ المحسنين، ومَنْ كان مُسِيئاً فلْيَتُبْ إلىٰ اللهِ، فالعُذْرُ قبلَ الموتِ مقبولٌ والله يُحِبُّ التوابين.

أيها الناسُ: لئن انقضىٰ شهرُ الصيام، إنَّ زمنَ العملِ لا يَنْقضي إلا بالموتِ، قال الله تعالىٰ: ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾

[الحجر: ٩٩]، لئن انقضت أيامُ الصيامِ في رمضانَ إن الصيامَ لا يزال مشروعاً ولله الحمدُ، فقد شَرَع رسولُ اللهِ ﷺ صيامَ يوم الاثنين والخميسِ، وقال: «**إنَّ الأعمالَ تُعْرَضُ فيهما على اللهِ فأُحِبُّ أن يُعْرَضَ عَمَلِي وأنا صائمٌ**»(١)، وأوصىٰ ﷺ بصيامِ ثلاثةِ أيامٍ من كُلِّ شَهْرٍ(٢)، وأرْشَدَ إلىٰ أن تكونَ في أيامِ البيضِ وهي الثالثَ عشر والرابعَ عشَر والخَامس عشَر وتُجْزِىءُ في غيرها.

ولئن انقضىٰ قيامُ رمضانَ إنَّ قيامَ الليلِ لا يزالُ مشروعاً وللهِ الحمدُ في كُلِّ ليلةٍ من ليالي السنةِ، وقد ثبت عن النبيِّ ﷺ **أن اللهَ ينزلُ كُلَّ ليلةٍ إلىٰ السماءِ الدنيا حين يَبْقَىٰ ثُلُثُ الليلِ الآخِرِ، فيقولُ: مَنْ يدعوني فأستجيبَ له؟ مَنْ يسألني فأُعْطِيَه؟ مَنْ يستغفرني فأَغْفِرَ له؟ حتىٰ يطلعَ الفجرُ**(٣).

فيا عبادَ الله: اتقوا ربَّكم وبادروا أعمارَكم بأعمالِكم وحقِّقُوا أقوالَكم بأفعالِكم واغتنموا الأوقاتَ بالأعمالِ الصالحةِ، فإنَّ حقيقةَ عُمْر الإنسانِ ما أمضاهُ في طاعةِ مولاه، وما سوىٰ ذلك فذاهبٌ خَسَارٌ.

---

(١) أخرجه أحمد ٢/٢٦٨ والترمذي (٧٤٧)، والنسائي ٤/٢٠١ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٧٢٢) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٧٤٩٤)، ومسلم (٧٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أيها المسلمون: لقد يَسَّر اللهُ لكم سُبُلَ الخيراتِ وفتح أبوابَها، ودعاكم إلىٰ دخولِها وبين ثوابَها. انظروا إلىٰ الصلواتِ الخمسِ آكدُ أركانِ الإسلامِ بعدَ التوحيد هي خمسٌ في الفعل وخمسون في الثوابِ، فرَّقَها اللهُ في أوقاتٍ لئلا تملوا وليحصلَ لكلِّ وقتٍ نصيبُه منها ولا يتعطلَ. وانظروا إلىٰ الرواتبِ التابعةِ للفرائضِ اثنتا عشرةَ ركعةً، أربعٌ قبل الظهر وركعتان بعدها، وركعتان بعد المغرب، وركعتان بعد العشاء وركعتان قبل الفجر، مَنْ صَلَّاهن بَنَىٰ اللهُ له بيتاً في الجنة. وانظروا إلىٰ الوِتْرِ فقد سَنَّه رسولُ اللهِ ﷺ بقولِه وفعلِه من صلاةِ العشاءِ الأخرةِ إلىٰ طلوعِ الفجرِ، أقلُّه ركعةٌ وأكثرُه إحدىٰ عشرةَ ركعةً، وهو سُنةٌ مؤكدةٌ يُكْرَه تركُه، قال الإمامُ أحمدُ: مَنْ تركَ الوِتْرَ فهو رَجُلُ سُوءٍ لا ينبغي أن تُقْبَلَ له شهادة. وانظروا إلىٰ الذِّكْرِ خَلْفَ الصلواتِ المكتوبةِ مَنْ سَبَّحَ اللهَ ثلاثاً وثلاثين وحَمِدَ اللهَ ثلاثاً وثلاثين وكَبَّرَ اللهَ ثلاثاً وثلاثين، وقال تمامَ المئةِ لا إلٰهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريك له، له الملكُ وله الحمدُ وهو علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ، غُفِرَتْ خَطاياه وإن كانت مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ. وانظروا إلىٰ الوُضوءِ مَنْ تَوَضَّأ فأسبغَ الوُضوءَ ثم قال: أشهدُ أن لا إلٰهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، اللهم اجعلْني من التوابين واجعلْني من المتطهرين، فُتِحَتْ له أبوابُ الجنةِ الثمانيةُ يدخلُ مِنْ أيِّها شاء. وانظروا إلىٰ النفقاتِ الماليةِ مَنْ أنفقَ نفقةً يبتغي بها وجْهَ اللهِ فله بها أجْرٌ، حتىٰ ما يجعلُه فِي فَمِ امرأتِه أو

ولدِه أو ينفقُه علىٰ نفسِه، وإنَّ اللهَ ليرضىٰ عن العبد يأكلُ الأكلةَ فيحمَدُه عليها ويشرب الشربةَ فيحمَدُه عليها، والساعِي علىٰ الأرملةِ والمسكين كالمجاهِد في سبيلِ اللهِ أو كالصائمِ لا يُفْطِرُ والقائمِ لا يَفْتُرُ.

فأبوابُ الخيرِ كثيرةٌ، وطرُقُه ميسرةٌ، وسَبِيلُه واضحةٌ، يقول اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩﴾ [الحج: ٧٧].

بارك اللهُ لي ولكم في القرآنِ الكريم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيمُ.

* * *

المحبـة

الحمدُ للهِ الذي أوْدَعَ في قلوبِ عبادِه المؤمنين مَحَبَّةَ ما يُحِبُّه ورضاه، فكانت محبتُهم مُقَرِبةً إلىٰ اللهِ، ونشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، شهادةَ مؤمنٍ بِلقَاه، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه الذي اختاره اللهُ واصطفاه، صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه ومَنْ تَوَلَّاه وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ وقُومُوا بما أوجْبَ عليكم من المحبةِ في اللهِ وللهِ، واجعلوا محبتكم تابعةً لما يُحِبُّه اللهُ ويرضاه، فما أَحَبَّه اللهُ تعالىٰ من الأعمالِ والأشخاصِ والأماكنِ فأَحِبُّوُه، وما كَرِهَهُ اللهُ منها فاكْرَهُوه، فإنَّ ذلك هو الإيمانُ، كما قال النبيُّ ﷺ: «**لا يُؤْمِنُ أحدُكم حتىٰ يكونَ هَوَاهُ تبعاً لما جِئْتُ به**»[1]، وسُئِل ﷺ عن الرجلِ يُحِبُّ القومَ لما يَلْحَقْ بهم، فقال النبيُّ ﷺ: «**المرءُ مع مَنْ أحَبَّ**»[2]، وقال: «**مَنْ أَحَبَّ قَوْماً حشر معهم**»[3]، فمحبةُ

---

(١) انظر جامع العلوم والحكم ١/ ٣٨٦ الحديث الحادي والأربعون، والسنة لابن أبي عاصم ١/ ١٢، والحكيم الترمذي في نوادر الأصول ٤/ ١٦٤ من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري (٦١٦٨)، ومسلم (٢٦٤٠) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٦٤٥٠)، و«الصغير» ٢/ ١١٤، وانظر «كشف الخفاء» للعجلوني ٢/ ٢٩٠ (٢٣٥٣).

الإنسانِ للشيءِ تُوجِبُ ميله إليه وإرادتَه له، فإذا كان مُحِباً للهِ كان مُعَظِّماً له، مُتَّبِعاً لمراضيه، طالِباً الوصولُ إليه، فيكون حَرِيصاً علىٰ امتثالِ أوامرِ اللهِ واجتنابِ نواهِيه، وإذا كان مُحِباً لرسولِ اللهِ ﷺ كان حَرِيصاً علىٰ اتباعِه، والأخذِ بسُنتِه، ونَشْرِها بينَ الناسِ والدفاعِ عنها بما يستطيعُ من الحجةِ والبرهانِ، وإذا كان العبدُ محباً لعبادِ اللهِ المؤمنين، حَرَصَ بقَدْرِ مَحَبَّتِه لهم علىٰ إيصالِ الخَيْرِ لهم ونَفْعِهم بما يستطيعُ من أُمورِ الدنيا والآخرةِ مُدافِعاً عنهم أسبابَ الشرورِ والمَضَرَّاتِ، وكان آمالُهم آمالَه، وآلامُهم آلامَه، وإذا كان محباً للمؤمنين كان حَرِيصاً علىٰ انتصارِهم وظُهورِهم، وأنْ تكونَ كلمتُهم هي العليا، وأن يَنْخَذِلُ كُلُّ عدوٍّ قام ضِدَّهم، فمحبةُ اللهِ ومحبةُ رسولِه ومحبةُ عبادِه المؤمنين هي أساسُ الفلاحِ وأوثقُ عُرَىٰ الإيمانِ. قال النبيُّ ﷺ: «**لا يؤمنُ أحدُكم حتىٰ أكونَ أحبَّ إليه من ولدِه ووالدِه والناسِ أجمعين**»[1] وقال: «**ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فيه وَجَدَ بِهِنَّ حلاوةَ الإيمانِ: أن يكونَ اللهُ ورسولُه أحبَّ إليه مما سِوَاهُما، وأن يُحِبَّ المرءَ لا يُحِبُّه إلا للهِ، وأن يَكْرَهَ أن يعودَ في الكفرِ بعد إذ أنقذَه منه كما يَكْرَهُ أن يُقْذَفَ في النار**»[2]، وقال ابْنُ عباسٍ رضي الله عنهما: مَنْ أَحَبَّ في اللهِ وأَبْغَضَ في اللهِ ووَالَىٰ في اللهِ وعَادَىٰ في اللهِ فإنما تُنَالُ وِلايةُ اللهِ بذلك، ولن يَجِدَ عَبْدٌ طَعْمَ الإيمانِ وإن

---

(١) أخرجه مسلم (٤٤) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (١٦)، ومسلم (٤٣) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

كَثُرَت صلاتُه وصومُه حتىٰ يكونَ كذلك. وقد صارت عامةُ مؤاخاةِ الناسِ اليوم علىٰ أمرِ الدنيا، وذلك لا يُجْدِي علىٰ أهلِه شيئاً.

أيها الناسُ: إنَّ كثيراً من الناسِ يميلون مع العواطفِ والأهواءِ من غَيرِ نَظَرٍ إلىٰ الحقائقِ والعواقبِ، فيَجْعلُون محبتَهم تابعةً لعاطفتِهم المجردةِ، وهذا خلافُ حقيقةِ الإيمانِ، فإن حقيقةَ الإيمانِ أن تكونَ محبتُك تابعةً لما يُحِبُّه اللهُ ورسولُه، لتكونَ هذه المحبةُ مُقَربةً إلىٰ اللهِ ونافعةً في الدنيا والآخرة، فإنَّ المُتَحَابَّيْنَ في اللهِ يجتمعان علىٰ ذلك ويفترقان عليه، يُظِلُّهما اللهُ في ظِلِّه يومَ لا ظِلَّ إلا ظِلُّه، فمَنْ وَجدَ في نفسِه استقامةً في المحبةِ، ووجَدَ أن محبتَه تابعةٌ لِمَا يُحِبُّ اللهُ ورسولُه فَلْيَحْمِدِ اللهَ علىٰ ذلك، وليسألْه الثباتَ عليه، ومَنَ وجَدَ من نفسِه خِلافَ ذلك فَلْيُبَادِرْ إلىٰ تصحيحِ مَحَبَّتِه، ولْيَسْتَعِنْ باللهِ علىٰ ذلك.

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم قال الله تعالىٰ: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [التوبة: ٢٤]، ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ [المجادلة: ٢٢].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيمُ.

النية وأثرها في العبادة

الحمدُ للهِ الذي وفَقَّ برحمتِه من شاء من عبادِه لحُسْنِ الأعمالِ، فَزَيَّنوا باطنَهم بالإخلاصِ للهِ، وظاهرَهم بالمتابعةِ لرسولِ الله وصلَحَتْ منهم الأحوالُ، وحَرَم مَنْ شاء بحكمتِه فغفلوا عن الإخلاصِ وشَوَّهُوا ظاهرَهم بالمخالفاتِ فساءت أحوالُهم، ونشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له الكبيرُ المتعالِ، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، الذي فاقَ الخَلْقَ في محاسنِ الأعمالِ، صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ ما توالت الأيامُ والليالِ وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ واعبدوه مخلصين له الدينَ فهكذا أُمِرْتُم، و«**إنما الأعمالُ بالنياتِ وإنما لكلِّ امرىءٍ ما نَوَىٰ**»(١).

أيها الناسُ إنَّ من عبادِ اللهِ مَنْ وفَّقَهُ اللهُ وأحْيا قلبَه فكانت عباداته قرباناً إلىٰ اللهِ وزيادةً في إيمانِه وحبِّه وتعظيمِه له، وكانت عاداتُه بحُسْنِ نيتِه عبادات تُقَرِّبهُ إلىٰ اللهِ، ومِنَ الناسِ مَنْ حرَمَه اللهُ وأماتَ قلبَه وأغْفَلَه فلم تَزِدْه عباداتُه قُرْباً من اللهِ، بل كانت عاداتٍ يفعلُها مِنْ غيرِ نِيَّةٍ ولا استحضارٍ، فلم تَزِدْه إيماناً ولا قُرْبىٰ من اللهِ ولا حُباً لله تعظيماً له وهذا غايةُ الحرمان.

---

(١) أخرجه البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

أيها الناسُ: كُلُّ المسلمين يتطهرون للصلاةِ، ولكنْ مِن الناس مَنْ يتطهرُ ظاهراً وباطناً، ومنهم مَنْ يتطهرُ ظاهرُه فقط، وذلك بحَسَبِ النيةِ واستحضارِ القلبِ، فإذا تطهْرتَ أيها المسلمُ فاستحضر أنك إنما تَطَهَّرُ امتثالاً لأمرِ اللهِ وسَمْعاً وطاعةً له، حيث يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: ٦]. واسْتَحْضِرْ أنْ إمام المتقين محمداً ﷺ أمامَك يتوضأُ وأنك مُتَّبِعٌ له في الوضوء، صانعٌ مِثْلَ ما صَنَع، وارْجُ بطهارتِك ما فيها من الأجرِ وتكفيرِ السيئاتِ، فإنَّ خطايا الأعضاءِ تتناثرُ منها عند كُلِّ آخرِ قَطْرةٍ من الماء، وإنَّ إسباغَ الوُضُوءِ علىٰ المَكَارهِ في أيام السَّبرَاتِ مما يرفعُ اللهُ به الدرجاتِ ويكفرُ به الخطايا.

كلُّ المسلمين يصلون، ولكنْ شَتَّانَ ما بينَ صلاةِ بعضِهم من بعض، إنك لَتَجِدُ رَجُلَين يصليان كُلُّ واحدٍ إلىٰ جَنْبِ الآخَرِ، وبين صلاتيهما كما بينَ السماءِ والأرضِ، أحدُهما حضر إلىٰ الصلاة مُخْلِصاً لله طالباً التقرب إليه، مُحِباً مُعَظِّماً خَاشِعاً بظاهِرِه وباطِنه، مستحضراً أنه واقفٌ بين يديه متدبراً لكلِّ ما يقولُ ويفعلُ في صلاتِه،

إن قَرأ كلامَ اللهِ فقلبُه حاضِرٌ، وإن سَبَّح اللهَ أو حَمِدَه أو كَبَّرَه أو دَعاهُ، فقلبُه حاضرٌ، إن قام حَمِدَ اللهَ، وإن رَكَع رَكَعَ بظَهْرِه وقَلْبه تعظيماً لله، وإن سجد سَجَد بوجهِه وقلبه تنزيهاً لله، يقول: سبحانَ ربِّيَ الأعلىٰ مُسْتَحضِراً أنَّ اللهَ تعالىٰ فوقه مُنَزَّهٌ عن كُلِّ سُفْلٍ، وإني أنا الفقيرُ الذي وَضَعْتُ أشْرَفَ أَعْضَائِي علىٰ الأرض تقرباً إلىٰ العليِّ الأعلىٰ، وأقربُ ما يكونُ العبدُ من ربه وهو ساجد. تَجِدُ هذا المصلَي يسألُ اللهُ من فَضْلِه، يدعو ربَّه خائِفاً طمعاً، خائفاً من ذنوبِه وسيئاتِ أعمالِه أن تحولَ بينَه وبينَ التوفيقِ والإحابة طمعاً في عفو اللهِ ومغفرتِه وفَضْلِه، وأنه تعالىٰ الكريمُ الذي يعاملُ مَنْ لَجَأَ إليه بكلِّ لُطفٍ وعَفْوٍ وإحسانٍ، ثم يجلسُ في آخرِ صلاتِه محيياً لربِّه مُعَظِّماً، يصفُه بالصفاتِ الطيباتِ مخلصاً له في الصلواتِ، مُسَلِّماً علىٰ نبيه وعلىٰ عبادِ اللهِ الصالحين مِنْ كُلِّ عَبْدٍ صالحٍ في السماء أو فـي الأرض، هـذا المُصَلِّـي بـدنُـه فـي الأرض ولكـنْ قلبُـه فـوقَ السمٰواتِ، وجهُه إلىٰ بيتِ اللهِ في الأرض، وقصدُه ووِجْهةُ قلبه إلىٰ ربِّه فوقَ العرشِ، فهذا هو المصلي حقيقةً الذي تنهاه صلاتُه عن الفحشاءِ والمنكرِ، وتُثْمِرُ له كُلَّ خَلْقٍ فاضِلٍ وعَمَلٍ طَيِّبٍ، وقُرْبَةً إلىٰ الله وصِلةً به، ونُوراً في قلبهِ ووَجْههِ وقَبْرهِ وحَشْرِه، وإلىٰ جَنْبِ هذا ولكنَّه عنه في جانبٍ بعيدٍ، من يحضُرُ إلىٰ الصلاة ببدنِه لا بقلبه، يحضر إليها لِيُؤَدِّيَها كعادةٍ لا كعبادةٍ، يتحرك بجسمِه حركةً آليةً لا صِلةَ لقلبه فيها، ذلك لأن قلبه يتجولُ في كُلِّ وادٍ، والشيطانُ يفتحُ له من الوساوس والهواجس كُلَّ بابٍ، لا يتدبرُ ما يقولُ ولا

يَدْرِي مَعْنىٰ ما يفعلُ، يخرجُ من صلاتِه وهو لم يَزْدَدْ من اللهِ قُرْباً، ولا لِربِّه حُباً، ربما يدخل فيها بقلبٍ قاس ويخرج منها بقَلْبٍ أَقْسَىٰ وأَصَمَّ، فأينَ هذا من الأولِ، ولذلك لا ترىٰ صلاته تُثْمِرُ له ما يُرْجَىٰ منها، فلا تَنْهَاهُ عن الفحشاءِ ولا يشعرُ بأنه قَرُبَ من ربه بها ولا يزدَادُ نُورُ قلبِه وبصيرته. وفي الزكاة من الناس مَنْ يُؤَدِّيها مغنماً وقُربةً يتقربُ بها إلىٰ اللهِ تعالىٰ فتزكُو بها نفسُه ويبارك اللهُ في مالِه، ومن الناس مَنْ يُؤَدِّيها كغَرامةٍ وخَسَارةٍ فلا تزيدُهُ قُربةً من ربِّه ولا تَزْكُو بها نفسُه ولا مالُه.

وهكذا بقيةُ الأعمالِ تتباين تبايناً كبيراً في ثمراتها ونتائجها بحسب العامل في إخلاصه واتباعِه لرسولِ الله ﷺ، فيا أيها المسلمون اتقوا اللهَ وحققوا عبادتكم بالإخلاصِ وحضورِ القلبِ واستحضارِ التعبدِ للهِ بها والاتباع لِرسولِ الله لِتَجْنُوا ثمراتِ العبادةِ وتزدادوا إيماناً بالله وقُرْباً، وإلا فسَيفُوتُكم من ثمراتِها ونتائِجها وأجْرِها بحَسَبِ ما فَوَّتُم من ذلك.

أعوذُ باللهِ من الشيطانِ الرجيمِ قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥].

بارك اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيمُ.

التحذير من الاغترار بالدنيا

الحمدُ للهِ الذي بدأ الخَلْقَ ثم يُعِيدُه، وهو علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ، والحمدُ للهِ الذي خَلَق الخَلْقَ ليعبدوه فَيُجَازِيَهم بما عَمِلوا والله بما يعملون بصيرٌ، فسبحانَه مِنْ رَبٍّ عظيمٍ، وإلٰهٍ غفورٍ!! ونشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له في الخَلْقِ والمُلْكِ والتدبيرِ، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، البشيرُ النذيرُ، والسراجُ المنيرُ، أرسله اللهُ بين يدي الساعةِ، فخَتمَ به الرسالةَ، وأكملَ له الدينَ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمين، وصلَّىٰ اللهُ علىٰ نبيِّه محمدٍ، وآلِه وأصحابِه، ومَنْ تَبِعَهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا ربَّكم، واخْشَوْا يوماً لا يَجْزِي والدٌ عن ولدِه، ولا مولودٌ هو جَازٍ عن والدِه شيئاً. اتقوا يوماً ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤-٣٧]، ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ﴾ [عبس: ٣٨-٤٢]. اتقوا يوماً تُرْجَعُون فيه إلىٰ اللهِ، ثم تُوَفَّىٰ كلُ نفسٍ ما كسبت وهم لا يظلمون، يجمعُ اللهُ فيه الأولين والآخرين، في صعيدٍ واحدٍ، يُسْمِعُهم الداعِي، ويُنْفِذُهم البصرُ أجسامُهم عاريةٌ، وأقدامُهم حافيةٌ، وقلوبُهم وَجِلةٌ خائفةٌ ﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾[القمر: ٨]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ

عَظِيمٌ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ١-٢]، لا تغرنّكم الحياةُ الدنيا، بزخارفِها ولذاتِها، فظلُّها فَيْءٌ زائلٌ عن قريبٍ، ثم تنقلون إلىٰ الدارِ الآخرةِ، لتُجْزَوْا بما كنتم تعملون. فحقِّقُوا رَحِمَكم اللهُ عبادةَ ربِّكم، واتقوه لعلكم تفلحون، ومن عذابِ الآخرةِ تسلمون، فلا سلامةَ من عذابِ اللهِ إلا بتقوىٰ اللهِ، كونوا من الذين قالوا: سمعنا وأطعنا. فالقرآنُ يُتْلَىٰ عليكم، وأنتم تَتْلُونَه بأنفسِكم، وفيه موعظةٌ وشِفاءٌ لما في الصدور، فاتعظوا بما فيه، ولا تكونوا كالذين قالوا: سمعنا وهم لا يسمعون، قالوا: عَلِمْنا وهم لا يعلمون، ألم تعلموا أنَّ أمامَكم يوماً تَشِيبُ فيه الوِلدانُ! وتَنْدَكُّ قِممُ الجبالِ، ويَذْهَلُ فيه المرءُ عن القريبِ، والصديقِ والخِلاَّنِ؟ ألم يَبْلُغْكم أنَّ اللهَ يَطْوِي السمٰواتِ بيمينِه، ثم يقول: أنا المَلِكُ، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ والأَرَضِينَ بيدِه الأخرىٰ، ثم يقول: أنا المَلِكُ، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟[1] ألم يَبْلُغْكم ما ثَبَتَ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**يقول اللهُ تعالىٰ: يا آدمُ، فيقولُ: لَبَّيْكَ وسَعْدَيْك، والخيرُ كلُّه في يديك. فيقول اللهُ له: أَخْرِجْ بَعْثَ النارِ من ذريتِك. قال آدمُ: وما بَعْثُ النارِ؟ قال: منْ كُلِّ ألفٍ تِسْعُمائةٍ وتِسعةٌ وتِسْعُونَ، فعنده يَشِيبُ الصغيرُ** ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم

(١) أخرجه مسلم (٢٧٨٨) (٢٤) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

بِسُكَـٰرَىٰ وَلَـٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ٢]». ولما حَدَّثَ النبيُّ ﷺ أصحابَه بهذا الحديث، فتَحَ اللهُ عليهم أن يَسْأَلُوا نبيَّهم. يا رسولَ اللهِ؟ أيُّنا ذلك الواحدُ؟ فقال: «أَبْشِرُوا فإن منكم رَجُلاً ومِنْ يَأْجُوجَ ومَأْجُوجَ ألفٌ»، ثم قال: «والذي نفسي بيدِه، إني لأرجو أن تكونوا رُبْعَ أَهْلِ الجنةِ». فكَبَّروا وحَمِدُوا اللهَ، فقال: «أرجو أنْ تكونوا ثُلُثَ أَهْلِ الجنةِ». فكَبَّروا وحَمِدُوا اللهَ، فقال: «أرجو أن تكونوا نِصْفَ أَهْلِ الجنةِ». فكَبَّروا وحَمِدُوا اللهَ، ثم قال: «ما أَنْتَم في الناسِ إلا كالشَّعْرَةِ السوداءِ في جِلْدِ ثَوْرٍ أبيضَ، أو كشَعْرةٍ بيضاءَ في جِلْدِ ثَوْرٍ أَسْوَدَ»[1]، ألم تعلموا أن الأرضَ يومئذٍ تُحدِّثُ أخبارَها، فتشهدُ علىٰ كلِّ أَحدٍ بما عمل عليها من خَيْرٍ أو شر، ألم تعلموا أن الرجلَ يُخْتَمُ علىٰ فَمِه ويُقَالُ لأَرْكانِه انْطِقِي فَتَنطقُ بما عملت ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ﴾ [النور: ٢٤-٢٥]. وفي الكتابِ والسُّنة من تفاصيلِ أهوالِ ذلك اليومِ، ما هو عِبْرةٌ للمعتبرين، وموعظةٌ للمتقين، اقرؤوا قولَه تعالىٰ: أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم في سورة ق: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٤٨) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.
وأخرجه بنحوه مسلم (٢٢١) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ قَرِينُهُ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ١٦-٣٧].

بارَكَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا واستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيمُ.

* * *

كثرة طرق الخير

الحمدُ للهِ الذي جعل الليلَ والنهارَ خِلفةً لمن أراد أن يَذَّكَرَ أو أراد شكوراً، ووفَّقَ مَنْ شاءَ من عباده لعمارتِها بالطاعاتِ المتنوعة، ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم وأولئك كان سعيُهم مشكوراً، وخَذَلَ مَنْ أعْرَضَ عن ذِكْره واتَّبَعَ هَواهُ وأولئك مأواهم جَهَنَّمَ وساءت مصيراً ونشهدُ أنْ لا إلـه إلا الله وحدَه لا شريكَ له، له الملكُ وله الحمدُ، وكان اللهُ علىٰ كلِّ شيءٍ قديراً. ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أرسله بين يدي الساعة، بشيراً ونذيراً، وداعياً إلىٰ الله بإذنه، وسراجاً منيراً، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه وأتباعهم، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: فقد كنتم تَرتَقِبون مَجيءَ شهرِ رمضان، ولقد جاء شهرُ رمضان وخَلَّفْتُموه وراءَ ظُهوركم، وهكذا كُلُّ مستقبلٍ سوف ينتهي إليه العبدُ ويَصِلُ إليه يَخْلُفُه وراءَه حتىٰ الموتُ، أيها الناسُ، ولقد أوْدَعْتُم شهرَ رمضانَ ما شاء اللهُ تعالىٰ أنْ تُودِعُوه من الأعمالِ فمَنْ كان منكم مُحْسِناً فَلْيُبَشَّرْ بالقَبُول، فإنَّ الله لا يُضِيعَ أجْرَ المحسنين، ومَنْ كان منكم مُسيئاً فليتب إلىٰ اللهِ فالعُذْرُ قبلَ الموت مقبولٌ.

أيها الناسُ: لئن انقضىٰ شهرُ الصيام فإنَّ زمنَ العملِ لا ينقضي إلا بالموت، ولئن انقضت أيامُ صيامِ رمضانَ فإنَّ الصيامَ لا يزالُ

مشروعاً ولله الحمدُ، فقد سَنَّ رسولُ الله ﷺ صيامَ يوم الاثنين والخميس، وقال: «**إنَّ الأعمالَ تُعْرَضُ فيهما علىٰ الله تعالىٰ، فأُحِبُّ أن يُعْرَضَ عَملي وأنا صائمٌ**»(١). وأوصىٰ أبا هريرة رضي اللهُ عنه بصيامِ ثلاثةِ أيام من كُلِّ شهر، وقال: «**صومُ ثلاثةِ أيامٍ من كُلِّ شهر صَوْمُ الدهر كلِّه**»(٢)، وأمرَ أنْ تكونَ هذه الأيامُ الثلاثةُ أيامَ البيض، وهي: اليومُ الثالثَ عشرَ، والرابعَ عشرَ، والخامس عشرَ، فمن أمكنه أن يجعلَ الثلاثةَ في أيام البيض، فهو أفضلُ وإلا فلو في غيرها.

ولئن انقضىٰ قيامُ رمضان، فإنَّ قيامَ الليلِ مشروعٌ في كُلِّ ليلةٍ من ليالي السنةِ وللهِ الحمدُ، وقد ثَبَتَ عن النبيِّ ﷺ أن اللهَ تعالىٰ يَنْزِلُ إلىٰ السماءِ الدنيا كُلَّ ليلةٍ، حين يَبْقَىٰ ثُلُثُ الليلِ الآخرِ فيقولُ مَنْ يَدْعُوني فأستَجيبَ له، مَنْ يسألني فأُعْطِيَه، مَنْ يستغفرني فأغفرَ له.

فيا عبادَ اللهِ: اتقوا الله تعالىٰ، وبادِرُوا أعمارَكم بأعمالِكم، وحَقِّقُوا أقوالَكم بأفعالِكم، واغتنموا الأوقاتَ بالأعمالِ الصالحاتِ فإنَّ حقيقةَ العمرِ ما أمضاه العبدُ بطاعةِ الله، وما سوىٰ ذلك فذاهبٌ خَسَارٌ.

أيها المسلمونَ: لقد يَسَّرَ اللهُ لكم سُبُلَ الخيراتِ وفَتَحَ أبوابَها ودعاكم لدخولها؟ وبَيَّنَ لكم ثوابَها، فهذه الصلواتُ الخمسُ أحدُ

---

(١) أخرجه أحمد ٢/ ٢٦٨، والترمذي (٧٤٧)، والنسائي ٤/ ٢٠١ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه بنحوه البخاري (١١٧٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أركانِ الإسلامِ بعدَ التوحيد، هي خَمْسٌ في الفعل، وخمسون في الميزان، مفرقةٌ في أوقاتٍ مناسبةٍ، لئلا يحصلَ المللَ للكسلانِ، وليحصُلَ لكُلِّ وقتٍ حظُّه من تلك الصلوات، فسبحانَ الحكيمِ الديَّان، وهذه النوافلُ التابعةُ للفرائضِ ثنتا عشرةَ ركعةً، أربعٌ قبل الظهر بسلامين، وركعتان بعدَها، وركعتان بعد المغرب، وركعتان بعد العشاء الآخرة، وركعتان قبل الفجر مَنْ صَلاّهُنَّ بَنَىٰ اللهُ له بيتاً في الجنة، وهذا الوترُ سَنَّهُ رسولُ الله ﷺ قولاً وفِعْلاً، قال: «**إنَّ اللهَ وِتْرٌ يُحِبُّ الوِتْرَ**»(١). وأقلُّ الوِتْرِ ركعة، وأكثره إحدىٰ عشرةَ ركعةً، ووقتُه من صلاةِ العشاء الآخرة، إلىٰ طلوع الفجرِ وهو سنةٌ مؤكدةٌ لا ينبغي للإنسان تَرْكُه، حتىٰ قال بعضُ العلماء: إنه واجبٌ، وقال الإمامُ أحمدُ: مَنْ تركَ الوِتْرَ فهو رجلُ سوءٍ، لا ينبغي أن تُقبلَ له شهادةٌ، وهذه الأذكارُ خلفَ الصلواتِ المفروضةِ مَنْ سبَّح اللهَ دُبُرَ كلِّ صلاة ثلاثاً وثلاثين، وحَمِدَ الله، وكَبَّر اللهَ، فتلك تسعٌ وتسعونَ، وقال تمامَ المئةِ لا إلـٰه إلا الله وحدَه لا شريكَ له، له الملكُ وله الحمدُ وهو علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ، غُفِرَتْ خَطاياه ولو كانت مثلَ زَبَدِ البحر. ومَنْ تَوَضَّأَ فأسبغَ الوُضوء ثم قال: أشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه

---

(١) أخرجه أحمد ٨٦/١، وأبو داود (١٤١٦)، والترمذي (٤٥٣)، وابن ماجه (١١٦٩)، والنسائي ٢٢٨/٣، وفي «الكبرىٰ» (٣٦٩) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

ورسولُه، اللهم اجعلْني من التوابين واجعلْني من المتطهرين، فتُحَتْ له أبواب الجنة الثمانيةُ يدخلُ مِن أيِّها شاء. وهذه النفقاتُ الماليةُ إذا أنفق الإنسانُ نفقةً يبتغي بها وجهَ الله، أُثيبَ عليها حتىٰ ولو كان الإنفاقُ علىٰ نفسِه وأهلِه وولدِه، وأن الله ليرضىٰ عن العبدِ يأكل الأكلةَ فيحمَدُه عليها، ويشرب الشربةَ فيحمَدُه عليها، والساعي علىٰ الأرملةِ والمسكين كالمجاهدِ في سبيل الله، وكالصائمِ لا يُفْطِرُ وكالقائمِ لا يَفْتُرُ، والساعي عليهم هو الذي يَسْعَىٰ بطَلَبِ الرزقِ لهم، ويقوم بحاجتِهم، ولا شكَّ أن عائلتَك التي لا تستطيعُ القيامَ بنفسها من الأولاد الصغار وغيرهم هم من المساكين، فالسعيُ عليهم كالجهادِ في سبيلِ الله.

فيا عبادَ الله: إنَّ طرقَ الخيرِ كثيرةٌ، فأين السالكون، وإن أبوابَها لمفتوحةٌ فأين الداخلون، وإن الحقَّ لواضحٌ لا يزيغُ عنه إلا الهالكون.

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩﴾ [الحج: ٧٧].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

أثر الذنوب والمعاصي

الحمدُ للهِ القوي القاهرِ العظيم، الواسعِ الكريم، العفوِّ الغفور الحليم، القائلِ في محكمِ كتابه ﴿۞نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٤٩ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩-٥٠]. ونشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله وحدَه لا شريكَ له في الملكِ والتقديرِ والتدبير. ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ من الأولين والآخرين، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واحذروا عقابَه وسَطْوتَه، فإن اللهَ ليُمْلِي للظالمِ حتىٰ إذا أخذَه لم يُفْلتْه ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢]، ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًا﴾[فاطر: ٤٥]

واعلموا أنَّ الذنوبَ والمعاصِيَ سببٌ لحُلُولِ النِّقَمِ، وزوالِ النِّعَمِ، وأن الاستمرارَ في معصيةِ الخالقِ العظيمِ، سببٌ لمَرَضِ القلوبِ وموتِها، والطبعِ عليها. وفي الحديث: «**ما ظهرتِ الفاحشةُ في قَوْمٍ حتىٰ أعْلَنُوا بها إلا ابتلُوا بالطواعينِ والأوجاعِ التي لم تكُنْ في أسلافِهم، ولا نَقَصَ قومٌ المكيالَ، إلا ابْتُلُوا بالسِّنين، وشدةِ المؤُونةِ، وجَوْرِ السلطانِ، وما منعَ قومٌ زكاةَ أموالهم، إلا مُنِعُوا القَطْرَ من السماء، ولولا البهائمُ لم يُمْطَرُوا، ولا نَقَضَ قومٌ العهد**

إلا سَلَّطَ اللهُ عليهم عدواً من غيرهم، فأخذوا بعضَ ما في أيديهم، وما لم تعملْ أئِمتُهم بما أنزلَ اللهُ في كتابه، إلا جعلَ اللهُ بأسَهم بينَهم»[(١)]. وقال ﷺ: **«إذا بَخِلَ الناسُ بالدينـارِ والدرهمِ، وتَبايَعُوا بالعِينـة، واتَّبعُـوا أذنابَ البقرِ، وتَرَكُوا الجهادَ في سبيلِ اللهِ، أنزل اللهُ بهم بلاءً، فلا يرفعُه عنهم حتىٰ يُراجِعُوا دينَهم»**[(٢)]. وفي الحديث: **«إن العبدَ ليُحرم الرزقَ بالذنب يُصيبهُ»**[(٣)] ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢-٣].

قال عليُّ بنُ أبي طالب رضي اللهُ عنه: ما نزَل بلاءٌ إلا بذَنبٍ، ولا رُفِعَ بلاءٌ إلا بتوبةٍ، فتوبوا أيها المسلمون إلىٰ ربِّكم، وأقْلِعُوا عن ذنوبِكم، وفكِّروا في أنفسِكم، فكِّروا في معاملتِكم مع ربِّكم، هل قُمتُم بما تستطيعون من عبادته؟ هل أديتم ما أوجبَ عليكم؟ وهل اجتنبتم ما حرَّم اللهُ عليكم؟ إننا لو فتَّشْنا في أنفسِنا لرأينا الخَللَ الكثير، ولكن نستغفرُ اللهَ ونتوبُ إليه، ونسألُه أن يشْمَلَنا بعفوِه ورحمته.

---

(١) أخرجه الحاكم ٢/١٣٦، والبيهقي في «السنن» ٩/٢٣١ من حديث بريدة ابن الحصيب رضي الله عنه.

(٢) أخرجه بنحوه أحمد ٢/٢٨، وأبو داود (٣٤٦٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أحمد ٥/٢٧٧، وابن ماجه (٩٠) و(٤٠٢٢)، والحاكم ١/٤٩٩ من حديث ثوبان رضي الله عنه.

أيها الناسُ: فكِّروا في معاملتِكم مع عبادِ الله، هل تعاملون الناسَ بالعدل والإنصاف؟ هل قمتم بما يَجبُ عليكم لأقاربكم من البرِّ والإحسان، وتركِ العقوقِ والقطيعة والعدوان؟ هل أدّبتم أهليكم وقوّمتموهم علىٰ صراطِ اللهِ المستقيمِ، وشَرْعِه القويم؟ هل أنتم تعاملون الناسَ بالصدقِ والأمانة، وتؤدون إليهم في ذلك ما تُحِبُّون أن يعاملوكم به؟

فكِّروا في هذه الأمورِ كلِّها وحاسِبُوا عليها أنفسَكم واتقوا اللهَ ما استطعتم، واسمعوا وأطيعوا، وأكثِرُوا من الاستغفار، فإنَّ مَنْ لَزِمَ الاستغفارَ جعلَ اللهُ له مِنْ كُلِّ همٍّ فرجاً، ومِنْ كُلِّ ضيقٍ مَخرَجاً، ورزقه من حيثُ لا يحتسبُ، وقولوا كما قال آدمُ: ربنا ظلَمْنا أنفسَنا وإنْ لم تغفرْ لنا وترحمْنا لنكونَنَّ من الخاسرين. وكما قال نوحٌ: وإلا تغفرْ لي وترحمْني أكُنْ من الخاسرين. وكما قال يونسُ: لا إلـٰه إلا أنت سبحانَك إني كنت من الظالمين. وادفعوا البلاءَ بالصدقةِ والعطاءِ، فإن الصدقةَ تُطفىءُ الخطيئةَ، كما يُطفىءُ الماءُ النارَ.

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥-٥٦].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

فضلُ بناءِ المساجدِ

إنَّ الحمدَ للهِ نحمَدُه ونستعينُه، ونستغفرُه ونتوبُ إليه، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، مَنْ يَهْدِه اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادي له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريك له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعدُ: فإنَّ مِنْ أفضلِ ما بُذِلَتْ فيه الأموالُ، وصُرِفَتْ إليه الهِمَمُ بالأقوال والأفعال، عمارةُ مساجدِ الله تعالىٰ: التي ﴿أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور: ٣٦-٣٨].

إنَّ المساجدَ بيوتُ اللهِ تعالىٰ، لأنها مَحَلُّ ذِكْرِه وعبادتِه، وتَعظيمِه وتلاوةِ كتابِه، ونشرِ شريعتِه، ومأوىٰ عبادِه الصالحين. إنَّ

المساجدَ من أفضلِ ما بُذلَت الأموالُ فيه، وأدومِه أجراً، وأعمِّه نفعاً، فأجْرُها مستمرٌّ ونفعُها متنوعٌ.

ففيها المصلي القائمُ الراكعُ الساجدُ، وفيها القارىءُ لكتابِ الله، وفيها المتعلمُ والمعلمُ لشريعةِ الله، وفيها المستظلُّ من الحرِّ والمستكنُّ من البَرْدِ. فما أعظمَ أجرَها، وأكثرَ خيْرَها! وهذا مِنْ بعضِ أسرارِ إضافتِها إلىٰ الله عَزَّ وجل، وثبت في الصحيحين، من حديثِ أميرِ المؤمنين، عثمانَ بن عفانَ رضي اللهُ عنه قال: سمعت رسولَ الله ﷺ، يقول: «**مَنْ بَنَىٰ مسجداً لله بنىٰ اللهُ له بيْتاً في الجنة**» وفي لفظ: «**بنىٰ اللهُ له مثلَه في الجنة**»(١).

ومِنْ نعمةِ الله تعالىٰ علينا في هذه البلاد، أن الناسَ فيها حكومةً وشَعْباً، يهتمون بالمساجد، عمارةً وصيانةً، لأن فيها جمالَ البلاد، وصلاحَ العباد فهذا ملكُ هذه البلادِ خالدُ بنُ عبدِ العزيزِ رحمه الله تعالىٰ، أمر بإعادةِ بناءِ مسجدِكم الجامعِ الكبير الذي سيتمُ بحَوْلِ اللهِ تنفيذُه في عَهْدِ الملك فَهْدٍ، أعَزَّه اللهُ بالإسلام، وأعزَّ الإسلامَ به. وذلك لدعاء الحاجةِ إلىٰ إعادةِ بنائِه علىٰ وَجْهٍ يتسعُ للمصلين الذين كانوا يُصَلُّون في شِدَّةِ الحَرِّ علىٰ سَطْحِه، وعلىٰ الأرصفةِ حَوْلَه، ولرُبَّما يَرِدُ علىٰ خواطِرِ بعضِ الناس سؤالان حول إعادةِ بنائه.

السؤال الأول: كيف يسوغُ هَدْمُه وهو ما يزالُ عامراً، ولم يَمْضِ علىٰ بنائِه إلا نحوُ أربعين سنةً في مُقدَّمِه، وثلاثين سنة في مُؤخَّره،

(١) أخرجه البخاري (٤٥٠)، ومسلم (٥٣٣) من حديث عثمان رضي الله عنه.

وإن الجوابُ عن ذلك أن الذي سَوَّغَ ذلك هو الحاجةُ إلىٰ تَوسعتِه لضيقِه بالمصلين، وإنَّ الإنسانَ ليتألمُ وهو يراهم يصلون في أيامِ الحرِّ تحت أشعةِ الشمسِ، أو في ايام الشتاء تحت رذاذ المطرِ.

ولقد ثبت في صحيحِ البخاريِّ، عن عبدِ الله بن عُمَرَ رضي الله عنهما، أنَّ المسجدَ النبويَّ كان علىٰ عَهْدِ النبيِّ ﷺ، مبنياً باللَّبِنِ، وسَقْفُه الجريدُ، وعُمُدُه خَشَبُ النَخْلِ، فلم يَزِدِ فيه أبو بكر شيئاً وزاد فيه عُمَرُ وبَناه علىٰ بُنيانِه في عَهْدِ النبيِّ ﷺ باللبن والجريدِ وأعاد عُمُدَه خَشَباً، ثم غيَّره عثمانُ فزاد فيه زيادةً كثيرةً، وبنىٰ جِدَارَه بالحِجارةِ المنقوشةِ، والقَصَّةِ وهي الحصَّ. وجعل عُمُدَه من حجارةٍ منقوشة وسَقْفَه بالسَّاجِ.

فهذا أميرُ المؤمنين عُمَرُ بنُ الخطابِ أعاد بناءَ مسجدِ النبيِّ ﷺ وزاد فيه حين كثُرَ الناسُ، وهذا أميرُ المؤمنين عثمانُ بنُ عفانَ أعاد بناءَه، وزاد فيه وغَيَّر مَوادَّه. فجعل عُمُدَةَ من الحجارةِ، وسَقفَه من الساجِ. فنعْمَ الإمامان المُقْتَدَىٰ بهما أميرُ المؤمنين عُمَرُ بنُ الخطاب وأمير المؤمنين عثمانُ بنُ عفان.

ولم يَزَلِ المسلمون، علىٰ اتباعِ المصلحةِ في عِمَارةِ المساجدِ وتجديدها، بل نَصَّ الإمامُ أحمدُ بنُ حَنْبَلٍ رَحِمَه اللهُ، أنه إذا كان المسجدُ يضيقُ بأهلِه، فلا بأسَ أن يُحَوَّلَ إلىٰ مَوْضِعٍ أوسَعَ منه.

أما السؤالُ الثاني: فهو ما شأن الذين ساهموا في بناءِ المسجدِ الأول؟ وجوابه: أن الذين بَنَوْه يبتغون به وجهَ الله تعالىٰ، وما

وَعَدهم النبيُّ ﷺ من الثواب، فأجْرُهم تامٌّ وإن هُدِم ما بَنَوه، يقول الله تعالىٰ في المهاجرين الذي حال الموت بينهم وبين مهاجرهم: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١٠٠].

فقد جعل اللهُ تعالىٰ لهذا المُهاجِرِ أجرَ الهجرة، وإن حيلَ بينَه وبينَ الوُصُولِ إلىٰ البلدِ التي هاجَر إليها، وذلك أنَّ المؤمنَ إذا نَوَىٰ الخيرَ وسعىٰ في الوصول إليه بقَدْرِ ما يستطيعُ، كُتِبَ له الأجرُ كاملاً قال النبيُّ ﷺ: «**إنما الأعمالُ بالنياتِ، وإنما لكل امرىءٍ ما نوىٰ، فمن كانت هجرته إلىٰ الله ورسوله، فهجرته إلىٰ الله ورسوله**»(١) وسائرُ الأعمالِ علىٰ هذا، ففضلُ اللهِ تعالىٰ واسعٌ، والفضلُ أحَبُّ إليه من المَنْعِ، فلا يَنقُصُ أجرُ البانين بهَدْمِ ما بَنَوه. ثم إن كان الهَدْمُ سائغاً شرْعاً، كان لكلٍّ من السابقين واللاحقين أجرُهم، وإن كان الهَدْمُ غيرَ سائغٍ شَرْعاً كان الأجرُ للسابقين.

وفي الصحيحين عن أبي هريرةَ رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: قال رجلٌ: «**لأتصدقَنَّ الليلةَ بصدقةٍ، فخرج بصدقتِه فوضَعَها في يدِ زانيةٍ، فأصبحوا يتحدثون، تُصدقَ الليلةَ علىٰ زانيةٍ، فقال: اللهم لك الحمدُ علىٰ زانيةٍ، لأتصدقَنَّ بصدقةٍ، فخرج بصدقتِهِ فوضعها في يَدِ غَنِيٍّ، فأصبحوا يتحدثون، تُصُدِّقَ علىٰ غَنِيٍّ، فقال:**

---

(١) أخرجه البخاري (١) ومسلم (١٩٠٧) من حديث عمر رضي الله عنه.

اللهم لك الحمدُ علىٰ غَنيٍّ، لأتصدقَنَّ بصدقةٍ، فخرج بصدقته فوضعها في يدِ سارقٍ، فأصبحوا يتحدثون تُصُدِّقَ علىٰ سارقٍ، فقال: اللهم لك الحمدُ علىٰ زانيةٍ، وعلىٰ غنيٍ، وعلىٰ سارقٍ، فأُتِيَ فقيلَ له: أما صدقتُك فقد قُبِلَتْ، أما الزانيةُ فلعلها تَسْتَعِفُّ بها عن زِناها، ولعل الغنيَّ يعتبر فيُنفِقُ مما أعطاهُ اللهُ، ولعل السارق يستعف بها عن سرقتِه»[1].

وبهذه النصوصِ نعلمُ أنَّ كُلَّ مَنْ نوىٰ خيراً وسعىٰ في الوصول إليه، كتبَ اللهُ تعالىٰ له ذلك الخيرَ. والله ذو الفضل العظيم، فانْوُوا الخير واعملوا له، ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المزمل: ٢٠].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

(١) أخرجه مسلم (١٠٢٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

التوبــة

الحمدُ للهِ الملكِ الوهاب، خلق الناسَ كلَّهم من ترابٍ وهَيَّأهُمْ لما يُكَلَّفُونَ به بما أعطاهم من الألباب، وأشهدُ أنْ لا إلـه إلا الله وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، الذي أُنزِلَ عليه الكتابُ تبصرةً وذِكْرىٰ لأولي الألباب، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه ومَنْ تَبِعَهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ المآب، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا ربَّكم، وتوبُوا إليه، فإنَّ الله يحب التوابين، واستغفرُوه من ذنوبِكم، فإنه خيرُ الغافرين، توبُوا إلىٰ ربِّكم مخلصين له بالإقلاعِ عن المعاصي والندمِ علىٰ فِعْلِها، والعَزْمِ علىٰ أن لا تعودوا إليها. فهذه هي التوبةُ النصوحُ، التي أمِرْتُمُ بها. ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾ [التحريم: ٨].

ليست التوبةُ أن يقولَ الإنسانُ بلسانِه أتوبُ إلىٰ اللهِ، أو اللهم تُبْ عليَّ، وهو مُصِرٌّ علىٰ معصيةِ الله، وليستْ التوبةُ أن يقولَ ذلك وهو مُتَهاوِنٌ غَيْرُ مُبالٍ بما جَرَىٰ منه من معصيةٍ، وليست التوبةُ أن يقولَ ذلك وهو عَازِمٌ أنْ يعودَ إلىٰ معصيةِ ربِّه، ومخالفته.

أيها الناسُ: توبُوا إلىٰ ربِّكم قبلَ غَلْقِ باب التوبةِ عنكم. فإنَّ اللهَ يقبلُ التوبةَ مِنْ عبدِه ما لم يُغَرْغِرْ بروحِه، فإذا بلغَتِ الروحُ الحُلقومَ فلا توبة ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ

يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١٧﴾ وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا﴾ [النساء: ١٧-١٨].

فبادِرُوا أيها المسلمون بالتوبة، فإنكم لا تَدْرون متىٰ يُفاجِئُكم الموتُ ولا تدرُون متىٰ يفاجئكم عذابُ الله ﴿أَفَأَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ أَن يَأۡتِيَهُم بَأۡسُنَا بَيَٰتٗا وَهُمۡ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَ أَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ أَن يَأۡتِيَهُم بَأۡسُنَا ضُحٗى وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٧-٩٩].

عبادَ الله: هل أمِنْتُم مَكْرَ الله، يُمِدُّكم بالنِّعَمِ المتنوعةِ مِنْ أمْنٍ ورخَاءٍ، وأنتم تُبارِزُونَه بالمعاصي؟ أما تَرَوْنَ ما وقَعَ بالعالَم في كثيرٍ منهم من الضيقِ في العيشِ والمِحَنِ؟! إنَّ المجاعةَ والطوفانَ، ونَقْصَ المحاصيل، والقَحْطَ، أحاطَتْ بكثيرٍ من البلاد. ولا يزالُ المفكرون يبحثون في تأمينِ الغذاءِ للعالَم! أفلا تخافون أن يَحِلَّ ذلك بكم؟ إنَّ اللهَ ليُمْلِي للظالِم حتىٰ إذا أخَذَه لم يُفْلِته. ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢].

إنَّ من أعظمِ العقوباتِ قَسْوَةَ القلوبِ ومَرَضَها، وإن الكثيرَ الآن قلوبُهم قاسيةٌ يسمعون المواعظَ والزواجرَ ويقرؤونها في كتابِ الله تعالىٰ، وسنةِ رسولِ الله ﷺ وكأنهم لا يسمعون، الجيدُ منهم إذا سمعَ الموعظة وَعَاها حينَ سَمَاعِها فقط. فإذا فَارَقَها خَمَدَتْ نارُ

حماسِهِ، واستولَتْ الغفْلَةُ علىٰ قَلْبه، وعادَ إلىٰ ما كانَ عليه من عَمَلٍ، يَسْمَعُ المواعظَ تَقْرَعُ أُذنَيْه في عُقوبة تركِ الصلاة، وإضاعتِها، ﴿ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ ﴾ [مريم: ٥٩]. ولكنَّه لا يتوبُ وكأنه لا يسمعُ، يَسْمَعُ المواعظ في عقوبةِ مانع الزكاةِ ومَنْ يَتْبَعُ الرديءَ من مالِه، فيُزَكِّي به، ﴿ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [فصلت: ٦-٧] زكاةُ النفسِ بالبراءةِ من الشرك، وزكاةُ المالِ، حيثُ قَدَّمُوا الشُحَّ علىٰ البَذْلِ في طاعةِ الله، ﴿ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴾ [البقرة: ٢٦٧].

يسمعون هذا كُلَّه، وهُمْ مُصِرُّون علىٰ مَنْعِ الزكاةِ، يحرمون أنفسَهم خيراتِ أموالِهم، ويَدَّخِرُونها لغيرِهم، وفي الحديث: «**ما ظَهَرَتْ الفاحشةُ في قَوْمٍ قَطُّ حتىٰ يُعلِنُوا بها إلا فَشَا فيهم الأوجاعُ التي لم تَكُنْ في أسلافِهم ولم يَنْقُصُوا المكيالَ والميزانَ إلا أُخِذُوا بالسنين وشِدَّة المَؤُونةِ وجَوْرِ السلطان، ولم يَمْنَعوا زكاةَ أموالِهم إلا مُنِعُوا القَطْرَ من السماء، ولولا البهائمُ لم يُمْطَرُوا، ولا نَقَضُوا عهدَ اللهِ ورسولِه إلا سَلَّطَ عليهم عدواً من غيرِهم فيأخذُ بعضَ ما في أيدِيهم، وما لم تَحكُمْ أئمتُهم بكتابِ الله تعالىٰ إلا جعلَ بأسَهم بينهم**»[1].

---

(١) أخرجه بنحوه ابن ماجه (٤٠١٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

أيها الناسُ: إنه لا توبة مع الإصرار. كيف يكونُ الإنسانُ تائباً من ذَنْبٍ وهو يُصِرُّ عليه؟ وكيف يكونُ تائباً من الغِشِّ وهو لا يزالُ يَغُشُّ في بيعِه وإجارتِه، وجميع معاملاته؟ كيف يكونُ تائباً من الغِيبة وأكْلِ لحومِ الناس، وهو يَغْتابِهُم في كُلِّ مجلسٍ سَنَحَتْ له الفُرصةُ فيه؟ كيف يكونُ تائباً من أكَلَ أموالَ الناسِ بغيرِ حَقٍّ، وهو يأكلُها تارة بدعوىٰ ما ليس له، وتارةً بإنكارِ ما عليه، وتارةً بالكذبِ في البيعِ وغيرِه، وتارةً بالبقاءِ في مِلْكِ غيرِه بغيرِ رِضَاه، ومنهم مَنْ يتعامَلُ بالربا الصريح، ومنهم مَنْ يتحَيَّلُ عليه.

يقول النبيُّ ﷺ: «**مَنْ كان لأخيه عندَه مَظلمةٌ من مالٍ أو عِرْضٍ فَليتحلَّلْه اليومَ قبلَ أن لا يكونَ دينارٌ ولا درهمٌ إلا الحسناتُ والسيئاتُ**»(١).

أيها المسلمونَ: إنَّ التوبةَ الكاملةَ كما تتضمنُ الإقلاعَ عن الذنبِ والندمَ علىٰ فعله، والعزمَ علىٰ أن لا يعودَ إليه. تتضمنُ كذلك العزمَ علىٰ القيامِ بالمأمورات ما استطاع العبدُ، فبذلك يكونُ من التوابين الذين استحقوا محبةَ اللهِ ورضوانَه، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

فتوبوا أيها المسلمون إلىٰ ربِّكم، واستغفروه بطَلَبِ مغفَرةٍ منه بألسنتكم وقلوبِكم، ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ

(١) أخرجه البخاري (٢٤٤٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

تُفۡلِحُونَ﴾ [النور: ٣١] بادروا بالتوبةِ قبلَ أن يأخذَكمَ الموتُ فيُحالَ بينَكم وبينَها، وتموتوا علىٰ معصيةِ الله.

إنَّ بعضَ الناسِ تَغُرُّه الأماني ويَغُرُّه الشيطانُ، فيُسَوِّفُ بالتوبةِ ويؤخرُها، حتىٰ يَقْسُو قلبُه بالمعصيةِ والإصرارِ عليها، فتُغْلَق دونَه الأبوابُ، أو يأخذَه الموتُ قبلَ المهلة في وقت الشباب.

اللهم وفِّقْنا للمبادرة بالتوبةِ من الذنوبِ والرجوعِ إلىٰ ما يُرضِيك عنا في السِّرِّ والعلانية، فإنك علامُ الغيوب.

أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

التوبـة

الحمدُ للهِ الملكِ الوهاب الغفور التواب، يتوبُ علىٰ التائبين، مهما عَظُمَتْ ذنُوبُهم إذا تابوا إليه، ويُبَدِّلُ سيئاتِهم حسناتٍ إذا أصْلَحُوا أعمالَهم وأنابُوا إليه، وأشهدُ أنْ لا إلـٰهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آله، وأصحابه ومَنْ تَبِعَهم بإحسان، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا اللهَ تعالىٰ وتوبوا إليه، توبوا إليه بالرجوعِ إليه مِنْ معصيته إلىٰ طاعتِه، ومن البعدِ عنه إلىٰ التقرُّب إليه، ومِنْ رِجْسِ الذنوب إلىٰ التطهرِ منها، فإنَّ اللهَ يُحِبُّ التوابين، ويُحِبُّ المتطهرين.

إنَّ التوبةَ من الذنوب واجبةٌ علىٰ الفَورِ، لا يجوزُ تأخيرُها، أو التكاسُلُ. فإنَّ تأخيرَ التوبةِ ذنبٌ يحتاجُ إلىٰ توبةٍ. التوبةُ واجبةٌ، لأن اللهَ أمرَ بها في كتابِه، وأمرَ بها رسولُه ﷺ، ورتَّبَ عليها الفلاحَ والسعادةَ في الدنيا والآخرة.

قال اللهُ تعالىٰ: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾ [هود: ٣]، وقال تعالىٰ: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]، وقال النبيُّ ﷺ: «**يا أيها الناسُ توبُوا إلىٰ اللهِ واستغفرُوه، فإني أتوبُ في**

اليوم مئةَ مرةٍ»[١] رواه مسلم. وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**إني لأستغفرُ اللهَ وأتوبُ إليه في اليوم أكثرَ من سبعين مرة»**[٢] رواه البخاري.

أيها المسلمون: إنَّ التوبةَ إلىٰ اللهِ واجبةٌ علىٰ الفَوْرِ لأن أوامرَ اللهِ ورسوله كُلَّها علىٰ الفوْرِ، إذا لم يَقُمْ دليلٌ علىٰ جوازِ تأخيرها، وتأخيرُ التوبةِ سببٌ لتراكم الذنوب، والرَّيْنِ علىٰ القلوب، وفي الحديث عن النبيِّ ﷺ: **أن المؤمنَ إذا أذنبَ ذنباً كانت نُكتةٌ سوداء في قلبِه**[٣] فإن تابَ ونَزَعَ واستغفرَ صُقِلَ منها، وإن زاد زادت حتىٰ يُغلَّفَ بها قلبُه، فذلك الرانُ الذين ذكَرَ اللهُ في كتابه: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤].

أيها المسلمونَ: توبُوا إلىٰ الله توبةً نصوحاً، يمحو اللهُ بها ذُنوبَكم، ويكفرُ سيئاتِكم، ويرفعُ درجاتِكم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ

---

(١) أخرجه أحمد ٤/ ٢٦١، والنسائي في «الكبرىٰ» (١٠٢٧٨) من حديث رجل من المهاجرين رضي الله عنهم.

(٢) أخرجه البخاري (٦٣٠٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أحمد ٢/ ٢٩٧، وابن ماجه (٤٢٤٤)، والترمذي (٣٣٣٤)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١١٦٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحريم: ٨].

وإن التوبةَ لن تكونَ نصوحاً مقبولةً، حتىٰ يتِمَّ فيها خمسةُ شروطٍ: لن تكون مقبولةً، حتىٰ تكونَ خالصةً لله عَزَّ وجل بأن يكونَ الباعثُ لها حُبَّ الله تعالىٰ وتعظيمِه، ورجاءِ ثوابه والخوفِ من عقابِه، فلا يُريدُ بها تَزَلُّفاً إلىٰ مخلوقٍ، ولا عَرَضاً من الدنيا. ولن تكونَ التوبةُ مقبولةً، حتىٰ يكونَ نادِماً آسفاً علىٰ ما فَعَلَ من المعصية. بحيثُ يَتَمَنَّىٰ أنه لم يفعل المعصيةَ. لأن هذا الندمَ يُوجِبُ الانكسارَ بينَ الله عَزَّ وجل والإنابةَ إليه.

ولن تكونَ التوبةُ مقبولةً حتىٰ يُقْلِعَ عن المعصية، فإنْ كانت المعصيةُ بفِعْلِ مُحَرَّمٍ، تَرَكه في الحالِ، وإن كانت بتَرْكِ واجبٍ فَعَلَه في الحالِ إن كان مما يُمكنُ قضاؤه. وإن كانت مما يتعلقُ بحقوقِ الخَلْقِ تَخَلَّصَ منها وأدَّاها إلىٰ أهلِها، أو اسْتَحلهم منها، فلا تَصِحُّ التوبةُ من الغيبة وهو مستمرٌّ عليها.

ولا تَصِحُّ التوبةُ من الربا وهو مستمرٌّ علىٰ التعاملِ به، إنَّ كثيراً من الناسِ عندما تَنْصَحُه ليُقْلِعَ من المعصية يقابلُك يقول: اللهُ يُعينُنا علىٰ أنفسِنا، ونعمَ ما قال، فإنَّ اللهَ إذا لم يُعِنِ العبدَ فلا خلاصَ له، ولكنها كلمةُ حقٍّ أريدَ بها باطلٌ، أُريدَ بها الاعتذارُ عن الاستمرارِ في المعصية، وليسَتْ بعُذْرٍ، لأن العبدَ مأمورٌ مع الاستعانةِ باللهِ أن يحرِصَ علىٰ ما ينفعُه.

قال النبيُّ ﷺ: «**احرِصْ علىٰ ما ينفعُك، واسْتَعِنْ بالله، ولا تَعجِزْ**»(١)، فلا تُقبلُ التوبةُ مِنْ تَرْكِ صلاةِ الجماعةِ مثلاً، وهو مستمرٌّ علىٰ تَرْكِ الجماعة. ولا تُقبلُ التوبةُ من الغِشِّ والخيانةِ وهو مقيمٌ علىٰ ذلك. إنَّ مَنْ يَدَّعِي التوبةَ مِنْ ذَنبٍ، وهو مقيمٌ عليه فتوبتُه استهزاءٌ بالله عَزَّ وجل، لا تَزيدُه من الله إلا بُعداً كمن اعتذرَ إليكم من فِعْلِ شيءٍ، وهو مُقيمٌ عليه، فإنك لا تَعتبرُه إلا مُستهزِئاً بك لاعباً عليك.

فاتقوا اللهَ أيها المسلمون، وتوبُوا إلىٰ ربِّكم وأقلعوا من ذنوبكم واعْزِمُوا أنْ لا تَعُودُوا في المستقبلِ فلا تكونُ التوبةُ مقبولةً، حتىٰ يَعْزِمَ التائبُ أن لا يعودَ في المستقبل، لأنه إن لم يَعْزِمْ علىٰ ذلك فتوبتُه مؤقتةٌ يتَحَيَّنُ فيها الفُرَصَ المواتيةَ فلا تدل علىٰ كراهية للمعصية، وهَربِهِ منها إلىٰ طاعةِ الله عزَّ وجلَّ. ولن تكونَ التوبةُ مقبولةً، حتىٰ تصدر في زمنِ قبولِها، وهو ما قَبْلَ حضورِ الأجلِ، وطلوعِ الشمسِ من مغربِها. فإن كانت التوبةُ بعدَ حضورِ الأجلِ ومعاينةِ الموت، لم تُقْبلْ.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ﴾ [النساء: ١٨]، وقال النبيُّ

---

(١) جزء من حديث أخرجه مسلم (٢٦٦٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ﷺ: «**إنَّ الله يقبلُ توبةَ العبد ما لم يُغرغِر**»[١] يعني بروحه، رواه أحمد، والترمذي، وقال: حديث حسن وإذا كانت التوبة بعد طلوع الشمس من مغربها لم تقبل لقوله تعالىٰ: ﴿**يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا**﴾ [الأنعام: ١٥٨].

والمرادُ بذلك طلوعُ الشمسِ من مغربِها إذا رآها الناسُ طالعةً منه آمنوا أجمعون، فلا ينفعُ نفساً إيمانُها إذا لم تكنْ آمنت من قَبْلُ، أو كسبَتَ في إيمانها خيراً، وعن عبدِ الله بنِ عمرِو بنِ العاصِ أن النبيَّ ﷺ قال: «**لا تزال التوبةُ تُقْبَلُ حتىٰ تطلعَ الشمسُ من مغربِها فإذا طلعَتْ طُبِعَ علىٰ كُلِّ قَلْبٍ ما فيه**»[٢] قال ابن كثير: حسن الإسناد. وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أنَّ النبيَّ ﷺ، قال: «**مَنْ تابَ قبلَ أنْ تطلُعَ الشمسُ من مَغْرِبِها تابَ اللهُ عليه**»[٣] رواه مسلم.

فتوبوا أيها المسلمون إلىٰ الله، وأسْلِمُوا له وثِقُوا بأن التوبةَ النصوحَ تَجُبُّ ما قبلَها من الذنوب مهما عَظُمَتْ. قال الله تعالىٰ: ﴿**۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ**

---

(١) أخرجه أحمد ٢/ ١٣٢، والترمذي (٣٥٣٧)، وابن ماجه (٤٢٥٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد ١/ ١٩٢، وأصله عند أبي داود (٣٤٧٩)، والنسائي ٧/ ١٤٩ وفي الكبرىٰ (٨٧١١).

(٣) أخرجه مسلم (٢٧٠٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الزمر: ٥٣-٥٩].

اللهم وفِّقنا للتوبةِ النصوحِ التي تمحو بها ما سلفَ من ذنوبِنا وتُيسِّرُ بها أمورنا، وترفع بها درجاتِنا، إنك جوادٌ كريمٌ.

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

وصية النبي ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما

الحمدُ للهِ الذي وفَّق مَنْ شاء مِنْ عبادِه لحِفْظِ حُدُودِه، وأعانَهم بمَنِّهِ وفَضْلِه علىٰ القيام بحقوقه، حَفِظُوا حُدُودَ اللهِ فحَفِظَهم اللهُ، واتجهوا بقلوبهم إلىٰ الاستعانةِ بربِّهم فأعانَهم اللهُ. عَلِمُوا أنَّ الأمةَ لو اجتمعوا علىٰ أن ينفعوا العبدَ بشيءٍ لم ينفعوه إلا بشيءٍ قد كتبَه اللهُ له، فعَلَّقُوا رجاءَهم به، وأَيْقَنُوا أنَّ الأمةَ لو اجتمعوا علىٰ أن يضروا العبدَ بشيء لم يضروه إلا بشيءٍ قد كتبَه الله عليه، فاعتمدوا عليه. ونشهدُ أن لا إلـه إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، له الملكُ، وله الحمدُ، وبيده ملكوتُ السمواتِ والأرض، وهو علىٰ كل شيء قديرٌ، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، البشيرُ النذيرُ، والسراجُ المنيرُ، صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آله، وأصحابِه والتابعين لهم بإحسان إلىٰ يوم الدين، وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا الله، واحفَظُوا وصيةَ النبيِّ ﷺ لابن عَمِّه عبد الله بن عباس، رضي اللهُ عنهما قال عبدُ الله بن عباس رضي الله عنهما: كنتُ خَلْفَ النبيِّ ﷺ يوماً فقال: «**يا غلامُ إني أُعَلِّمُكَ كلماتٍ: احفظِ اللهَ يحفظك، احفظ الله تَجِدْه أمامَك، تَعَرَّفْ إلىٰ اللهِ في الرخاءِ يعرفْك في الشدة، إذا سألتَ فاسأل الله، وإذا استعنتَ فاستعن بالله، واعلمْ أنَّ الأمةَ لو اجتمعت علىٰ أن ينفعوكَ بشيءٍ لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبَه اللهُ لك، وإنْ اجتمعوا**

علىٰ أن يضروك بشيء، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه اللهُ عليك، رُفعتِ الأقلامُ وجَفَّتِ الصُّحفُ، فما أصابك لم يكُنْ ليُخْطِئَك، وما أخْطَأَكَ لم يكُنْ ليُصيبك، واعلمْ أنَّ النصرَ مع الصبرِ، وأن الفرجَ مع الكربِ، وأن مع العُسْرِ يُسْراً»[1]، فهذه الوصايا النافعةُ ينبغي لكلِّ مسلمٍ أن يحفظَها ويعمل بها، فإن العملَ بها سعادةٌ وفلاحٌ.

الوصيةُ الأولىٰ: قوله ﷺ: «**احفظ اللهَ يحفظْك**» حِفْظُ اللهِ تعالىٰ، هو حِفْظُ دينِه وحدودِه، بأن يكونَ الإنسانُ محافظاً علىٰ طاعةِ الله مقيماً لحدودِ الله، إن كانت الحدودُ واجباتٍ لم يتعدَّها، وإن كانت محرماتٍ تركَها، وابتعدَ عنها. فمن حَفِظَ اللهَ حَفِظَه اللهُ في دينِه وأهلِه ومالِه.

فالقيامُ بطاعةِ اللهِ سببٌ لأنْ يُحفَظَ للعبدِ دينُه، حتىٰ يموتَ عليه، والقيامُ بطاعةِ الله سببٌ لأن يُحْفَظَ للعبدِ أهلُه في حياتِه، وبعدَ مماتِه، فلا يقعُ بهم ما يَكْرَهُ كما قيل في قوله تعالىٰ: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ [الكهف: ٨٢] أنهما حُفظا بصلاحِ أبيهما، وحِفْظُ حدودِ الله سببٌ لحِفْظِ العبدِ في مالِه. قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢-٣] وكمْ من إنسانٍ بُورك له في مالِه، وحُفِظَ من الآفاتِ بسبب حِفْظِه لحدودِ الله.

---

(١) أخرجه أحمد ١/ ٢٩٣، والترمذي (٢٥١٦)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٤٢٥).

الوصيةُ الثانيةُ: قوله ﷺ: «**احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ أمامَك**» وهذا أيضاً من فوائد حِفظِ العبدِ لحدودِ الله أنْ يكونَ اللهُ أمامَه يَهْدِيه لما فيه صلاحُه ويُيَسِّرُ له الأمورَ، فلا يَجِدُ الأمورَ أمامَه إلا سهلةً ميسرةً.

الوصيةُ الثالثةُ: «**تَعرَّفْ إلىٰ اللهِ في الرخاءِ، يَعْرِفْك في الشِدَّة**» جرت عادةُ الإنسان وطبيعتُه أنه في حالِ الرخاءِ يفرَحُ ويمرَحُ وينسىٰ حقوقَ الله، وهذا هو الغالبُ علىٰ كثيرٍ من الناس، كما قال النبيُّ ﷺ: «**نِعمَتانِ مغبونٌ فيهما كثيرٌ من الناس، الصحةُ والفراغ**»(١). أما الموفقون فإنهم يعرفون أنَّ الرخاءَ لا يدومُ وأنه لا بُدَّ أن يقعَ الإنسانُ في شدةٍ، ولو شدَّةِ الموتِ ومفارقةِ المالِ والأهلِ والولدِ، فيقدمون في الرخاءِ لهذه الشدةِ ما يستعينون به عليها حيث يتعرفون إلىٰ ربِّهم بقيامِهم بالطاعةِ، فلا يَفقِدُهم حيثُ أمرَهم ولا يَجِدُهم حيثُ نهاهم، فمن تعرَّف إلىٰ اللهِ في حالِ الرخاءِ والسَّعةِ عَرَفَه في الشدةِ، والشدةُ إما فقْرٌ أو مَرَضٌ أو خَوْفٌ، وأعظمُ شدةٍ يقع فيها العبدُ ساعةُ الموت، فإنها ساعةُ فراقِ الدنيا والإقبال علىٰ الآخرة، وفي هذه الحالِ يكونُ أحوجَ شيءٍ إلىٰ لُطْفِ الله ورحمتِه، فإنه يجتمعُ عليه من الشدائد شدةُ مفارقةِ الدنيا والأهل والولد والمال، وشدةُ الألمِ الذي يُصيبُه في تلك الساعةِ، وشدةُ هَوْلِ المطلَعِ وشدةُ الثبات علىٰ الإيمان، فإنَّ الشيطانَ أحْرَصَ ما يكونُ علىٰ زَيْغِ العبدِ وضلالِه في تلك الساعة، لأنها المعرفةُ الحاسمةُ وعليها المدارُ في

(١) أخرجه البخاري (٦٤١٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

سعادةِ العبدِ وشقائه، وربما تُعْرَضُ الأديانُ اليهوديةُ والنصرانيةُ وغيرُها علىٰ العبدِ في تلك الساعةِ فتنةً له، فإذا كان قد تَعَرَّفَ إلىٰ ربِّه في حالِ الرخاءِ عَرَفَه اللهُ في هذه الشدةِ وثَبَّتَه وخَتَمَ له بالخاتمةِ الحُسْنَىٰ، اللهم اخْتِمْ لنا بالخاتمةِ الحسنىٰ يا أكرمَ الأكرمين.

الوصيةُ الرابعةُ والخامسةُ: قوله: «**إذا سألتَ فاسألِ الله، وإذا استعنْتَ فاستعِنْ بالله**» مَنْ أرادَ أن تُقْضَىٰ حاجتُه بلا مِنَّة إلا لله ولا مشقةٍ فليسألِ اللهَ تعالىٰ واسألوا اللهَ من فَضْله، وفي الحديث: «**سَلُوا اللهَ من فَضْلِه فإنَّ اللهَ يُحِبُّ أن يُسْأل**»(١) وقد بايع النبيُّ ﷺ جماعةً من أصحابه علىٰ أن لا يسألوا الناسَ شيئاً، فكان أحدُهم يسقطُ سَوْطُه أو خِطَامُ ناقتِه فلا يسألُ أحداً يُناوِلُه.

ثم بيَّنَ النبيُّ ﷺ بأن الأمةَ لا تستطيعُ أن تنفعَك أو تضرَّك إلا بما كتبَه اللهُ، وأن ما كتبَه اللهُ عليك لا بُدَّ أن يُصِيبَك، فإن الأمرَ قد فُرِغَ منه.

ثم أوصاه بأن يعلمَ أنَّ النصرَ مع الصبرِ، فمَنْ صَبَرَ ظَفَرَ ونال مقصودَه، وأن الفرجَ مع الكربِ، فمتىٰ اشتدت بك الكُرباتُ، وضاقت بك الأمورُ فتَوجَّهْ إلىٰ ربِّك، وانتظرِ الفرجَ منه فهو أقربُ، وأن مع العُسْرِ يُسْرا، فالعسرُ محفوفٌ بيُسْرَيْنِ ولن يَغْلِبَ عُسرٌ يُسْرَين.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٧١) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

عبادَ الله: هذه وصيةُ النبيِّ ﷺ لابنِ عمِّه فاحفَظُوها وحقِّقُوها واعملوا بها لعلكم تفلحون.

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلْعَـٰبِدُونَ ٱلْحَـٰمِدُونَ ٱلسَّـٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّـٰجِدُونَ ٱلْـَٔامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَـٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١١٢].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

الموعظـة

عن طريق التمثيلية المكتوبة علىٰ صفة تذكرة

أما بعدُ، أيها المؤمنون: بالله ورسولِه، أيها المُتَّبِعونَ لرسولِ الله ﷺ، إنَّ نَبِيَّ الله ﷺ دعا الناسَ إلىٰ عبادةِ الله، ودعاهم بكتابِ الله، وسُنَّة رسولِ الله ﷺ، فخَيْرُ ما يُدْعَىٰ به الناسُ إلىٰ دينِ الله، هو كتابُ اللهِ وسنةُ نبيِّه ﷺ، وفي عهدِنا هذا ومِنْ عهدٍ قريبٍ، كثُرَتِ النشراتُ الكثيرةُ المتعددةُ المتنوعة في الدعوةِ إلىٰ الله، منها ما يكونُ صواباً، ومنها ما يكونُ خطأً في مضمونه، ومنها ما يكونُ خطأً في شَكْلِه ووَضْعِه.

وإنه في هذه الأيام صَدَرَتْ نشرةٌ كُتِبَ عليها: (رحلةٌ سعيدةٌ). ووُضِعَتْ كهيئةِ تَذْكرةِ الطائرة، وبعضُها وُضِعَ في أوراقٍ عاديةٍ كُتِبَ فيها عباراتٌ خاطئةٌ، ليست من الدعوةِ إلىٰ اللهِ في شَيْءٍ، حتىٰ إني رأيتُ من جُمْلَةِ ما صُنِّفَ في هذه التذكرةِ، أنه وَضُحَ فيها صورةُ طائرةٍ كبيرةٍ، وهي التي تُسمَّىٰ: الجَامْبُو وكُتِبَ فيها كلماتٌ لا تمتُّ إلىٰ الدعوةِ التي جاء بها النبيُّ ﷺ بصلةٍ.

وإني أرجو ممَّن حصلَ علىٰ مِثْلَ هذه التذكرةِ أن يَحْرِقَها ولا يَنْشُرَها، لأني أخشَىٰ أن يكونَ إلىٰ الإثمِ أقربَ منه إلىٰ السلامةِ، إنهم يجعلون المَرْجِعَ الذي يُرْجَعُ إليه في تحديد مَوْعِدِ السفر، أو

أو في طلبِ الاستكشافات عن الأمور، هو كتابَ اللهِ عَزَّ وجل، وكتابُ اللهِ تعالىٰ أسْمَىٰ وأعْظَمُ من أنْ يُجْعَلَ في مكانِ مُوَظَّفٍ بالمطار.

أيها المسلمون: إن مَنْ تَدَبَّرَ العبارات التي فيها، والتي بدأ الناشرون يزيدُون فيها ويَنْقُصُون، ويَتْرُكُون ويَذَرُون، عَلِمَ أن هذا أمرٌ لا يَنْبَغي أن يكونَ أبداً، وأنه ينبغي للإنسان أن يدعو عبادَ اللهِ بكتابِ الله، وسنةِ رسوله ﷺ، أما البطاقةَ فإنه سَمِعْتُ مِمَّنْ أَثِقُ به أنَّ بعضَ الناسِ صار يتخذُها سُخْريةً، يقول: أتريد تذكرةً مجاناً؟ فإذا قال: نعمْ، سَلَّمَها له علىٰ سبيلِ الاستهزاء والسخرية.

وإني أظنُ أن بعض الناس سيُدافِعُ، ويقولُ: أليست الأعمالُ الصالحةُ زاداً؟ فأقولُ: بلىٰ والله هي زادٌ. قال اللهُ تعالىٰ: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ١٩٧]، وقد يقولُ أيضاً: إن اتخاذَ بعضِ الناس لها سُخْريَةً لا يلزمُ أن تكون باطلاً. ولكني أقولُ: صحيحٌ، إن اتخاذَ بعضِ الناس ما يكون من دين الله تعالىٰ سخريةً، لا يجعلُ ذلك باطلاً، وكَمْ من أناس سَخِرُوا من القرآن الكريم، والسنة النبوية، ولكنَّ هذه الطريقة، وهي طريقةٌ ليست مما جاء عن رسول الله ﷺ، إذا اتخذَها الإنسانُ سُخْرِيّاً، وليست هي بطريقةٍ مشروعةٍ، ولذا ينبغي تجنبها.

إنَّ بعضَ الناسِ قد يقولُ: أليس الإنسانُ إذا مات فهو مُسافِرٌ إلىٰ الدارِ الآخرة؟ فنقول: نعم. إنه إذا مات فهو مُسافِرٌ إلىٰ الدار

الآخرة، وكُلُّ مسافرٍ يحتاجُ إلىٰ زادٍ، وزادُ الآخرة هو التقوىٰ، هو تقوىٰ الله عَزَّ وجل، المبنيةِ علىٰ العلمِ بشريعةِ اللهِ سبحانه وتعالىٰ، ولكن يُغْنِي عن كُلِّ هذا الكلام، قولُ اللهِ تعالىٰ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

أيها المسلمون: احرِصُوا غايةَ الحِرْصِ علىٰ أن تكونَ دعوتُكم إلىٰ الله بالطريقةِ التي جاءت عن رسولِ الله ﷺ، أو ما يُشْبِهُها من الطُّرق الصحيحة، التي لا تُوجبُ تأثيم الناس وضَحِكَهم بها.

أسألُ اللهَ تعالىٰ أن يجعلَنا وإياكم دُعاةً إلىٰ الحق، هادِين مهتدين، إنه جوادٌ كريم.

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

التحذير من الاغترار بالدنيا

الحمدُ للهِ الذي خلقَ الموتَ والحياةَ، ليبلوكم أيُّكم أحسنُ عملاً وهو العزيزُ الغفور، قسَّمَ عبادَه إلىٰ قسمين فمنهم شاكِرٌ ومنهم كَفُورٌ، وأشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله وحدَه لا شريكَ له، له الملكُ وله الحمدُ، وهو علىٰ كل شيء قديرٌ. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه البشيرُ النذيرُ والسراجُ المنيرُ، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه ومن اقتدىٰ بهدْيِهم، إلىٰ يومِ الحَشْرِ والمصير، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واخْشَوْا يوماً لا يَجْزِي والدٌ عن ولَدِه، ولا مولودٌ هو جازٍ عن والدِه شيئاً.

عبادَ الله: اعلموا أنَّ هذه الحياةَ الدنيا دارُ ممرٍّ وعُبورٍ، ودارُ عَمَلٍ وكَدْحٍ للعباد، فلا تَغُرنَّكم الحياةُ الدنيا، ولا يغرنَّكم بالله الغُرورُ، فتذكروا ما أنتم إليه صائرون من الموتِ وما بعدَه يومَ تحشرون، تَذَكَّرُوا حالتكم عند حُلول الآجال، ومفارقةِ الأوطانِ والأهلِ والعيالِ، تذكروا حينما تشاهدون الآخرةَ أمامَكم، وأنتم مقبلون إليها مدبرون عن الدنيا، تَذَكَّروا حين يَنقَسِمُ الناسُ إلىٰ قسمين، فمنهم مَنْ تَوَفَّاهُمُ الملائكةُ طَيِّبين يقولون سلامٌ عليكم ﴿ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ

فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢] ومنهم مَنْ تَوَفَّاهُمُ الملائكةُ ظالمي أنفسهم ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: ٩٣] تذكَّروا إذا حُمِلْتُمْ علىٰ الرقاب إلىٰ القُبورِ، فانفَردتُم بها عن الأهلِ والأولادِ والأموالِ والقصور، جَليسُكم الأعمالُ، فإما خيرٌ تُسرُّون به إلىٰ يوم القيامة، وإما شرٌّ تَجدُون به الحسرةَ والندامة ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ﴾ [الأنعام: ٩٤] تذكَّروا إذا ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨]، يقومون من قُبورِهم لربِّ العالمين حُفاةً عُراةً ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤-٣٧].

عبادَ اللهِ: تَذَكَّروا هذا اليومَ العظيمَ الذي يُجمَعُ فيه الأولون والآخِرُون في صعيدٍ واحدٍ يُسْمِعُهم الداعي، ويُنْفِذُهم البصرُ ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الواقعة: ٤٩-٥٠] هذا اليومُ الذي تَندَكُّ فيه الجبالُ، وتعظُمُ فيه الأهوالُ، وينزِلُ فيه للقضاءِ بينَ العبادِ الملكُ الكبيرُ المتعال ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ۚ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا﴾ [المزمل: ١٧] تذكَّروا هذا اليومَ الذي سماه اللهُ يومَ التغابن، لأنه هو الذي فيه الغَبْنُ العظيم، الغَبْنُ

الحقيقي، لأن الناسَ يُحشَرُون علىٰ حَسَبِ أعمالِهم، فمنهم المتقون الذين يُحشَرون إلىٰ الرحمٰن وَفْداً فنِعْمَ الوفدُ ونِعْم الموفودُ إليه، الوفدُ عبادُ الرحمٰن، والموفودُ إليه الملكُ الكريمُ المنانُ، ودارُ الوفادةِ دارُ السلام، دارُ النعيمِ المقيمِ في جوارِ الرحمٰنِ الرحيم، ومنهم المجرمون الذين يُساقونَ إلىٰ جهنَّمَ وِرْداً يَظمَؤونَ عطَشاً، فتُمَثَّل لهم النارُ كأنها السرابُ يساقون إليها، ولكن لا تَرْوِيهم مِنْ ظَمَأٍ، وإنما يَجدُون فيه النارَ والسعيرَ والحَرَّ والزَفيرَ، ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآئِ ٱلْـَٔاخِرَةِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ [الروم: ١٤-١٦] فما أعظمَ هذا اليوم! وما أشدَّ هَوْلَه! لقد قالَ اللهُ في وصفه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ١-٢] مِقدارُه خمسون ألفَ سنةٍ تدنو فيه الشمسُ من العالَمِ حتىٰ تكونَ بقَدْرِ ميلٍ فقط، ويبلغُ العرقُ منهم كُلَّ مَبْلَغٍ، كُلٌّ بحسبِ عَمَلِه، إنَّ التغابُنَ في هذا اليومِ والله هو التغابُنَ، وليس التغابُنَ في نَيْلِ عَرَضِ الدنيا وزَخارِفِها، فإنما هي ﴿لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ تَزدَهِرُ قليلاً ثم تزولُ سريعاً ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ

وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [الحديد: ٢٠] فتنافسوا أيها المسلمونَ في أعمال الآخرة، لتُدرِكُوا بذلك الدنيا والآخرة، وإياكم أن تُؤثِرُوا الدنيا عليها، فتَخْسَروا الدنيا والآخرة، فإنَّ الدنيا مزرعةُ الآخرة، فإذا لم يَزرَعْ فيها لآخرتِه، فقد خَسِرَها وخَسِرَ آخرتَه.

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٣٧-٤١].

بارَكَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

التحذير من الاغترار بالدنيا

الحمدُ للهِ الذي خلق الموتَ والحياةَ ليبلوكم أيُّكم أحسن عملاً وجعلَ للوصول إليه طرائقَ واضحةً وسُبُلاً، ونشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله وحدَه لا شريكَ له، شهادةً نرجو بها عاليَ الجنات نُزُلاً، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أقومُ الخلق ديناً وأهداهم سُبلاً، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه والتابعين لهم بإحسان، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: لقد أتىٰ علىٰ الإنسان حينٌ من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً، حتىٰ أوجَدَكُم اللهُ من العَدَمِ، وأسبغ عليكم النِّعَم، ودفَعَ عنكم النِّقَمَ، ويَسَّرَ لكم من أسباب البقاء وأسباب الهدايةِ، وبيَّن لكم ما ينفعُكم وما يضرُّكم، بيَّنَ لكم أنَّ للإنسانِ دارين، دارَ مَمَرٍّ وعُبورٍ، ودارَ مَقَرٍّ وخلود. أما الدارُ التي هي دارُ مَمرٍّ وعبور، فهي دارُ الدنيا التي كلُّ ما فيها فهو ناقصٌ، إلا ما كان مُقَرِّباً إلىٰ اللهِ تعالىٰ، آمالُها آلامٌ، وصفوُها أكدارٌ، ولو تَبَصَّرَ العاقلُ فيها أقَلَّ تَبصُّرٍ لعرَفَ قَدْرَها وهَوانَها، وعرف كيف غَدْرُها وخِداعُها؟ تتراى لعاشِقِيها كالسَّراب، يحسبُه الظمآنُ ماءً، حتىٰ إذا جاءه لم يجدْه شيئاً وتتزَيَّنُ لهم بأنواع الزخارفِ والمُغرياتِ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ﴾ [يونس: ٢٤] فمآلها عَدَمٌ وفَناءٌ، وجمالُها عَذابٌ وشَقَاءٌ، هذه هي الدنيا ﴿لَعِبٌ

وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [الحديد: ٢٠].

أيها الناسُ: أما الدارُ الآخرةُ فهي الحيوان هي الحياةُ الحقيقيةُ، التي فيها جميعُ مقوماتِ الحياةِ من البقاءِ والسرورِ والسلام، والحبور هي الحياةُ الحقيقيةُ التي ينطق الإنسانُ إذا شاهدَ حقائِقَها، يقول: يا ليتني قدَّمْتُ لحياتي. فالحياةُ حقيقةً هي الحياةُ الآخرة التي يحيا الناسُ فيها، فلا يموتون، ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٢-١٠٤].

أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، وانظروا نَظَرَ العاقلِ البصيرِ المؤمنِ، قارنوا بين الحياةِ الدنيا وحياةِ الآخرة، لتَعْرِفُوا الفَرقَ بينَ الدارين، ففي الدار الآخرة ما تشتهيهِ الأنفسُ وتَلَذُّ الأعينُ، وهي دارُ السلام، سالمةٌ من كلِّ نَقْصٍ، ومن كُلِّ بَلاءٍ لا مرضَ فيها ولا موتَ ولا بُؤْسَ ولا هَرَمَ، يقول النبيُّ ﷺ: «**لَمَوْضِعُ سَوْطِ أحدِكم في الجنة خَيْرٌ من الدنيا وما فيها**»(١) وهذا كلامُ الصادقِ المصدوق، إنَّ موضعَ العَصَا في الجنةِ خيرٌ من الدنيا كُلِّها من أولها إلىٰ آخرها، بكُلِّ ما فيها من نعيمٍ وتَرَفٍ، إذا كان هذا خيراً من الدنيا كلِّها،

---

(١) أخرجه أحمد ٥/ ٣٣٠ من حديث سهل بن سعد رضي الله عنهما.

فكيف بما أدركْتَ منها من الزمنِ القليل؟ وإذا كان موضعُ السوط خيراً من الدنيا كلِّها، فكيف بمنازلَ أدنىٰ منزلةٍ فيها مَسِيرَةُ ألفَيْ عام يُرَىٰ أقصاها كما يُرَىٰ أدناها.

أيها الناسُ: إنَّ من العجَبِ أنْ يُؤْثِرَ أقوامٌ الحياة الدنيا علىٰ الآخرة، والآخرةُ خيرٌ وأبْقىٰ، يُؤْثِرُونها علىٰ الآخرةِ فيعملون لها ويَدَعُونَ عملَ الآخرة، يَحْرِصُون علىٰ تحصيلِ الدنيا، وأن فَوَّتُوا ما أوجبَ اللهُ عليهم، ينغمسون في شهواتِهم وسَهَواتهم، ويَنْسَوْن شُكْرَ مَنْ أنعمَ بها عليهم، علامةُ هؤلاءِ أنهم يتكاسَلُون عن الصلواتِ ويتثاقَلُون عن ذِكْرِ الله ويخونون في الأمانات، ويغشّون في المعاملات، ويتجرؤون فيها علىٰ الربا بأنواع التحيلات أو بربا صريح من غير مبالاة، ويَكذِبُون في المقالات، ولا يُوفُون بالعُهود ولا يَبَرُّون الوالدين، ولا يَصِلُونَ الأقاربَ.

أيها الناسُ: إنَّ مَنْ آثر الحياةَ الآخرةَ علىٰ الدنيا حصلَ له نعيم الدنيا والآخرة لأن عملَ الآخرة يَسيرٌ علىٰ مَنْ يَسَّرَه اللهُ عليه، ولا يُفَوِّتُ من الدنيا شيئاً، فإن مَنْ ترك شيئاً لله عَوَّضَهُ الله خيراً منه، واللهُ سبحانَه وتعالىٰ يقول: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧]، وقال تعالىٰ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ﴾ [الشورىٰ: ٢٠]، أما مَنْ آثر الحياةَ الدنيا علىٰ الآخرةَ، فإنه قد يُؤتَىٰ في الدنيا، ولكنْ ليس له في الآخرةِ من نصيبٍ، قال تعالىٰ:

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٥-١٦].

اللهم اجعلنا ممن آثَرُوا الآخرةَ علىٰ الدنيا، وآتِنا في الدنيا حسنةً، وفي الآخرة حسنةً وقِنَا عذابَ النار.

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

التحذير من الغفلة عن الآخرة

الحمدُ للهِ الذي أحاطَ بكلِّ شيءٍ عِلْماً، وهو علىٰ كل شيءٍ شهيدٌ، والحمدُ لله الذي خلقَ الإنسانَ وعَلِمَ ما تُوَسْوِسُ به نفسُه من خيرٍ وشرٍ وصلاحٍ وفسادٍ، ووَكَّلَ به مَلَكين يتلَقَيّان ما يَعْمَلُه فيَكْتُبانه ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [قٓ: ١٧-١٨] ويوم القيامة ينبئهم بما عَمِلُوا ثم يَجْزيهم بفضلِه وعدلِه، وهو الحكيمُ الرشيدُ يومَ يوضَعُ الكتابُ ﴿فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًاۗ﴾ [الكهف: ٤٩] وما ربُّك بظَلّامٍ للعبيد، ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْاْ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٦-٨]، فاحذَرُوا التهاونَ والتفريطَ، ونشهدُ أنْ لا إلـه إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، الوليُّ الحميدُ ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه أكملُ الناس إيماناً وأعظمُهم تعظيماً ومراقبةً للعظيمِ المجيد، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ إلىٰ يوم المزيدِ، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا اللهَ تعالىٰ وراقبوه واعلموا أنه لم يَخْلُقْكم لتَسُومُوا في هذه الدنيا كما تَسُومُ البهائمُ، ولا لتَرْتَعُوا في شهواتِكم ولذاتِكم التي حرَّمَها عليكم، كما يفعلُ المتحيرُ الهائمُ، وإنما خَلَقَكم لتعبدوه وتستعدوا للقائِه، فتخافوه وترجوه وحَدَّ لكم

حُدوداً لو اتبعتموها لصلَحَتْ لكم الدنيا والآخرةُ ولأُسْبِغَت عليكم النِّعَمُ واستمرت باطنةً وظاهرةً.

إخواني: إنَّ كثيراً من الناس اغْتَرُّوا في هذه الدنيا فانْغَمَسُوا في شهواتها مع أنها مُوَلِّيةٌ مُدْبِرَةٌ، وأعْرضُوا عن الآخرةِ وأعمالِها مع أنها باقيةٌ مقبلةٌ، باعوا ما يَبْقَىٰ بما يفنىٰ، فبِئْسَ الصفقةُ، وقالوا قليلٌ عاجلٌ خيرٌ من كثيرٍ آجلٍ فبِئْسَ النظرة، لو تأملوا حقَّ التأملِ لعَلِمُوا أنهم ضالون مُخطِئون، وأنهم عن قليلٍ نادمون.

ألم يقرأ هؤلاءِ قولَ اللهِ تعالىٰ: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٥-٤٦]، ألم يبلغْهم قولُ النبيِّ ﷺ لبعضِ أصحابه: «**كُنْ في الدنيا كأنك غريبٌ أو عابرُ سبيل**»[(١)] فهل الغريبُ يُؤَمل أن يكونَ مُسْتَوْطناً، وهل عابرُ السبيلِ يتوقفُ فيقطع سيره متأنياً كلاّ والله.

أيها الغافلونَ عن الآخرةِ: إنكم في سَفَرٍ إليها مُتواصلٍ لا ينقطعُ أبداً، إن قُمْتُم فأنتم مسافرون، وإن قَعَدتم فأنتم مسافرون، أنتم مسافرون في اليقظة، ومسافرون في المنام، وما أسرَعَ قَطْعَ المسافةِ ممن هذا دأبُه في السفر، قال ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: إنكم في

(١) أخرجه البخاري (٦٤١٦) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

مَمَرِّ الليلِ والنهار، في آجالٍ منقوصةٍ، وأعمالٍ محفوظةٍ، وإنَّ الموتَ يأتي بغتةً، فمَنْ زرعَ خيراً فيُوشِكُ أنْ يَحْصُدَ رغبةً، ومَنْ زرعَ شراً فيُوشِكُ أنْ يَحْصُدَ ندامةً ولكُلِّ زراعٍ مثلُ ما زرع[1].

ألسنا نرىٰ الإنسانَ يخرجُ من بيتِه ثم لا يعودُ إليه؟ ألسنا نَرَىٰ الإنسانَ ينامُ في فراشِه مطمئناً هادئاً ثم لا يقومُ منه؟ فاتقوا الله أيها المؤمنون، واحذَرُوا الاغترارَ بالدنيا واعملوا للآخرةِ التي أنتم إليها صائرون، وبها إما في نعيمٍ أو جحيمٍ مستقرون. إني لا أقول لكم دَعُوا كُلَّ عملٍ في الدنيا، فهذا أمرٌ لا يُمكِنُ، ولكني أقولُ اعملوا للآخرةِ وانعمَوا بما أباحَ اللهُ لكم في الدنيا، وهذا هو الطريقُ الوسطُ الذي رَضِيه اللهُ لكم ديناً، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

---

(١) أخرجه البيهقي في «الشعب» (١٠٥٨٠)، وابن أبي عاصم في «الزهد» ١/ ١٦١، وأبو نعيم في «الحلية» ١/ ١٣٤، والذهبي في «سير أعلام النبلاء» ١/ ٤٩٧، والديلمي في «الفردوس» (٤٠٢)، وانظر «مجمع الزوائد» ٢/ ١٨٩، وعزاه إلىٰ الطبراني في «الكبير».

وفاة ضياء الحق

الحمدُ للهِ الذي بيده ملكوت السمواتِ والأرضِ، وإليه يُرْجَعُ الأمرُ كلُّه، فله الملكُ وله الحمدُ وهو علىٰ كل شيء قديرٌ، وأشهدُ أنْ لا إلـه إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، منه المبتدأُ وإليه المصيرُ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، البشيرُ النذيرُ، والسراجُ المنيرُ، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدين، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ: فإنَّ الأمةَ الإسلاميةَ في آخرِ الأسبوع المُنصرِمِ، وبالتحديدِ في يومِ الأربعاءِ الماضي الموافق ١٤٠٩/١/٥هـ. فقَدَتْ زَعيماً إسلامياً يَؤُمُ أكثرَ من مئةِ مليون شَخْصٍ تحت لواءِ جمهوريةٍ إسلاميةٍ، ذلكم الزعيمُ العالميُّ الذي أبْدَىٰ عديدٌ من الشخصياتِ العالَميةِ الأسَفَ لفِقْدِه، ألا وهو الجنرالُ محمد ضِيَاءُ الحقِّ، رئيسُ جمهوريةِ باكستانَ الإسلاميةِ رحمه اللهُ، ذلكم الزعيمُ المسلمُ الذي حَزِنَ المسلمون لمَوْتِه، لأنه زعيمٌ شجاعٌ أقدَمَ علىٰ أمورٍ ربما يَجْبُنُ عن الإقدام عليها كثيرٌ من الزعماء، فلقد أقْدَمَ بشجاعةٍ وحَزْمٍ علىٰ أن يُحَولَ القوانينَ الوضعيةَ الباطلةَ إلىٰ الأحكامِ الشرعيةِ العادلةِ، وما زال جاداً في ذلك.

ولقد كانت له اليدُ الطُولىٰ في مساعدةِ الجهادِ الإسلامي الأفغاني حيث آوىٰ في بلادِه ملايينَ اللاجئين من الأراملِ والأيتام،

وغيرهم من أهل أفغانستانَ، ولم يَقِفْ حائلاً بين وصولِ الإمداداتِ المالية والبشريةِ إلىٰ المجاهدين الأفغانيين، وكانت له اليد الطولىٰ في المؤتمرات الإسلامية في دَعْمِ وتقويةِ القضايا الإسلامية والانتصار لها، ويَدٌ أخرىٰ في المؤتمرات العالمية في دَعْمِ القضايا العادلة، ولذلك كان محلَّ تقديرِ الجميعِ، فأصدر الديوانُ المَلَكِيُّ في الحكومة السعوديةِ بياناً جاء فيه: أن مَصْرَعَه مما يشكل خسارةً فادحةً للأمةِ الإسلاميةِ، التي فقدت بغِيابه رجلاً يعتبرُ من أكبرِ المجاهدين في سبيل نصرةِ قضاياها، ومن أشد القادةِ المسلمين حماساً وإخلاصاً وأكثرهم خِبْرةً ودِرايةً بشؤون العالم الإسلامي، مما تشهدُ به مواقفه العظيمةُ في المحافلِ الدولية، مؤتمرات القِمَم الإسلامية بالإضافةِ إلىٰ جهودِه ومساعيه الحميدةِ التي أَسْهَمَ بها في حلِّ النزاعات بين الأشقاء.

وقد أمرَ خادمُ الحرمين الشريفين أن تُقامَ صلاةُ الغائبِ عليه، في المسجدين: المسجد الحرام، والمسجد النبويِّ، هذا اليوم إثْرَ صلاةِ الجُمُعةِ، وتُنْقَلُ إلىٰ العالمِ الإسلاميِّ علىٰ الهواءِ تقديراً لجهودِه وتشجيعاً لقادةِ المسلمين أن يفعلوا ما يستحقون به الثناءَ، أخذاً برأي كثيرٌ من العلماء في الصلاةِ علىٰ الميتِ الغائب، الذي انتصرَ للإسلام وحماية المسلمين كما فعل النبيُّ ﷺ، ذلك حين مات النجاشيُّ زعيمُ الحبشةِ الذي آوىٰ المهاجرين إليه، من أصحابِ النبيِّ ﷺ قال جابرٌ رضي الله عنه: قال النبيُّ ﷺ: «**قد**

تُوُفِّي اليومَ رَجُلٌ صالحٌ من الحَبَشِ فهلم فصلوا عليه»[١]. وقد خرج بهم النبيُّ ﷺ إلىٰ المصلَّىٰ فصلَّىٰ بهم وصفَّهم صفوفاً، قال جابر: فكنت في الصف الثاني أو الثالث.

ولا شَكَّ أن فقدانَ الزعيم الباكستانيِّ قد تركَ فراغاً كبيراً في الأمةِ الباكستانية المسلمة. فنسألُ الله تعالىٰ أن يَلُمَّ شَعثَها وأن يجمع كلمتَها علىٰ الحق، وأن يُهَيِّيء لها قيادةً صالحةً تُتِمُّ ما أسسه زعيمُها الفقيدُ من تحكيم كتابِ الله تعالىٰ، وسنةِ رسولِ الله ﷺ، ونسألُ اللهَ أن يتغمدَه، ومَنْ كان بصحبتِه من المسلمين برحمته ويُسْكِنَهم فسيحَ جنتِه ويجعلَهم في درجاتِ الشهداء.

عبادَ الله: اعلموا أنَّ خير الحديثِ كتابُ الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشرّ الأمور محدثاتها، باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٢٠) من حديث جابر رضي الله عنه.

المواعظ الشرعية والمواعظ الكونية

الحمدُ للهِ الذي يقضِي بالحقِّ، ويحكمُ بالعدلِ، وهو العزيزُ الحكيمُ، وأشهدُ أنْ لا إلـه إلا الله وحدَه لا شريكَ له، شهادةً أرجو بها الفوزَ بدارِ النعيمِ المقيمِ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أعظمُ الناسِ مراقبةً لله وأشدهم خوفاً من عذابِه الأليم. صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه، ومَنْ سار علىٰ هَدْيِهم القويم، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا اللهَ تعالىٰ واشكروه، واخشَوْا عقابه الأليم، وعظِّمُوه، واعلموا أنَّ الله تعالىٰ جعل لكم مَوعِظَتين. إحداهما الموعظةُ الشرعيةُ التي تَضَمَّنَها كتابُ اللهِ تعالىٰ، وسنةُ رسولِه ﷺ، قال الله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [يونس: ٥٧]، وقال تعالىٰ: ﴿ ۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾ [النساء: ٥٨].

وأمر نبيَّه ﷺ أن يقولَ لأمته ﴿إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا نَذِيرٞ لَّكُم بَيۡنَ يَدَيۡ عَذَابٖ شَدِيدٖ﴾ [سبأ: ٤٦]. وقال ابن مسعودٍ رضي الله عنه، كان النبيُّ ﷺ يتَخَوَّلُنا بالموعظةِ. وقال العرباض بنُ ساريةَ رضي

الله عنه: وعَظَنا رسولُ الله ﷺ موعظةً وجِلَتْ منها القلوبُ، وذَرَفَتْ منها العُيونُ، فالمواعظ الشرعيةُ في كتابِ الله تعالىٰ، وسنةِ رسولِ الله ﷺ، ما يشتملُ عليه الكتابُ والسنةُ من الأوامرِ والنواهي المشتملةِ علىٰ الحِكَمِ البالغةِ التي إذا تَأمَّلَها البصيرُ العاقلُ، انقادَ إليها انقيادَ المُذْعِنِ المطمئن لما فيها من الحقِّ والعَدْلِ، وما تَضَمَّنَتْهُ من المصالحِ والعواقبِ الحميدةِ، وما اشتملت عليه من الوَعْدِ والوعيدِ والترغيبِ والترهيب.

أما الموعظةُ الثانيةُ فهي المواعظُ الكونيةُ التي يعاقب الله تعالىٰ مَنْ حادَ عن سبيله ونكَبَ عن صِراطِه. والتي قال اللهُ تعالىٰ فيها: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ١٠٩] وقال: ﴿قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ [الأنعام: ١١] ولقد ضَرَبَ اللهُ تعالىٰ لهذا النوع أمثالاً متعددةً.

فمن ذلك ما جرىٰ لليهودِ الذين اعتَدَوا في السبت، حيثُ تَحيَّلُوا علىٰ ما حَرَّمَ اللهُ عليهم. فقد حَرَّمَ اللهُ عليهم صَيْدَ الحُوتِ يومَ السبتِ، فابتلاهم بكَوْنِ الحُوتِ تأتي يومَ السبت بكَثْرةٍ، ولا تأتي في غيرِ يومِ السبت، فتَحَيَّلُوا علىٰ ذلك، فكانوا يصنعون الشَّبَكَ للحوتِ قبل يوم السبت، فإذا أتىٰ يومُ السبت وقع فيها فأخَذُوه منها بعدَ ذلك، أتدرون بماذا عاقبَهم الله تعالىٰ؟ استمعوا قولَ الله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ

﴿قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ [البقرة: ٦٥] يُروىٰ عن قتادةَ قال: صار القومُ قِردةً تَعاوَىٰ لها أذنابٌ، بعدَ ما كانوا رجالاً ونساءً.

ثم ماذا قال اللهُ عن هذه الواقعة قال: ﴿فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٦٦] قال ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: (موعظة للمتقين) الذين من بعدهم إلىٰ يوم القيامة، ولهذا قال النبيُّ ﷺ: «**لا تَرْتَكِبُوا ما ارتكبت اليهودُ، فتستحلوا محارمَ اللهِ بأدنىٰ الحِيَلِ**»[1].

ومن ذلك ما جرىٰ لآلِ فرعونَ الذين كذَّبوا قول رسولِ الله، وهدَّدوه بالسجنِ والقتلِ، قال له فرعونُ: ﴿لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾[الشعراء:٢٩] وقال: ﴿ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾ [غافر: ٢٦] فبماذا عوقب هؤلاء؟ عُوقِبُوا بالقَحْطِ، ونَقْصٍ من الثمرات تارةً، وعُوقِبُوا بالفيضانات، تُغرِقُ زُروعَهم، وتَهْدِمُ أبنيتَهم وبالجرادِ يأكلُ ما ظهَر من الزورعِ والثمارِ، بالقُمَّلِ يُفْسِدُ ما ادَّخَرَ منها، وبالضَفَادعِ تُفْسِدُ المياهَ، وبالدمِ ينزِفُ من أبدانِهم فيقضي عليها.

فعوقب آلُ فرعونَ بالمساكنِ، والمطاعمِ والمشاربِ، ومادةِ الحياة، هي الدمُ ينزِفُ من أبدانهم قال اللهُ تعالىٰ في ذلك: ﴿وَلَقَدْ

---

(١) أورده ابن كثير في «التفسير» ١/ ٢٩٣ [البقرة: ٦٦] من حديث أبي هريرة وعزاه لابن بطة في جزء في الخلع وإبطال الحيل.

أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٠] وقال: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ﴾ وهو الفيضانات ﴿وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٣-١٣٦].

أيها المسلمون: إنَّ في مثلِ هذه العقوباتِ الثابتةِ بأصدقِ الأخبار، وهو خبر الله عزَّ وجل، لأكبرَ موعظةٍ لمَنْ كان له قلبٌ أو ألقىٰ السمعَ وهو شهيدٌ، وإن فيما يَجْرِي من أمثالِها في عَصْرِنا المتطورِ لموعظةً يَعِظُ اللهُ عبادَه المتقين، ذوي البصائر والألباب، فالفيضاناتُ التي حصلَت في إفريقيا، وفي آسيا وفي غيرهما مما لا نعلمُه، كُلُّها من جنسِ العقوباتِ التي عُوقِبَ بها آلُ فرعون ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦].

والحروبُ الطاحنةُ وتفرُّقُ الكلمة، واختلافُ القلوبِ بينَ الأمةِ كُلِّها من العقوبات التي خَوَّف اللهُ منها في قوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: ٦٥] هكذا يقول

الله عز وجل: ﴿لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ نسألُ اللهَ تعالىٰ أن يرزقَنا الفقهَ في أحكامِه، وما تتضمنه من العِبَرِ والأسرار.

أيها المسلمونَ: أيها المؤمنونَ: إننا لنشكو إلىٰ اللهِ عَزَّ وجل قسوةَ القلوبِ وغفلتَها، فها هي هذه الكوارثُ، وهذه الحروبُ تمرُّ، ونسمعُ عنها مِنْ حولِنا، ولا تُحدِثُ فينا ليناً في القَلْب، ولا توبةً إلىٰ الربِّ، تمرُّ علىٰ القلوبِ وكأنها ظواهرُ طبيعيةٌ أو خلافاتٌ سياسيةٌ، أو حدوديةٌ، كأنها لم تكن بقضاءِ اللهِ وقدَرِه، ولا بإرادته وحِكْمته، وما ذاك إلا لقسوةِ القلوب وغفلتها، وانشغالِها بالدنيا، وإعراضها عن الآخرة.

فنسألُ اللهَ تعالىٰ بأسمائِه الحسنىٰ وصفاتِه، أن يُلينَ قلوبَنا إلىٰ ذِكْرِه، وأن يرزقَنا الاتعاظَ بما جاء في شرعِه وقَدَرِه، وأن يَهْدينا صراطَه المستقيم، صراطَ الذين أنعم عليهم من النبيين، والصديقين والشهداء والصالحين، وأن يُجَنِّبَنا صراطَ المغضوب عليهم والضالين. إنه جوادٌ كريمٌ، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊

أسباب المصائب

الحمدُ للهِ الذي بيده ملكوتُ السمواتِ والأرض، له الملكُ وله الحمدُ، وهو علىٰ كل شيء شهيدٌ، له الحِكْمَةُ في أمره، وفي شَرْعِه وقَدَرِه، يفعلُ ما يشاءُ، ويَحكُمُ ما يُريدُ، وأشهدُ أن لا إلـه إلا الله، وحدَه لا شريكَ له، الوليُّ الحميدُ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، خاتَمُ الأنبياء وإمامُهم، وخلاصةُ العبيدِ. صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه ومَنْ تَبِعَهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدين، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ: فقد قال اللهُ عزَّ وجل مبيناً تمامَ قدرتِه، وكمالَ حِكْمَتِه وأن الأمرَ أمْرُه، وأنه المدَبِّرُ لعباده كيف يشاءُ مِنْ أمْنٍ وخَوْفٍ، ورَخَاءٍ وشِدَّة، وسَعةٍ وضِيقٍ، وقِلَّةٍ وكَثرةٍ، قال اللهُ عزَّ وجل: ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ [الرحمٰن: ٢٩] فلله تعالىٰ في خَلْقه شُؤونٌ، يُمضِي حُكمه فيهم علىٰ ما تقتضيه حِكْمَتُه وفَضْلُه أحياناً، وعلىٰ ما تقتضيه حِكْمَتُه وعَدْلُه أحياناً، ولا يَظْلِمُ ربُّك أحَداً ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الزخرف: ٧٦].

أيها المسلمون: إننا نُؤمِنُ باللهِ وقَدَرِه، إنَّ الإيمانَ بقَدَرِ اللهِ هو أحدُ أركانِ الإيمان. إننا نؤمنُ أن ما يُصيبُنا من خَيْرٍ ورخاءٍ، فهو مِن نعمةِ اللهِ علينا، يَجبُ أن نشكرَ مُسْدِيها ومُولِيها بالرجوعِ إلىٰ طاعته باجتنابِ ما نهىٰ عنه، وفعلَ ما أمرَ به، إننا إذا قُمْنا بطاعةِ الله، فنحن شاكرون لِنعَمه، وحينئذٍ نستحقُّ ما وَعَدَنا اللهُ به وتَفَضَّل

به علينا من مزيد هذه النعمة. يقول اللهُ عزَّ وجل: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣] ويقول تعالىٰ: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

أيها المسلمون: إننا في هذه المملكة نعيشُ ولله الحمدُ في أمْنٍ ورخاءٍ، لكنَّ هذا الأمنَ والرخاءَ لن يدومَ أبداً إلا بطاعةِ الله عَزَّ وجل، حتىٰ نقومَ بطاعةِ الله، حتىٰ نأمرَ بالمعروف، وننهىٰ عن المنكر، حتىٰ نُعينَ مَنْ يأمرون بالمعروف، ويَنْهَوْن عن المنكر. لأن هؤلاءِ الذين يأمرون بالمعروف ويَنهَوْنَ عن المنكرِ، هم وجهةُ الأمة، هم الذين يَذُبُّون عنها أسبابَ العقابِ والعذاب. فعلينا أن نُناصِرَهم، علينا أن نكونَ في صفهم علينا إذا أخطَئُوا أن نَعْرِفَ الخطأ، وأن نَحذرَهم منه، وأن نُرشِدَهم إلىٰ ما فيه الهدايةُ. لا أن نجعلَ ما أخْطَئُوا فيه سبباً للقَدْحِ فيهم وإشاعةِ أخطائهم. فإن هذا لدربٌ ليس بجيدٍ، فكلُّ بني آدمَ خَطَّاءٌ، وخيرُ الخطائين التوابون.

أيها المسلمون: إن ما أصابَ الناسَ من ضُرٍّ وضِيقٍ، ماليٍّ أو أمْنيٍّ، فَرْدِيٍّ أو جماعي. فإنه بسبب معاصيهم وإهمالِهم لأوامرِ الله، ونسيانِهم شريعةَ الله، والتماسِهم الحُكْمَ بينَ الناس من غير شريعة الله، الذي خلق الخَلْقَ، وكان أرْحَمَ بهم من أمهاتِهم وآبائهم، وكان أعلَمَ بمصالحِهم من أنفسِهم.

أيها المسلمون: إنني أعيدُ هذه الجملةَ لأهميتها، ولإعراضِ كثيرٍ من الناس عنها. إنني أقولُ إن ما أصابَ الناسَ من ضُرٍّ وضيقٍ ماليٍّ، أو

من ضُرٍّ وضيقٍ أمْنِيٍّ، فَرْدِياً كان أو جماعياً، فبسبب معاصيهم وإهمالِهم لأوامر الله عَزَّ وجل، ونسيانِهم شريعةَ الله، والتماسهم الحكمَ بينَ الناسِ من غيرِ شريعةِ الله الذي خلق الخَلقَ، وكان أرْحَمَ بهم من أمهاتِهم وآبائِهم، وكان أعلَمَ بمصالِحِهم من أنفسِهم.

يقول اللهُ عزَّ وجل مبيناً ذلك في كتابه حتىٰ نَحذَرَ، وحتىٰ نَتبيَّنَ يقول جل وعلا: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورىٰ: ٣٠] ويقول الله تعالىٰ: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفۡسِكَۚ﴾ [النساء: ٧٩] ما أصابنا من حسنةٍ من الخيراتِ والنِعَمِ والأمنِ فإنه من الله، هو الذي تَفَضَّلَ به أولاً وآخِراً، هو الذي تفضَّلَ علينا فقُمْنا بأسبابه، وهو الذي تفضَّلَ علينا فقُمْنا بأسبابِه، وهو الذي تفضل به علينا فأسْبغَه علينا.

أما ما أصابَنا من سيئاتٍ مِنْ قَحْطٍ وخَوْفٍ وغيرِ ذلك، مما يسوؤنا فإنَّ ذلك من أنفسِنا نحن أسبابُه، نحن ظَلَمْنا أنفسَنا وأوقَعناها في الهلاك.

أيها الناسُ: إنَّ كثيراً من الناس اليوم يَعْزُون المصائبَ التي يُصابُون بها سواءٌ كانت المصائبُ مالية اقتصاديةً، أو أمنِيةً سياسيةً، يَعْزونَ هذه المصائبَ إلىٰ أسبابٍ ماديةٍ بحتةٍ، إلىٰ أسبابٍ سياسيةٍ أو أسبابٍ ماليةٍ، أو أسبابٍ حُدُودِيةٍ. ولا شكَّ أنَّ هذا من قُصُورِ أفهامِهم وضَعْفِ إيمانِهم، وغَفْلَتِهم عن تَدَبُّرِ كتابِ الله عزَّ وجل، وسنةِ رسولِه ﷺ.

أيها المسلمون، المؤمنون بالله ورسولِه: إنَّ وراءَ هذه الأسباب أسباباً شرعيةً، أسباباً لهذه المصائب أقوىٰ وأعظمَ، وأشدَّ تأثيراً من المصائب المادية. لكن قد تكونُ الأسبابُ الماديةُ وسيلةً لما تقتضيه الأسبابُ الشرعيةُ من المصائبِ والعقوباتِ، قال الله تعالىٰ: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١].

اشكروا نعمةَ اللهِ عليكم بما أنْعَمَ عليكم من هذه النعمةِ التي ستسمعونها إنكم يا أمةَ محمدٍ أفضلُ الأممِ وأكرمُها علىٰ اللهِ عزَّ وجل. إنَّ اللهَ لم يجعلْ عقوبةَ هذه الأمةِ علىٰ معاصِيها وذنوبِها، كعقوبةِ الأمم السابقةِ، لم يجعلْها بالهلاكِ العامِّ المدمرِ للأمةِ كما حصلَ لعادٍ حين أُهلِكُوا بالريح العاتية ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝٧ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٧-٨].

لم يجعلْها كعقوبةِ ثمودَ، الذين أخذتهم الصيحةُ والرجفةُ، فأصبحوا في دارهم جاثمين. لم تكن كعقوبةِ قَوْمِ لوطٍ، الذين أرسل اللهُ عليهم حَاصِباً من السماء، فجعل ديارَهم عالِيَها سافِلَها.

أيها المسلمون: إنَّ اللهَ بحكمتِه ورحمتِه لهذه الأمةِ جعلَ عقوبتَهم علىٰ ذنوبِهم ومعاصِيهم أن يسلطَ بعضَهم علىٰ بعضٍ، فأهلك بعضهم بعضاً، يَسْبِي بعضُهم بعضاً. قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ۝٦٥ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ۚ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ۝٦٦ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ ۚ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٦٥-٦٧].

وقد أورد الحافظُ ابنُ كثيرٍ في تفسيرِه أحاديثَ عديدةً تتعلقُ بالآيةِ الأولىٰ فمنها ما أخرجه البخاريُّ عن جابر بنِ عبدِ الله رضي الله عنهما قال: لَمَّا نَزَلَتْ هذه الآيةُ: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ قال النبيُّ ﷺ: «**أعوذ بوجهك**» ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ قال النبيُّ ﷺ: «**أعوذ بوجهك**» ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ قال النبيُّ ﷺ: «**هذه أهون أو أيسر**»(١).

وما أخرجه مسلمٌ عن سعدِ بنِ أبي وقاصٍ، رضي الله عنه، قال: أقْبَلْنا مع رسولِ الله ﷺ، فصلىٰ ركعتين، فصلينا معه، فناجَىٰ ربَّه عزَّ وجل طويلاً، ثم قال: «**سألتُ ربي ثلاثاً، سألتُه ألا يهلك أمتي بالغرق، فأعطانيها، وسألته ألا يهلك أمتي بالسنة، يعني بالجدب كما حصل لآل فرعون، فأعطانيها، وسألتُه ألا يجعلَ بأسهم بينهم فمنعنيها**»(٢).

وعن خَبَّاب بنِ الأرتِّ رضي الله عنه قال: وافيتُ رسول الله ﷺ في ليلةٍ صَلَّاها كُلَّها، حتىٰ كان مع الفَجْرِ، فسلّم رسولُ الله ﷺ من صلاتِه، فقلت: يا رسول الله لقد صليت الليلةَ صلاةً ما رأيتك صَلَّيتَ مثلها، قال رسولُ الله ﷺ: «**أجلْ إنها صلاةُ رغَبٍ ورَهَبٍ، سألتُ**

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦٢٨) من حديث جابر رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٩٠) من حديث سعد رضي الله عنه.

ربِّي عَزَّ وجل فيها ثلاثَ خصالٍ: فأعطاني اثنتين ومنعني واحدةً، سألتُ ربِّي عَزَّ وجل أن لا يُهْلِكَنا بما أهلَك به الأممَ قبلَنا، فأعطانيها، وسألتُ ربِّي عزَّ وجل أن لا يُظْهِرَ علينا عَدُواً من غيرِنا فأعطانيها، وسألتُ ربي عز وجل أن لا يَلْبِسَنا شِيَعاً، يعني ويُذيقَ بعضَنا بأسَ بَعْضٍ، فمنعينها»[1]. أخرجه الإمامُ أحمد، والنسائي، والترمذي.

أيها المسلمون: إنكم تؤمنون بهذه الآيات، وتؤمنون بالأحاديثِ التي صَحَّت عن رسولِ الله ﷺ، فلم لا تُفكِّرون فيها؟ لم لا تُفكِّرون فيها؟! لماذا لا تَعْزُونَ هذه المصائبَ التي تحصُلُ إلىٰ تَقْصِيرٍ في دينِكم، حتىٰ ترجعوا إلىٰ ربّكم، وتُنْقذُوا أنفسَكم من أسبابِ الهلاكِ المدمرة.

فاتقوا اللهَ عبادَ الله، وانظروا في أمرِكم، وتوبُوا إلىٰ ربكم وصحِّحوا إليه مسيرتكم، واعلموا أنَّ هذه العقوباتِ التي تنزلُ بكم أيها الأمةُ، وهذه الفتنُ التي تَحُلُّ بكم، إنما هي من أنفسِكم، وبذنوبكم، فأحْدِثُوا لكلِّ عقوبةٍ توبةً ورُجُوعاً إلىٰ الله. واستعيذوا باللهِ تعالىٰ من الفتنِ، الفتنِ الماديةِ التي تكونُ في النفوس، بالقتلِ والجَرْحِ والتشريد، وبالأموالِ بالنقصِ والدمار. والفتنِ الدينيةِ التي تكونُ في القلوبِ بالشُّبُهات والشهواتِ التي تصدُّ الأمةَ عن دينِ الله، وتُبعِدُها عن نَهْجِ سَلَفِها، وتَعْصِفُ بها إلىٰ الهاوية.

---

(١) أخرجه أحمد ٥/١٠٩، والترمذي (٢١٧٥)، والنسائي ٣/٢١٦، وفي «الكبرىٰ» (١٢٤١).

فإنَّ فتَنَ القلوبِ أعظمُ وأشدُّ وأسوأُ عاقبةً من فِتَنِ الدنيا. لأن فِتَنَ الدنيا إذا وقعت لم يَكُنْ فيها إلا خسارةُ الدنيا. والدنيا سوف تزولُ إنْ عاجلاً وإنْ آجلاً. أما فِتَنُ الدين، فإن بها خَسارةَ الدنيا والآخرة. ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الزمر: ١٥].

اللهم إنا نسألُك ونحن في انتظارِ فريضةٍ من فرائضِك أن تجعلَنا من المعتبرين بآياتك، المتعظين عند نُزُولِ عقوباتِك. اللهم اجعلْنا من المؤمنين حقاً، الذين يَعْزُونَ ما أصابَهم من المصائبِ إلىٰ أسبابه الحقيقيةِ الشرعيةِ، التي بَيَّنْتَها في كتابك وعلىٰ لسانِ رسولِك محمدٍ ﷺ. اللهم ارزُقْ الأمةَ الإسلاميةَ ووُلاتها رُجُوعاً إليك، رُجُوعاً حقيقياً في الظاهرِ والباطن، في القولِ والفعل، حتىٰ تَصلُحَ الأمةُ. لأن صلاحَ الوُلاةِ صلاحُ الأمةَ، أي سببٌ لصلاحِ الأمة.

اللهم إنا نسألُك أن تُصْلِحَ ولاةَ أمورِ المسلمين، وأن ترزُقَهم الاعتبارَ بما وقَع، وأن توفقنا لما تحبُّ وترضىٰ، يا رب العالمين. اللهم إنا نسألكَ أن تُبْعِدَ عنهم كُلَّ بطانةِ سُوءٍ، إنك علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ، اللهم أبْدِلْهم ببطانةٍ خَيِّرةٍ تدُلُّهم علىٰ الخير وتأمرُهم به، وتَحُثُّهم عليه يا ربَّ العالمين.

اللهم مَنْ كان مِنْ بطانةِ وُلاةِ أمورِ المسلمين ليس ناصِحاً لهم ولا لرعيتهم، فأبْعِدْه عنهم، وأبْدِلْهم خيراً منه يا ربَّ العالمين، يا ذا الجلالِ والإكرام. والحمد لله ربِّ العالمين. وصلّىٰ اللهُ وسلَّم علىٰ نبيِّنا محمدٍ، وعلىٰ آله وصحبِه أجمعين.

آثار غزو العراق للكويت

الحمدُ للهِ العزيز القهار، القوي الجبار، بيده ملكوتُ السمواتِ والأرضِ وتصريفُ الليلِ والنهارِ، وأشهدُ أنْ لا إلـٰهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، ذو العظمة والاقتدار، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المصطفىٰ المختارُ، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان آناءَ الليلِ والنهار، وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ واعبدوه واعْتَرِفُوا له بالفَضلِ بقلوبِكم وألسنتكم لتشكروه، فبالشكرِ تزيدُ النعَمُ، وتَنْدَفِعُ النقَمُ، كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

أيها الناسُ: إنَّ النعمة التي بدأت تَنْجَلِي، والحربَ التي بدأت تَنْطَفي في هذه المنطقة، لمِنْ أكبرِ الابتلاء التي ابتلىٰ اللهُ به عبادَه في بَدْئِه وانتهائِه، لينظرَ كيف يقابلون هذا الابتلاء؟ هل يعبدون علىٰ الضراءِ، وينتظرون الفرجَ من الله، ويُصْلِحُون أحوالَهم لينكشفَ ما بهم؟ وهل يشكرون عند الرخاء فيعرفوا نعمةَ اللهِ عليهم، ويعترفوا بها، ويظهرُ أثرُ ذلك في عباداتِهم ومعاملاتِهم؟ كما قال اللهُ تعالىٰ: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

أيها الناسُ: إنَّ هذه الفتنةَ، بل هذه الكارثة الكبرىٰ حصلَ بها من الشرورِ والأضرارِ العظيمةِ، والآثارِ السيئةِ، ما هو ظاهرٌ للبصير

العاقل إنَّ هذه الكارثةَ أثَّرتْ علىٰ سير الصحوةِ الإسلامية، حيث أشغلت الناسَ عن كثيرٍ من أمورِ دينِهم، حتىٰ أصبحَ بعضُ الناسِ يفكر فيها في جميعِ أحوالِه، في ليلِه ونهارِه، وسِرّه وجَهْرِه، حتىٰ في حال صلاته.

إنَّ هذه الكارثةَ أنْسَتِ الأمةَ الإسلاميةَ أموراً لها شأنُها وأهميتُها فقد نسِيَ الكثيرُ من الناس أو أكثرُهم مسألةَ فلسطينَ، وأفغانستان، وغيرِهما من الأمورِ ذاتِ الشأن. إنَّ هذه الكارثةَ أكْسَبَتِ الأمةَ الإسلاميةَ خسارةً كُبرىٰ، وأكْسَبَتِ الأمةَ اليهوديةَ أرباحاً، ربما لم تكن تَحْلُمُ بها من الناحيةِ العسكريةِ والاقتصادية، والمعنوية الاعتبارية.

إنَّ هذه الكارثةَ أثَّرَتْ تأثيراً بالغاً علىٰ الوحدةِ الإسلامية، علىٰ المستوىٰ الحكوميِّ، والمستوىٰ الشعبيِّ، ولا سيما الدولُ العربيةُ منها، إنَّ هذه الكارثةَ أطاحت بهيبةِ الأمةِ الإسلامية، ولا سيما العربيةُ منها، فإن تَمَزُّقَ الصفوفِ وانفصامَ الوحدةِ مما يُهْدِرُ كرامةَ الأمة، ويقضي علىٰ هَيْبَتِها. كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦].

إنَّ هذه الكارثةَ أوْدَتْ بحياةِ كثيرٍ من الأبرياء، من صِغارٍ وكبارٍ وذُكورٍ وإناثٍ. إنَّ هذه الكارثةَ أهْلَكَتْ كثيراً من الأموال، فضَعْضَعَتِ اقتصادَ كثيرٍ من البلدان، ولا سيما البلدانُ قليلةُ المواردِ. إنَّ هذه

الكارثةَ أدَّتْ إلىٰ هُرُوبِ كثيرٍ من الناس من أوطانِهم وديارِهم، فحصلَ لهم بذلك من الإزعاج ما لا يعلمُه إلا اللهُ عزَّ وجلَّ.

إنَّ هذه الكارثةَ أدت إلىٰ انهيارِ ذِمَمٍ وانتهاك أماناتٍ، حيث كانت سبباً للنزاعِ والجدلِ بالباطلِ، والقولِ بغيرِ الصدقِ، والحُكْمِ بغير العدلِ، فباعَ الناسُ ذِمَمَهم في الخوضِ بغيرِ تعقُّلٍ ولا تَثَبُّتٍ، ولكن بالهَوَىٰ والعاطفةِ العاصفةِ، التي لم تُكْبَحْ بما تقتضيه الشريعةُ الإسلاميةُ. فصاروا يقولون بما لا يعلمون، ويحكمون بالجَوْرِ. وهم لا يشعرون كأن لم يسمعوا أو يقرؤوا قولَ اللهِ تعالىٰ: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء: ٣٦]، وقول الله عز وجل: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة: ٨].

إنَّ هذه الكارثةَ أرْجَعت الأمة الإسلامية إلىٰ فَوضَىٰ الجاهلية، الذين لا يعرفون إلا مَنطِقَ القوة، وعُدْوانَ القوي علىٰ الضعيف، حتىٰ يأكلَ بعضُهم بعضاً، ولا يأمنُ أحدٌ من أحَدٍ.

أيها الناسُ: هذه عَشَرةٌ من الآثارِ المنظورةِ التي حصلَت بهذه الكارثةِ المُؤلمةِ.

ولكننا إذا نظَرنا إلىٰ هذه الآثارِ السيئةِ التي نكْرَهُها، ويكرهُها كلُّ ناصحٍ لله ولكتابهِ ولرسوله، ولأئمةِ المسلمين وعامتِهم، ونَظَرْنا

في قوله تعالىٰ: ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩]، وفي قوله تعالىٰ: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦] إذا نظرنا في ذلك انفتحَ لنا بابُ أملٍ كبيرٍ، في أن يجعلَ اللهُ فيما قدّرَه خيراً للمسلمين.

إننا نأملُ أنْ تكونَ هذه الكارثةُ سبباً للتوبةِ والرجوع إلىٰ الله تعالىٰ، بحيث يُصْلِحُ المسلمون من أحوالهم العامة والخاصة علىٰ المستوىٰ الشعبيِّ والحكوميِّ، لقول اللهِ تعالىٰ: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١].

إننا نأملُ أنْ تكونَ سبباً لمعرفةِ الإنسانِ قَدرَ نعمةِ الله تعالىٰ عليه بالأمن والرخاء. فإنَّ الإنسان لا يتبينُ له قَدْرَ النعمة، حتىٰ يُصابَ بفقْدِها، ويَحِلَّ به ضِدُّها كما قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [القصص: ٧١-٧٣].

إننا نأملُ أنْ تكونَ هذه الكارثةُ سبباً لتعويد النفوس وتَرْويضِها علىٰ الصبرِ والتحملِ، ومعاناةِ الشدائد، وانتظارِ الفرجِ من اللهِ تعالىٰ، لتكونَ صامدةً ـ بإذن الله ـ أمام هذه الكوارث. فإن الإنسانَ

لا يعرِفُ مقدارَ تحمله الشدائدَ والصبرِ عليها إلا إذا نزَلَتْ به، وكَمْ من شخصٍ يُعتقَدُ أنه من ذوي الصبرِ والجَلَدِ، ومعاناةِ الشدائدِ. فإذا نزَلَتْ به تعس وانتكَسَ وعَجَزَ عن تحملِها، وصار في قلبِه شيءٌ من كراهةِ تَقْديرِ اللهِ والاعتراضِ عليه. كما قال الله تعالىٰ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الحج: ١١].

إننا نأملُ أنْ ينالَ الصابرون في هذه الكارثةِ أجرَهم وثوابَهم من الله الذي وعد الصابرين أجرَهم بغير حساب. وقال: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

إننا نأملُ أنْ تكونَ هذه الكارثةُ سبباً لمعرفةِ الإنسانِ قَدْرَ نفسِه، وقَدْرَ عظمةِ الله تعالىٰ، وسُلطانه، وقُدْرتِه وسُرعةِ تغييرِه للأحوال. فمن كان يظنُّ أنَّ بعضَ الناسِ في هذه البلاد يَفِرون عن بلادِهم ودُورِهم خوفاً علىٰ أنفسِهم وذرياتِهم، وفي مدةٍ يسيرةٍ ينقلبُ الأمنُ خوفاً والطمأنينة قلقاً. فسبحانَ القادرِ علىٰ كل شيء. بيدِه ملكوتُ السمٰوات والأرض.

أيها الناسُ: إنَّ هذه الكارثةَ والحروبَ التي بقيت ستة أسابيع من بدء المعركةِ الجويةِ، منها أربعةُ أيامٍ وأربعُ ساعاتٍ من المعركةِ

البريةِ التي ابتدأت من ليلةِ الخميسِ الموافق للثاني من شهرِ رجَبٍ عام ١٤١١هـ. قد انتهىٰ القتالُ فيها رَسميّاً، حين أعلن صباح أمس الخميس الموافق للرابع عشر من شهر شعبان عام ١٤١١هـ. عن وَقْفِ الهجوم من الساعة الثامنة صباحاً بالتوقيت المحلي، فنسألُ اللهَ تعالىٰ أن يجعلَ في ذلك خيراً للمسلمين، حيثُ تُحقنُ دماؤُهم، وتُأْمَنُ أوطانُهم، وتَسلَمُ أموالهم وتصلح أحوالُهم.

أيها الناسُ: إنَّ علينا إزاءَ هذه النعمةِ أن نشكرَ اللهَ تعالىٰ عليها، ونستقيمَ علىٰ أمرِه، وأن لا يحملَنا الفرحُ بذلك علىٰ الأشرِ والبَطرِ، فإن العقلَ والشرعَ يقتضي أن يزدادَ المؤمنُ بِنعَمِ الله تعالىٰ ذُلاًّ لله تعالىٰ، وخُضُوعاً له، وقياماً بطاعته، وابتعاداً عن معصيتِه.

فقد كان النبيُّ ﷺ إذا جاءَ أمرٌ يسَرُّ به خَرَّ ساجداً لله تعالىٰ، ولما فتحَ مكةَ ذلك الفتحَ الأعظمَ، دخلَ بيت أمِّ هانىء فاغتسلَ، وصَلَّىٰ ثمانيَ ركعاتٍ. قال ابنُ القيمِ رحمه اللهُ: هذه صلاةُ الفتحِ. قال: وكان أمراءُ الإسلامِ إذا فتَحوا حِصْناً أو بَلَداً، صَلُّوا عَقِبَ الفتح هذه الصلاة، اقتداءً برسول الله ﷺ.

فنسألُ اللهَ أن يرزقَنا شُكْر نعمتِه، وحُسْنَ عبادتِه، وأن يحفظَ علينا ديننا، ويحفظنا به، وأن لا يُعيدَ علينا مَكْرُوهاً، إنه جوادٌ كريمٌ، والحمدُ لله ربِّ العالمين، وأُصَلِّي وأسَلِّمُ علىٰ نبيِّنا محمدٍ وعلىٰ آلِه وصَحْبه أجمعين.

* * *

الفوارق بين الرجل والمرأة

الحمدُ للهِ الذي خَلَق فسَوَّىٰ، والذي قَدَّر فهَدىٰ، خلَق الإنسانَ من نُطْفَةٍ، ثم كان علَقةً، فجعلَ منه الزوجين الذكرَ والأنثىٰ، وأشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله وحدَه لا شريكَ له، له الحكمُ وله الحمدُ في الآخرة والأولىٰ. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المجتبىٰ وخليلُه المصطفىٰ. صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه ومَنْ بهُداهم اهتدىٰ، وسلَّم تسليماً كثيراً.

أما بعدُ: فقد قال اللهُ عزَّ وجل: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ [النساء: ١] وقال تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ [الحجرات: ١٣]، وقال تعالىٰ عن الإنسان: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾ [القيامة: ٣٧-٣٩]، وقال الله عزَّ وجل: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾ [الليل: ١-٣].

ففي هذه الآياتِ الكريمةِ ونظائرِها نصٌّ صريحٌ واضحٌ علىٰ أن الذكورَ جِنسٌ مُخالفٌ لجِنسِ الإناث، وأن الإناثَ جنسٌ مخالفٌ لجنسِ الذكور. وفي الآياتِ الأخيرةِ التي سُقْنَاها من سورة الليل دليلٌ واضحٌ علىٰ أنَّ التقابلَ بينَ الذكرِ والأنثىٰ واضحٌ كوضوحِ التقابلِ بينَ الليلِ والنهارِ، وهذا أمرٌ معلومٌ، وذِكْرُه من بابِ تحصيلِ الحاصل، ولكنَّنا ذَكَرْناه تمهيداً لما بعده.

أيها المسلمون: المؤمنون بالله: إنه إذا ثبتَ التقابلُ بينَ جنسِ الذكور، وجنسِ الإناث، فلا بُدَّ علىٰ ما تقتضيه حِكْمةُ أَحْكَمِ الحاكمين وربِّ العالمين، أن يكونَ بينَهما اختلافٌ في الخِلْقة، واختلافٌ في الطبيعة، واختلافٌ في الخُلُقِ والمعاني الشخصية، يَنْبَني عليه الاختلافُ في الأحكام الشرعية، وممارسةِ الأعمالِ العرفية، وهذا الاختلافُ ظاهرٌ لا يُشْكِلُ، فخلقةُ المرأةِ تُخالِفُ خِلْقَةَ الرجلِ فيما يختصُ بها، ويختَصُ به. وطبيعتُها تُخالفُ طبيعة الرجل، فهي ملولة ضجرة ضعيفةُ التحمل، سريعةُ العاطفة، يمكن لكلِّ أحدٍ أن يتلاعبَ بعاطفتِها، ليس لها عند المصائب إلا البكاء، والنياحةُ.

وهذا هو السِّر في أن النبيَّ ﷺ لعنَ النائحةَ والمستمعة، ولم يلعنِ النائحَ والمستمعَ. أي لم يأتِ في الحديث بهذا اللفظ، لأن النياحةَ والاستماعَ لها يُعْرَفُ عند النساء لقلة صبرهِن، وضَعْفِ تَحَمُّلِهن. وإن كان الرجلُ لو نزل بمرتبته ففعَل فِعْل الأنثىٰ في النياحةِ والاستماع لها لنالَه ما ينالُها من اللعنة.

أخلاقُ المرأةِ تخالفُ أخلاقَ الرجل، فهي قاصرةُ النظر، قريبةُ التفكير، لا تنظرُ إلىٰ أبعدَ من خُطُواتِها، ولا تُفكِّرُ بعيداً عن محيطِها الزمانيِّ والمكانيِّ، أكبرُ همها إصلاحُ ثيابها وحُليِّها وهَيْكَلها، وإلىٰ هذا يشيرُ اللهُ عزَّ وجل في قوله: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ [الزخرف: ١٧]

والمراد بما ضرب للرحمٰن مثلاً هو الأنثىٰ، كما قال الله عزَّ وجل: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [النحل: ٥٨].

قال اللهُ تعالىٰ هنا في سورةِ الزُّخْرف: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ [الزخرف: ١٨]. قال الحافظُ ابنُ كثيرٍ رحمه اللهُ عند تفسيرِ هذه الآية: أي المرأةُ ناقصةٌ يكملُ نَقْصُها بلُبْس الحُليِّ منذ تكونُ طفلةً، وإذا خاصمت فلا عبارة لها، بل هي عاجزةٌ عييَّةٌ. قال: فالأنثىٰ ناقصةُ الظاهرِ والباطن في الصورة والمعنىٰ، فيكمل نقصُ ظاهرِها وصورتِها بلُبْسِ الحُلِيِّ وما في معناه ليَجْبُرَ ما فيها من نَقْصٍ، قال: وأما نَقْصُ معناها، فإنها ضعيفةٌ عاجزةٌ عن الانتصار عند طلبِ الانتصار، لا عبارةَ لها ولا همّة كلامه رحمه الله.

من أجل هذا الاختلافِ الخلقيِّ والخُلُقيِّ والطبيعيِّ بينَ الذكرِ والأنثىٰ اختلفتِ الأحكامُ الشرعيةُ في جنس الذكورِ، وجنسِ الإناث، واختلفتِ الأحكامُ العرفيةُ أيضاً حسب ما تقتضيه هذه الاختلافات.

جعل الله السلطة للرجل علىٰ المرأةِ في القَوامةِ والولايةِ. قال اللهُ عزَّ وجل: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ [النساء: ٣٤] وقال تعالىٰ في المطلقات: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨] وقال الله تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحريم: ٦] فجعل الولاية للرجل علىٰ أهله. وقال النبيُّ ﷺ: «**الرجلُ راعٍ في أهلِ بيته ومسؤولٌ عن رعيتِه، والمرأةُ**

راعيةٌ في بيتِ زوجِها ومسؤولةٌ عن رعيتِها»[١] أخرجه البخاريُّ في صحيحه. وصَحَّ عن النبي ﷺ أنه قال: «**لن يُفلحُ قومٌ ولَّوا أمرَهم امرأةً**»[٢] ولهذا تَجِدُ مَنْ وَلَّوا أمرَهم امرأةً كثيري الانتكاساتِ ضَعِيفي الهمةِ تختلفُ عليهم الأمورُ، ولو تولاهم رجالٌ لكانوا أفلَحَ وأنجَحَ.

وجعل اللهُ تعالىٰ عقدَ النكاحِ علىٰ المرأةِ بيدِ الرجالِ، فلا يصحُّ أن تعقد المرأةُ النكاحَ لنفسِها ولا لغيرِها. قال اللهُ تعالىٰ: ﴿وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟﴾ [البقرة: ٢٢١] وقال: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ﴾ [النور: ٣٢]، وقال النبي ﷺ: «**لا نكاح إلا بولي**»[٣] وقال: «**لا تُزَوجُ المرأةُ المرأةَ، ولا تُزوجُ المرأةُ نفسَها**»[٤]. قال الحافظُ ابنُ حَجَرٍ: رواه ابن ماجه والدارقطني ورواتُه ثقاتٌ.

وجعل اللهُ الطلاقَ بيد الرجال، فقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ [الطلاق: ١] وجعل أمرَ الرجعةِ بعد الطلاق إلىٰ

---

(١) أخرجه البخاري (٨٩٣) و(٢٥٥٨)، ومسلم (١٨٢٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري (٤٤٢٥) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أحمد ٤/ ٣٩٤، وأبو داود (٢٠٨٥)، والترمذي (١١٠١)، وابن ماجه (٢٨٨١) من حديث أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه، وبوب له البخاري في كتاب النكاح باب من قال لا نكاح إلا بولي.

(٤) أخرجه ابن ماجه (١٨٨٢)، والدارقطني ٢/ ٢٢٧، والبيهقي ٧/ ١١٠ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الرجال، فقال: ﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ﴾ [الطلاق: ٢] وجعلَ اللهُ تعالىٰ شهادة المرأتين عن شهادة رجل. فقال: ﴿ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

وصح عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**ما رأيتُ من ناقصاتِ عَقْلٍ ودينٍ أذهب للُبِّ الرجلِ الحازم من إحداكُنَّ**»، قُلْنَ: وما نُقصانُ دِيننا وعَقْلنا يا رسولَ الله قال: «**أليسَ شهادةُ المرأةِ مثلَ نصفِ شهادةِ الرجل؟**» قلن: بلىٰ. قال: «**فذلك من نقصانِ عقلها، أليسَ إذا حاضت لم تُصَلِّ ولم تَصُمْ؟**» قلن: بلىٰ. قال: «**فذلك نقصانِ دينِها**»[(١)].

ففي هذه الآيةِ، وهذا الحديثِ الذي أخرجه البخاريُّ وغيرُه بيانُ حكمةِ الحُكْمِ الذي ذَكَره اللهُ تعالىٰ في كتابه من أنَّ شهادةَ الرجلِ تقابلُ شهادةَ امرأتين. وجعل اللهُ تعالىٰ إرثَ الرجالِ بأقوىٰ النَسَبَيْنِ مُضاعفاً علىٰ النساء. فقال: ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ﴾ [النساء: ١١] وقال: ﴿ وَإِن كَانُوا إِخْوَةً ﴾ يعني لغير أم ﴿ رِّجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ﴾[النساء: ١١] وكانت ديةُ المرأةِ شرعاً نصف ديةِ الرجل، كما نقل ابنُ المنذرِ وابنُ عبدِ البر أجماعَ أهل العِلْمِ علىٰ ذلك استناداً إلىٰ ما جاء في حديثِ عمرو بن حزمٍ.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٤)، ومسلم (٨٠) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

أيها الناسُ: إنَّ هذه جملةٌ من الأحكام الشرعيةِ والقَدَرية التي تُبينُ تَمَيُّز الرجالِ عن النساء شرعاً وقدراً، وأما عُرْفاً فإننا جميعاً نعرفُ ما يختصُّ به الرجالُ عن النساء، فلكلٍّ منهما خصائصُه، ولكلٍّ منهما أعمالُه، لا يخرج أحدٌ عن هذا إلا رماه الناسُ بالشَتْمِ والسَّبِّ، ولو ذهبنا نستعرضُ جميعَ الأحكامِ لطالَ بنا الكلامُ، ومن أجلِ هذا الاختلاف القَدَريِّ والشَرعيِّ والعُرفِيِّ، جاء الوعيدُ الشديدُ فيمن تَشَبَّه من الرجالِ بالنساء، ومَنْ تشَبَّهَ من النساءِ بالرجال. فعن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما: أن النبيَّ ﷺ: «**لعنَ المتشبهين من الرجالِ بالنساء، والمتشبهاتِ من النساءِ بالرجال**»[1] وفي رواية للبخاريّ: «**لعَنَ المترجلات من النساء**»[2].

فلا يَحِلُّ للرجل أن يُمَارِسَ من اللباسِ وغيره ما يختصُّ بالمرأة ولا يَحِلُّ للمرأةِ أن تُمارِسَ من اللباسِ وغيرِه ما يختصُّ بالرجال، لأن ذلك مُوجِبٌ للعنةِ الله، واللعنةُ هي الطردُ والإبعادُ عن رحمةِ اللهِ تعالىٰ.

أيها الناسُ: إنه مع هذه النصوصِ الشرعيةِ التي جاءت في كتابِ اللهِ تعالىٰ وسنةِ رسولِه ﷺ، يحاول بعضُ الناسِ أن يُلْحِقَ المرأةَ برَكْبِ الرجالِ، ولا شَكَّ أنَّ هذه المحاولةَ سَفَهٌ في العقلِ وضَلالٌ في الدين، وجَهلٌ بالشرعِ، وتَنكُّرٌ للمجتمعِ الإسلامي.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٨٨٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري (٥٨٨٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

حتىٰ إني قرأْتُ في بعضِ صُحُفنا المحليةِ الصادرةِ قبل يومين، في يوم الأربعاء الموافق عشرين ربيع الثاني سنة إحدىٰ عشرة وأربعمائة وألف ٢٠/ ٤/ ١٤١١هـ. تقول الكاتبةُ عن المرأة: وأصبحت أي المرأة تحتلُّ مكانَ الصدارةِ، ولم يَعُدْ هناك أيُّ تفوقٍ عَقْلِيٍّ أو عِلْميٍّ يتميزُ به الرجلُ عن المرأة.

فتأمل يا أخي هذا الكلامَ السخيفَ، حيثُ قالت: إنَّ المرأةَ أصبحت تحتلُّ مكانَ الصدارةِ، وإنه لم يَعُدْ هناك أيُّ تفوقٍ عقليٍّ يتميزُ به الرجلُ عن المرأة. وهل هذا إلا جَهْلٌ فظيعٌ يَنِمُّ عن أحَدِ أمرين ولا بُدَّ. إما أن يكونَ هذا الكلامُ صادراً عمن لم يَقْرَأ القرآنَ ولم يَعْرِفْ السنةَ، أو عن مُكَذِّبٍ به وبالسنة.

أيها المسلمون: إنه مع هذه المَعْمَعةِ في الصحفِ وكثرةِ الكتابةِ عن المرأة، إنه ليوجدُ في كلماتٍ كثيرةٍ كلامٌ يُنْسَبُ إلىٰ الإسلام، والإسلامُ منه بَريءٌ، وهذا واللهِ من الفِتَنِ التي حَلَّت بنا هذه الأيامَ بعد دُخولِ هذا العام أن يتنكرَ أناسٌ لدينِ الله، ثم يَدَّعُونَ أنهم أولياءُ هذا الدين، وأن ما قالوه، أو فعلوه هو من دينِ الإسلام.

فعلينا أن نعلمَ أنه لا يقولُ هذا إلا منافِقٌ مُغَرِّرٌ بالمسلمين، ولا أدْري أيظنُّ هؤلاءِ أن المسلمين يَجْهَلون دينَ الإسلام؟ أيظنُّ هؤلاء أن المسلمين لا يقرؤون كتابَ الله، ولا سنةَ رسولِه ﷺ؟ أيظنُّ هؤلاءِ أن المسلمين غُفْلٌ ليس عندَهم فَهْمٌ لكتابِ اللهِ، ولا سنةِ رسولِه ﷺ؟ أيظنُّ هؤلاءِ أن المثقفين من شبابِ المسلمين لا

يُراقِبُون هذه الصحفَ ولا يقرأونها، ولا يُبيِّنونَ للناسِ زَيْفَها، وأن ما يُنسبُ للإسلامِ والإسلامُ بَرِيءٌ فهو معلوم عندهم، وسينشرون بينَ الناسِ زَيْفَه وبيانَ خَطَئه.

أيها المسلمونَ: إنها لفتنةٌ عظيمةٌ، فِتَنٌ تتلاحَقُ، فِتَنٌ يرقق بعضُها بعضاً، فِتَنٌ يَخْشَىٰ الإنسانُ علىٰ دينِه منها، ويَخْشَىٰ الإنسانُ علىٰ نفسِه وأهلِه ومالِه، إنَّ هذا الأمنَ الذي نَعيشُ فيه ربما يزولُ بالكُلِّية، ربما يُسَلِّطُ اللهُ الظالمينَ بعضَهم علىٰ بعضٍ، حتىٰ تقومَ حَرْبٌ تُدَمِّر الأخضرَ واليابس، فنعوذ بالله من الفتن.

أيها المسلمونَ: إننا لنَحْمَدُ اللهَ عزَّ وجل أن كنا في بَلَدٍ مُحافِظٍ رغمَ قوةِ الزعازع التي تُزَلزِلُ قيمَ هذا البلدِ ودينه. فحافِظُوا علىٰ دينِكم وعلىٰ قِيمِكم وأخلاقِكم. أسألُ اللهَ عَزَّ وجل في هذا المقامِ أن يَحْمِيَ بلادَنا من أعدائِه الذين يتلبسون بثيابِه ومن أعدائِه الذين يتنكرون له عَلَناً.

اللهم إنا نسألُك أن تَحْمِيَ بلادَنا ودينَنا منهم. اللهم ما أرادُوه من كَيْدٍ لنا ولدِيننا، فاجعلْه في نُحورِهم. اللهم سَلِّط عليهم وُلاةِ أمورِنا حتىٰ يضربُوا عليهم بيدٍ من حديدٍ.

اللهم إنا نسألُك أن تُسلِّط ولاةَ أمورنا عليهم، وأن تجعلَهم يعاقبُونهم قدر جُرْمِ أفعالهم. اللهم إنا نسألُك أن لا تُيسرَ لهم ما أرادُوه من كَيْدٍ لهذا البلد وأهله ودينِه. اللهم إنا نسألُك أن تُسلِّطَ وُلاةَ الأمورِ عليهم حتىٰ يمكِّن اللهُ لولاةِ أمورِنا في الأرض، فإن اللهَ

لن يُمَكِّنَ لهم في الأرضِ إلا إذا أقاموا دينَ الله، وكانوا رُقباءَ علىٰ دينِ الله، وكانوا يَحْرُسُون دينَ الله كما يَحْرُسونَ أبناءَهم وأموالَهم، بل أشدَّ وأشدَّ.

اللهم إنا نسألُك أن تُقَوِّيَ ولاةَ أمورِنا في حراسةِ دينِك، وفي القضاء علىٰ هذه الشِّرْذِمَةِ الذين يُريدُونَ الفسادَ في الأرض. اللهم إن هذا البلدَ آخرُ مَعْقِلٍ من بلادِ المسلمين، فنسألُك اللهم أن تَحْمِيَه من كَيْدِ أعدائِه الظاهرين والباطنين إنك جوادٌ كريم.

اللهم عليك بهم. اللهم أفْسِدْ أمرَهم. اللهم فَرِّقْ كلمتَهم. اللهم شَتِّت شَمْلَهم. اللهم اجعل كيدَهم في نُحُورِهم، إنك علىٰ كل شيء قدير.

اللهم إنا دَعَوْناك فاستجبْ لنا يا ربَّ العالمين. اللهم إنا دَعَوْناك غيرةً لدينِنا وحفاظاً علىٰ كرمِ أخلاقِنا، وعلىٰ أمتِنا وشَعْبنا. اللهم إنا عبادُك فلا تُسَلِّط علينا أمثالَ هؤلاء. اللهم خُذْ بأيديهم، واجعلها غُلاً في أعناقهم، وشَتِّتْ أمورَهم وأفسِدْها يا ربَّ العالمين، إنك علىٰ كل شيءٍ قديرٌ.

اللهم صلِّ علىٰ محمدٍ، وعلىٰ آلِ محمدٍ، كما صَلَّيْتَ علىٰ إبراهيم، وعلىٰ آل إبراهيمَ، إنك حميدٌ مجيدٌ، اللهم بارك علىٰ محمدٍ وعلىٰ آل محمدٍ، كما باركت علىٰ إبراهيمَ وعلىٰ آل إبراهيم، إنك حميدٌ مجيدٌ.

خَلْق الجن وتلبّس الجنيّ بالإنسيّ وعلاجه

الحمدُ للهِ الذي خلقَ الجنَّ والإنسَ ليعبدوه، وشرعَ لهم ما تقتضيه حِكْمتُه ليُجازيَهم بما عملوه، وأشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله وحدَه لا شريكَ له، له الملكُ وكان اللهُ علىٰ كل شيءٍ قديراً، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، المبعوث إلىٰ الإنسِ والجن بشيراً ونذيراً. صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه ومَنْ تبِعَهم بإحسانٍ، وسلَّم تسليماً كثيراً.

أما بعدُ: فقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٧].

والجِنُّ عالمٌ غَيْبيٌّ، خُلِقُوا من نارٍ وكان خلقُهم قبلَ خلقِ الإنسِ كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۝٢٦ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَـٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾ [الحجر: ٢٦-٢٧] وهم مُكَلَّفون يُوَجَّه إليهم أمرُ الله تعالىٰ ونَهْيُه، فمنهم المؤمنُ، ومنهم الكافرُ، ومنهم المطيعُ، ومنهم العاصي، قال اللهُ تعالىٰ عنهم: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ۝١٤ وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن: ١٤-١٥]، وقال: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّـٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ۝١١﴾ [الجن: ١١] أي جماعاتٍ متفرقةً وأهواءً كما يكون ذلك في الإنس.

فالكافرُ منهم يدخلُ النارَ بالإجماع، والمؤمنُ يدخلُ الجنةَ كالإنس. قال الله تعالىٰ: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ۝٤٦ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمٰن: ٤٦-٤٧] والظلمُ بينَهم وبينَ الإنسِ مُحَرَّمٌ، كما هو بينَ الآدميين، لقوله تعالىٰ في الحديث القدسي: «**يا عبادي إني حرمتُ الظلمَ علىٰ نفسي، وجعلتُه بينكم مُحرَّماً، فلا تَظَالَمُوا**»[1] رواه مسلم.

ومع هذا فإنهم يَعتَدُون علىٰ الإنس أحياناً، كما يعتدي الإنسُ عليهم أحياناً. فمن عدوان الإنس عليهم أنْ يَسْتَجْمِرَ الإنسانُ بعَظْمٍ أو رَوَثٍ. ففي صحيح مسلم، عن ابن مسعود رضي الله عنه، أن الجِنَّ سألوا النبيَّ ﷺ الزاد، فقال: «**لكم كُلُّ عِظْمٍ ذُكِرَ اسمُ اللهِ عليه في أيديكم، أوفر ما يكونُ لحماً، وكُلُّ بعرةٍ عَلَفٌ لدَوابكم**» **قال النبيُّ ﷺ: «فلا تَستَنْجُوا بهما فإنهما طَعَامُ إخوانكم»**[2].

ومن عُدوانِ الجنِّ علىٰ الإنسِ أنهم يَتَسلَّطُونَ عليهم بالوَسْوَسَةِ التي يُلْقُونها في قلوبهم ولهذا أمرَ اللهُ تعالىٰ بالتَّعَوُّذِ من ذلك. فقال: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ [الناس: ١-٦].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٧٧) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٤٥٠) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

وتأمَّلْ كيفَ قال اللهُ تعالىٰ: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ فبدأ بذِكْرِ الجنِّ، لأنَّ وَسْوَسَتَهم أعظَمُ، ووصولُهم إلىٰ الإنسانِ أخفىٰ. فإن قلت كيفَ يَصِلُونَ إلىٰ صُدُورِ الناس، فيُوَسْوِسُون فيها؟ فاستمع الجواب من محمدٍ رسولِ الله ﷺ، حين قال لرجلين من الأنصار: **«إنَّ الشيطانَ يَجْرِي من الإنسانِ مَجْرَىٰ الدم، وإني خَشِيتُ أن يَقذِفَ في قُلُوبِكم شراً أو قال شيئاً»** وفي رواية: **«يبلغُ من ابنِ آدمَ مبلَغ الدم»**[1].

ومن عُدوانِ الجِنِّ علىٰ الإنس، أنهم يُخيفُونهم، ويُلْقونَ في قلوبهم الرعبَ. ولا سيما حين يَلْتَجِىءُ الإنسُ إليهم، ويستجيرون بهم. قال الله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦]. أي خوفاً، وإرهاباً، وذعراً.

ومن عُدوانِ الجِنِّ علىٰ الإنسِ أنَّ الجِنِّيَّ يَصْرَعُ الإنْسيَّ فيَطْرَحُه يَدَعُه يضطرب حتىٰ يُغْمَىٰ عليه، وربما قادَه إلىٰ ما فيه هلاكُه من إلقائِه في حُفْرةٍ أو ماءٍ يُغْرِقُه، أو نارٍ تَحْرِقُه، وقد شَبَّه اللهُ تعالىٰ آكلي الربَا عند قيامِهم من قُبورِهم بالمصروع الذي يَتَخَبَّطُه الشيطان قال الله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

قال ابنُ جَرير: وهو الذي يَتَخَبَّطه فيصرعُه، وقال ابنُ كثير: إلا كما يقومُ المصروعُ حالَ صَرَعِه وتَخَبُّطِ الشيطانِ له. وقال البَغَويّ:

---

(١) أخرجه مسلم (٢١٧٤)، والبخاري (٢٠٣٥) من حديث أنس رضي الله عنه.

يتخبطُه الشيطانُ، أي يَصْرَعُه، ومعناه أنَّ آكلَ الرِّبَا يُبعَثُ يومَ القيامة كمِثْلِ المصروع.

وروىٰ الإمام أحمدُ في مُسْنَدِه ٤/ ١٧١-١٧٢ عن يَعْلَىٰ بن مُرَّةَ رضي الله عنه، أن امرأةً أتتِ النبيَّ ﷺ، بابنٍ لها، قد أصابَه لَمَمٌ، فقال النبيُّ ﷺ: «**اخرُجْ عَدُوَّ اللهِ أنا رسولُ الله**» قال: فبَرَأَ الصبيُّ، فأهْدَتْ أمُّهُ إلىٰ النبيِّ ﷺ كبشين وشيئاً من أقْطٍ وسَمْنٍ، فأخذَ النبيُّ ﷺ الأقْطَ والسَّمْنَ، وأخَذَ الكبشين، وردَّ عليها الآخَرَ.

وإسنادُه ثِقَاتٌ، وله طُرُقٌ قال عنها ابنُ كثيرٍ في تاريخه (البداية والنهاية) ٦/ ١٦٠: إنها جيدةٌ متعددةٌ تُفيدُ غَلَبَةَ الظَّنِّ أو القِطْعِ عند المتبحرين، أن يَعْلَىٰ بن مُرَّة حَدَّث بهذه القصةِ في الجُملةِ، ثم ذَكَر روايةَ البَيهقيِّ نحوه من حديث جابر بن عبد الله، وقال: هذا إسناد جيد، رواته ثقاتٌ.

قال ابنُ القيِّمِ رحمه الله تعالىٰ، وهو أحدُ تلاميذِ شيخِ الإسلام ابنِ تيميةَ البارزين. في كتابه (زاد المعاد) ٤/ ٦٦: الصَّرَعُ صَرَعان، صَرَعٌ من الأرواحِ الخبيثةِ الأرضية، وصَرَعٌ من الأخلاطِ الرديئة. والثاني هو الذي يتكلم فيه الأطباءُ في سَبَبه وعلاجِه.

وأما صَرَعُ الأرواحِ، فأئمتُهم (أي الأطباء) وعقلاؤُهم يعترفون به ولا يدفعونه. وأما جَهَلةُ الأطباء وسَقَطُهم وسِفْلَتُهم، ومَنْ يعتقدُ الزندقةَ فضيلةً، فأولئك يُنكِرونَ صَرَعَ الأرواحِ ولا يُقِرُّونَ بأنها تُؤَثِّرُ في بَدَنِ المصروع. وليس معهم إلا الجهلُ، وإلا فليس في الصناعةِ

الطبيةِ ما يدفَعُ ذلك، والحسُّ والوجودُ شاهدٌ به. ومَنْ له عقلٌ ومَعرِفةٌ بهذه الأرواح وتأثيراتها يَضْحَكُ مِنْ جَهْلِ هؤلاء وضَعْفِ عُقولِهم.

أيها الناسُ: إنَّ للتخلص من هذا النوع من الصرع أمرين: وقايةٌ وعلاجٌ. فأما الوقايةُ، فتكون بقراءةِ الأورادِ الشرعيةِ من كتابِ اللهِ تعالىٰ، وصحيحِ سُنَّةِ رسولِ الله ﷺ، وبقوةِ النفس وعدمِ الجَرَيان وراءَ الوساوس والتخيلاتِ التي لا حقيقةَ لها. فإنَّ جَرَيانَ الإنسانِ وراءَ الأوهامِ والوساوسِ يُؤدّي إلىٰ أن تتعاظمَ هذه الأوهامُ والوساوسُ حتىٰ تكونَ حقيقةً.

وأما العلاجُ، أعني علاجَ صَرَعِ الأرواحِ فقد اعترف كبارُ الأطباءِ أنَّ الأدويةَ الطبيعيةَ لا تؤثرُ فيه. وعلاجُه بالدعاءِ والقراءةِ والموعظةِ. وكان شيخُ الإسلام ابنُ تيميةَ يعالِجُ بقراءةِ آيةِ الكرسي، والمعوذتين، وكثيراً ما يقرأُ في أُذُنِ المصروع ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥].

قال تلميذُه ابنُ القيمِ حَدَّثَني أنه قرأ مرةً هذه الآيةَ في أُذُنِ المصروعِ فقالت الروحُ: نَعَمْ، ومَدَّ بها صوتَه، قال: فأَخَذْتُ له عصاً وضربتُه بها في عُرُوقِ عُنُقِه، حتىٰ كَلَّت يَديَّ من الضَّرْبِ، وفي أثناء ذلك قالت: أنا أحِبُّه. فقلت لها: هو لا يُحبُك. قالت: أنا أريدُ أن أحُجَّ به. فقلت لها: هو لا يُريدُ أن يَحُجَّ معك. قالت: أنا أدَعُه كرامةً لك. قلت: لا ولكنْ طاعةً لله ورسوله. فأنا أخرُجُ. فقعدَ المصروعُ يلتفِتُ يميناً وشمالاً، وقال: ما جاء بي إلىٰ حضرةِ الشيخ.

هذا كلامُ ابنُ القيم، رحمه الله عن شيخِه، وقال ابنُ مفلح في كتاب (الفروع) وهو من تلاميذ شيخ الإسلام أيضاً: كان شيخُنا إذا أُتِيَ بالمصروع، وعَظَ مَنْ صَرَعه وأمَره ونهاه. فإن انتهىٰ وفارقَ المصروعَ أخذَ عليه العهدَ أن لا يعودَ، وإن لم يأْتَمِرُ ولم ينْتَهِ ولم يُفارِقْهُ، ضربَه حتىٰ يُفارِقَه. والضربُ في الظاهر علىٰ المصروع، وإنما الحقيقةُ علىٰ مَنْ صرَعَه. وأرسل الإمامُ أحمدُ إلىٰ مصروعٍ، ففارقه الصارِعُ، فلما ماتَ أحمدُ عاد إليه.

وبهذا تبين أن صرعَ الجِنَّ للإنسِ ثابتٌ بمقتضىٰ دلالةِ الكتاب، والسنة والواقع. وأنكر ذلك المعتزلةُ ولولا ما أُثيرَ حولَ هذه المسألةِ من بَلْبَلةٍ وجِدالٍ أدّىٰ إلىٰ جَعْلِ كتابِ الله تعالىٰ دالاً علىٰ مَعانٍ تخييليةٍ لا حقيقةَ لها، ولولا أن إنكارَ هذا يستلزمُ تَسْفِيهَ أئمتنا وعلمائنا من أهلِ السنة، أو تكذيبَهم.

أقولُ لولا هذا وهذا ما تَكَلَّمْتُ في هذه المسألة، لأنها من الأمور المعلومةِ بالحِسِّ والمشاهدة، وما كان معلوماً بالحِسِّ والمشاهدة، لا يحتاجُ إلىٰ دليلٍ. لأن الأمورَ الحسيةَ دليلٌ بنفسِها، وإنكارُها مكابرةٌ أو سَفْسَطةٌ. فلا تَخْدَعُوا أنفسَكم، ولا تتعَجَّلُوا واستعيذوا بالله من شُرُورِ خلقِه من الجِنِّ والإنس، واستغفروه وتُوبُوا إليه، إنه هو الغفور التواب الرحيم.

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

نجاة المتقين

الحمدُ للهِ الجواد الكريم، الشكورِ الحليم، أسبغَ علىٰ عبادِه النِّعَمَ ودفع عنهم شدائد النقَم، وهو البرُّ الرحيمُ. ونشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله وحدَه لا شريكَ له، ذو الفضل العظيم، والخيرِ العميم. ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، المصطفىٰ الكريمُ، صلّىٰ الله عليه، وعلىٰ آله وأصحابِه إلىٰ يومِ الدين، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، **أيها الناس**: اتقوا ربّكم، وتَعَرَّفُوا إليه في حالِ الرخاء يعرفْكم في حالِ الشدة، تَعَرَّفُوا إلىٰ ربِّكم بالخضوع له، والمحبةِ والتعظيمِ وكثرةِ العبادةِ، ابتغاءَ مرضاتِه، وتَجَنُّبِ معاصِيه خَوْفاً من عقابِه الأليم.

تعرفوا إلىٰ اللهِ بفعلِ الطاعات ما دُمْتُم في زمن القدرةِ والإمكان قبل أن تَتَمَنَّوا العملَ، فلا تستطيعون إليه سبيلاً.

عبادَ الله: يقول اللهُ تعالىٰ: ﴿ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [الزمر: ٦١] فمن اتقىٰ اللهَ تعالىٰ وامتثل أمرَ اللهِ واجتنب نَهْيَه، نَجّاه بمفازته إذا وقع في هَلَكَةٍ أنجاه اللهُ منها، ويَسَّر له الخلاصَ من ذلك، فالمتقون هم أهلُ النجاة، وشاهدُ ذلك ما وقعَ وما يقعُ للمتقين.

ألمْ يبلغْكم ما وقع لسيد المتقين حيث خرجَ ﷺ من مكّة ومعه صاحبُه أبو بكر يخشيان علىٰ أنفسهما من قريش، فنجاهما اللهُ

تعالىٰ من ذلك وقُرَيْشٌ علىٰ رُؤوسِهم، يقول أبو بكر: يا رسولَ الله لو نظر أحدهم إلىٰ قَدَمِه لأبصرَنا. فيقول له رسولُ الله: «**لا تحزن، إن الله معنا، ما ظنّك يا أبا بكر باثنين اللهُ ثالثُهما**» فنجىٰ اللهُ تعالىٰ نبيَّه بمفازتِه من غير أن يَمَسَّه سوءُ.

ألم تسمعوا ما وقعَ لنبيِّ الله يونُسَ ﷺ، حيث ذهب عن قومِه مغاضباً لهم لمّا عَصَوْه، فرَكِبَ البحرَ فثقلُتْ بهم السفينةُ فاقترعَ أهلُها أيُّهم يُلقَىٰ في البحرِ لتَخِفَّ السفينةُ، ويَنْجُو بعضُ من فيها، ولا يَهْلِكُوا كلُّهم، فوقعت علىٰ قومٍ فيهم نبيُّ الله يونُس، فألقَوْهُ في البحر، فالتقم الحوتُ يونسَ، فنادىٰ في الظلمات: أنْ لا إلـٰهَ إلا أنت سبحانَك إني كنتُ من الظالمينَ، فاستجابَ له ربُّ العالمين فأنجاه من الغَمِّ، قال الله تعالىٰ: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصافات: ١٤٤].

ألم يأتكم نبأُ الثلاثةِ من بني إسرائيلَ، باتوا في غارٍ فانحدرَتْ عليهم من الجَبَلِ صخرةٌ سَدَّتْ الغارَ، فلا يستطيعون الخروجَ، فقالوا: إنه لا يُنْجِيكم منها إلا أنْ تدعوا الله تعالىٰ بصالحِ أعمالِكم، فقال أحدُهم: اللهم إنه كان لي أبوان، شيخان كبيران، فنأىٰ بي طَلَبُ الشجَر، فتأخرتُ حتىٰ ناما، فكَرِهْتُ أن أُوقِظَهما، فانتظرتُ استيقاظَهما حتىٰ طلَعَ الفجرُ والصبيةُ يَتَضاغَوْنَ عند قدمي حتىٰ استيقظَ أبواي فشَرِبَا غبوقهما، اللهم إن كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاءَ وجهك فافْرِجْ عَنَّا ما نحن فيه، فانفرجَتِ الصخرةُ قليلاً، فقال

الثاني: اللهم إنه كانت لي ابنةُ عمٍّ أحِبُّها حباً شديداً، فأردتها علىٰ نفسِها فامتنعت حتىٰ ألْجَأتْها الضرورةُ سنةً من السنين، فجاءتني فأعطيتُها مئةً وعشرين ديناراً علىٰ أن تُخلِّي بيني وبين نفسِها ففَعَلَتْ فلما قَعَدْتُ بينَ رِجْلَيْها، قالت: اتَّقِ اللهَ ولا تفُضَّ الخاتَمَ إلا بحَقِّه، فانصرفْتُ عنها وهي أحبُّ الناسِ إليَّ، وتركتُ الذهبَ الذي أعطيتُها، اللهم إن كنتُ فعلتُ ذلك لأجلِك فافْرِجْ عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرةُ قليلاً، إلا أنهم لا يستطيعون الخروج، فقال الثالث: اللهم إني استأجرتُ أُجَرَاء فأعطيتُهم أجرَهم إلا واحداً تركَ أجرَه وذهبَ فثَمَّرتُ له أجرَه حتىٰ نما وكَثُرَتْ منه الأموالُ، فجاءني بعدَ حينٍ فقال: يا عبدَ الله أعطني أجْرِي، فقلت: كُلُّ ما ترىٰ من الإبلِ والبقرِ والغَنَمِ والرقيق، فهو أجْرُك، فقال: يا عبدَ الله لا تَسْتَهْزِىءْ بي قلت: لا أسْتَهزِىءُ بك، فأخَذَه كُلَّه ولم يتركْ منه شيئاً، اللهم إن كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاءَ وجهِك فافْرِجْ عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرةُ، وخَرَجُوا يَمْشُون.

وهكذا يُنجِّي اللهُ المتقين بمفازتهم في هذه الدنيا، ويُنَجِّيهم من مفاوز يوم القيامة وأهوالِها، ومن عذابِ الجحيم وسُمُومِها، قال اللهُ تعالىٰ: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: ٧١-٧٢]. بكىٰ عبدُ الله بنُ رواحةَ رضي الله عنه، وكان مريضاً فقيل: ما يُبكيك؟ فقال: ذكرت قول الله تعالىٰ: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾، فلا أدري أنجو منها أم لا!

وكان أبو ميسرةَ إذا أوَىٰ إلىٰ فراشِه بَكَىٰ، ويقول: أُخْبِرْنا أنَّا واردوها، ولم نُخْبَرْ أنا صَادِرون عنها، اللهم إنا نسألُك بأسمائِك الحسنىٰ، وصفاتِك العليا، أن تُنَجِّينا من النار، وأن تُلْحِقَنا بالمتقين الأبرار، وأن تُنَجِّيَنا من مَفاوِزِ الدنيا والآخرة، يا كريمُ يا جوادُ، اللهم صلِّ وسلِّم علىٰ نبيِّنا محمدٍ، وآلِه وصَحْبِه أجمعين.

بارَكَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊

أثر الجدب والقحط

الحمدُ للهِ الحكيمِ في أمرِه وقضائه، القويِّ العزيز في قَهْرِه وعقابِه، أرسلَ رسلَه علىٰ عباده، وأنزل معهم الكتابَ بالحقِّ ليَعْرِفَ به الإنسانُ خَطَأه من صوابه، وأشهدُ أنْ لا إلـه إلا الله وحدَه لا شريكَ له، شهادةً ينجو بها المخلصُ من عذابِه، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أتقىٰ الناسِ لربِّه في جميع أحوالِه، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه، ومَنْ هو أولىٰ به، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: فقد قال اللهُ تعالىٰ: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [هود: ٣-٤].

عبادَ الله: لقد عَلِمْتُم ما أصابَ البلادَ هذا العامَ من القَحْطِ والجَدْبِ والبَرْدِ الذي هَلَكَ به كثيرٌ من المواشي، وأصبح أصحابُها مُعْدِمينَ بعدَ الوجود، وفُقراءَ بعدَ الغِنَىٰ، لقد ماتَ كثيرٌ من المواشي من الجُوع والبَرْدِ، لعَجْزِ أهلها عن القيام بمَؤونَتِها. ولقد حدَّثَني مَنْ أثِقُ به أنه شاهدَ قَطِيعاً من الغَنَمِ انضم بعضُه إلىٰ بعضٍ ميِّتاً، أتَرَوْنَ هذه البهائمَ تموتُ هكذا؟ إنها لن تموت إلا بعدَ بَرْدٍ مُؤْلِمٍ وجُوعٍ مُهْلِكٍ، ولهذا رآها انضم بعضُها إلىٰ بعض، تَطْلُبُ

الدِّفءَ، تريدُ أن يُدفِئَ بعضُها بعضاً، بالتراصِّ لتَنْجُوَ من الموت، ولكن الأمر قد مضىٰ بها.

أيها الناسُ: إنَّ هذا المشهد ليس الفريدَ من نَوْعِه، بل لا بُدَّ أن يكونَ له نظائرُ تُوجِعُ القلبَ، وتُحْزِنُ النَفْسَ، وتُوجِبُ لكلِّ مؤمنٍ أن يَرْجِعَ إلىٰ الله، أن يتوبَ إليه توبةً حقيقيةً يُصلِحُ بها قلبَه، وتَصْلُحُ بها أعمالُه، ويرتفع بها هذا البؤسُ عن العباد.

أيها الناسُ: إنَّ قُحوطَ المَطَرِ ليس سبباً لموتِ المواشي فقط، ولكنه أيضاً سببٌ لقلةِ المياه. فإنَّ الماءَ الذي نَشْرَبُه والذي تُسقىٰ به أشجارُنا وزروعُنا هو الماءُ النازلُ من السماءِ، كما قال الله تعالىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ۝٦٨ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ﴾ [الواقعة: ٦٨-٦٩]، وقال تعالىٰ: ﴿فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ﴾ [الحجر: ٢٢] وقال: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١٨]، وقال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ﴾ [الزمر: ٢١]، وقال: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ۝٩ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ۝١٠ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ﴾ [قٓ: ٩-١١].

فقلةُ الأمطارِ تُؤْذِنُ بخطَرٍ عظيمٍ يُخْشَىٰ منه علىٰ المواشي والأنفسِ والثمرات، ومن المؤسفِ أنَّ كثيراً من الناسِ لا يهتمُ بهذا الخطَرِ، فتجدُهم في لَهْوِهم وغَفْلَتِهم وظُلْمِ أنفسِهم كأن شيئاً لم

يكن، كأننا لم نَسْمَعْ بما جَرىٰ من جَرّاءِ القَحْطِ في البلادِ المجاورةِ من اللاوَىٰ والشِّدَّة، والجُوعِ والهلاك. كأننا في عِصْمَةٍ مما جَرىٰ عليهم، وما ذاكَ إلا لقسوةِ القلوبِ وظُلْمةِ الذنوب والغفلةِ عن مُراقبة عَلّام الغيوب ولقد قال اللهُ تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

أيها الناسُ: إنني إذا قلتُ إنَّ كثيراً من الناسِ لا يهتم بهذا الخطر، وأنهم في لَهْوٍ وغَفْلَةٍ، فإنما أقولُ أمراً يصدقه الواقعُ، فهل من أحدٍ راقبَ نفسَه في إخلاصِه لله عَزَّ وجل؟ هل من أحد راقب نفسَه في متابعةِ رسولِ الله ﷺ حتىٰ يتحقق له شهادة أنْ لا إلـه إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله؟ هل من أحدٍ راقبَ نفسه في صلاتِه حتىٰ يؤديَها كاملةً، يُقيمُ شروطَها وأركانَها وواجباتِها، ويُصَلِّيها مع الجماعة؟ هل من أحدٍ راقبَ نفسَه في طهارتِه فتنزه من بَوْلِه وأتقَنَ وُضوءَه وغُسْلَه؟ هل مِنْ أحدٍ راقبَ نفسَه في زكاتِه فأداها إلىٰ أهلِها علىٰ ما أوجَبه اللهُ عليه؟ هل التاجرُ تَفقَّدَ تجارتَه فأدىٰ ما يجبُ فيها؟ هل المزارعُ أحصىٰ زَرْعَه فأدىٰ ما يجِبُ فيه؟ هل أحدٌ من هؤلاءِ راقبَ نفسَه في حقِّ الله، وحاسَبَها ونظرَ فيما هو مُقَصِّرٌ فيه، ومُخِلٌّ به؟

هل فكَّر في أسبابِ ذلك لعله يَستعتِبُ ويرجِعُ إلىٰ ربِّه، إنَّ من أسباب ذلك كثرةَ الذنوب، وقلةَ مراقبةِ علاَّم الغُيوب، استمع لما أتلوه عليك من كتاب الله. يقول الله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن

مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورىٰ: ٣٠]، وقال جلَّ ذِكرُه: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦] فما أكثرَ المتهاونين بالواجبات! وما أكثر المنتهكين للمحرمات وما أكثرَ المضيعين للأوقات باللهو والغفلات!.

فهل من أحدٍ راقبَ نفسَه وحاسَبها في حقوقِ عبادِ الله فأدىٰ إلىٰ أهلِه حقوقَهم فأدَّبَهم، أمرَهم بالمعروف، أو نَهاهُمْ عن المنْكَرِ، أو علَّمهم الآدابَ التي تكْمُلُ بها أخلاقُهم؟ هل من أحَدٍ تَخَلَّىٰ عن ظُلْمِ الآخرين فعاملَهم بالصدقِ والبيان، وأدىٰ إليهم حقوقَهم بلا نُقْصان؟ إني أسمعُ أموراً منكرةً عظيمةً أسْتَغْرِبُ أن تقَعُ مِنْ شَخْصٍ يَفْخَرُ بدينِه! أسمعُ كَذباً فيما يتعلقُ بمعاملِة الحكومةِ، كالبنكِ الزراعي، وصندوقِ التنميةِ العقاريةِ! أسْمَعُ كَذِباً فيما يتعلقُ بالمعاملاتِ الفردية، يُخبرُ عن السلعةِ أنها جيدةٌ، وهو كاذِبٌ، يُخْبِرُ أن قِيمتَها كذا وهو كاذبٌ! وما أشبهَ ذلك.

أسمَعُ غِشاً في المعاملاتِ يُظهر السلعةَ بمَظْهَرٍ تكونُ جيدةً مرغوباً فيها، وليست كذلك! يَعْرِضُ السلعةَ المعيبةَ للبيع ويَكْتُمُ العيبَ الذي فيها! أفلا يعلمُ هؤلاء أن النبيَّ ﷺ حذَّرَ من الكذب. قال: «**إياكم والكذبَ، فإنَّ الكَذِبَ يهدي إلىٰ الفُجُور، وإنَّ الفُجُورَ يهدي إلىٰ النار، وإنَّ الرجلَ ليَكذِبُ ويَتَحرّىٰ الكَذِبَ حتىٰ يُكتَبَ**

عندَ الله كذَّاباً»[١] أفلا يعلَمُ هؤلاء أن النبيَّ ﷺ حذَّرَ من الغِشِّ. قال: «مَنْ غَشَّ فليس مِنِّي»[٢].

أَسْمَعُ تعاملاً بالربا صراحةً أو تَحَيُّلاً عليه من غيرِ مبالاةٍ بمحاربةِ الله، أو مخادعةِ الله عزَّ وجل، بالحِيلِ الباردةِ التي لا تَخفَىٰ علىٰ ذي لُبٍّ ودينٍ، ولقد قال اللهُ تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٧٨-٢٨٠]. ولكننا نسمعُ عن هؤلاءِ المرابين بوَجْهٍ صريحٍ، أو بالتحيلِ علىٰ الربا، إذا حَلَّ الدَّين علىٰ مُعسرٍ يعلمون إعْسَارَه لم يَلْتفتُوا إلىٰ قولِ الله تعالىٰ ربِّهم الذي أغنَاهُم وأفقرَهُ: ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ ﴾ [البقرة: ٢٨٠] وإنما يُلجِئونَه إلىٰ الاستدانةِ مرةً أخرىٰ أو يهددونه بالحَبْسِ والمَسير إلىٰ المحكمة، وإني لأعلمُ من إخواني القُضاةِ أنه إذا ثبَتَ عندَهم إعسارُ المدينِ فسيحكمون بإنظاره إلىٰ ميسَرةٍ كما أمرَ اللهُ بذلك.

أسمَعُ كذلك عكس هذا، أي أن الظلمَ يكونُ من المطلوبِ، لا من الطالب، فترىٰ بعضَ الناس يكونُ عليه الحقُّ، وهو قادرٌ علىٰ

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (١٠٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وفائه، ولكنه يُماطِلُ به ويقول للطالب ائتني غداً، فإذا أتاه من الغَد، قال بعدَ الغدِ وهكذا، أفلا يعلمُ هذا المماطِلُ أن مَطْلَه ظُلْمٌ؟ كما قال ذلك رسولُ الله ﷺ: «وأن **الظُّلْمَ ظلماتٌ يومَ القيامة**»[1] وأن كلَّ ساعةٍ تَمُرُ به وهو مماطلٌ بما يجب عليه لا تَزيدُه إلا إثماً، وربما يُعاقَبُ فيُحَسَّنُ له هذا العملُ السيءُ فلا يكادُ يُقْلِعُ عنه، وإنك لتَعْجَبُ من مُماطَلةِ هذا الغَنِيِّ ماذا يحصلُ له بالمماطلةِ أفليس الوفاءُ لازماً له ولن يُوفِيَ مرتين؟ فلماذا لا يُبادِرُ؟

أيها الناسُ: إنَّ هذه تنبيهاتٌ قليلةٌ علىٰ ما عليه بعضُ هذا المجتمعِ في بلادِنا من التفريطِ والغفلة، ذلك التفريطُ الأموال. فاستغفروا اللهَ أيها المؤمنون، وتُوبُوا إليه وراقِبُوا أنفسَكم وحاسِبُوها، واستقيموا علىٰ دِين الله عز وجل لعلكم تفلحون.

أسأل الله تعالىٰ أن يغيث القلوب بالإيمان والعلم وأن يغيث البلاد بالمطر المبارك، إنه هو الكريم المنان.

أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

(١) أخرجه مسلم (٢٥٧٨) من حديث جابر رضي الله عنه.

موعظة عامة في أداءِ الواجباتِ الدينية

الحمدُ للهِ حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما يُحِبُّ ربُّنا ويَرْضَىٰ. وأشهدُ أنْ لا إلـه إلا الله وحدَه لا شريكَ له، له الحمدُ في الآخرةِ والأولىٰ. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المصطفىٰ وخليلُه المُجتَبىٰ. صلّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آله وأصحابه، ومَنْ بهُداهُمُ اهتدَىٰ، وسلَّم تسليماً كثيراً.

أما بعدُ: فيا عبادَ اللهِ اتقوا اللهَ، اقبلوا نصيحةَ الناصحِ لكم، اهْتَدُوا بهدىٰ الله عزَّ وجل، وتمسكوا بهدي النبيِّ ﷺ.

أيها الناس: فكِّروا في أنفسِكم، هل قُمْتُم بما أوجبَ الله عليكم من الصلاةِ؟ هل قام الرجالُ منكم بأداءِ الصلاةِ جماعةً في المساجد؟ هل الإنسانُ يتفقدُ جيرانَه وأصحابَه في الصلاةِ؟ هل هو يتفقدُ أبناءَه أن يُصَلُوا في المساجد، الفجرَ، والظهرَ، والعصرَ، والمغربَ، والعشاء؟ أم هو قد تركَ الحبلَ علىٰ الغارِبِ نحوَهم؟

فكِّروا في أنفسِكم هل أنتم قد أديتم الزكاة؟ هل أعطيتموها مستحقيها؟ أعني زكاةَ الأموال، سواء كانت الأموالُ من النقود، أم من المواشي، أم من الزروع. كلُّ مالٍ أوجبَ اللهُ عليك زكاتَه، فإنه يجبُ عليك أن تتفقدَ نفسَك هل أنت قمت بالواجب، أم لم تَقُمْ بالواجب؟

تفقدوا أنفسَكم هل قمتم بما أوجبَ اللهُ عليكم من الحقوقِ بعضُكم لبعضٍ؟ فإنَّ كلَّ إنسانٍ يكونُ مسؤولاً. فإنه يجبُ عليه أن يقومَ بما أوجبَ اللهُ عليه من مسؤوليته. كلُ إنسانٍ عليه حقٌّ لأحدٍ، يجبُ عليه أن يؤديَ حقَّه. ولقد عَجِبْتُ من قَوْمٍ يكونُ عليهم حقوقٌ للناس، إما قروضٌ أو ثمنُ مبيعاتٍ، أو أجرةٌ مستأجرات أو غيرُ ذلك ومع هذا يُماطِلُون بحقوقهم.

يأتيه صاحبُ الحقِّ، يقول له: أعطني حقِّي، ولكنه يماطلُ به، مع أنه قادرٌ علىٰ الوفاء، والنبي ﷺ يقول: «**مَطْلُ الغني ظُلْمٌ**»[1] أي أن الإنسان إذا مَطَلَ غيرَه بأنه منَعه حقَه، مع وجوبِ الوفاء به، فإن ذلك ظُلْمٌ، والظلمُ ظلماتٌ يومَ القيامة، وكُلُّ ساعةٍ تمضي عليك، وأنت في مماطلةٍ للحق، الذي يجب عليك دفعُه، فإنك لا تزدادُ إلا إثماً، ولا من الله إلا بُعْداً.

وإن من الظلمِ ما يفعلُه بعضُ الناس الكُفلاءُ الذين يَكْفُلُون القادمين للعمل في هذه البلاد فيظلمونهم حقَّهم ويبخسونهم الحقِّ، فلا يعطونهم إياه، إلا بعدَ التعبِ والعناء، ربما يبقىٰ الحقّ شهرين أو ثلاثةً لا يوفونه، وربما يبقىٰ أكثرَ. ومن الناس مَنْ يَظْلِمُ العمالَ من وَجْهٍ آخرَ، يقول للعامل: اذهبْ واشْتَغِلْ وأعطِني في

---

(١) أخرجه البخاري (٢٢٨٧)، ومسلم (١٥٦٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الشهرِ كذا وكذا. يُحَدِّدُ شيئاً معيناً، وربما لا يَقْدِرُ عليه العاملُ، وربما يقْدِرُ علىٰ أكثرَ منه أضعافاً مضاعفةً.

وهذا مُحَرَّمٌ لا يجوزُ في شريعةِ اللهِ، وهو مُحَرّم أيضاً من جهةٍ أخرىٰ، لأنه مخالفٌ لنظامِ الدولة فيما نعلمُ، ومن المعلومِ أنَّ أنظمةَ الدولةِ إذا لم يَكُنْ فيها معصيةٌ لله ورسولِه، فإنه يجبُ علينا أن نأخذَ بها، وأن نتمشىٰ عليها اتباعاً، بل امتثالاً لأمرِ الله عَزَّ وجل فإن الله يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء: ٥٩].

فأمر اللهُ بطاعةِ وليِّ الأمْرِ، لكن جعل طاعتَه تابعةً لطاعةِ الله ورسولِه، ولهذا لم يُكَرِّرْ الفعلَ بل قال: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء: ٥٩] ولم يقل (وأطيعوا أولي الأمر منكم) لأنه لو قال: (وأطيعوا أولي الأمر منكم) لكانت طاعةُ وُلاةِ الأمورِ مستقلةً، ولكنه قال: ﴿وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ﴾ [النساء: ٥٩] لتكونَ طاعةُ وُلاةِ الأمورِ تابعةً لطاعةِ اللهِ ورسولِه. ولهذا قال النبيُّ ﷺ: «**وإنما الطاعةُ في المعروف**» وصَحَّ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**اسْمَعْ وأَطِعْ** ـ يعني لوَليِّ الأمرَ ـ **وإن ضربَ ظهرك وأخذَ مالَك**»[1].

فعلىٰ الإنسان أنْ يقومَ بطاعةِ الله فيما يجبُ عليه لوُلاةِ الأمور، وأن يكل وُلاةَ الأمورِ إلىٰ اللهِ عَزَّ وجل، فاللهُ تعالىٰ يُحاسِبُهم إذا

---

(١) أخرجه مطولاً مسلم (١٨٤٧) من حديث حذيفة ـ رضي الله عنه.

ظَلَموا عبادَ اللهِ بأيِّ مظلمةٍ سوف يُحاسِبُهم عليها. ولكن نحن علينا أن نُطِيعَ وُلاةَ أمورِنا فيما يَأْمُرونَنا به، من غيرِ المعصية، فإن كان نظامُ الدولةِ لا يُبيحَ لك أن تجعلَ العاملَ يعملُ وما حَصَّلَ فهو بينَكما، أو تَفْرِضَ عليه شيئاً معيناً تأخذُه منه، وما زاد، فهو له، وما نَقَصَ فعليه. فإنَّ هذا لا يجوزُ لك، لا من ناحيةِ الشرعِ، ولا من ناحيةِ وُلاةِ الأمورِ الذين أُمرنا باتباعهم.

فيا عبادَ الله: اتقوا الله تعالىٰ وفكِّروا في الأمْرِ، في دَقيقِه وجَليلِه. لا تتَهاوَنُوا فإنكم من هذه الدنيا منتقلون، وبأعمالِكم مَجْزِيونَ. وسوف يندمُ الإنسانُ حين لا ينفعُ الندمُ. سوف يقول: يا لَيْتَنِي قدَّمتُ لحياتي، ولكن حينَ يفوتُ الأوانُ، وحين يفوتُ الأوانَ لا ينفعُ الندمَ والتمني.

أيها المسلمون: إنَّ الناسَ في هذا العام تأخَّرَ عليهم المطرُ، تأخَّرَ تأخُراً لم يعهدْ مثلُه في الأعوامِ القريبةِ، وصار الناسُ يتساءلون ما هو السببُ؟ وإني أقول إن اللهَ عزَّ وجل هو ذو الفضلِ العظيمِ، وهو الذي يُعْطِي مَنْ يشاء ويَمْنَعُ مَنْ يشاءُ لحِكْمةٍ. ما منعنا اللهُ عزَّ وجل المطرَ إلا لحكمة، فما هي هذه الحكمة؟

استمع لقول الله تعالىٰ: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١] فالناس إذا اشتدت حاجتهم إلىٰ المطر، ولجأوا إلىٰ الله بصدق. وعلموا أنه لا يَكْشِفُ الضرَّ إلا اللهُ، ولا يُجيبُ المضطرَ إلا الله، فحينئذٍ يلجأون

إلىٰ اللهِ لجوءاً بصدقٍ، يفتقرون إليه، وهو سبحانَه وتعالىٰ عند المنكسرة قلوبهم من أجله، فاتقوا اللهَ أولاً فيما يَجِبُ عليكم واجتنابِ ما حَرَّم اللهُ عليكم، ثم أقبِلُوا بقلوبِكم إلىٰ اللهِ عزَّ وجل، الجأوا إليه وأنتم تؤمنون بأنكم الفقراءُ إلىٰ الله، واللهُ هو الغنيُّ الحميدُ وحينئذٍ تُجَابُون إن شاء الله عزَّ وجل لقول اللهِ تعالىٰ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

اللهم إنا قد دَعَوناكَ، اللهم إنا نَدْعُوك فأجِبْنا، يا ربَّ العالمين. اللهم أَغِثْنا، اللهم أغِثْنا، اللهم أغِثْنا، اللهم اسْقِنا الغيثَ والرحمةَ ولا تجعلْنا من القانطين، اللهم سُقْيا رحمةٍ، لا سُقْيا بلاءٍ ولا عذابٍ ولا هَدْمٍ ولا غَرَقٍ، اللهم أغِثْنا اللهم أغِثْنا، اللهم أغِثْنا، اللهم صلِّ علىٰ محمدٍ، وعلىٰ آلِ محمدٍ، كما صليت علىٰ إبراهيمَ وعلىٰ إبراهيم، إنك حميدٌ مجيدٌ، اللهم بارِكْ علىٰ محمدٍ، وعلىٰ آلِ محمدٍ، كما باركت علىٰ إبراهيمَ وعلىٰ آلِ إبراهيم، إنك حميدٌ مجيدٌ.

❊ ❊ ❊

قصة قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وفرعون

الحمدُ للهِ العليِّ الجبار، القويِّ القهار، له العزةُ جميعاً، وله القوةُ جميعاً، وبيده ملكوتُ كلِّ شيءٍ، كلُّ شيءٍ عنده بمقدارٍ، يُكوِّرُ النهارَ علىٰ الليل، ويكوّر الليلَ علىٰ النهار. وأشهدُ أنْ لا إلـٰهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، له الملكُ وله الحمدُ، ذو العظمةِ والجلالِ والاقتدار، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، المصطفىٰ المختارُ، صلىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آله وأصحابِه، والتابعين لهم بإحسان، ما تعاقبَ الليلُ والنهارُ، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، فيا أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، وسِيرُوا في الأرض، سِيرُوا في الأرضِ بقلوبِكم، وأفكاركم. سِيرُوا فيها في العصورِ الخالية، وفي العصورِ الحاضرةِ. سِيرُوا فيها لتَنْظُروا كيف كان عاقبةُ المكذبين لله ورسُله، المستكبرين عن عبادتِه وأمْرِه. سِيرُوا في الأرض، سِيرُوا في الأرض بأفكاركم، وقلوبِكم، لتنظروا كيف كان عاقبةُ هؤلاء، لقد كانت عاقبتُهم أسوأَ العواقب، أُخِذُوا بالعذاب في الدنيا، ولعذابُ الآخرةِ أشَدُّ وأبْقَىٰ. سِيرُوا بنا لننظرَ كيف كانت العاقبةُ في الماضي، وفي الحاضر.

فلنبدأ أولاً بقصةِ نوحٍ، أول الرُّسُل، عليهم الصلاةُ والسلامُ. دعا قومَه إلىٰ عبادةِ الله، ونَبْذِ الأصنام، ولكنهم كَذَّبوه، واستكبروا

عن دعوته. قال الله تعالىٰ: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ﴾ [القمر: ٩-١١] وهذه إجابة دعوة نوح عليه الصلاة والسلام ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ [القمر: ١١-١٢].

هذه الصورةُ المزعجةُ المُرَوِّعةُ، فُتِّحت أبوابُ السماءِ كُلُّها بماءٍ غَزِير مُتدفِّق بقوةٍ، وفُجِّرت الأرضُ كُلُّها عُيوناً، حتىٰ كان التنورُ، الذي هو أيْبَسُ الأرضِ وأحَرُّها يفور بالماء. فالتقت مياهُ الأرضِ وماءُ السماء. حتىٰ علا الماءُ قِمَمَ الجبال. وهل أنجاهم ذلك من عذابِ الآخرة؟ استمع الجوابَ من القرآن. قال الله تعالىٰ: ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾ [نوح: ٢٥] فاجتمعت عليهم العقوبتان، عقوبةُ الدنيا، وعقوبةُ الآخرة.

القصةُ الثانية: قصةُ عادٍ، ومَنْ عادٌ؟! عادٌ قومُ هُودٍ، عاد ﴿إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾ [الفجر: ٧-٨] لم يُخْلَقْ مثلُهم في البلادِ، لقوتِهم، وشدَّة بأسهم حتىٰ بَغَوْا وطَغَوْا واستكبروا في الأرض بغيرِ الحقِّ وقالوا: مَنْ أشدُّ منّا قوةً. قال الله عزَّ وجل: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥] وماذا كان مصيرُ هؤلاء الأقوياء العُتاة؟

كان مصيرُهم أنْ أهلكهم اللهُ عزَّ وجلَّ بالهواء. بالهواءِ الذي هو أَلْطَفُ الأشياءِ كثافةً، الهواءُ الذي لا يُرىٰ بالعيون. قال الله تعالىٰ:

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ۝١٨ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ۝١٩ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾ [القمر: ١٨-٢٠]، وقال الله عز وجل: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٧].

سَخَّرها عليهم سبعَ ليالٍ وثمانيةَ أيامٍ، إذاً فقد ابتدأَهم العذابُ في الصباحِ، وهل كفاهم ذلك من عذابِ الآخرة؟ استمع الجوابَ من كلام الله، قال الله تعالىٰ: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِيٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾ [فصلت: ١٦].

الثالثة: قصَّةُ ثَمودَ قومُ صالحٍ، هداهم اللهُ بما بيّن لهم من الآيات هداهم هدايةَ دلالةٍ، ولكنهم استَحَبُّوا العَمَىٰ علىٰ الهُدَىٰ، استحبوا العمىٰ علىٰ الهدىٰ وكذَّبوا بنبيّهم صالحاً إلا قليلاً منهم. وعقَرُوا الناقةَ، عقروا الناقةَ التي جعلَها اللهُ تعالىٰ آيةً لهم. فماذا كانت عاقبتُهم.

قال اللهُ عزَّ وجل: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُواْ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ﴾ [القمر: ٣١] وقال تعالىٰ: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ [الأعراف: ٧٨] فأُهْلِكوا بصَيْحَةٍ ورَجْفةٍ، كانوا فيها جاثمين في ديارِهم كأنهم هشيم صاحب الخضار.

القصة الرابعة: قصةُ قوم لوط. وما أدراك ما قومُ لوطٍ؟ قومُ لوطٍ قومٌ جمعوا إلىٰ الكفرِ باللهِ ورسولِه. تلك الفاحشةَ النكراءَ التي

تدلُّ علىٰ انقلاب فِطَرِهم وعُقولهم، كانوا يأتونَ الذكورَ، ويذرون النساء. فذكَّرَهم نبيهم بذلك ووبَّخَهم عليه. وقال لهم: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُمۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ [الشعراء: ١٦٥-١٦٦]، ﴿۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [النمل: ٥٦] فماذا كانت عاقبتهم؟ قال الله عز وجل: ﴿إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾ [العنكبوت: ٣٤]، وقال تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ [هود: ٨٣] وماذا كان عقابهم في الآخرة؟

كان عقابُهم في الآخرةِ نارَ جَهنَّم. كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [الأحزاب: ٦٤].

القصةُ الخامسةُ: قصةُ فرعون. وما أدراك ما فرعونُ؟ فرعونُ المتكبرُ الجبارُ، الذي بَغَىٰ وطَغَىٰ، وأنكر العليَّ الأعلىٰ. وقال لقومه: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]، وقال لهم: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨] وقال مفتخراً بما أُوتي من المُلْك، والرفاهية، والبساتين المثمرة، والزروعِ النّضِرَة، والكنوز وغيرِها. قال: يا قومِ أليس لي مُلْكُ مصرَ وهذه الأنهارُ تجري مِنْ تَحتِي أفلا تُبصِرون.

وقال محتقراً لموسىٰ رسول ربِّ العالمين ﴿أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾ [الزخرف: ٥٢-٥٣] ثم ماذا كانت عاقبة فرعون وقومه. يقول الله عز وجل: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا﴾ يعني أغضبونا، ﴿ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ﴾ [الزخرف: ٥٥-٥٦] وقال تعالىٰ: ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ﴾ [الدخان: ٢٥-٢٧]. وهل أنجاهُم ذلك من عذابِ الآخرة؟

استمعْ، استمعْ إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿فَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ﴾ [هود: ٩٧-٩٩].

أيها المسلمون: هذه خَمْسُ قِصَصٍ، والقِصصُ كثيرةٌ في كتابِ الله، وفي سنةِ رسولِ الله ﷺ يعتبر بها أولوا الألباب، ويغفل عنها أصحابُ الغفلة الذين أغْفَلَ اللهُ قلوبَهم عن ذِكْرِه، واتبعوا أهواءَهم، فكانت أمورُهم فُرُطاً وفاتت عليهم الدنيا وسَتَفُوتُ عليهم الآخرة.

أيها المسلمونَ: سِيرُوا بقلوبِكم وأفكارِكم في الأمم السابقين، واعتبروا بما جَرَىٰ للمكذبين المستكبرين. وتأملوا حكمةَ اللهِ، تأملوا حكمةَ اللهِ فيمَنْ أتاهم العذابُ صباحاً. وكان هذا من الحكمةِ العظيمةِ، أنْ يكونَ العذابُ في الصباح، حين يستقبلُ هؤلاءِ حياتَهم

في نهارِهم، وحين تنفتحُ آمالُهم في أفكارِهم. لأنهم يستقبلون يوماً جديداً، ويُؤَمِّلُون فيه أن يَحصُلُوا علىٰ ما كانوا فيه حاصلين، فإذا أُخِذُوا في الصباحِ كان ذلك أعظمَ صَدمةٍ، وأشدَّ أَخْذَة.

أيها المسلمون: ثم سِيرُوا بقلوبكم وأفكارِكم في الأمم المعاصرة، وما يُجري اللهُ عزَّ وجل في عَصْرِنا هذا من العواصفِ المدمرة، والفيضانات المفرقة، والزلازل الراجفةِ. وأقربُ مثَلٍ لذلك، ما جَرَىٰ يومَ الأربعاء الموافق للثامن والعشرين من الشهر الماضي، في مقاطعة أرمينيا. حيث أمر اللهُ العليُّ الأعلىٰ، القويُّ القهارُ. أمرَ اللهُ عزَّ وجل الأرضَ أن تَرْجُفَ بأهلِها. قال اللهُ عزَّ وجل: ﴿وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ﴾ [القمر: ٥٠].

وفي لَمْحِ البصرِ حصلَ الدمارُ، في كُبْرَياتِ تلك المقاطعةِ حصلَ من الدمار ما أوهن العالَمَ وأفْزَعَه، فتُلِفَتِ الأموالُ، وكأنها أمرٌ عاديٌّ، كأنها أمرٌ عاديٌّ حَلَّ بالناس، كما ينزلُ المطرُ علىٰ المعتادِ، لا ينظرون إلىٰ هذه الكوارث نَظَرَ مَنْ يعتبرُ بها. لأنها من عندِ الله القويِّ القهار. ولكنهم ينظرون إلىٰ المُصابِ بها نَظَرَ رحمةٍ ولا يفرقون أيضاً بينَ مَنْ يستحقُ الرحمةَ، ومَنْ لا يستحقُ الرحمةَ منهم. كمَنْ قال اللهُ فيهم: ﴿وَإِن يَرَوۡاْ كِسۡفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطٗا يَقُولُواْ سَحَابٞ مَّرۡكُومٞ﴾ [الطور: ٤٤].

أيها المسلمون: إنَّ الواجبَ علينا ونحن وللهِ الحمدُ نقولُه تَحَدُّثاً بنعمةِ الله، ونحن وللهِ الحمدُ نُؤْمِنُ باللهِ وآياته، ونشهدُ أنه

ربُّ السمٰواتِ والأرضِ، ونشهدُ أنه ما في الكون من صغيرٍ، ولا كبيرٍ، إلا بأمرِ الله عزَّ وجل. يفعلُ ما يشاءُ، ويَحكُمُ ما يُريدُ.

الواجب علينا ونحن كذلك، أن نكونَ معتبرين بآياتِ الله، خائفين من الله، نخافُ إن لم نُصَبْ بمِثْلِ هذه المصائب، أن نُصَابَ بما هو مِثْلُها أو أعظَمُ، من قسوة القلبِ والإعراضِ عن طاعةِ الله. فإنَّ قسوةَ القلوبِ والإعراضَ عن طاعةِ الله، والانهماكَ في الدنيا وزينتِها ودَمَارِ زُخْرُفِها، ونسيانِ الآخرة. كلُّ ذلك مصيبةٌ، مصيبةٌ أعظمُ والله مِنْ مصيبة الديار.

إنَّ دمارَ القلوبِ وقسوة القلوب، وإعراضَها عن ربِّها أعظمُ من أن تتهدَّمَ الديارُ، ويكونَ الناسُ في العَرَاءِ بعد أن كانوا تحت السُّقوفِ. إن المصيبة العظمىٰ بقسوةِ القلب والإعراضِ عن الله، والإعراضِ عن طاعةِ الله، نسأل الله تعالىٰ أن يُنَجِّينا منها.

ألم تَرَوْا أيها المسلمون، إنَّ اللهَ قال لرسوله محمدٍ ﷺ: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ أي: تولوا عن الشريعة ﴿فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٩]، فجعل اللهُ تعالىٰ تَوَلِّيَ الإنسانِ عن شريعةِ اللهِ مصيبةً حَلَّتْ به بسببِ ذَنْبه. فاتقوا اللهَ أيها المسلمون، وفكِّروا هل أنتم أصَبْتم اليومَ في دِينكم، أم أنتم علىٰ المُستَوىٰ المطلوب منكم؟

إن بلادَكم هذه هي قائدةُ البلادِ الإسلامية، فاتقوا اللهَ في أنفسِكم، فإنكم قدوةُ العالَمِ. إذا أعرضتم عن دينِ الله، فغيركم بالإعراض أولىٰ، وإذا تمسكتم بدين الله كان الناسُ تَبَعاً لكم.

أيها المسلمون: إن مصيبةَ الدينِ أعظمُ من مصيبةِ المال، وأعظمُ من مصيبةِ الديار، وأعظم من مصيبةِ الأبدان، ولهذا كان دعاءُ المؤمنين: اللهم لا تجعلْ مصيبتَنا في دينِنا، ولا تجعلِ الدنيا أكبرَ همِّنا، ولا مبلغَ عِلْمِنا، ولا إلىٰ النارِ مصيرَنا. اللهم لا تجعلْ مصيبتَنا في دينِنا، اللهم لا تجعلْ مصيبتَنا في دينِنا، ولا تجعلِ الدنيا أكبرَ هَمِّنا، ولا مبلغَ عِلْمِنا، ولا إلىٰ النارِ مصيرَنا.

اللهم إنا نسألُك أن تجعلنا من المؤمنين المتقين، الذين يحاسبون أنفسهم فيتوبون إليك يا ربَّ العالمين. اللهم صلِّ وسلِّمْ علىٰ نبيِّك محمدٍ، وعلىٰ آله وأصحابِه ومَنْ تبعهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين.

* * *

قصة موسىٰ عليه الصلاة والسلام مع فرعون

الحمدُ للهِ الذي خلقَ السمواتِ والأرض، وجعلَ الظلماتِ والنورَ، وتباركَ الذي له ما في السمواتِ وما في الأرضِ، وعندَه عِلْمُ الساعة، وإليه تُرجَعُ الأمورُ. ونشهدُ أنْ لا إلـه إلا الله وحدَه لا شريكَ له، شهادةً نرجو بها النجاةَ يومَ النشور، ونُؤمِّلُ بها الفوزَ بجنـاتِ النعيـمِ والانشـراحِ، ونشهـدُ أنَّ محمـداً عبـدُه ورسـولُـه، المبعوثُ بالهُدىٰ والنورِ، صَلّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه، والتابعين لهم بإحسان ما تعاقبت الأيامُ والشهورُ، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا اللهَ تعالىٰ، وعَظِّموا ما عظَّمَه اللهُ تعالىٰ من الأمكنة والأزمان، واعلموا أنَّ عدةَ الشهورِ عندَ الله اثنا عشرَ شهراً في كتاب الله يومَ خلق السمواتِ والأرضَ منها أربعةٌ حُرُمٌ، وهي ذو القَعْدِة، وذو الحجة، ومُحَرَّمٌ ورجبٌ الذي بين جُمادىٰ وشَعْبانَ، فلا تظلموا أنفسكم بالمعاصي خصوصاً في هذه الأشهرِ الأربعة، فإنَّ المعصيةَ تُضاعَفُ باعتبار عظمها وباعتبار الزمان والمكان.

واعلموا أنَّ شهرَكم هذا هو أولُ الأشهرِ الأربعةِ الحُرُم. وهو الذي نَجَّىٰ الله فيه موسىٰ وقومَه، وأهلك فرعونَ وقومَه. فإن اللهَ بعثَ نبيَّه موسىٰ ﷺ إلىٰ فرعونَ بآياتِه وسلطانٍ مبينٍ، فدعاه إلىٰ القيامِ بعبادةِ ربِّ العالمين، ولكنَّ فرعونَ جَحَدَ وهو من الموقنين واغتر بعُلُوِّه وعِزَّتِه، وهو الذليلُ المَهِينُ فقال: وما ربُّ العالمين، قال

موسىٰ: هو ربُّ السمواتِ والأرض إن كنتم موقنين، فقال فرعونُ لِمَنْ حولَه مُتهكِّماً: ألا تستمعون؟ فأجابه موسىٰ: هو ربُّكم ورب آبائكم الأولين. فقال فرعون: إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون. فقال موسىٰ: ربُّ المَشرقِ وربُّ المغرب، وما بينَهما إن كنتم تعقلون.

فلما أقام موسىٰ علىٰ فرعون الحُجَج والبراهين، ورأىٰ فرعون أن التهكمَ والسخريةَ، لا تُغْنِي من الحقِّ شيئاً، ولا يُمكنُ دفعُ الحقِّ بمثلِ هذا الاستهزاءِ لجأ إلىٰ التهديدِ والوعيدِ، فقال لموسىٰ: لئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين.

فأتاه موسىٰ بالآياتِ والبراهين، فألقىٰ عصاه وهي بيدِه، فانقلبت علىٰ الأرض حيةً تسعىٰ بإذنِ ربِّ العالمين، وأدخل يدَه في جيبِه علىٰ طبيعتِها، ثم أخرجها بيضاءَ تلوحُ للناظرين. فجُمِعَ السحرةُ لموسىٰ، فلما حضروا قال لهم موسىٰ: ألقوا ما أنتم مُلْقُون. فألْقَوا حبالَهم وعصِيَّهم. وقالوا: بعزةِ فرعونَ إنا لنحن الغالبون. وكانت تلك الحبالُ والعِصِيُّ يُخَيَّلُ للناظرِ إليها أنها حياتٌ تَسْعَىٰ. فأوجَسَ في نفسِه خيفةً موسىٰ.

فأوحىٰ الله إليه أن يُلقِي عصاه. فألقاها، فإذا هي تَلْقَفُ جميعَ ما صنعوا من الإفكِ والسحر، حتىٰ ابتلعته كُلَّه. فحينئذٍ عرفَ السحرةُ أنَّ هذا ليس أمراً في وُسعِ المخلوقين، وإنما هو آيةٌ أيَّدَ اللهُ بها موسىٰ في العالمين. فسجدوا كلُّهم أجمعون، وقالوا: آمنا بربِّ العالمين، ربِّ موسىٰ وهارون.

فانظروا إلىٰ توفيقِ اللهِ وامتنانِه كيف نصرَ عبدَه موسىٰ، علىٰ رؤوس العبادِ جَهَاراً، وكيف كان هؤلاءِ السحرةُ في أولِ النهارِ سحرةً كفاراً، وفي آخرِ النهارِ مؤمنين أبراراً. فسبحانَ مَنْ بيدِه ملكوتُ السمواتِ والأرضِ. وإنما أمرُه إذا أراد شيئاً أن يقولَ له كُنْ فيكونُ.

ولما أَذِنَ اللهُ تعالىٰ بهلاكِ فرعونَ وقَوْمِه، لمّا ردُّوا الحقَّ واستكبروا عنه أمرَ نبيَّه موسىٰ أن يُسْرِيَ ببني إسرائيلَ خارجاً بهم عن مِصْرَ، فتَبِعَهم فرعونُ بجنودِه أجمعين، فلما أقبلَ موسىٰ وقومُه علىٰ البحرِ الأحمر، كان البحرُ أمامَهم وفرعونُ وجنودُه خَلْفَهم، فقال أصحابُ موسىٰ: إنا لمدركون، البحرُ أمامنا، وفرعونُ خلفَنا، فكيف النجاةُ للمُدْركين؟! فأجابهم موسىٰ جوابَ مؤمنٍ بيقينٍ، فقال: كَلاَّ إن مَعِيَّ ربِّي سَيَهْدين.

فلما وصلوا إلىٰ البحرِ أمرَه اللهُ أن يضربَه بعصاه، فضربه فانفلقَ اثنىٰ عشر طريقاً، والماءُ بينها كالجبال، قد استمسك بقدرةِ العظيمِ المتعالِ، فلما تكاملَ موسىٰ وقومُه خارجين، وفرعونُ وقومُه داخلين، أوحىٰ اللهُ إلىٰ البحرِ أن يَنْطَبِقَ عليهم. فأغرقَهم أجمعين، فقُطِعَ دابرُ القومِ الذين ظلموا. والحمدُ لله ربِّ العالمين.

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

قصة موسىٰ عليه الصلاة والسلام مع فرعون

الحمدُ لله العليِّ الكبيرِ المتفرِّدِ بالخَلْقِ والتدبيرِ، الذي أعَزَّ أولياءَه بنصرِه، وأذلَّ أعداءَه بخَذْلِه، فنِعْمَ المولىٰ ربُّنا ونِعْمَ النصيرُ. وأشهدُ أن لا إلـٰه إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، له الملكُ وله الحمدُ وهو علىٰ كل شيء قديرٌ. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، البشيرُ النذيرُ والسراجُ المنيرُ، صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا الله تعالىٰ، واذكروا أيامَ اللهِ لعلكم تذكرون، اذكروا أيام الله بنصر أنبيائه واتباعهم لعلكم تشكرون، واذكروا أيام الله بخَذْلِ أعدائِه، ومَنْ والاهم لعلكم تتقون، واذكروا أيامَ اللهِ إذا نزل للقضاء بينَ عبادِه يومَ القيامة لعلكم تُوقِنُون.

أيها الناسُ: إنَّ نصرَ اللهِ تعالىٰ لأوليائِه في كُلِّ زمانٍ ومكانٍ وأمةٍ انتصارٌ للحقِ، وذِلةٌ للباطلِ، وأخْذٌ للمتكبر، ونِعْمَةٌ علىٰ المؤمنين إلىٰ يومِ القيامة، لأنهم يُسَرُّونَ بذلك ويَنْعَمُونَ به بالاً، وفي هذا الشهرِ كانت نجاةُ موسىٰ عليه الصلاة والسلام وقومُه مِنْ فرعونَ وجنودِه، فلقد أرسلَه اللهُ تعالىٰ إلىٰ فرعون بالآياتِ البيناتِ والبرهانِ القاطعِ علىٰ نبوتِه إلىٰ فرعونَ وقومِه، فرعونَ الذي تكبَّرَ علىٰ الملأ، وقال: أنا ربُّكم الأعلىٰ. فجاءه موسىٰ بالآيات العظيمةِ

ودعاه إلىٰ توحيد الله تعالىٰ، خالقِ السمواتِ والأرضِ، فقال فرعون منكراً مكابراً: وما رب العالمين، أنكر الرب العظيم الذي قامت بأمره السموات والأرض وفي كُلِّ شيءٍ له آيةٌ تدلُ علىٰ وُجوده ورُبُوبيته، وعِلْمِه وقُدرتهِ وحِكمَته، وأنه الربُّ الواحدُ الذي يَجِبُ إفرادُه بالعبادة، كما هو منفردٌ بالخَلْقِ والتدبير، فأجابه موسىٰ: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢٤] فإن في السمواتِ والأرضِ وما بينهما من الآياتِ، ما يُوجبُ الإيمانَ، واليقينَ. فرد فرعونُ ساخراً بموسىٰ ومستهزئاً به ومحتقراً له، قائلاً لمَنْ حَوْلَه: ألا تستمعون، فأجابَ موسىٰ مُذَكِّراً لهم أصْلَهم، وأنهم مخلوقون مربوبون، وكما خُلِقُوا فهم صائرون إلىٰ العَدَمِ طريقةَ آبائهم الأولين، فقال: ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: ٢٦] وحينئذٍ بُهِتَ فرعونُ فادعىٰ دَعْوَىٰ الكاذبِ المغبون، فقال: إن رسولَكم الذي أُرسِلَ إليكم لمَجنونٌ. فطعَنَ بالرسولِ وبمَنْ أرسلَه، فأجاب موسىٰ مُبيِّناً مَنِ الأحَقُ بوَصْفِ الجُنُون، أهو المؤمنُ باللهِ خالقِ السمواتِ والأرض. ومالكِ المشرقِ والمغرب، أم المنكرُ لذلك فقال: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الشعراء: ٢٨] فلما عجزَ فرعونُ عن مقاومةِ الحقِّ وأفْحَمَهُ موسىٰ بالحجةِ والبرهان، لجأ إلىٰ ما يلجأ إليه العاجزون المتكبرون من الإرهابِ والوعيد، فتوَعَّدَ موسىٰ بالاعتقالِ والسَّجْنِ، قائلاً: لئن اتَّخَذْتَ إلهاً غيري لأجْعَلَنَّكَ من المسجونين، ولم يقل لأسجننك

ليزيدَ في إرهابِ موسىٰ، حيث إنَّ له من القوةِ والسلطان ما مَكَّنه من سَجْنِ الناس، الذين سيكونُ موسىٰ من جملتهم علىٰ حَدِّ تهديدِه إن اتَّخَذَ إلهاً غيرَه، وما زالَ موسىٰ ﷺ يأتي بالآياتِ واضحةً وُضُوحَ النهارِ، وفرعونُ يحاولُ بكلِّ جُهودِه، ودُعاتِه أن يَقْضِيَ عليها، بالردِّ والكِتْمانِ، حتىٰ قال موسىٰ: ﴿أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾﴾ [طه: ٥٧-٥٨] مستوياً لا يَحجُبُ عن الرؤية فيه واد ولا جَبَلٌ، فواعدَهم موسىٰ موعِدَ الواثقِ بنصرِ الله تعالىٰ، واعدَهم فقال لهم موسىٰ: ﴿وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ﴾ [طه: ٦١] فوقَعَتْ هذه الكلمةُ الواحدةُ الصادرةُ عن إيمانٍ ويقينٍ، وقعت بينَ الناسِ أشدَّ من السلاحِ الفَتَّاكِ، فتنازَعُوا أمرَهم بينَهم، وتفرقت كَلِمتُهم، وصارت العاقبةُ لنبيِّ اللهِ موسىٰ ﷺ، وأعلن خُصومُه من السحرةِ إيمانَهم به، فأُلْقِيَ السحرةُ ساجدين، قالوا: ﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ [الشعراء: ٤٧-٤٨] وقال لفرعون حين توعدهم: ﴿لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [طه: ٧٢-٧٣] وما زالَ فرعونُ يُنابذُ دعوةَ موسىٰ ﷺ حتىٰ استخف قومه فأطاعوه، إنهم كانوا قوماً فاسقين. قال الله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا

﴿وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ﴾ [الزخرف: ٥٥-٥٦] وكان من قصةِ إغراقِهم أنَّ اللهَ أوحىٰ إلىٰ موسىٰ أن يُسْرِيَ بقومِه ليلاً من مِصْرَ، فاهتم لذلك فرعونُ اهتماماً عظيماً فأرسلَ في جميعِ مدائن مصرَ أن يُحشَرَ الناسُ للوصول إليه، لأمرٍ يُريدُه اللهُ عَزَّ وجل، فاجتمعَ الناسُ إليه فخرج بهم في إثْرِ موسىٰ وقومِه ليَقْضِيَ عليهم، حتىٰ أدركَهم عند البحر الأحمر، فلما تراءىٰ الجمعان، قال أصحابُ موسىٰ: إنا لمُدْرَكون البحرُ أمامَنا فإن خُضْنَاه غَرَقْنا، وفرعونُ وقومُه خَلْفَنا وسيأخذوننا، فقال لهم موسىٰ: كلاَّ أي لَسْتُم مُدْرَكين، إنَّ مَعِيَ رَبِّي سيهدين، أي سَيَدُلُّني علىٰ ما فيه النجاةُ، وهذا والله غايةُ الإيمانِ والثقةُ بوعدِ اللهِ ونَصْرِه، فأوحىٰ اللهُ تعالىٰ إلىٰ موسىٰ أن اضربْ بعصاكَ البحرَ، فضربَه فانفلقَ بإذن الله عَزَّ وجل اثْنَي عشرَ طريقاً، صار هذا الماءُ السَّيالُ بينَها ثابتاً، كأطواد الجبال، فدخل موسىٰ وقومُه يمشونَ بينَ الجبالِ، جبالِ الماءِ في طُرُقٍ يابسةٍ، أيْبَسَها اللهُ بلحظةٍ آمنين، فلما تكاملوا خارجين، تَبِعَهم فرعونُ بجنودِه داخلين، أمرَ اللهُ البحرَ أن يعودَ إلىٰ حالِه، فانطبقُ علىٰ فرعونَ وجنودِه، حتىٰ غَرَقُوا عن آخرِهم، فلما أدركَ فرعونَ الغرقُ قال: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٩٠] ولكنْ لم ينفعْه الإيمانُ حينئذٍ، فقيلَ له توبيخاً: ﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٩١] قال اللهُ تعالىٰ: ﴿فَأَخْرَجْنَٰهُم﴾ [الشعراء: ٥٧]، يعني فرعونَ وقومَه ـ ﴿مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُواْ

فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ﴾ [الدخان: ٢٥-٢٩] فأورثَ اللهُ بني إسرائيلَ أرضَ فرعونَ وقومِه المجرمين، لأن بني إسرائيلَ حينذاك كانوا علىٰ الحق سائرين، ولوَحْيِ الله الذي أنزلَه علىٰ موسىٰ مُتَّبعين، فكانوا وارثين لأرضِ الله، كما وعَدَ اللهُ إنَّ الأرضَ لله يُورثُها مَنْ يشاءُ من عبادِه والعاقبةُ للمتقين ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِى هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥-١٠٦].

أيها الناسُ: إنَّ نجاةَ نبيِّ الله موسىٰ وقومِه، مِنْ عدوِّ اللهِ فرعونَ وجُنودِه، لِنعمَةٌ كُبرىٰ تَستوْجِبُ الشكرَ لله عَزَّ وجل، ولهذا لما قَدِمَ النبيُّ ﷺ المدينةَ وجدَ اليهود يصومون اليومَ العاشرَ من هذا الشهر، شهرِ المُحَرَّم، فقال: «**ما هذا؟**» قالوا: يومٌ صالحٌ نجَّىٰ اللهُ فيه موسىٰ وقومَه من عَدُوِّهم فصامَه موسىٰ. فقال النبيُّ ﷺ: «**فأنا أحقُّ بموسىٰ منكم**»(١) فصامه وأمر بصيامه، وسُئِلَ عن فضلِ صيامِه فقال: «**أحتسِبُ علىٰ اللهِ أنْ يُكَفِّرَ السنةَ التي قبلَه**»(٢) إلا أنه ﷺ أمرَ بعد ذلك بمخالفةِ اليهودِ بأن يُصامَ العاشرُ ويوماً قبلَه وهو التاسعُ، أو يوماً بعده وهو الحادي عشر، وعلىٰ هذا فلا ينبغي أن يصومَ يومَ العاشرِ وحدَه بل يَضِيفُ إليه يوماً قبلَه أو يوماً بعدَه، وإضافةُ التاسعِ

---

(١) أخرجه البخاري (٢٠٠٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه مسلم (١١٦٢) من حديث أبي قتادة رضي الله عنه.

إليه أفضلُ من الحادي عشر. وإن صام الأيامَ الثلاثةَ التاسعَ والعاشرَ والحادي عشر، أجزأته عن صيام الأيام الثلاثة من الشهر.

وفقني الله وإياكم لشكرِ نعمتِه وحُسنِ عبادتِه، وحَمانا من شرورِ أنفسِنا برعايتِه، إنه جوادٌ كريمٌ.

أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊

قصة موسىٰ عليه الصلاة والسلام مع فرعون

الحمدُ لله العليِّ الكبيرِ المتفرِّدِ بالخَلْقِ والتدبيرِ، الذي أعَزَّ أولياءَه بنصرِه، وأذلَّ أعداءَه بخَذْلِه، فنِعْمَ المولىٰ ونِعْمَ النصيرُ. ونشهدُ أن لا إلٰـه إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، له الملكُ وله الحمدُ وهو علىٰ كل شيء قديرٌ. ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، البشيرُ النذيرُ والسراجُ المنيرُ، صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ إلىٰ يوم المآب والمصير، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا الله تعالىٰ، واذكروا أيامَ اللهِ لعلكم تتذكرون، اذكروا أيام الله بنصر أوليائه لعلكم تشكرون، واذكروا أيام الله بخَذْلِ أعدائِه، ومَنْ والاهم لعلكم تتقون وتحذرون، واذكروا أيامَ اللهِ إذا نزل للقضاء بينَ عبادِه، فقَضَىٰ بينَهم بفضلِه وعدلِه لعلكم توقنون، إنَّ نصرَ اللهِ تعالىٰ لأوليائِه في كُلِّ زمانٍ ومكانٍ وأمةٍ، هو نصرٌ للحقِّ، وذِلةٌ للباطلِ، وأخْذٌ للمتكبر، ونِعْمَةٌ علىٰ المؤمنين إلىٰ قيام الساعة، لقد أرسلَ اللهُ موسىٰ صلىٰ الله عليه وعلىٰ نبيِّنا وإخوانهما من النبيين والمرسلين أرسله إلىٰ فرعون بالآياتِ والسلطان المبين إلىٰ فرعونَ الذي تكبَّرَ علىٰ الملأ، وقال: أنا ربُّكم الأعلىٰ. فجاءه موسىٰ بالآيات البينات، ودعاه إلىٰ توحيد ربِّ الأرضِ والسمواتِ، فقال فرعون منكراً وجاحداً: وما ربُّ

العالمين؟ فأنكر الربَّ العظيمَ الذي قامت بأمره الأرضُ والسمواتُ وكان له آيةٌ في كلِّ شيءٍ من المخلوقات، فأجابه موسىٰ: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢٤] ففي السمواتِ والأرضِ وما بينهما من الآياتِ ما يُوجبُ الإيقان للموقنين، فقال فرعونُ لمَنْ حولَه ساخراً مستهزئاً بموسىٰ: ألا تستمعون، فذَكَّرَهُ موسىٰ بأصْله، وأنه مخلوقٌ من العدم وصائرٌ إلىٰ العَدَم، كما عُدِمَ آباؤه الأولون، فقال موسىٰ: ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: ٢٦] وحينئذٍ بُهِتَ فرعونُ فادعىٰ دَعْوَىٰ المكابر المغبون، فقال: إن رسولَكم الذي أُرسِلَ إليكم لمَجنونٌ. فطعَنَ بالرسولِ والمرسِل، فرد عليه موسىٰ ذلك وبيَّنَ مَنِ له أن الجنون إنما هو في إنكار الخالق العظيم ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الشعراء: ٢٨] فلما عجزَ فرعونُ عن ردِّ الحقِّ لجأ إلىٰ ما يلجأ إليه العاجزون المتكبرون من الإرهاب، فتوَعَّدَ موسىٰ بالاعتقالِ والسَّجْنِ والعذاب فقال: لئن اتَّخَذْتَ إلهاً غيري لأجْعَلنَّكَ من المسجونين، ولم يقل لأسجننك ليزيدَ في إرهابِ موسىٰ، وأنَّ لدى فرعون من القوةِ والسلطان والنفوذ ما مَكَّنَه من سَجْنِ الناس، الذين سيكونُ موسىٰ من جملتهم علىٰ حَدِّ تهديدِه وإرهابه، وما زالَ موسىٰ ﷺ يأتي بالآياتِ كالشمس، وفرعونُ يحاولُ بكلِّ جُهودِه، ودِعاياتِه أن يَقْضِيَ عليها، بالردِّ والطمسِ، حتىٰ قال لقومه: ﴿يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن

تَحۡتِيٓۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ۝٥١ أَمۡ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٞ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ۝٥٢ فَلَوۡلَآ أُلۡقِيَ عَلَيۡهِ أَسۡوِرَةٞ مِّن ذَهَبٍ أَوۡ جَآءَ مَعَهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مُقۡتَرِنِينَ ۝٥٣ فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ۝٥٤ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝٥٥ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ سَلَفٗا وَمَثَلٗا لِّلۡأٓخِرِينَ ۝٥٦﴾ [الزخرف: ٥١-٥٦] وكان من قصةِ إغراقِهم أنّ اللهَ أوحىٰ إلىٰ موسىٰ أن يُسْرِيَ بقومِه ليلاً من مِصْرَ، فاهتم لذلك فرعونُ اهتماماً عظيماً فأرسلَ في جميعِ مدائن مصرَ أن يُحشَرَ الناسُ للوصول إليه، لأمرٍ يُريدُه اللهُ، فجمعَ فرعونُ قومَه وخرج في إثْرِ موسىٰ مَتَّجِهين إلىٰ جهة البحر الأحمر، فلما تراءىٰ الجمعان، قال أصحابُ موسىٰ: إنا لمُدْرَكون، البحرُ أمامَنا فإن خُضْنَاه غَرِقْنا، وفرعونُ وقومُه خَلْفَنا فإن وَقَفْنا أَدرَكَنا، فقال موسىٰ: كلاَّ إنكم لَسْتُم مُدْرَكين، إن مَعِيَ رَبِّي سيهدين، فلما بلغَ البحر أمرَه الله أن يضربَ بعصاه، فضربَه فانفلقَ البحرُ اثْني عشرَ طريقاً، وصار الماءُ السَّيالُ بين هذه الطرق كأطواد الجبال، فلما تكاملَ موسىٰ وقومُه خارجين وتكامل فرعونُ وجنودُه داخلين أمرَ اللهُ البحرَ أن يعودَ إلىٰ حالته، فانطبقَ علىٰ فرعونَ وجنودِه فكانوا من المُغرقين، فانظروا رحِمَكم الله إلىٰ ما في هذه القصةِ من العبرِ والآياتِ، كيف كان فرعونُ يقتلُ أبناءَ بني إسرائيل خوفاً من موسىٰ، فتربَّىٰ موسىٰ في بيتِه تحت حِجْرِ امرأته، وكيف قابلَ موسىٰ هذا الجبارَ العنيدَ مُصَرِّحاً معلناً بالحقِّ هاتفاً به ألا إن ربكم هو الله رب العالمين، فأنجاه الله منه، وكيف كان الماءُ

السَّيَّالُ شيئاً جامداً بقدرةِ الله، وكان الطريقُ يَبَساً لا وحل فيه في الحال، وكيف أهلَك اللهُ هذا الجبارَ العنيدَ بمثلِ ما كان يفتخرُ به، فقد كان يفتخرُ بالأنهارِ التي تجري من تحتِه فأُهْلِكَ بالماء، ولا شك أن ظهورَ آياتِ الله في مخلوقاته نعمةٌ كبرىٰ يستحقُّ عليها الحمدَ والشكرَ خصوصاً إذا كانت في نصر أولياءِ اللهِ وحِزْبه، ودَحْرِ أعداءِ الله وحزب الشيطان، ولذلك لما قَدِمَ النبيُّ ﷺ المدينةَ وجدَ اليهود يصومون اليومَ العاشرَ من شهرِ الله المُحَرَّم، ويقولون: إنه يومٌ نجَّىٰ اللهُ فيه موسىٰ وقومَه وأهلك فرعون وقومَه، فصامه موسىٰ شكراً. فقال النبيُّ ﷺ: «**فنحنُ أحقُّ بموسىٰ منكم**»[1] فصامَه وأمرَ بصيامِه، وسُئِلَ عن فضلِ صيامِه فقال: «**أحتِسبُ علىٰ اللهِ أن يُكَفِّرَ السنةَ التي قبلَه**»[2]، فينبغي للمسلم أنْ يصومَ يومَ عاشوراء، وكذلك اليوم التاسع لتحصُلَ بذلك مخالفةُ اليهودِ التي أمرَ الرسولُ ﷺ بها.

أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

(١) أخرجه البخاري (٢٠٠٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه مسلم (١١٦٢) من حديث أبي قتادة رضي الله عنه.

كيف ينظر العبد إلىٰ نعم الله؟

الحمدُ لله اللطيفِ بعبادِه فيما يجري به المقدورِ المدبَّر لهم بحكمتِه وعِلمه في الميسورِ والمعسورِ، الذي فاضل بينهم في الذواتِ والصفاتِ وجميعِ الأمورِ، ليبلوهم أيُّهم أحسنُ عملاً وهو العزيزُ الغفورُ، وأشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله وحدَه لا شريكَ له في التقدير والتدبير، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه الذي فاق جميعَ الخَلْقِ في الصبرِ علىٰ الضرّاء والشكرِ عند السرور، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ علىٰ ممرِّ الأيامِ والدهور وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها المؤمنون: اتقوا الله تعالىٰ الذي خلقكم ورزقَكُم وعافاكم وأنعم عليكم بالنِّعم الظاهرةِ والباطنةِ، وأولاكم، فإن المؤمنَ لا يزالُ في نعمةِ الله، إن أصابته ضرّاء صبرَ فكان خيراً له، وإن أصابته سرّاء شكَرَ فكان خيراً له، وعليكم بالقناعةِ فإنها كنزٌ لا ينفد وذُخرٌ لا يفنىٰ، فهي غنىٰ بلا مال وعزّ بلا جنود ولا رجال.

فالقناعةُ أن يرضىٰ الإنسانُ بما قدَّرَ اللهُ له وأن ينظرَ إلىٰ من هو أدنىٰ منه في العافيةِ والمالِ والأهلِ فإنَّ ذلك أقربُ إلىٰ معرفةِ النعمةِ وشُكرها. ولا تنظروا إلىٰ مَن هو فوقكم في هذه الأشياء فإن ذلك يؤدي إلىٰ القلق وكُفران النعماء، فالمُعافىٰ في بدنِه أو مالِه أو أهلِه ينظرُ إلىٰ من ابتلي بشيءٍ منها ليعرف قدر نعمةِ الله عليه، وإذا كان

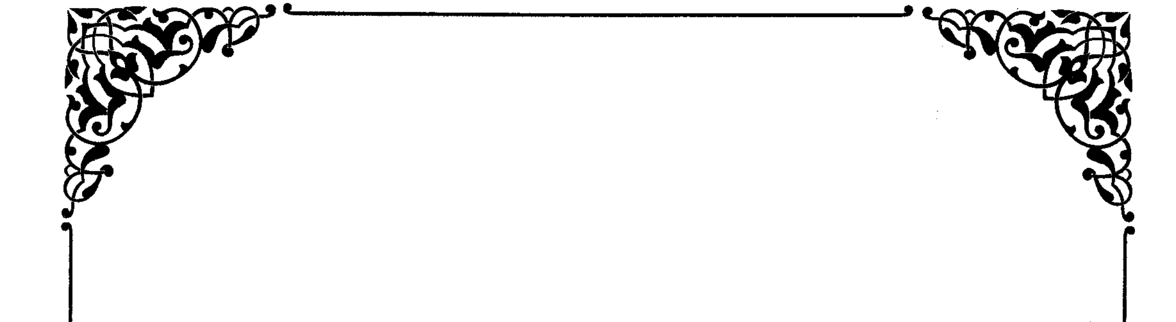
هو مُبتلىٰ بشيءٍ من ذلك فلينظر إلىٰ من هو أعظم ابتلاءً منه، فإنه ما من مصيبةٍ تُصيبُ العبدَ إلا وفي الوجودِ ما هو أعظمُ منها، فإذا كان غنياً فلينظر إلىٰ الفقيرِ، وإذا كان فقيراً فلينظر إلىٰ من هو أفقر منه مما لا يملك الفتيل ولا القطمير، ومهما أصيبَ المؤمنُ في شيءٍ من دنياه فإن ذلك ليس بشيءٍ عند سلامةِ دينهِ الذي هو عصمةُ أمرِه في دنياه وأخراه، فدينُ الإسلامِ ولله الحمد هو الكسبُ الذي نعتزُّ به ونفاخِرُ، وهو الذُّخرُ الذي نعدُّه لليومِ الآخرِ. الدين هو التجارةُ التي تُنجي من العذابِ الأليمِ وتُقرِّب العبدَ إلىٰ المولىٰ الرحيم.

فيا أيها المبتلىٰ: اصبر علىٰ البلوىٰ واذكر مَن هو أعظم منك وأكثر ضرراً، ثم انظر إلىٰ ما أنعمَ اللهُ به عليك من الإيمان واستعن به علىٰ مقاومةِ المصائبِ بالصبرِ ومقابلة النعم بالشكران.

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

بارَكَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *



القسم الخامس عشر

التاريخ وفضائل بعض الشهور والأيام ووداع العام







التأريخ بالهجرة النبوية

إنَّ الحمدَ للهِ نحمَدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، مَنْ يهدِه اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَادِيَ له. وأشهدُ أن لا إلٰهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أرسله بين يَدَيِ الساعةِ بشيراً ونذيراً وداعياً إلىٰ اللهِ بإذنه، وسراجاً منيراً، فبلَّغَ الرسالةَ، وأدَّىٰ الأمانة، ونَصَحَ الأمةَ وجاهد في اللهِ حقَّ جهادِه، فصلواتُ اللهِ وسلامُه عليه، وعلىٰ آلِه وأصحابِه، ومَنْ تَبِعَهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدينِ، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، **أيها الناسُ**: فإننا هذه الأيامِ نستقبلُ عاماً جديداً إسلامياً هجرياً ابتدأ عَقْدُ سنواتِه من أجْلِ مناسبةٍ في الإسلامِ ألا وهي هجرةُ النبيِّ ﷺ التي ابتدأ بها تكوينُ الأمةِ الإسلاميةِ في بلدٍ إسلاميٍّ مستقلٍّ يحكمُه المسلمون، ولم يكن التأريخ السنويُّ معمولاً به في أولِ الإسلامِ، حتىٰ كانت خلافةُ عُمَرَ بْنِ الخطاب رضي اللهُ عنه، ففي الثالثةِ أو الرابعةِ من خلافتِه رضي اللهُ عنه، كتب إليه أبو موسىٰ الأشعريُّ رضِيَ اللهُ عنه، أنه يأتينا منك كُتُبٌ ليس لها تاريخٌ، فجمع عمرُ الصحابةَ رضِيَ اللهُ عنهم فاستشارهم، فيقال إن بعضَهم قال: أرّخوا كما تُؤَرِّخُ الفرسُ بملوكِها، كُلَّما هلَكَ مَلِكُ أرَّخوا بولايةِ مَنْ بعدَه، فكرِه الصحابةُ ذلك، فقال

بعضُهم: أَرِّخُوا من مولدِ النبيِّ ﷺ، وقال آخرون: من مَبْعثِه، وقال آخرون: من مُهَاجَرِ، فقال عُمَرُ: الهجرةُ فرَّقَتْ بينَ الحقِّ والباطلِ فأرِّخُوا بها، فأرَّخوا من الهجرةِ واتفقوا علىٰ ذلك، ثم تشاوروا من أيِّ شهرٍ يكونُ ابتداءُ السنةِ، فقال بعضُهم: من رمضانَ لأنه الشهرُ الذي أُنزِلَ فيه القرآنُ، وقال بعضُهم من ربيعِ الأولِ لأنه الشهرُ الذي قدم فيه النبيُّ ﷺ المدينةَ مهاجراً، واختار عمرُ وعثمانُ وعليٌّ أن يكونَ من المُحَرَّمِ، لأنه شهرٌ حرامٌ يلي شهرَ ذي الحجةِ، الذي يؤدي المسلمون فيه حَجَّهم الذي به تمامُ أركانِ دينِهم، والذي كانت فيه بيعةُ الأنصارِ للنبيِّ ﷺ، والعزيمةُ علىٰ الهجرةِ، فكان ابتداءُ السنةِ الإسلاميةِ الهجريةِ من الشهرِ المُحَرَّمِ الحرامِ.

أيها المسلمونَ: إنَّ من المؤسف حقاً أن يَعْدِلَ أكثر المسلمين اليومَ عنِ التاريخِ الإسلاميِ الهجريِ إلىٰ تاريخِ النصارىٰ الميلادي الذي لا يَمُتُّ إلىٰ دينِهم بصلةٍ، ولئن كان لبعضِهم شبهةٌ من العُذْرِ حين استعمرَ بلادَهم النصارىٰ وأرغموهم علىٰ أن يَتَنَاسَوْا تاريخَهم الإسلاميَ الهجريَ، فليس لهم الآنَ أيُّ عُذْرٍ في البقاءِ علىٰ تاريخِ النصارىٰ الميلادي، وقد أزال اللهُ عنهم كابوسَ المستعمرين وظلمَهم وغشمهم، ولقد سمعتم ما قِيلَ من أن الصحابةَ رضي اللهُ عنهم كَرِهُوا التأريخ بتاريخ الفرسِ والرومِ.

أيها المسلمونَ: إننا هذه الأيام نستقبلُ عاماً جديداً إسلامياً هجرياً شهورُه الشهورُ الهلاليةُ التي قال اللهُ تعالىٰ عنها في كتابِه

المبين ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ﴾ [التوبة: ٣٦]. الشهورُ التي جعلها اللهُ تعالىٰ مواقيتَ للعالَمِ كلِّهم، قال اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ ﴾ [البقرة: ١٨٩]. مواقيتُ للناسِ كلِّهم بدونِ تخصيصٍ، لا فرقَ بين عَرَبٍ وعَجَمٍ، ذلك لأنها علاماتٌ محسوسةٌ ظاهرةٌ لكلِّ أحدٍ، يُعْرَفُ بها دخولُ الشهرِ وخروجُه، فمتىٰ رُؤِيَ الهلالُ من أولِ الليلِ، دخل الشهرُ الجديدُ، وخرج الشهرُ السابقُ. ليست كالشهورِ الإفرنجيةِ شهوراً وهميةً غَيْرَ مبنيةٍ علىٰ مَشْرُوعٍ، ولا معقولٍ، ولا محسوسٍ، بل هي شهورٌ اصطلاحيةٌ مختلفةٌ، بعضُها واحدٌ وثلاثون يوماً وبعضُها ثمانيةٌ وعشرون يوماً، وبعضُها بين ذلك لا يُعْلَمُ لهذا الاختلاف سببٌ حقيقيٌ معقولٌ، أو محسوسٌ، ولهذا طُرِحَتْ مشروعاتٌ في الآونةِ الأخيرةِ، لتغييرِ هذه الأشهرِ علىٰ وجهٍ منضبطٍ لكنها عُورِضَتْ من قبلِ الأحبارِ والرهبانِ.

فتأملْ أيها المسلمُ كيف يُعَارِضُ رجالُ دِينِ اليهودِ والنصَارىٰ في تغييرِ أَشْهُرٍ وهميةٍ مختلفةٍ إلىٰ اصطلاحٍ أَضْبَطَ، لأنهم يعلمون ما لذلك من خَطَرٍ، ورجالُ دينِ الإسلامِ ساكتون بل مُقِرُّونَ لتغييرِ التوقيت بالأشهرِ الإسلاميةِ، بل العالميةِ التي جعلها اللهُ لعبادِه، حيث عَدَلَ عنها المسلمون أكثرُهم إلىٰ التوقيتِ بالشهورِ الإفرنجيةِ. وقد سُئِلَ الإمامُ أحمدُ رحِمَه اللهُ فقيل له: إن للفرسِ أياماً وشهوراً،

يسمونها بأسماء لا تُعْرَفُ، فكَرِهَ ذلك أشدَّ الكراهيةِ، ورُوِيَ عن مجاهدٍ أنه كان يَكْرَهُ أن يُقالَ آذارماه.

وإن مِنْ دواعي السرورِ والاغتباطِ، أنْ كانتِ المادةُ الأولىٰ من النظامِ الأساسيِّ للحُكْمِ في هذه المملكةِ التي نسألُ اللهَ أن يَحْرُسَها بدينه ويحرس دينه بها، أن دينَها الإسلامُ، ودستورَها كتابُ اللهِ تعالىٰ وسنةُ نبيهِ ﷺ، ولغتُها هي اللغةُ العربيةُ، أما المادةُ الثانيةُ عِيَدا الدولةِ هما عيدُ الفطرِ والأضحىٰ، وتقويمُها هو التقويمُ الهجريُّ.

أيها المسلمونَ: إننا هذه الأيام نستقبلُ عاماً جديداً إسلامياً هجرياً ليس من السُّنةِ أن نُحْدِثَ عيداً لدخولِه، أو نعتادَ التهانِيَ ببلوغِه، فليست الغبطةُ بكثرةِ السنينَ، وإنما الغبطةُ بما أمضاه العبدُ منها في طاعةِ مولاه، فكثرةُ السنينَ خَيْرٌ لمن أمضاها في طاعةِ ربِّه، شَرٌّ لمَنْ أمضاها في معصيةِ اللهِ والتمردِ علىٰ طاعتِه، وشرُّ الناسِ مَنْ طالَ عمرُه وساء عملُه. إنَّ علينا أن نستقبلَ أيامَنا وشهورَنا وأعوامنا بطاعةِ ربِّنا ومحاسبةِ أنفسِنا وإصلاحِ ما فسَدَ من أعمالِنا، ومراقبةِ مَنْ وَلاّنا اللهُ تعالىٰ عليه، من الأهلِ من زوجاتٍ وأولادٍ بنينَ وبناتٍ وأقاربَ.

فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ، وقوموا بما أنتم به معنيون وعنه يومَ القيامة مسؤولون، قوا أنفسَكم وأهليكم ناراً وقودُها الناسُ والحجارةُ، قوموا بذلك علىٰ الوجهِ الأتمِ الأكملِ، أو علىٰ الأقلِّ بالواجب، واعلموا أنَّ أعضاءكم ستكونُ عليكم بمنزلةِ الخصومِ يومَ القيامةِ،

يومَ يُخْتَمُ علىٰ الأفواه وتكلَّمُ الأيدِي والأرجلُ بما كَسَبَ الإنسانُ، قال اللهُ تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٢٠ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٢١ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ۝٢٢ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [فصلت: ٢٠-٢٣].

عبادَ اللهِ: إنَّ كُلَّ عامٍ يَجِدّ، يَعِدُ المرءُ نفسَه بالعزيمةِ الصادقةِ والجِدِّ، ولكن تمضي عليه الأيامُ، وتنطوي الساعاتُ، وحالُه لم تتغيرْ إلىٰ أَصْلَحَ، فيبوء بالخيبةِ والخُسرانِ، ثم لا يفلحُ ولا ينجح، فاغتنموا الأوقاتَ عبادَ اللهِ، بطاعةِ اللهِ، وكونوا كُلَّ عامٍ أصْلحَ من العامِ الذي قبلَه، فإنَّ كُلَّ عامٍ مرَّ بكم يُقَرِّبُكم من القبورِ عاماً ويُبْعِدُكم عن القصورِ عاماً، يُقربُكم من الانفرادِ بأعمالِكم، ويبعدُكم من التمتعِ بأهليكم وأولادِكم وأموالِكم.

عبادَ اللهِ: واللهِ ما قامت الدنيا إلا بقيامِ الدين، ولا نال العزَّ والكرامةَ والرفعةَ إلا مَنْ خَضَعَ لربِّ العالمين، ولا دام الأمنُ والطمأنينةُ والرخاءُ، إلا باتباعِ منهجِ المرسلين، ولئن استمرت زَهْرةُ الدنيا مع المعاصِي والانحرافِ، إن ذلك لاستدراجٌ يَعقُبه الإهلاكُ والإتلافُ، فاعتصموا بطاعةِ اللهِ عن عقوبتِه، وتوبوا إلىٰ اللهِ جميعاً أيها المؤمنون، لعلكم تفلحون.

اللهم إنا نسألُك بانا نشهدُ أنك أنت اللهُ لا إلٰهَ إلا أنت، الأحدُ الصمدُ، الذي لم يَلِدْ ولم يُولَدْ، ولم يَكُنْ له كُفُواً أحدٌ، يا مَنَّانُ، يا بديعَ السمٰواتِ والأرضِ، ياذا الجلالِ والإكرام، يا حَيُّ يا قَيُّومُ، نسألكُ أنْ تجعلَ عامَنا هذا وما بعدَه عامَ أمنٍ وطمأنينةٍ، عامَ علمٍ نافعٍ وعَمِلٍ صالحٍ، عاماً تُسْبِغُ به علينا نِعَمَك وترزقُنا شكرها، عاماً تصلحُ به وُلاةَ أمورِنا ورَعِيتَنا، عاماً تيسرنا فيه للهُدَىٰ، وتُيَسِرُ الهُدَىٰ لنا إنك جوادٌ كريمٌ، رؤوف رحيم.

* * *

التوقيت

الحمدُ للهِ الذي خلقَ كلَّ شيءٍ فقدَّره تقديراً، وأتقن الشرائعَ والمخلوقاتِ حكمةً وتدبيراً. وأشهد أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، وكان اللهُ علىٰ كل شيء قديراً. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المبعوثُ رحمةً للعالمين، بشيراً ونذيراً وداعياً إلىٰ اللهِ بإذنهِ وسراجاً منيراً. صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابه، والتابعين لهم بإحسانٍ، وسلَّم تسليماً كثيراً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واعتبروا بتعاقبِ الليالي والأيامِ والشهورِ والأعوامِ. فإنَّ اللهَ جعلها خزائنَ للأعمالِ ومراحلَ للآجالِ يقطعها الناسُ مرحلةً مرحلةً حتىٰ تنتهيَ إلىٰ آخرِ سفرِهم وخواتمِ أجلِهم، جعلها اللهُ خِلْفةً لمن أراد أن يَذَّكَّرَ، أو أراد شُكُوراً. ومن رحمتهِ جعل لكم الليلَ والنهارَ لتسكنوا فيه، ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون، ولو كان الليلُ سرمداً ما استطاع الخلقُ أنْ يأتوا بالنهارِ، ولو كان النهارُ سرمداً ما استطاعوا أن يأتوا بالليلِ، جعل اللهُ لكلٍّ منهما آيةً. فآيةُ الليلِ القمرُ، وآيةُ النهارِ الشمسُ ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَۚ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا﴾ [الإسراء: ١٢].

فلا ميزان للحسابِ أعدلُ من الميزانِ الذي وضعه اللهُ، ولا توقيتَ أضبطُ من توقيتِ اللهِ. جعلَ اللهُ السَّنةَ اثْنَيْ عشَرَ شهراً، لا تزيدُ ولا

تنقصُ ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾ [التوبة: ٣٦]. وهذه الشهورُ الاثنا عشر هي: المحرم، وصفر، والربيعان، والجماديان، ورجب، وشعبان، ورمضان، وشوال، وذو القَعدةِ، وذو الحِجةِ. والحُرُمُ منها: رجب، وذو القعدة، وذو الحجة. والمحرم، هذه هي الشهور التي وضعها اللهُ مواقيتَ لعبادِه، لحسابِهم وعباداتِهم ومعاملاتِهم.

وجعل لها علاماتٍ حسيةً يعلمها الخاصُّ والعامُّ، والحاسبُ وغيرُ الحاسبِ. قمراً يقطعُ أُفُقَ السماءِ مرحلةً مرحلةً، حتىٰ يعودَ من حيثُ بَدَا ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ﴾ [البقرة: ١٨٩]. فمتىٰ رُؤِيَ الهلالُ في المغربِ بعدَ الغروبِ، فقد دخل الشهرُ المستقبلُ، وانتهىٰ الشهرُ السابقُ له. فالغروبُ حدٌّ فاصلٌ بينَ الشهرين السابقِ واللاحقِ وحدٌّ فاصلٌ بين الليلِ والنهارِ. ويتميزُ به أحدُهما عن الآخرِ، ويعرفُه الخاصُّ والعامُّ بعلامةٍ بيّنةٍ ظاهرةٍ، وهي الشمسُ. فمتىٰ غَرَبَتْ الشمسُ انتهىٰ النهارُ وبدأ الليلُ. ومتىٰ شَرَقت أو طلَعَ الفجرُ انتهىٰ الليلُ وبدأ النهارُ.

فالتوقيتُ اليوميُّ البيّنُ لكل أحد، المنضبطُ علىٰ وجه الدقةِ مربوطٌ بالغروبِ. فالشهرُ ينتهي بغروبِ الشمس، ويدخلُ الذي يليه، والنهارُ ينتهي بغروبِ الشمسِ، ويدخل الليلُ. قال الله تعالىٰ: ﴿ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ﴾ [البقرة: ١٨٧]. وقال تعالىٰ في بيانِ أيامِ الصيامِ المفروضةِ: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وقد أجمعَ المسلمون إلىٰ اليوم أنَّ شهرَ رمضانَ يدخلُ بغروب الشمسِ من ليلةِ رؤيةِ هلالِه، ويخرجُ بغروبِ الشمسِ من ليلةِ رؤيةِ هلالِ شوالٍ، كما أجمعوا علىٰ أن مُنْتَهىٰ صيامِ اليومِ غروبُ الشمسِ لا زوالُها.

فاشكروا اللهَ أيها المسلمون علىٰ نعمتِه عليكم بما جعل لكم من علاماتٍ، وآياتٍ بيناتٍ لحسابكم ومواقيتِكم. ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ يُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ٥].

أيها المسلمون: إنَّ شهرَنا هذا أحدُ الأشهرِ الأربعةِ الحُرُمِ، وهو أولُ شهورِ السنةِ الإسلاميةِ المبدوءةِ بسَنةِ الهجرة النبويةِ. وكان أولُ ابتداء هذا التأريخِ في زمنِ أميرِ المؤمنين عُمَرَ بْنَ الخطابِ رضي اللهُ عنه، حيث جمع الناسَ في السنةِ السادسةَ عشرةَ أو السابعةَ عشرةَ. فاستشارهم من أين يبدأ التاريخُ؟ فقال بعضُهم: من مولدِ النبيِّ ﷺ، وقال آخرون: من بعثتِه، وقال آخرون: من هجرتِه، فقال عمرُ: الهجرةُ فرَّقَتْ بين الحقّ والباطلِ فأرّخُوا بها، فكانت سنةُ الهجرةِ مبدأَ التاريخِ السنويِّ في الإسلامِ، لأنها السنةُ التي قامت فيها الدولةُ الإسلاميةُ، في بلدٍ مستقلٍ يسيطرُ عليه المسلمون. فاتفق فيها ابتداءُ الزمانِ والمكانِ الإسلاميِّ.

ثم استشار عمرُ رضي اللهُ عنه الصحابةَ بعدَ اعتمادهم علىٰ ابتداء السنين من الهجرة، من أيِّ شهرٍ يكون ابتداءُ السنةِ؟ فقال

بعضُهم: من ربيعِ الأولِ، لأنه الشهرُ الذي قَدِم فيه النبيُّ ﷺ المدينة مُهَاجِراً. وقال آخرون: من رمضانَ، لأنه الشهرُ الذي أُنزِلَ فيه القرآنُ، ولكنَّ عُمَرَ وعُثْمانَ وعلياً، رَضِيَ اللهُ عنهم، اختاروا أن يكونَ المبدأُ من المُحُرَّمِ، لأنه من الأشهرِ الحُرُمِ، ويلي شهرَ ذي الحجةِ الذي يؤدي فيه الناسُ حَجَّهم. وكان يلي الشهرَ الذي تمت فيه بيعةُ الأنصارِ للنبيِّ ﷺ، فكان أولىٰ أن يُبْدَأَ به.

فبدأ المسلمونَ التاريخَ الإسلاميَّ من هجرةِ النبيِّ ﷺ في السنين، ومن شهرِ المحرمِ في الشهورِ، فكان لهم ـ وللهِ الحمدُ ـ تاريخٌ مستقلٌّ مبنيٌّ علىٰ مناسباتٍ إسلاميةٍ عظيمةٍ، وعلىٰ علاماتٍ بيّنةٍ ظاهرةٍ خلَقها اللهُ لذلك. وهكذا ينبغي للأمةِ الإسلاميةِ أن يكونَ لها كِيانٌ مستقلٌّ تتميزُ به عن غيرِها، لأن دينَ الإسلامِ أقوىٰ دِينٍ علىٰ وجْهِ الأرضِ، وأكملُ دِينٍ نزل من السماءِ. فلو تمسكتْ به الأمةُ الإسلاميةُ كما ينبغي لها أن تتمسكَ، لكانت أقوىٰ أُمةٍ علىٰ وجه الأرضِ في التمكينِ والعزةِ والنصرةِ. كما كان دينُها أقوىٰ الأديان وأكملَها، ولكنَّ الأمةَ الإسلاميةَ تفرقت شِيَعاً واعترت بغيرها. وأصبحت أُمةً تُرِيدُ الدنيا كما يُرِيدُها غيرُهم فكانوا لغيرِهم تَبَعاً، وتحتَ سيطرتِهم أذلةً.

نسألُ اللهَ تعالىٰ، أنْ يعيد للأمة الإسلامية مجَدها وعزتها، وأنْ يُعرِّفها بدينها الحقّ ويرزقها الرغبة فيه والزهادةَ فيما خالفه، إنه جوادٌ كريمٌ.

أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيمُ.

الأعياد في الإسلام

الحمدُ لله فاطر السمٰوات والأرض لحكمٍ بالغةٍ وأسرار، الذي جعل الليلَ والنهارَ خِلفةً لمن أراد الشكر والإذكار، ونشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا الله، الملك العزيزُ الغفارُ. ونشهدُ أنَّ محمداً عبده ورسوله، المصطفىٰ وخليلُه المجتبىٰ. صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه ومن بهداهم اقتدىٰ، وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا الله تعالىٰ، واعلموا أنه الحكيم في خلقه وأمره. فلم يخلق شيئاً من مخلوقاته عبثاً، ولم يترك عباده غفلاً عن أوامره وهملاً. ولكنه خلق المخلوقات لحكمٍ بالغةٍ، وأسرارٍ عظيمةٍ منها ما يعرفه الناس، ومن الحكم ما لا يعلمه إلا الله. كذلك شرع الله للعباد من العبادات ما تستقيم به أمورُ دينهم ودُنياهم، وما تصلح عليه مجتمعاتهم وشعوبهم وأفرادهم.

فمن ذلك الأعياد التي تتكرر علىٰ العباد. إما في الحول، وإما في الأسبوع، عقب المناسبات الشرعية العظيمة. فعيد الفطر يعقب أداء ركن من أركان الإسلام، وهو صيام رمضان. فإذا اغتبطوا بنعمة الله بإتمام الصيام، اغتبطوا في يوم العيد، بما أحلَّ الله لهم من النكاح والشراب والطعام. وظهرت علىٰ المقبول منهم علائم البشر والسرور، والابتهاج والحبور.

وعيد الأضحىٰ يكون بمناسبة أداء ركن من أركان الإسلام، وهو حجُّ بيت الله الحرام. فالأعياد إذن لها مناسباتٌ شرعيةٌ تظهر في هذه علامات الفرح والسرور بأدائها، ويحصل بها من جوائز الله تعالىٰ بالمغفرة والرحمة، ما شاء الله لعباده.

ومن فوائد هذه الأعياد، اجتماعُ المسلمين علىٰ الصلاة، والذكر. وتجديد الروابط والمحبة والإلفة بينهم. فإن المحبة والإلفة بين المسلمين من أعظم ما يُصلح دينهم ودنياهم. ولذلك حثَّ الشارع عليها ورغب فيها. فقال النبيُّ ﷺ: «**مثلُ المؤمنينَ في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم، كمثلِ الجسدِ الواحد إذا اشتكىٰ منه عضوٌ تداعىٰ له سائرُ الجسدِ بالحمّىٰ والسهر**»(١). وقال: «**لا يؤمنُ أحدُكم حتىٰ يحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسِه**»(٢).

وامتنَّ اللهُ علىٰ المؤمنين بما أنعمَ به عليهم من الائتلاف بعد التفرق والعداوة، فقال: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [آل عمران: ١٠٣]. وقال النبيُّ ﷺ في معرض ما حصل لهم من فوائد رسالته، قال لهم: «**ألم أجدكم**

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥) من حديث أنس رضي الله عنه.

ضُلالاً فهداكُم الله بي فقالوا: الله ورسوله أمنّ ـ أي أعظم منة وأكبر ـ وكنتم متفرقين فألفكم الله بي. فقالوا: الله ورسوله أمنّ»[١].

وكما جاء الشرع بالحثِّ علىٰ الاجتماع والتآلف وعدم التفرق والتباغض فقد جاء كذلك بالتحذير العظيم مما يوجب الفرقة والبغضاء. فقال ﷺ: «**لا يحلُّ للرجل أن يهجرَ أخاه فوقَ ثلاثٍ يلتقيان فيُعرض هذا، ويُعرض هذا وخيرهُما الذي يبدأ بالسلام**»[٢].

«**تفتحُ أبوابُ الجنةِ يومَ الاثنين ويومَ الخميس، فيُغفر لكلِّ عبدٍ لا يُشرك بالله شيئاً، إلا رجلاً كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال انظروا هذين حتىٰ يصطلحا**»[٣].

«**لا تجسسوا ولا تناجشوا، ولا تحاسدوا ولا تباغضوا، ولا تدابروا. وكونوا عبادَ اللهِ إخوانا**»[٤].

فالأعياد أيها المسلمون مع ما فيها من المصالح الدينية والأجر والثواب، والعبادات الخاصة التي لا تكون فيها هي أيضاً مصالح اجتماعية للمسلمين.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣٣٠)، ومسلم (١٠٦١) من حديث عبد الله بن زيد رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٧٧)، ومسلم (٢٥٦٠)، وأبو داود (٤٩١٤) من حديث أبي أيوب وأبي هريرة رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٦٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري (٦٠٦٥)، ومسلم (٢٥٦٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وقد جمعَ اللهُ لنا في هذه السنة عيدين متوالين. عيد العام، وعيد الأسبوع. ففي الأمس كان عيد الأضحىٰ، وفي اليوم كان عيد الجمعة. فنسألُ اللهَ تعالىٰ، أنْ لا يحرمنا أجرهما وثوابهما ومصالحهما.

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ۝٧ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [التين: ٧-٨].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيمُ.

* * *

خصائصُ يوم الجمعة

الحمدُ للهِ الذي جعلَ يومَ الجُمُعةِ أفضلَ أيامِ الأسبوعِ، وجعلَه عيداً للأيامِ، فاختصه اللهُ بخصائصَ جليلةٍ، لِيَعْرِفَ الناسُ قَدْرَه، فيقوموا به علىٰ الوجهِ المشروعِ. وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، منه المبدأُ وإليه الرجوعُ. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أَهْدَىٰ داعٍ، وأَجَلُّ متبوعٍ، صلَّىٰ اللهُ عليه، وعلىٰ آله وأصحابه، والتابعين لهم بإحسان، في الهُدَىٰ والتُّقَىٰ والخُضُوعِ، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واعلموا أَنَّ للهِ الأمرَ كُلَّه، وبيدِه الخيرَ كُلَّه، يَخْلُقُ ما يشاءُ ويختارُ، واللهُ ذو الفضل العظيم. واشكروا نعمةَ اللهِ عليكم، بما خَصَّكم به من الفضائلِ التي لم تَكُنْ لأحدٍ من الأُمم سِواكم، خَصَّكُم بهذه الملةِ الحنيفية السَّمْحَةِ، أَكْمَلِ المِلَلِ وأَتَمِّها وأَقْوَمِها بمصالحِ العبادِ إلىٰ يومِ القيامة. ومما خَصَّكُم به من الفضائلِ، هذا اليومُ يومُ الجُمُعةِ الذي ضَلَّ عنه اليهودُ والنصارَىٰ، وهَدَاكُم له، فكان الناسُ تَبَعاً لكم مَعَ سَبْقِهم في الزمنِ، فكان لليهودِ يومُ السبتِ، وللنصارىٰ يومُ الأحدِ، قال النبيُّ ﷺ: **«ما طَلعَتِ الشمسُ، ولا غَرَبَتْ علىٰ يومٍ خَيْرٍ من يومِ الجُمُعة»**[١].

---

(١) أخرجه أحمد ٢/٥١٨، والترمذي (٣٣٣٩)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٩٩٢٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

هدانا اللهُ له وضلَّ الناسُ عنه، فالناس لنا فيه تبعٌ، هو لنا، ولليهودِ يومُ السبتِ، وللنصارىٰ يومُ الأحدِ، وقد خصَّ اللهُ تعالىٰ هذا اليومَ بخصائصَ كونيةٍ، وخصائصَ شرعيةٍ.

فمن خصائصه الكونيةِ، ما ثَبتَ في الصحيحِ، من حديثِ أبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عنه أن النبيَّ ﷺ قال عن يوم الجُمُعةِ: «**فيه خُلِقَ آدمُ، وفيه أُدْخِلَ الجنةَ، وفيه أُخْرِجَ منها، ولا تقومُ الساعةُ إلا في يوم الجُمُعةِ**»(١) وفي هذا اليوم ساعةٌ لا يُوَافِقُها عبدٌ مسلمٌ، وهو قائمٌ يُصَلِّي فيسألُ اللهَ خيراً، إلا أعطاه إياه، وأَرْجَىٰ الساعاتِ ساعتُكم هذه ساعةُ الصلاةِ، والاجتماعِ عليها، ففي صحيحِ مسلمٍ عن أبي موسىٰ الأشعريِّ رَضِيَ اللهُ عنه أن النبيَّ ﷺ قال: «**هيَ ما بينَ أن يَجْلِسَ الإمامُ** (يعني علىٰ المنبرِ) **إلىٰ أن تُقْضَىٰ الصلاةُ**»(٢)، وكذلك ما بعدَ صلاةِ العصرِ، إلىٰ الغروبِ.

ومن خصائصِ هذا اليومِ الشرعيةِ، أنَّ فيه صلاةَ الجمعةِ التي دل الكتابُ والسنةُ علىٰ فَرْضِها، وأجمعَ المسلمون علىٰ ذلك، قال اللهُ تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٩ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ٩]. وقال النبي ﷺ: «**لَيَنْتَهِيَنَّ أقوامٌ عن**

---

(١) أخرجه مسلم (٨٥٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٨٥٣) من حديث أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه.

تَرْكِهِم الجُمُعاتِ، أو لَيَخْتِمَنَّ اللهُ علىٰ قُلُوبهم، فَلَيَكُونَنَّ من الغافلين»[١]. وقال: «**مَنْ تَرَكَ ثلاثَ جُمَعٍ تهاوناً طَبَعَ اللهُ علىٰ قلبِهِ**»[٢]. وقد خصَّ اللهُ تعالىٰ هذه الصلاةَ بخصائص تدل علىٰ أهميتِها والعنايةِ بها، فمن ذلك الغسلُ لها، قال النبيُّ ﷺ: «**غُسْلُ الجُمُعةِ واجبٌ علىٰ كل مُحْتَلِمٍ**»[٣]. وقال: «**إذا أتىٰ أحدُكم الجمعةَ فلْيغتسِلْ**»[٤]. ودخل عثمانُ بْنُ عفَّانَ ذاتَ جُمُعةٍ وأميرُ المؤمنين عُمَرُ بْنُ الخطابِ، يَخْطُبُ الناسَ فَعَرَّض به قال: ما بالُ رجالٍ يتأخرون بعدَ النداءِ، فقال عثمانُ: يا أميرَ المؤمنين ما زِدْتُ حين سمعتُ النداءَ أن تَوضَّأتُ ثم أَقْبَلْتُ. فقال عمرُ: والوضوءُ أيضاً ألم تسمعوا رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**إذا جاء أحدُكم إلىٰ الجُمُعةِ فلْيَغتسِلْ**» ومن خصائِص صلاةِ الجُمُعةِ، مشروعيةُ التطيُّبِ لها ولُبْسُ أَحْسَنِ الثيابِ. ففي الحديثِ عن النبيِّ ﷺ: «**مَن اغتسلَ يومَ الجمعةِ ومَسَّ مِنْ طِيْبٍ إن كان عندَه، ولَبِسَ أَحْسنَ ثيابِه، ثم خرجَ وعليه السكينةُ**

---

(١) أخرجه مسلم (٨٦٥) من حديث ابن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه أبو داود (١٠٥٢)، والنسائي ٣/ ٨٨، وفي الكبرىٰ (١٦٥٦)، وأحمد ٣/ ٤٢٤ من حديث أبي الجعد الضمري رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم (٨٤٦)، والبخاري (٨٥٧) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري (٨٧٧)، ومسلم (٨٤٤) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

حتىٰ يأتيَ المسجدَ ويركعَ إنْ بَدَا له ولم يُؤْذِ أحَداً، ثم أنصَتَ إذا خرجَ إمامُه، حتىٰ يُصَلِّيَّ، كانت كفارةً لما بينَها وبينَ الجمعةِ الأخرىٰ»[١]

ومن خصائص هذه الصلاةِ التبكير إليها. ففي الصحيحين عن أبي هريرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، أن النبيَّ ﷺ قال: «**مَنِ اغتسلَ يومَ الجمعة غُسْلَ الجنابةِ** (يعني مِثْلَ غُسْلِ الجنابةِ) **ثم رَاحَ فكأنما قَرَّبَ بَدَنةً، ومَنْ راحَ في الساعةِ الثانيةِ فكأنما قَرَّبَ بقرةً، ومَنْ راحَ في الساعةِ الثالثةِ فكأنما قَرَّبَ كَبْشاً أَقْرنَ، ومَنْ راحَ في الساعةِ الرابعةِ فكانما قَرَّبَ دجاجةً، ومَنْ راحَ في الساعةِ الخامسةِ فكأنما قَرَّبَ بيضةً، فإذا خرجَ الإمامُ حَضَرَتْ الملائكةُ يستمعون الذِّكْرَ**»[٢]، وفي رواية «**إذا كان يومُ الجمعةِ كان علىٰ كُلِّ بابٍ من أبوابِ المسجدِ ملائكةٌ يكتبون الأولَ فالأولَ، فإذا خرجَ الإمامُ أو جَلَسَ، طَوَوْا صُحَفَهم وجاؤوا يستمعون الذِّكْرَ**»[٣].

ومن خصائصِ هذه الصلاةِ، وجوبُ الحضورِ إليها علىٰ مَنْ تلزمُه من الرجالِ البالغين العقلاءِ، عند سماعِ الأذانِ لها، لقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ

---

(١) أخرجه البخاري (٨٨٣) من حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٨٨١)، ومسلم (٨٥٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٩٢٩)، ومسلم (٨٥٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ﴾ [الجمعة: ٩]. فلا يجوزُ التشاغلُ بعدَ الأذانِ الثاني، ببيعٍ ولا شراءٍ ولا غيرِهما، ولا يصِحُّ شَيْءٌ من العُقودِ الواقعةِ مِمَّنْ يلزمُه الحضورُ حتىٰ ولو كان في طريقِه إلىٰ المسجدِ.

ومن خصائصِ هذه الصلاةِ، وجوبُ تقدُّمِ خُطْبَتينِ يتضمنانِ موعظةَ الناسِ بما تقتضيه الحال، ووجوبُ استماعِ هاتين الخطبتين، علىٰ كُلِّ مَنْ يلزمُه الحضورُ. لقولِ النبيِّ ﷺ: «**إذا قُلْتَ لصاحبِك: أَنْصِتْ يومَ الجمعةِ والإمامُ يخطُبِ فقد لَغَوْتَ**»[1]. ورُوِي عنه ﷺ أنه قال: «**مَنْ تكلَّمَ يومَ الجمعة والإمامُ يخْطُبُ فهو مِثلُ الحمارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً، والذي يقولُ له أَنْصِتْ ليست له جمعةٌ**»[2]. أي أنه يُحْرَمُ من ثوابِ الجُمُعةِ، وإن كان لا تلزمُه الإعادةُ، فلا تُكَلِّمْ أحداً والإمامُ يخطبُ، لا بسلامٍ ولا بِرَدِّ سلامٍ، ولا بِتَشْمِيتِ عاطِسٍ ولا غيرِ ذلك، إلا مَنْ كَلَّمَ الخطيبَ، أو كَلَّمَه الخطيبُ لحاجةٍ أو مصلحةٍ.

ومن خصائص صلاةِ الجمعةِ، أنها لا تُصْلَىٰ في السفرِ، أي أن المسافرين لا يصلون صلاةَ الجمعةِ، إلا إذا كانوا في بلدٍ تُقَامُ فيه

---

(١) أخرجه البخاري (٩٣٤)، ومسلم (٨٥١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد ١/ ٢٣٠، والبزار (٦٤٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وانظر «الترغيب والترهيب» للمنذري ١/ ٢٩٢، و«مجمع الزوائد» للهيثمي ٢/ ١٨٤.

الجمعةُ، فإنه يلزمُهم حضورُها وصلاتُها مع الناسِ. ومن خصائصِ صلاةِ الجمعةِ، أنها لا تُجْمَعُ مع العصرِ، ولا تُجْمَعُ العصرُ معها، لأنها صلاةٌ مستقلةٌ منفردةٌ بأحكامٍ خاصةٍ، والجَمْعُ الذي جاءت به السنةُ إنما هو بينَ الظهرِ والعصرِ، ولا يَصِحُّ قياسُ الجمعةِ علىٰ الظهرِ لِتَبَايُنِ أحكامهما في كثيرٍ من المسائلِ.

ومن خصائصِ صلاةِ الجمعةِ، أنها لا تُقَامُ في أكثرَ مِنْ مَوْضِعٍ من البلادِ إلا لحاجةٍ، بخلاف غيرِها من الصلوات، فتُقَامُ جماعتُها في كُلِّ حي، وذلك لأن تَعدُّدَ الجُمَعِ لم يكنْ معروفاً في عهدِ النبيِّ ﷺ، وعهد الخلفاءِ الراشدين، بل كان الناسُ يأتون من العَوَالِي ونحوها لصلاة الجمعةِ. قِيلَ للإمامِ أحمدَ أيجمع جمعتان في مِصْرٍ؟ قال: لا أعَلْمُ أحداً فعَلَه. وقال ابنُ المنذرِ: لم يختلفِ الناسُ أنَّ الجمعةَ لم تكن تُصَلَّىٰ في عهدِ النبيِّ ﷺ، وفي عهدِ الخلفاءِ الراشدين، إلا في مسجدِ النبيِّ ﷺ، وفي تعطيلِ الناسِ مساجدَهم يومَ الجمعة واجتماعِهم في مسجدٍ واحدٍ أَبْيَنُ البيانِ بأن الجمعةَ خلافَ سائرِ الصلواتِ، وأنها لا تُصَلَّىٰ إلا في مكانٍ واحدٍ. وقد ذكر الخطيبُ في تاريخِ بغدادَ أن أولَ جمعةٍ أُحْدِثَتْ في الإسلام في بلدٍ مع قيامِ الجمعةِ القديمةِ، كان في أيـام المعتضدِ سنة ثمانين ومائتين، وذلك لأن تعدادَ الجُمَعِ تَفُوتُ به مصلحةُ المسلمين، باجتماعِهم علىٰ هذه الصلاةِ في مكانٍ واحدٍ، علىٰ إمامٍ واحدٍ ويصدرون عن موعظةٍ واحدةٍ، ويكون في ذلك عِزٌّ واعتزازٌ

برؤيةِ بعضِهم بَعْضاً، بهذه الكثرةِ. أما تمزيقُ المسلمين بكثرةِ الجُمَعِ فهذا خِلافُ ما يَهْدِفُ إليه الشرعُ المطهرُ.

وفي صلاةِ الجمعةِ تُقْرَأُ بعدَ الفاتحةِ سورةُ الجُمُعة كاملةً في الركعةِ الأولىٰ، وسورةُ المنافقين كاملةً في الركعة الثانية، أو سورةُ سبِّحْ في الركعة الأولىٰ، وسورةُ الغاشية في الركعة الثانية. صَحَّ ذلك كلُّه عن النبيِّ ﷺ.

ومن الخصائصِ الشرعيةِ ليومِ الجمعةِ، أنه تُسَنُّ القراءةُ في فَجْرِها بسورةِ «ألم تنزيل» السجدة كاملةً في الركعةِ الأولىٰ، وسورة «هل أتىٰ علىٰ الإنسان» في الركعةِ الثانيةِ. ومن الخصائصِ لهذا اليومِ، أن لا تُخَصَّصَ ليلتُه بقيامٍ ولا يومُه بصيامٍ، لأن النبيَّ ﷺ نَهَىٰ عن ذلك. وثَبَت في صحيحِ البخاريِّ، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**لا يَصُومَنَّ أحدُكم يومَ الجُمُعةِ إلا أن يصومَ يوماً قبلَه أو يوماً بعدَه**»[1]، ودخل علىٰ جُوَيْرِيَةَ بنتِ الحارثِ يومَ الجمعة وهي صائمةٌ، فقال: «**أَصُمْتِ أَمْسِ**» قالت: لا، قال: «**فَتُرِيدِينَ أنْ تَصُومِي غداً**»، قالت: لا، قال: «**فافْطِرِي**»[2]. لكن إنْ صامَه من غيرِ تخصيصٍ كالذي يصومُ يوماً ويُفْطِرُ يوماً، فصادفَ صومُه يوم الجمعةِ أو نحو ذلك، فلا بأسَ به لقولِ النبيِّ ﷺ: «**إلا أن يكونَ في صومٌ يصومُه أحدُكم**».

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٨٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (١٩٨٦) من حديث جويرية بنت الحارث رضي الله عنها.

ومن الخصائصِ الشرعيةِ لهذا اليومِ أنه تُسَنُّ فيه قراءةُ سورةِ الكهفِ، سواء كان ذلك قبلَ الصلاة أم بعدَها. لورودِ أحاديثَ تدلُّ علىٰ فَضْلِ ذلك. ومن الخصائصِ الشرعيةِ لهذا اليومِ، أنه ينبغي فيه كثرةُ الصلاةِ علىٰ النبيِّ ﷺ لقول النبيِّ ﷺ: «**أكْثِرُوا عليَّ مِنَ الصلاةِ فيه، فإنَّ صلاتكم معروضةٌ عَلَيَّ**»[١].

أيها المسلمون: إنَّ يومَكم هذا يومٌ عظيمٌ فعظِّمُوه، كثيرُ الخيراتِ فاغتنموه فَضَّلَكم اللهُ به علىٰ غيرِكم فاشكروه. اللهم وَفِّقْنا للفقه في دينِك، والعملِ بطاعتِك، وأحْسِنْ عاقبتَنا في الأمورِ كلِّها، واغفرْ لنا ولوالدينا، ولجميع المسلمين، إنك أنت الغفورُ الرحيمُ.

أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيمُ.

* * *

---

(١) جزء من حديث أخرجه ابن ماجه (١٠٨٥)، والنسائي ٣/ ٩١، وأبو داود (١٠٤٧) و(١٥٣١)، وأحمد ٤/ ٨ من حديث أوس بن أوس رضي الله عنه.

خصائص يوم الجمعة

الحمدُ للهِ نحمَدُه ونستعينُه، ونستغفرُه ونتوبُ إليه، ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالنا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَادِيَ له. وأشهدُ أن لا إلٰهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، ختم اللهُ به النبيين، وخصَّه وأُمتَه بخصائصَ فضَّلهم بها علىٰ العالمين، فصلواتُ اللهِ وسلامُه عليه، وعلىٰ آلِه وأصحابِه، والتابعين لهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدين.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، وقوموا بشكرِه علىٰ ما أنعمَ به عليكم من نِعَمٍ عظيمةٍ، وخصائصَ فضَّلكم بها علىٰ الأممِ، أصبحتم بها خَيْرَ الأممِ وأكرمَها علىٰ اللهِ عزَّ وجل: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

أيها الناسُ، أُمةَ محمدٍ، إن مما فضَّلَكم اللهُ ما ادَّخَرَه لكم من فَضْلِ هذا اليومِ، يومِ الجُمُعةِ الذي قال فيه النبيُّ ﷺ: «**خَيْرُ يومٍ طَلَعتْ فيه الشمسُ يومُ الجمعةِ**»[١]. قال النبيُّ ﷺ: «**أَضَلَّ اللهُ عن الجُمُعةِ مَنْ كان قَبْلَنا، فكان لليهود يومُ السبتِ، وكان للنصارىٰ يومُ الأحدِ، فجاء اللهُ بنا فهدانا اللهُ ليومِ الجمعةِ، فجعل الجمعةَ والسبتَ**

---

(١) أخرجه مسلم (٨٥٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

والأحدَ، وكذلك هُمْ تَبَعٌ لنا يومَ القيامةِ، نحن الآخِرُون من أهلِ الدنيا، والأَّولُونَ يومَ القيامةِ، الْمَقْضِي لهم قبلَ الخلائقِ»(١).

فلهذا اليومِ العظيمِ خصائصُ شرعيةٌ، وخصائصُ كونيةٌ.

فمن خصائصِه الكونيةِ، أنه اليومُ الذي تَمَّ فيه خَلْقُ السمٰواتِ والأرضِ، فقد خَلَقَ اللهُ السمٰواتِ والأرضَ في ستةِ أيامٍ، أولُها الأحدُ، وآخرُها يومُ الجمعةِ.

ومن خصائصِه الكونيةِ، ما رواه مسلمٌ عن أبي هريرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**خَيْرُ يوم طلعتْ فيه الشمسُ يومُ الجمعةِ، فيه خُلِقَ آدمُ، وفيه أُدْخِلَ الجنةَ، وفيه أُخْرِجَ منها، ولا تقومُ الساعة إلا يومَ الجُمُعةِ**»(٢). ففيه تمامُ ابتداءِ هذا الكونِ المشاهَدِ وانتهاؤُه.

ومن خصائصِه الكونيةِ، أنْ جعَلَ اللهُ تعالىٰ فيه ساعةً، لا يُوَافِقُها عبدٌ مسلمٌ وهو قائمٌ يُصَلِّي، يسألُ اللهَ شيئاً إلا أعطاه إياه، ما لم يسأَلْ حَرَاماً، وأَرْجَىٰ ساعاتٍ للإجابة، ساعتُكم هذِه، مِنْ حينِ أَنْ يَجْلِسَ الإمامُ علىٰ المنبرِ، إلىٰ أن تنتهي الصلاةُ. لما رواه مسلمٌ عن أبي موسىٰ الأشعريِّ رَضِيَ اللهُ عنه قال: سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**هِيَ ما بينَ أن يجلسَ الإمامُ إلىٰ أن تُقْضَىٰ الصلاةُ**»(٣). وكذلك آخرُ ساعةٍ بعدَ العصرِ حتىٰ تَغْرُبَ الشمسَ. لما رواه أبو

---

(١) أخرجه مسلم (٨٥٦) من حديث أبي هريرة وحذيفة رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه مسلم (٨٥٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم (٨٥٣) من حديث أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه.

داودَ، والنَّسائِيُّ، عن جَابرِ بْنِ عبدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عنهما، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**الْتَمِسُوها آخرَ ساعةٍ بعدَ العصرِ**»[١]. وقد رجَّحَ الإمامُ أحمدُ رَحِمَه اللهُ هذا، والحقُّ أنَّ كِلْتَا الساعتين، تُرْجَىٰ فيهما إجابةُ الدعاءِ، فاجتهدوا في هاتينِ الساعتين في الدعاءِ، لعلكم تُصِيبونَ إجابةً تَلْحَقُون بها بالسعداءِ.

أما خصائصُ هذا اليومِ الشرعيةُ، فمنها أنْ يُقْرَأَ في الركعةِ الأولىٰ من صلاةِ الفجر لهذا اليومِ، سورةُ «**ألم تنزيلِ**»، وفي الركعةِ الثانيةِ «**هل أتىٰ علىٰ الإنسان**»، وأن يُقْرَأَ في الركعةِ الأولىٰ في صلاةِ الجُمُعةِ سورةُ الجمعة، وفي الركعةِ الثانيةِ سورةُ المنافقين، أو في الأولىٰ «**سَبِّحِ اسْمَ ربِّـك الأعلىٰ**»، وفي الثانيةِ هل أتاك حديث الغاشيةِ.

أما خصائصُ هذا اليومِ الشرعيةُ، أن يغتسل فيه لصلاةِ الجُمُعةِ وهو واجبٌ. لقولِ النبيِّ ﷺ: «**غُسْلُ الجُمُعةِ واجبٌ علىٰ كُلِّ مُحْتَلِمٍ**»[٢]. وقال: «**حَقٌّ للهِ علىٰ كُلِّ مسلمٍ أن يغتسلَ في كُلِّ سبعةِ أيامٍ يغسلَ رأسَه وجسدَه**»[٣]. وينبغي أنْ يتطيب ويَلْبَسَ أَحْسَنَ ثيابِه، ويبكِّر إلىٰ المسجد، ويدنو من الإمامِ، ويشتغلَ بالصلاةِ

---

(١) أخرجه أبو داود (١٠٤٨)، والنسائي ٣/ ٩٩، وفي «الكبرىٰ» (١٦٩٧).

(٢) أخرجه مسلم (٨٤٦)، والبخاري (٨٥٧) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٨٩٦)، ومسلم (٨٤٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

والقراءةِ والذكرِ حتىٰ يأتيَ الإمامُ، ولا يتأخرَ عن الصفوفِ الاولىٰ، كما يفعلُه بعضُ الناسِ يأتي مبكراً ويُصَلّي في آخرِ المسجدِ، فإن ذلك من الحرمان، قال النبيُّ ﷺ: «**تَقَدَّمُوا فأْتَمُّوا بي، ولْيأْتَمَّ بكم مَنْ وراءكم ولا يزال قوم يتأخرون حتىٰ يُؤَخِّرَهم الله**»[١]. رواه مسلمٌ. وقال: «**لو يعلمُ الناسُ ما في النداء والصفِّ الأولِ ثم لم يَجِدوا إلا أن يستهموا لاستهموا عليه**»[٢].

ومن خصائصِ هذا اليومِ الشرعيةِ، صلاةُ الجُمُعةِ وخُطْبَتُها التي أمرَ اللهُ بالسعي إليها في كتابه، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ٩]. ولهذا يَحْرُمُ علىٰ مَنْ تلزمُه الجمعةُ أن يبيعَ أو يشتريَ بعدَ الأذان الثاني، سواءٌ كان في المسجد أو خارجَ المسجدِ، لأن المسجدَ يحرمُ فيه البيعُ والشراءُ كُلَّ وقتٍ. وقد حذَّرَ النبيُّ ﷺ من التهاونِ بصلاةِ الجُمُعةِ، فقال: «**مَنْ تَركَ ثلاثَ جُمَعٍ تَهاوُناً، طَبَعَ اللهُ علىٰ قَلْبِه**»[٣]. وقال:

---

(١) أخرجه مسلم (٤٣٨) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٦١٥)، ومسلم (٤٣٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أحمد ٣/ ٤٢٤، وأبو داود (١٠٥٢)، والنسائي ٣/ ٨٨، وفي الكبرىٰ (١٦٥٦) من حديث أبي الجعد الضمري رضي الله عنه.

«لَيَنْتَهِيَنَّ أقوامٌ عن وَدْعِهم ـ يعني تَرْكِهَم ـ الجمعاتِ أو لَيَخْتِمَنَّ اللهُ علىٰ قلوبِهم فلَيَكُونَنَّ من الغافلين»[١].

ومن خصائصِ هذا اليوم الشرعيةِ، أن يُقْرَأَ فيه سورةُ الكهفِ، سواءٌ من المصحفِ أو عن ظَهْرِ قَلْبٍ.

ومن خصائصِه الشرعيةِ، أن لا يُخَصَّ يومُ الجمعة بصيامٍ، ولا ليلتُها بقيامٍ، وأما مَنْ لم يَخُصَّه بذلك فصَامَ يوماً قبلَه، أو يوماً بعدَه، أو كان يصومُ من كُلِّ شَهْرٍ ثلاثةَ أيامٍ، ولا يحصلُ له الصيامُ إلا يومَ الجُمُعةِ فصَامَه فلا بأسَ بذلك.

ومن خصائصِه الشرعيةِ، أنْ لا يُسَافِرَ بعدَ أذانِ الجُمُعةِ حتىٰ يُصَلِّيَ، إلا أن يُؤَدِّيَها في طريقِه، أو يَخْشَىٰ فَواتَ رُفْقَتِه، مِثلَ أَنْ يُسَافِرَ بالطائرة فيَخْشَىٰ أن تفوتَه الرحلةُ إنْ تأخَّرَ.

فقُومُوا رَحِمَكم اللهُ بما تستطيعون من تعظيمِ حُرُماتِ اللهِ تعالىٰ وشعائرِه، وتَعرَّضُوا لِنَفَحاتِ جُودِه وكَرَمِه. واتقوا اللهَ لعلكم تُرْحَمُونَ.

بارَكَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيمُ.

* * *

---

(١) أخرجه مسلم (٨٦٥) من حديث ابن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهما.

بداية العام

إنَّ الحمدَ للهِ نحمَدُه ونستعينُه ونستغفرُه ونتوبُ إليه، ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيئاتِ أعمالِنا. مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَادِيَ له. وأشهدُ أن لا إلٰهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه. صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه، والتابعين لهم بإحسان، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: فإننا في هذه الأيام نستقبلُ عاماً جديداً إسلامياً هجرياً، ابتدأ عَقْدُ سنواتِه من أَجْلِ مناسبةٍ في الإسلامِ. ألا وهي هجرةُ النبيِّ ﷺ التي ابتدأ بها تكوين دولةٍ إسلاميةٍ في أولِ بلدٍ إسلاميٍّ مستقلٍّ يحكمُه المسلمون، ولم يكنِ التاريخُ السنويُّ معمولاً به في أولِ الإسلامِ حتىٰ كانت خلافةُ عُمَرَ بْنِ الخطابِ رَضِيَ اللهُ عنه، واتسعت رقعةُ الإسلامِ واحتاج الناسُ إلىٰ التأريخِ في أعطياتِهم وغيرِها.

ففي السنةِ الثالثةِ أو الرابعةِ من خلافتِه رضي اللهُ عنه كتب إليه أبو موسىٰ الأشعريُّ رضِيَ اللهُ عنه. أنه يأتينا منك كُتُبٌ ليس لها تأريخٌ، فجمع عمرُ الصحابةَ رضي اللهُ عنهم، فاستشارهم فقال بعضُهم: أرِّخُوا كما تُؤَرِّخُ الفرسُ بملوكها، كلما هَلَكَ ملك أرَّخُوا بولايةِ مَنْ بعدَه، فكَرِهَ الصحابةُ ذلك، فقال بعضُهم: أرِّخُوا بتاريخ الرومِ فكَرِهُوا ذلك أيضاً، فقال بعضُهم: أَرِّخُوا مِنْ مولدِ النبيِّ ﷺ،

وقال آخرون: مِنْ مَبْعثِه، وقال آخرون: مِنْ هِجْرتِه. فقال عمرُ رضي اللهُ عنه: الهجرةُ فرَّقَتْ بينَ الحقِّ والباطلِ، فأَرِّخُوا بها.

فَأَرَّخُوا من الهجرةِ واتفقوا علىٰ ذلك، ثم تشاوروا من أيِّ شهرٍ يكونُ ابتداءُ السنةِ، فقال بعضُهم: من رمضانَ، لأنه الشهرُ الذي أُنزلَ فيه القرآنُ، وقال بعضُهم: من ربيعٍ الأولِ، لأنه الشهرُ الذي قَدِمَ فيه النبيُّ ﷺ مُهَاجِراً. واختار عمرُ وعثمانُ وعليٌّ رضي اللهُ عنهم أنْ يكون من المُحَرّمِ، لأنه شَهْرٌ حَرَامٌ يلي شهرَ ذي الحجةِ، الذي يُؤدِي المسلمون فيه حَجَّهم الذي به تمامُ أركانِ دينِهم، وكانت فيه بيعةُ الأنصارِ للنبي ﷺ، والعزيمةُ علىٰ الهجرةِ. فكان ابتداءُ السنةِ الإسلاميةِ الهجريةِ من الشهر المُحَرَّمِ الحَرَامِ.

وفي هذه الأيام، وَدَّعَ المسلمون أحدَ القرونِ الهجريةِ، علىٰ ما فيه من خَيْرٍ وشَرٍّ، وسُرورٍ وأحزانٍ، وخَوْفٍ وأَمَانٍ، وسَعةٍ في العيشِ وضِيْقٍ. واستقبلوا قَرْناً جديداً، لا يَعلمُ أحدٌ مستقبلَ المسلمين فيه. ولكنَّ الأحوالَ مخفيةٌ تُنذرُ بنتائجَ مدمرةٍ، فإنَّ سنةَ اللهِ تعالىٰ في خَلقِه واحدةٌ ﴿ ۞ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَـٰفِرِينَ أَمْثَـٰلُهَا﴾ [محمد: ١٠].

إنَّ المسلمينَ اليومَ في حالٍ يُرْثَىٰ لها، إضاعةٍ للصلوات، واتباعٍ للشهوات، ومنعٍ للزكَوات، وانتهاكٍ للحُرُمات، وتفريطٍ في الواجبات، كثيرٌ منهم أضاعَ شبابَه في اللهوِ، وإضاعةِ الوقت، والتسكعِ في البلادِ بدونِ فائدةٍ، كأنه حيرانُ لا يُريدُ إلا أن يقتلَ الوقتَ بضياعِه هنا وهناك.

وكثيرٌ من الناس نَسُوا آخرتَهم بما انشغلُوا به من أمورِ دُنياهم. فآثروا ما خُلِقَ لهم، علىٰ ما خُلِقُوا له، آثروا الدنيا علىٰ الآخرةِ، كأنهم لا يسمعون في كُلِّ جمعةٍ غالباً ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝١٦ وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [الأعلىٰ: ١٦-١٧]. تجدهُم مشغولين بالمضارباتِ التجاريةِ من بيعٍ وشراءٍ، وتأجيرٍ وبناءٍ. جعلوا هذا أكبرَ هَمِّهم، حتىٰ وإن حضروا للعبادةِ، فإن غالبَهم حاضرُ الجسمِ غائبُ القلبِ.

ومن المسلمين اليومَ مَنْ قامَ بمحادَّةِ اللهِ تعالىٰ ورسولِه ﷺ، يدعو إلىٰ ضِدِّ ما دعا اللهُ ورسولُه إليه، من الأخلاقِ الفاضلةِ، والبعدِ عن الفحشاءِ والمنكرِ تجدُه يدعو إلىٰ أسبابِ الفحشِ والفجورِ، يدعو إلىٰ اختلاطِ النساءِ بالرجالِ، إلغاءِ الفوارق إما بصريحِ القولِ، وإما بالتخطيطِ الماكرِ البعيدِ، والعملِ من وراءِ الستارِ.

وهذا عَيْنُ المحاداةِ للشريعةِ، وهذا فَتْحُ بابِ الشرِّ والفسادِ، فلقد كان رسولُ اللهِ ﷺ يعزِلُ النساءَ عن الرجالِ حتىٰ في أماكنِ العبادةِ ويقول: «**خيرُ صفوفِ النساءِ آخرُها وشرُّها أولُها**»[1] لأن آخِرَها أَبْعَدُ عن الرجالِ فكان خَيْرَها، وأولَها أقربُ إلىٰ الرجال فكان شرَّها.

ولو تأملتَ حالَ المسلمينَ اليومَ، لرأيتَ أمراً مروعاً مُحزِناً لكلِّ مؤمنٍ غَيورٍ علىٰ دينِه، خائفٍ من عقوبةِ ربِّه، ولهذا ظهرت بوادرُ العقوباتِ، فكثُرتِ الحوادثُ الكونيةُ من الزلازلِ والفيضاناتِ، والدهور والخلاء؟

---

(١) أخرجه مسلم (٤٤٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وكثُرتِ الفتنُ الدينيةُ والدمويةُ، وحاق ببعضِ الناسِ ما ذكره اللهُ تعالىٰ بقوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: ٦٥].

أيها المسلمون: وإننا في مطلع هذا القرنِ علىٰ الرغمِ مما عليه حالُ المسلمين، لَنَرَىٰ في المسلمين طليعةَ خَيْرٍ وإقبالٍ علىٰ الإسلام، وتجديدٍ لما اندرسَ منه. وتقدمٍ بالمسلمين إلىٰ ما كان عليه نبيُّهم ﷺ، وخلفاؤه الراشدون. يَدِينوُن بالنصيحةِ لله تعالىٰ، ولكتابه، ولرسولِه، ولأئمةِ المسلمين وعامتِهم. يدعون إلىٰ سبيلِ ربِّهم بالحكمةِ والموعظةِ الحسنةِ، ويُجَادِلون بالتي هي أحسنُ مَنْ جَادَلَ.

وهذا مِصْدَاقُ قولِ النبيِّ ﷺ: «**لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله لا يضرُّهم من خذلهم ولا من خالفهم، حتىٰ يأتيهم أمر الله وهم علىٰ ذلك**»[1]. رواه البخاري. وإننا لنسألُ تعالىٰ أن يَعُمَّ شعوبَ المسلمين بالصلاحِ والفلاحِ، والنصرِ العزيزِ، والفتحِ المبينِ.

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيمُ.

* * *

(١) أخرجه البخاري (٧٣١١)، ومسلم (١٩٢١) من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه.

بداية العام الهجري

الحمدُ للهِ الذي جدَّدَ لنا الأعوامَ وأمْهَلَنا، ومَنَّ علينا بالنِّعَمِ الكثيرةِ وخولَنا، ونشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، شهادةً تُبلِّغُ مَنْ قالها غايةَ المُنىٰ، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، الذي أرسلَه اللهُ رحمةً لنا صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابه الأقوياءِ الأمناءِ وعلىٰ التابعين لهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدين وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها المؤمنون: اتقوا اللهَ تعالىٰ واشكروه أن أبقاكم حتىٰ أدركتم هذا العامَ، واسألوه أن يُعِينَكم علىٰ ذِكْرِه وشُكْرِه وحُسْنِ عبادتِه، وأن يُحْسِنَ لكم المستقبلَ والخِتامَ، واعلموا أنَّ الغبْنَ كُلَّ الغبْنِ هو في خُسْران العُمر والأوقاتِ، وأن كُلَّ وقتٍ يمرُّ عليك في غيرِ طاعةِ اللهِ فإنه خسارةٌ وندامةٌ، فالرابح مَنِ اغتنمَ عُمْرَه في هذه الحياةِ وتزودَ فيه بالأعمال الصالحةِ، ليسعدَ بها في الدنيا وبعدَ المماتِ، والخاسرُ مَنْ فرَّطَ في الأوقاتِ وأهملها وتهاونَ بالواجباتِ التي أوجبَ اللهُ عليه وضيَّعَها، فاعرفوا رَحِمَكم اللهُ قَدْرَ الأوقاتِ واغتنموها، وانظروا إلىٰ سُرعةِ الأيام والليالي وانقضائِها فأَدْرِكُوها تَرَوْا أن الأوقات تُطْوَىٰ خلفكم طَياً، وأن كُلَّ لحظةٍ تُقَرِّبُكُم من الآخرةِ شيئاً فشيئا، فهذا العامُ الذي وَدَّعْتُموه وخَلَّفْتُموه قد انقضىٰ كُلُّه بأيامِه ولياليه وخيرِه وشرِّه وسرورِه وأحزانِه، قد مرَّ

عليكم وكأنه أضغاثُ أحلامٍ، وهكذا بقيةُ الحياةِ ستنقضي علىٰ وَفْقِ ما مضىٰ من الأيام، واعلموا إنَّ كُلَّ عَمَلٍ تقصدون به وجه اللهِ مُتَّبِعينَ لرسولِ اللهِ ﷺ فإن ذلك عملٌ صالحٌ تُؤْجَرُون عليه، حتىٰ الأمورِ العاديةِ إذا قصدتم بها وَجْهَ اللهِ صارت عُبوديةً، فإذا أنفقَ الإنسانُ علىٰ نفسِه وأهلِه يبتغي وَجْهَ اللهِ أثيبَ علىٰ ذلك، وإذا أدخلَ السرورَ علىٰ أخيهِ المسلمِ كان ذلك أجراً له عندَ اللهِ، وفي الصحيحين من حديثِ أبي هريرةَ رضي اللهُ عنه أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**كُلَّ سلامي من الناسِ عليه صدقةٌ، كُلَّ يوم تَطْلُعُ فيه الشمسُ تعدِلُ بين اثنين صدقةٌ، وتَعِينَ الرجلَ في دابتِه فتحملُه عليها أو تَرْفَعُ له عليها متاعَه صدقةٌ، والكلمةُ الطيبةُ صدقةٌ، وبكلِّ خُطْوةٍ تَمْشِيها إلىٰ الصلاةِ صدقةٌ، وتُمِيطَ الأَذىٰ عن الطريقِ صدقةٌ**»، وقال: «**إنَّ بكل تسبيحة صدقة وكل تكبيرة صدقة وكُلُّ تحميدةٍ صدقةٌ، وكُلُّ تهليلةٍ صدقةٌ، وأمرٌ بمعروفٍ ونهيٌ عن منكر صدقةٌ، وفي بُضْعِ أحدِكم صدقةٌ**» يعني إتيانَ زوجتِه، قالوا: يا رسولَ اللهِ أيأتي أحدُنا شهوتَه ويكونُ له فيها أجرٌ؟ قال: «**أرأيتم لو وضعَها في حرامٍ أكان عليه وِزْرٌ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجرٌ**»[1]، فأبوابُ الخيرِ وللهِ الحمدُ كثيرةٌ، والفضائلُ لِمَنْ قام بها وافرةٌ غزيرةٌ، أعوذُ باللهِ من الشيطانِ الرجيمِ، بسمِ اللهِ الرحمٰنِ الرحيمِ: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٠٧)، ومسلم (١٠٠٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ١-٣].

اللهم اجعل عامَنا هذا عاماً مباركاً لجميعِ المسلمين وأصلح لهم فيه أمور الدنيا والدين، وبارِكْ لهم في الأعمالِ والأرزاقِ واحفظْهم من الشرورِ ومساوىء الأخلاقِ، اللهم اجمعْ كلمتَهم ووحِّدْ صفوفَهم وقَوِّ جهودَهم وانصرْهم علىٰ عَدُوِّهم إنك جوادٌ كريمٌ بَرٌّ رحيمٌ.

أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيمُ.

❊ ❊ ❊

استقبال العام

الحمدُ للهِ الذي جعلَ الشمسَ ضِيَاءً، والقمرَ نُوراً وقدَّره منازلَ لتعلموا عددَ السنينَ والحسابَ، الحمدُ للهِ الذي جعل في اختلافِ الليلِ والنهارِ آياتٍ لأولي الألبابِ، ونشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، له الملكُ وله الحمدُ، ومنه المبتدأُ وإليه المآبُ، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أفضلُ مَنْ تَعبَّدَ للهِ وأنابَ، صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه ومَنْ تَبِعَهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الحسابِ، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا ربَّكم وتَبَصَّرُوا في أمرِكم وتَفَكَّرُوا في هذه الدنيا التي كُلُّ شيءٍ فيها آيةٌ علىٰ أنها ليست بدارِ قرارٍ، تَفَكَّرُوا في هذه الأيامِ والليالِ التي تسيرون بها إلىٰ الدار الآخرةِ حتىٰ ينتهي سفرُكم، فطُوبَىٰ لعبدٍ انتهزَ فُرَصَها بما يُقَرِّبَ إلىٰ مولاه، طُوبَىٰ لعبدٍ اتَّعَظَ بما فيها من تقلباتِ الأمورِ والأحوالِ، واستدل بذلك علىٰ ما لله فيها من حِكَمٍ بالغةٍ وأسرارٍ.

إخواني: أَلَمْ تَرَوْا إلىٰ هذه الشمسِ كُلَّ يومٍ تَطْلُعُ من مَشْرِقِها ثم تغيبُ في مغربها، إن في ذلك عِبْرةً لأولي الأبصارِ، ودليلٌ علىٰ أن هذه ليست دارَ بقاءٍ، وإنما هي طلوعٌ ثم غُيوبٌ وزوالٌ، أَلَمْ تَنْظُرُوا إلىٰ الشهورِ، يُهِلُّ فيها الهلالُ كما يُولَدُ الأطفالُ، ثم يَنْمُو رُوَيْداً

رُوَيْداً، كما تنمو العقولُ والأجسامُ حتىٰ إذا تكاملَ نُمُوُّه انحط إلىٰ النقصِ والاضمحلالِ، وهكذا الإنسانُ في حياتِه فاعتبروا يا أولي الأبصارِ. أَلَمْ تفكّروُا في هذه الأعوامِ التي خَلَّفْتُموها إذا أدركتم أولَها تَطَلَّعْتم إلىٰ آخرِها تَطَلُّعَ البعيدِ، ثم تمرُّ بكم أيامُها سريعاً، فتنصرمُ كلَمْحِ البصرِ، فإذا أنتم في آخرِ العامِ، وهكذا أعمارُكم تستقبلونها، غضةً طَرِيَّةً فتنقضي عليكم في شَيْبُوبةٍ وإدبارٍ.

إخواني: لقد وَدَّعتم في هذه الأيامِ عاماً ماضياً شهيداً، واستقبلتم عاماً مقبلاً جديداً فيَا لَيْتَ شِعْري! ماذا أودع الإنسانُ في عامِه الماضي الشهيد؟ وماذا يستقبل به هذا العام الجديد.

لقد مضتِ الأعوامُ وكأنها أضغاثُ أحلامٍ كأننا لم نُوجَدْ إلا في هذا الأوان، مَضَتْ بما فيها من خيراتٍ وشرورٍ، وأحزانٍ وسرورٍ، وعَمَلٍ وكَسَلٍ، وعِلْمٍ وجَهْلٍ، وفَقْرٍ وغِنىً، مَضَتْ بهذه الأمورِ وكأن شيئاً ما مَضَىٰ، ولكنْ مَنْ هو الكاسبُ في هذه الغَمَراتِ؟ إن الكاسبَ حقاً هو مَنْ أَمْضَاها في طاعةِ اللهِ، واجْتَنَب فيها مَعَاصِيَ اللهِ، وسار مُخْلِصاً للهِ مُتَّبِعاً لرسولِ اللهِ ﷺ ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

إخواني: إنَّ أكثرَ الناسِ يَحْرِصُون جُهْدَهم علىٰ حِفْظِ الأموالِ، يَحْرِصُونَ علىٰ تَحْصِيلِها وتَنْمِيَتِها، ثم يَحْرِصُون علىٰ تَصْرِيفِها وحِفْظِها، فلا يضيعُون منها قليلاً ولا كثيراً، ولا يُفَوِّتون فُرْصَةً

يظنون أن بها شيئاً من المالِ ولو يسيراً، ولكنهم في أعمارِهم النفيسةِ مُفَرِّطُون مُهْمِلُون، تمرُّ بهم الساعاتُ والأيامُ، بل الشهورُ والأعوامُ، وقد ضَيَّعُوا أكثرَها هَمَلاً ولم يُودِعُوها مِنْ صالح الأعمالِ عَمَلاً ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٩-١٠٠]، فيندمُ حينَ لا ينفعُ الندمُ، ويتمنىٰ حينَ لا ينفعُ التمني.

وعظَ النبيُّ ﷺ رَجُلاً فقال: «**اغتنمْ خَمْساً قبلَ خَمْسٍ: شبابك قبلَ هَرَمِك، وصِحَّتَكَ قبلَ سَقَمِك، وغِناك قبلَ فَقْرِك، وفَرَاغَك قبلَ شُغْلِكَ، وحياتَك قبلَ مَوْتِك**»(١)، فالشبابُ قوةٌ وعزيمة وإقدامٌ، فإذا شابَ الإنسانُ ضَعُفَتْ قوتُه ووَهَنَتْ عزيمتُه وعَجَزَ إقدامُه، والصحةُ قوةٌ وانبساطٌ، فإذا مَرِضَ الإنسانُ ضَعُفَ جِسْمُه ودَنَتْ نفسُه وضاقت عليه الأمورُ. والغِنَىٰ راحةٌ وفراغٌ فإذا افتقرَ الإنسانُ تَعِبَ في تحصيلِ المالِ، وانشغلَ بذلك عن كثيرٍ من الأعمال.

فبادروا أيها المسلمون أعمارَكم، واعتبروا ما استقبلتم منها بما مضىٰ فإن كُلَّ آتٍ قريبٌ، وكُلَّ حاضرٍ ذاهبٌ.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» ٧/ ٧٧، وابن المبارك في «الزهد» (٢) والحاكم ٤/ ٣٠٦، والبيهقي في «الشعب» (١٠٢٤٨) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

أعوذُ باللهِ من الشيطانِ الرجيمِ، قال اللهُ تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ [الرعد: ٢].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيمُ.

* * *

الأشهر الحرم

الحمدُ للهِ فاطرِ السمٰواتِ والأرضِ، وجامعِ المخلوقاتِ ليومِ الحسابِ والعرضِ. ونشهدُ أن لا إلٰهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، مخلصين له الدين ولو كَرِه الكافر ولم يَرْضَ. ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أفضلُ مَنْ تعبَّدَ بالنوافلِ والفَرْضِ. صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه، والتابعين لهم بإحسان، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها المؤمنون: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واعلموا أن ربَّكم هو الذي فَطَرَ هذه المخلوقاتِ بقدرتِه، وأودَعَ فيها مصالحَها بحكمتِه ورحمتِه. فلقد خَلَقَ لمصالحِ العبادِ ما في الأرض جميعاً ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٣-٣٤].

لقد سخَّر اللهُ الشمسَ والقمرَ لمصالحنا الدينيةِ والدنيويةِ، فرتبهما اللهُ تعالىٰ يَجْرِيان في فَلَكِهما بانتظامٍ بديعٍ وسَيْرٍ سريع. فمنذُ خَلَقَهما اللهُ تعالىٰ وهما في فَلَكِهما لا يَخْرُجَانِ عنه قيدَ أُنْمُلَةٍ بإذنِ اللهِ، لا يرتفعان ولا ينخفضان ولا يَزُولَانِ. حتىٰ يأذنَ اللهُ تعالىٰ بفناءِ العالمِ، فعندَ ذلك تخرجُ الشمسُ من مغربِها. فإذا رآها الناسُ آمنوا أجمعون، ولكنه لا ينفعُ نفساً إيمانُها لم تكنْ آمنت مِنْ قَبْلُ، أو كَسَبَتْ في إيمانِها خيراً.

لقد سخرهما اللهُ تعالىٰ وجعلهما مِيقاتاً للزمانِ. فعلىٰ سَيْرِ الشمسِ يَتَرَتَّبُ الليلُ والنهارُ والفصولُ، فإنَّ الشمسَ كلما ارْتَفَعَتْ في السماءِ ازدادتْ حَرَارَتُها فصارَ الجوُّ حارّاً، وكلما انحدرتْ إلىٰ الجنوبِ منا وبَعُدَت عن وسَطِ السماءِ، انخفضتْ درجةُ حرارتِها بسببِ بُعْدِها عن مسامتة الرؤوسِ، فصار الجوُّ بارداً، وما سَيْرُها هذا إلا بإذنِ ربِّها وخالقِها. فلقد جاء عن النبيِّ ﷺ أنها إذا غَرَبَتْ تسجدُ تحت العرشِ وتستأذنُ، فإن أَذِنَ لها وإلا رَجَعَتْ من حيثُ جاءت من المغربِ.

أما القمرُ، فإنَّ اللهَ تعالىٰ قَدَّرَه منازلَ، كُلَّ ليلةٍ في منزلةٍ، وعلىٰ اختلافِ هذه المنازلِ يختلفُ نُورُه، فبينما هو في أولِ الشهرِ دقيقاً خفياً لا يزالُ يَكْبُرُ شيئاً فشيئاً، حتىٰ يكون في نصفِ الشهرِ بَدْراً جَلِيّاً. ثم يأخذُ في النَقْصِ حتىٰ يعود كالعرجون القديمِ، ذلك تقديرُ العزيزِ العليمِ. وقد جعَلَ اللهُ تعالىٰ الزمانَ اثْنَيْ عَشَرَ شهراً منذُ خَلَق السمٰواتِ والأرض منها أربعةٌ حُرُمٌ، ثلاثٌ متوالياتٌ وهي: ذو القعدَةِ، وذو الحِجَةِ، والمحرمُ. وشهرٌ مفردٌ وهو رَجَبٌ، الذي بين جُمَادىٰ وشعبانَ.

فهذه الشهورُ الأربعةُ مُحْتَرَمَاتٌ مُعظَّماتٌ في الجاهليةِ والإسلام، خَصَّهُنَّ اللهُ تعالىٰ بالنهي عن ظُلْمِ النفسِ فيهن في قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ

أَنفُسَكُمْ﴾ [التوبة: ٣٦]. فنهانا ربُّنا تعالىٰ أن نَظْلِمَ فيهن أنفسَنا، والنهي عن ظُلْمِ النفسِ يشمل جميعَ الأحوالِ والأزمانِ، لكنَّ لهٰذه الأشهرِ الأربعةِ خصوصيةً يكونُ ظُلْمُ النفسِ فيها أشدَّ. ولذلك نهىٰ اللهُ عن الظلم فيها بخُصُوصِها، فاحْتَرِمُوها وعَظِّمُوها. واجتنبوا فيها ظُلْمَ النفسِ لعلكم تفلحون، فإن سألتم ما هو ظُلْم النفس؟ فظُلْمُ النفسِ يكون بشيئين، إما تَرْكٌ لم أوجبَ اللهُ، وإما فِعْلٌ لما حَرَّمَ اللهُ. فإن ذلك كلَّه ظُلْمٌ للنفسِ، لأن النفسَ أمانةٌ عندَك، عليك أن ترعاها حَقَّ رعايتِها. فتسلكَ بها ما فيه سعادتُها وصلاحُها، وتتجنبَ بها ما فيه شقاؤُها وفسادُها.

أعوذُ باللهِ من الشيطانِ الرجيم، بسم الله الرحمٰن الرحيم ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ۝١ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ۝٢ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ۝٣ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ۝٤ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ۝٥ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ۝٦ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ١-١٠].

بارَكَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيمُ.

❊ ❊ ❊

تعظيم شهر الله المحرم

الحمدُ للهِ ذي العظمة والجلال، والفضلِ والعطاءِ والنوالِ. ناصرِ مَنْ آمنَ به وخَاذِلِ مَنْ كفرَ بهِ، وإن اسْتَعْظَمَ علىٰ العبادِ واسْتَطَالَ. وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، شهادةً أَدَّخِرُها ليومٍ لا ينفعُ فيه أهلٌ ولا بنونَ ولا مالٌ. إلا مَنْ أتىٰ اللهَ بقلبٍ سليمٍ، خالٍ من الشركِ في الأقوالِ والأفعالِ. وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه، الذي فَاقَ جميعَ الخَلْقِ في كمالِ الخصالِ. صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه ما تعاقبتِ الأيامُ والليالِ، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، وعَظِّمُوا شَهْرَكم بطاعةِ ربِّكم، فإنَّ اللهَ شرَّفه وفضَّله، وأضافَه النبيُّ ﷺ إلىٰ اللهِ وعظَّمه. فقال: «**أَفْضَلُ الصيامِ بعدَ رمضانَ شهرُ اللهِ المُحَرَّمُ**»[1]. وهو أحدُ الأربعةِ الأشهرِ الحُرُمِ التي يتأكدُ فيه فِعلُ الطاعاتِ، وتَرْكُ جميع المنهياتِ. قال اللهُ تعالىٰ: ﴿مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُۚ فَلَا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْۚ﴾ [التوبة: ٣٦]. وعن ابنِ عباسٍ رَضِيَ اللهُ عنهما، قال: قَدِمَ النبيُّ ﷺ المدينةَ، فرأىٰ اليهودَ تصومُ عاشوراءَ، فقال: «**ما هذا؟**» قالوا: يومٌ صالحٌ نَجَّىٰ اللهُ فيه موسىٰ وبني إسرائيلَ فصامَه موسىٰ. فقال النبيُّ ﷺ: «**إنا أَحَقُّ بموسىٰ منكم**» فصامَه وأمر

(١) أخرجه مسلم (١١٦٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الناسَ بصيامِه(١). وقال ﷺ في آخرِ حياتِه: «**إذا كان العامُ المقبلُ إن شاءَ اللهُ صُمْنا اليومَ التاسعَ**» فلم يأتِ العامُ المقبلُ، حتىٰ تُوُفِّيَ رسولُ اللهِ ﷺ. وقال ﷺ: «**صومُ يومِ عاشوراءَ، يُكَفِّرُ سنةً ماضيةً**»(٢).

فَصُومُوا رَحِمَكُم اللهُ يومَ التاسعِ والعاشرِ لتحوزوا تكفيرَ ذنوبِكم، والاقتداءَ بنبيكم، وحصولَ مطلوبِكم. ومَنْ كان يشقُّ عليه الصيامُ وعَلِمَ اللهُ من نِيَّتِه أنه لولا العذرُ لصام، فَلْيُبَشَّرْ بحصولِ الأجرِ مِنَ الملكِ العلامِ، لا سِيَّما إن كان قد اعتادَ صيامَه، فيما مضىٰ من الأعوامِ، فإنه لن يَنْقُصَ من أجرِه شَيْءٌ. كما قال النبيُّ ﷺ: «**مَنْ مَرِضَ أو سَافرَ كُتِبَ له ما كان يعملُ صحيحاً مُقِيماً**»(٣).

في يومِ عاشوراءَ، نجَّىٰ اللهُ موسىٰ وقومَه من فرعونَ وجنودِه، فإنه ﷺ دعا فرعونَ إلىٰ عبادةِ اللهِ. فاستكبرَ وأَبَىٰ، وقال: أنا ربُّكم الأعلىٰ ثم استطالَ علىٰ بني إسرائيلَ بالأذَىٰ. فخرجَ بهم موسىٰ يَسيرُ بأمرِ اللهِ، فلما أصبحَ فرعونُ، ووجدَ بني إسرائيلَ غادروا بلادَه، اغتاظ لذلك، فحشَرَ جموعَه وأجنادَه، فخرجَ بهم من الجناتِ والعيونِ، والكنوزِ والمقامِ الكريمِ، يريدُ موسىٰ وقومَه، لِيَسْتَأْصِلَهم وَيُبِيدَهم عن آخرِهم. فوصلَ إليهم عند شروقِ الشمسِ.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٠٠٤)، ومسلم (١١٣٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه مسلم (١١٦٢) من حديث أبي قتادة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٢٩٩٦) من حديث أبي بردة رضي الله عنه.

فلما ترآىٰ الجمعانِ، قال أصحابُ موسىٰ: إنا لَمُدْرَكُونَ، لأن البحرَ أمامهم، وفرعونَ بجنودِه وراءَهم. فأجابَهم موسىٰ إجابةَ ذي الإيمانِ واليقينِ قال: كَلَّا إن مَعِيَ ربِّي سَيَهْدِينِ. فلما وصلوا البحرَ بَحْرَ القلزمِ وهو البحرُ الأحمرُ، أمر اللهُ نبيَهُ موسىٰ أن اضربْ بعصاك البحرَ فضرَبه، فانفلقَ فكان اثْنَيْ عَشَرَ طريقاً بِعَدَدِ الفِرَقِ، وصار الماءُ بين الطُّرُقِ كالجبالِ، وبعثَ اللهُ الريحَ في قعر البحرِ، فصار يَبَساً، فسلَكَهُ موسىٰ وقومُه لا يخاف دَرَكاً من فرعونَ، ولا يَخْشَىٰ غرَقاً.

فلما تكاملَ موسىٰ وقومُه خَارِجين، إذا بفرعونَ بجنودِه قد دَخَلُوا أجمعين، فأوحىٰ اللهُ إلىٰ البحرِ فانْطَبقَ، فصارت أجسادهم للغرق، وأرواحُهم للنارَ والحَرْقِ.

إخواني، انظروا كيفَ نصرَ اللهُ مَنْ نَصرَه، واتَّبعَ رِضْوانَه، ولم يكنْ ذلك النصرُ منْ كُثرهم ولا دار لهم في خيال. ولكن الله قد وعد وهو أصدق القائلين: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧].

اللهم انصرْنا ولا تنصرْ علينا، وأعِنَّا ولا تُعِنْ علينا، وارزقْنا التمسكَ بدينِنا، وأحْسِنْ خاتمتَنا، إنك جوادٌ كريمٌ، رؤوف رحيمٌ.

* * *

شهر رجب

الحمدُ للهِ الذي فضَّلَ بعضَ مخلوقاته علىٰ بعضٍ لِحِكَمٍ كثيرةٍ وأسرارٍ، وجعل الأزمنةَ مواقيتَ للقيام بعبادتِه بفعلِ الأوامرِ واجتناب المحرماتِ والمضارِّ، ونشهدُ أنَ لا إلٰهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له ذو الحكمةِ البالغةِ والعزةِ والاقتدارِ، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المصطفىٰ المختارُ، صلَّىٰ اللهُ عليهِ وعلىٰ آلِه وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ ما تعاقب الليلُ والنهارُ، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها المؤمنون: اتقوا اللهَ وأطيعوه، وخافوا منه وراقِبُوه، واحْتَرِمُوا ما أَمَرَكم اللهُ باحترامه من الأزمنةِ والأمكنةِ وعظمُوه، واعْلَمُوا أن تعظيمَ حرماتِ اللهِ من تعظيمِ اللهِ، وإن احترامَ شعائِره أكبرُ دليلٍ علىٰ محبةِ اللهِ، فعظموا رَحِمَكُمُ اللهُ ما عظَّمه ربُّكم، من زمانٍ ومكانٍ، وأحوالٍ وأعمالٍ. واعلموا أن ذلك من تقوىٰ القلوبِ، وإجلالِ الكبيرِ المتعالِ، فهذا عبادَ اللهِ شَهْرُ رَجَبٍ، أحدُ الأشْهُرِ الأربعةِ التي أمرَ اللهُ أن تُحترمَ وتُعَظَّمَ، وكان مُحْتَرَماً حتىٰ في الجاهليةِ الجهلاءِ، فجاء دينُ الإسلام فقرَّرَ حرمتَه وأجلىٰ، فعظِّموه بطاعةِ الملكِ العلامِ، وتوبوا إلىٰ ربِّكم فيه من الذنوبِ والآثامِ، واحمدوا ربَّكم الذي أبقاكم حتىٰ أدركتموه، واشكروا أنْ أَنعمَ عليكم بنِعَمٍ لا تُحْصَىٰ، وأتاكم من كُلِّ ما سألتموه، فهذه النِّعَمُ التي أدَرَّها اللهُ عليكم، إن لم تشكروه عليها بطاعتِه، صارت نِقَماً ووَبَالاً، وإن أنتم استعنتم بها علىٰ طاعةٍ تَمَّتْ

عليكم النعمةُ حالاً ومآلاً، أَمَا تَعْتَبِرُون بمَنْ مَضَىٰ من الأقاربِ والمعارفِ والجيرانِ، أَمَا تُفَكِّرون فيمن رَحَلَ من الأخِلاّءِ والأحِبَّاءِ والإخْوَانِ، نُقِلُوا من الدُورِ العامرةِ والقصُورِ، إلىٰ دارِ البِلَىٰ وضَنْك اللحود وظُلْمةِ القبورِ، نُقِلُوا من دارِ العملِ إلىٰ دارِ الجزاءِ، فأصبحوا مرتهنين بأعمالِهم تحت أطباقِ الثَّرَىٰ، لم يَنْفَعْهم في هذه الرحلةِ، مالٌ ولا بَنُونَ، ولا أغْنَىٰ عنهم ما كانوا به يُمتَّعون، وإنما كان المدارُ علىٰ ما قدموه من الحسناتِ والسيئاتِ، وما أسلفوه من خيرٍ وشرٍّ في هذه الحياةِ، أما مُحْسِنُهم فقد ابتهجَ برَوْحٍ ورَيْحانٍ، وجَنَّةِ نعيمٍ، وأما مُسِيئُهم فقد شَقِيَ بالهمُومِ والغُمومِ، والعذابِ الأليمِ، كَمْ بَيْنَ مَنِ افترشَ السُّنْدُسَ والاستبرقَ ونالَ جميعَ الأفراحِ، وفُسِحَ له في قبرِه مَدَّ بصرِه، وانشرحَ صدرُه بالسعادةِ أيَّما انشراحٍ، وبَيْنَ مَنِ افترشَ الجحيمَ، وضُيِّقَ عليه قبرُه، حتىٰ اختلفتْ أضلاعُه، فَبَاءَ بالخَسَارةِ والأحزانِ والأتراحِ، فيا وَيْحَه ما أعظمَ ما نالَه من العذابِ، وما فاتَه من النعيمِ، بسببِ تفريطِه وأعمالِه القِبَاحِ.

منّ اللهُ عليَّ وعليكم بالاستعداد ليوم المعادِ، وأجارنا من الخِزْيِ والفضيحةِ يومَ التنادِ، ووفَّقنا لاغتنامِ الفُرَصِ ومواسمِ الخيراتِ التي مَنَّ بها علىٰ العبادِ. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرًا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوۡمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ مِنۡهَآ أَرۡبَعَةٌ حُرُمٞ﴾ [التوبة: ٣٦].

أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيمُ.

فضل شهر رجب

إنَّ الحمدَ للهِ نحمَدُه ونستعينهُ ونستغفرُه ونتوبُ إليه، ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومن يُضْلِلْ فلا هَادِيَ له. وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه، وأصحابِه والتابعين لهم بإحسان، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ وتيقنوا أن لله تعالىٰ الحكمةَ البالغةَ فيما يَصْطَفِي مِنْ خلقِه، فاللهُ تعالىٰ يَصْطَفِي من الملائكةِ رُسُلاً ومن الناسِ، ويُفَضِّلُ من الأوقاتِ أوقاتاً، ومن الأمكنةِ أماكنَ. فَفضَّلَ اللهُ تعالىٰ مكةَ علىٰ سائرِ البقاعِ، ثم مِنْ بعدِها المدينةَ، مُهَاجَرَ خاتمِ الأنبياءِ محمد ﷺ، ثم مِنْ بعدِهما بيتَ المقدسِ، مكانَ غالبِ الأنبياء الذين قَصَّ اللهُ علينا نبأَهم، وجعل لمكةَ والمدينةِ حَرَماً دونَ بيْتِ المقدسِ. وفضَّلَ اللهُ تعالىٰ بعضَ الشهورِ والأيامِ والليالي علىٰ بعضٍ، فَعِدَّةُ الشهور عندَ اللهِ اثنا عشر شهراً في كتابِ اللهِ يومَ خلق السمٰوات والأرضَ، منها أربعةٌ حُرُمٌ، وهي: ذو القَعدةِ، وذو الحِجَّةِ، والمحرمُ. ثلاثةٌ متواليةٌ، وشهرُ رجبٍ الفردُ بينَ جُمَادَىٰ وشعبانَ. وخَيْرُ يومٍ طلعتْ فيه الشمسُ، يومُ الجمعةِ وليلةُ القدرِ خيرٌ من ألفِ شهرٍ. فعظِّموا رَحِمَكم اللهُ ما عَظَّمَهُ اللهُ، فلقد ذَكَر أهلُ العلمِ أنَّ ثوابَ الحسناتِ يُضَاعَفُ في كُلِّ

زمانٍ ومَكَانٍ فَاضِلٍ، وأن عُقوبةَ السيئات تَعْظُمُ في كُلِّ زمانٍ ومكانٍ فاضلٍ، وشَاهدُ هذا في كتابِ اللهِ تعالىٰ وسنةِ رسولِه ﷺ. يقول اللهُ تعالىٰ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢١٧]. وقال تعالىٰ في المسجد الحرام: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥].

وإنكم اليومَ تستقبلون أحدَ الأشهرِ الأربعةِ الحُرُم وهو شَهْرُ رَجَبٍ، فلا تظلموا فيهن أنفسَكم، التزموا حدودَ اللهِ تعالىٰ، أقيموا فرائضَ اللهِ واجتنِبُوا محارمَه، أدوا الحقوقَ فيما بينَكم وبينَ ربِّكم، وفيما بينَكم وبينَ عبادِه. واعلَمُوا أنَّ الشيطانَ قد قَعَدَ لابنِ آدمَ كُلَّ مَرْصَدٍ، وأقسمَ للهِ لَيَأتِيَنَّهم من بينِ أيديهم ومن خَلْفِهم، وعن أيمانِهم وعن شمائلهم، ولا يجدُ أكثرَهم شاكرين، أقسم للهِ بعزة اللهِ لَيُغْوِيَنَّهم أجمعينَ، إلا عبادَ اللهِ المخلصين.

إنَّ الشيطانَ لحَرِيصٌ كُلَّ الحرصِ علىٰ إغواء بَني آدمَ وإضلالِهم، يَصدُهم عن دينِ الله، يأمرُهم بالفحشاءِ والمنكرِ، يُحَبِّبُ إليهم المعاصيَ ويُكَرِّهُ إليهم الطاعاتِ، يأتيهم من كُلِّ جانبٍ ويقذِفُهم بسهامِه من كُلِّ جبهةٍ، إنْ رَأىٰ من العبدِ رغبةً في الخير، ثَبَّطَه عنه وأقعدَه، فإنْ عَجَزَ عنه من هذا الجانبِ، جاءه من جانبِ الغلو والوِسْواسِ والشُّكُوكِ، وتَعَدِّىٰ الحدود في الطاعةِ فأفسدها عليه، فإنْ عَجَزَ من جانبِ الطاعاتِ، جاءه من جانبِ المعاصِي، فينظرُ أقوىٰ المعاصِي هدماً لدينه فأوقعَه فيها، فإنْ عَجَزَ عنه من هذا

الجانبِ حاولَه من جانبٍ أسهلَ، فأوقعَه فيما دونَها من المعاصِي، فإذا وقع في شَرَكِ المعاصِي فقد نالَ الشيطانُ بغيتَه.

فإنَّ المرءَ متىٰ كَسَرَ حاجزَ المعصيةِ أصبحت المعصيةُ هينةً عليه صغيرةً في عينهِ، يُقَلِّلُها الشيطانُ في نفسِه تارةً، ويَفْتَحُ عليه بابَ التسويفِ تارةً، يقول له هذه هينةٌ افعلْها هذه المرةَ وتُبْ إلىٰ اللهِ تعالىٰ، فبابُ التوبةِ مفتوحٌ وربُّك غفورٌ رحيمٌ، فلا يزالُ به يَعِدُه ويُمَنِّيه وما يَعِدُه إلا غُرورا، فإذا وقَعَ في هذه المعصيةِ التي كان يراها من قبلُ صعبةً كبيرةً وهانت عليه، تَدَرَّجَ به الشيطانُ إلىٰ ما هو أكبرُ منها، وهكذا أبداً حتىٰ يخرجَه من دينِه كلِّه. ولقد أشارَ النبيُّ ﷺ إلىٰ هذا التَدَرُّج فيما رواه الإمامُ أحمدُ عن سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**إياكُمْ ومُحَقَّراتِ الذنوبِ، فإنما مَثَلُ مُحَقَّراتِ الذنوبِ، كمَثَلِ قَوْمٍ نزلُوا بَطْنَ وادٍ فجاء ذا بعُودٍ وذا بعُودٍ حتىٰ أنضجو خُبْزَهم، وإن مُحَقَّراتِ الذنوبِ متىٰ يُؤْخَذْ بها صاحبها تُهْلِكُه**»[١].

عبادَ الله: احذروا مكايدَ الشيطانِ ومَكْرَهُ، فإنه يتنوعُ في ذلك وَيَتَلوَّنُ، فهذا يأتيه من قِبَلِ الإيمانِ والتوحيدِ فيُوقِعُه في الشكِّ أحياناً، وفي الشِّرْكِ أحياناً، وهذا يأتيه من قِبَلِ الصلاةِ فيُوقِعُه في التهاونِ بها والإخلالِ، وهذا يأتيه من قِبَلِ الزكاةِ فيُوقِعُه في البُخْلِ بها أو

---

(١) أخرجه أحمد ٥/ ٣٣١، والطبراني في «الكبير» (٥٨٧٢)، وفي «الأوسط» (٧٣١٩)، والرامهرمزي في «الأمثال» (٦٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧٢٦٧)، والبغوي في «شرح السنة» (٤٢٠٣).

صَرْفِها في غيرِ مستحقِّها، وهذا يأتيه من قِبَلِ الصيامِ فيوقعه فيما ينقصه من سيء الأقوالِ والأفعالِ، وهذا يأتيه من قِبَلِ الحجِّ فيوقِعُه في التسويفِ به حتىٰ يأتيه الموتُ وما حَجَّ، وهذا يأتيه من قِبَلِ حُقُوقِ الوالدينِ والأقاربِ فيُوقِعُه في العقوقِ والقطيعةِ، وهذا يأتيه من قِبَلِ الأمانةِ فيُوقِعُه في الغشِّ والخيانةِ، وهذا يأتيه من قِبَلِ المالِ فيُوقِعُه في اكتسابه من غير مبالاة، فيكتَسِبُه عن طريقِ الحرامِ بالرِّبَا تارة، وبالغرر والجَهَالةِ تارةً، وبأخذ الرِّشْوةَ أحياناً، وبإهمالِ عملِه تارةً. إلىٰ غير ذلك من أنواعِ المعاصي وأجناسِها التي يَغُرُّ بها الشيطانُ بني آدِمَ، ثم يَتَخَلَّىٰ عنهم أحوجَ ما يكونون إلىٰ المساعدِ والمُعِينِ. استمعوا إلىٰ قولِ اللهِ تعالىٰ في غُرورِ الشيطانِ لأبَويْنا آدمَ وحواءَ، حين أسكنَهُما اللهُ تعالىٰ الجنةَ، وأذِنَ لهما أنْ يأكلا رَغَداً من حيثُ شاءا من أشجارِها وثمارِها سوىٰ شجرةٍ واحدةٍ عَيَّنَها لهما بالإشارةِ ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ ﴾ [الأعراف: ١٩]. ولكنَّ الشيطانَ وَسْوَسَ لهما وقال: ما نهاكما ربُّكما عن هذه الشجرةِ إلا أنْ تكونا مَلَكَيْنِ أو تكونا من الخالدين، وقاسَمَهما إني لكما لمن الناصحين، فدلاَّهما أي أنزلَهما من مرتبةِ الطاعةِ وعلوِّ المنزلةِ بغرُورٍ. واسمعوا خِداعَه لقُرَيْشٍ في الخروج إلىٰ بَدْرٍ وتَخَلِّيهِ عنهم حيث يقول الله تعالىٰ في ذلك: ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [الأنفال: ٤٨].

واسمعوا قولَ اللهِ تعالىٰ في خداع الشيطان لكلِّ إنسانٍ وتخليه عنه حيث يقول الله تعالىٰ: ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الحشر: ١٦]. ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

عبادَ اللهِ: إن كُلَّ ما تجدونَ في نفوسِكم من تكاسلٍ عن الطاعاتِ وتهاونٍ بالمعاصِي، فإنه مِنْ وسَاوِسِ الشيطانِ ونَزَغَاته، فإذَا وجدتم ذلك فاستعيذوا باللهِ منه، فإنَّ في ذلك الشفاء والخلاص، قال اللهُ تعالىٰ: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٠-٢٠١].

اللهم أعِذْنَا من الشيطانِ الرجيمِ، واجعلْنا من عبادِك المخلصين الذين ليس له سلطان عليهم وعلىٰ ربِّهم يتوكلون، واغفرْ لنا ذنوبنا وإسرافَنا في أمرِنا، وثبت أقدامَنا، وانصرْنا علىٰ القومِ الكافرينَ، إنك جوادٌ كريمٌ.

* * *

شهر رجب

الحمدُ للهِ الذي فضَّل بحكمتِه بعضَ المخلوقاتِ، ونوَّع لعبادِه مواسمَ الخيرِ لِيَمُنَّ عليهم بجزيلِ العطاءِ والهِبَاتِ، ونشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له خالقُ الأرضِ والسمٰواتِ، مدبرُ الأمورِ ومصرفُ الأحوالِ والأوقاتِ، هو الحيُّ لا إلٰهَ إلا هُوَ فادعوه مخلصينَ له الدينُ من غيرِ شِرْكٍ ولا مراءاةٍ، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، الذي عمَّر أوقاتَه بطاعةِ ربِّه وغُفِرَتْ له جميع الذنوبِ والسيئاتِ، صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه ما تكررتِ الدهورُ والساعاتُ وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ واعلموا أنَّ اللهَ بحكمتِه يصطفي مِنْ خَلْقِه ما يشاءُ، ويتصرفُ فيهم بما يُرِيدُ، لا مُعَقِّبَ لحُكْمِه وهو السميعُ العليمُ، وإنّ مِنْ حكمتِه تعالىٰ أن جعلَ عِدَّةَ الشهور اثْنَىٰ عَشَرَ شهراً، مُحَرَّماً وَصَفَراً وربيعاً الأولَ وربيعاً الثانِيَ وجمادىٰ الأُولىٰ وجُمَادىٰ الآخرة ورجباً وشعبانَ ورمضانَ وشوالاً وذا القَعْدَةِ وذا الحِجَّةِ، ونوَّع فيها مواسمَ الخيراتِ، ومواضعَ البركاتِ فمنها شهرُ الصيام، ومنها شُهورُ الحجِّ، ومنها أربعةٌ حُرُمٌ تُضَاعَفُ فيها الأجورُ وتَعْظُمُ فيها الأوزارُ، هذه الأشهرُ الحُرُمُ رَجَبٌ، وذو القَعْدَةِ، وذو الحِجَّةِ، ومُحَرَّمٌ فمنها شهرُنا هذا رَجَبٌ، فاحترموهن ولا تظلموا فيهن أنفسَكم بالإثمِ والمعاصي، فإنَّ

الطاعاتِ تُضَاعَفُ في كُلِّ زمانٍ أو مكانٍ فاضلٍ وكذلك السيئات تَعْظُمُ في كلِّ زمانٍ أو مكانٍ فاضلٍ، وإنَّ الشيطانَ ـ نعوذُ باللهِ منه ـ قد قَعَد لابْنِ آدمَ كُلَّ مَرْصَدٍ، وأقسمَ لَيأْتِينَّ العبادَ مِنْ بَيْنِ أيديهم ومن خَلْفِهم وعن أيمانِهم وعن شمائِلهم، ليصدَّهُمْ عن دينِ اللهِ ويُوقِعَهم فيما فيه الهلاكُ والشقاءُ إن رأىٰ مِنَ العبدِ رغبةً في الخير ثبَّطه عنه وأقْعدَه، فإن لم يتمكن من ذلك دخلَ عليه من بابِ الغُلُوِّ، وتَعدِّي الحدود فأَفْسَدَ عليه دينَه وأهلكَه، وإن رأىٰ من العبد تهاوناً في الطاعةِ زاده تثبيطاً وتهاوناً وهوَّن عليه الأمرَ في تَرْكِها، وإنْ رأىٰ منه محبةً للعصيانِ زاده في ذلك وهوّن عليه المعاصِيَ وقللَّها في عينِه، قال: هذه بسيطةٌ، وهذه هَيِّنةٌ، وكُلُّ الناسِ يفعلون ذلك أو يفعلون ما هو أعظمُ منها وربما وعَدَه ومَنَّاهُ، وقال: اعملْ هذا ثم تُبْ، فإن بابَ التوبةِ مفتوحٌ، فإذا وقَعَ في شَرَكِ المعصيةِ وهَمَّ بالتوبةِ سَوَّلَ له وأَمْلَىٰ له، وقال: الزمنُ أمامَك فلا عليك لو أَخَّرْتَ التوبةَ، وهكذا دَأَبُ الشيطانِ مع ابْن آدمَ في الطاعاتِ والمعاصِي، تثبيطٌ عن الخيرِ وإغراءٌ بالشرِّ، يجري من ابْنِ آدَمَ مَجْرَىٰ الدمِ، ويُوقِعُه في الذنوبِ والمعاصي، ثم يُنَدِّمُه حينَ لا ينفعُ الندمُ، أرأيتم ما فَعلَ بالأبوين آدمَ وحَوَّاءَ. أسكنهما اللهُ الجنةَ، وقال: كُلَا من حيثُ شِئْتُما ولا تقربا هذه الشجرةَ، ولكن الشيطانَ وَسْوَسَ لهما وقاسمهما إني لَكُمَا لمن الناصحين ودَلاَّهُما بغُرورٍ فأَزَلَّهما عنها فأخرجَهما مما كانا فيه. ولقد قصَّ اللهُ علينا من نَبَأَ

غُروره ما فيه عِبْرةٌ للمعتبرين. فقال تعالىٰ ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [إبراهيم: ٢٢]. وقال تعالىٰ: ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الحشر: ١٦-١٧].

أيها المسلمون: غروره وكيدَه، واعلموا أنَّ كيدَه ضعيفٌ لا يُقَاوِمُ الحقَّ إذا استعانَ العبدُ بربِّه وأخلصَ النيةَ له، واجتنبوا الظلمَ والمعاصيَ خصوصاً في الأشهرِ الحُرُم، قال اللهُ تعالىٰ: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة: ٣٦].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيمُ.

* * *

فضل شهر رجب

الحمدُ للهِ الذي فضَّل بحكمتِه بعضَ المخلوقاتِ، ونوَّع لعبادِه مواسمَ الخيراتِ، لِيَمُنَّ عليهم بأنواعِ العطايا والهِبَاتِ. وأشهدُ أن لا إلٰهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، خالقُ الأرضِ والسمٰواتِ، ومدبرُ الأمورِ ومصرف الأحوالِ والأوقاتِ، هو الحيُّ لا إلٰهَ إلا هُوَ، فادعوه مخلصينَ له الدينُ من غيرِ شِرْكٍ ولا مراءاةٍ. وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه، الذي عمَّر أوقاتَه بطاعةِ مولاه، وغُفِرَتْ له جميعُ الذنوبِ والزلاتِ. صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه، ما تكررتِ الأعوامُ والساعاتُ، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واعلموا أن اللهَ تعالىٰ يصطفِي مِنْ خَلْقِه ما يشاءُ، ويتصرفُ فيه بما يُرِيدُ، ليتبين بذلك كمالُ حكمتِه وتمامُ إحسانِه علىٰ العبيدِ. جعل عدةَ الشهورِ عنده اثْنَيْ عَشَرَ شهراً: المحرمَ، وصَفَرُ، والربيعينِ، والجُمَادَيْنِ، ورجَبٌ، وشعبانُ، ورمضانُ، وشَوَّالٌ، وذو القعدة، وذو الحِجَّةِ.

ونوَّع فيها مواسمَ الخيراتِ، وأنواعَ البركاتِ، فجعل من هذه الشهور أربعةً حُرُماً، وهي: رَجبٌ، وذو القَعْدَةِ، وذو الحِجَّة، ومُحَرَّماً. فهذه الأربعةُ الحرم يُضَاعِفُ اللهُ فيها لعاملِ الخيرِ الأجرَ والثوابَ، ويُعْظِمُ علىٰ مَنْ بَغَىٰ وطغَىٰ فيها العقابَ.

فاتقوا اللهَ تعالىٰ في شهرِكم هذا. واحْرِصُوا علىٰ كثرةِ الحسناتِ، وجاهدوا أنفسكم علىٰ تَرْكِ المعاصي والخطيئاتِ. فالشيطانُ قد قَعدَ

لابن آدمَ كُلَّ مَرْصَدٍ أن رآه مقبلاً علىٰ الطاعة، ثبَّطه عنها وأوْهَنَ عزيمته، وسهَّل عليه تركَها وصغَّرها حتىٰ يُمْسِكَ بشكيمته فإنْ رأىٰ منه تصميماً علىٰ فعلِها، جاءه من بابِ الغُلُوِّ في العباداتِ، ومجاوزةِ الحدِّ، حتىٰ يُفْسِدَ دينَه. وإن رآه معرضاً عن الشرِّ زَيَّنَه في عينِه، ووَسْوَسَ إليه، وإن رآه مقبلاً علىٰ الشرِّ رغّبه فيه، وحثَّه عليه. فالشيطانُ يَجْرِي من ابْن آدمَ مَجْرَىٰ الدَّمِ، ويُهْلِكُه بالذنوبِ والمعاصي ويُنَدِمُه حينَ لا ينفعُ الندم.

أَوَلَمْ يبلغْكم ما جرىٰ علىٰ أَبَوْيكُمْ من الوَبَالِ، حتىٰ تابَ اللهُ عليهما. فأصْلَحَ الأحوالَ والأعمالَ. لقد أسكنَ اللهُ تعالىٰ الجنةَ آدمَ وحواءَ، وأمرَهما أن يأكلا منها رَغَداً من حيثُ شاءا إلا أنه تعالىٰ عَيّنَ لهما شجرةً ونهاهما أن يَقْرَباها اختباراً منه لهما، في إظهار عداوة إبليسَ، ومدىٰ منتهاها.

فقاما علىٰ تلك الحال حتىٰ أتاهما إبليسُ فوسوس إليهما وزَخْرَفَ لهما القولَ، وهو أكذب الكاذبين فأقسم أنه لهما من الناصحين، وأنه يَدُلُّهما علىٰ شجرةٍ إن أكلا منها كان مَلَكَينِ مُخَلَّدَينِ. فقال: يا آدمُ هل أَدُلُّكَ علىٰ شجرةِ الخُلْدِ، ومُلْكٍ لا يَبْلَىٰ. فما زال يُخَادِعُهما ويغرهما حتىٰ أخرجَهما من الجنةِ، بإغرائِه وتغريرِه.

وربُّنا تبارك وتعالىٰ لرحمتِه بنا، ولطفِه وإحسانِه قد حذرَنا منه وبَيَّنَ لنا من الأمثالِ في عداوتِه. لنكونَ علىٰ حَذَرٍ من مَكْرِهِ وغُرورِهِ وخيانته. وتلك الأمثالُ نضربُها للناس وما يعقلُها إلا العالمون.

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة: ٣٦].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيمُ.

* * *

فضائل شهر رمضان

الحمدُ للهِ الذي منّ علينا بمواسمِ الخيراتِ وأعطانا فيها من جزيلِ الفضائلِ والهِبَاتِ. وأشهدُ أن لا إلٰهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، ذو الفضلِ العظيم والخيرِ الجسيمِ، والبرِّ الوافرِ في جميعِ الأوقات. وأشهدُ أنَّ محمداً عبده ورسولُه، أفضلُ المخلوقاتِ. صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه الدائبين في طاعتِه في جميع الحالاتِ، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ واعلموا أنكم قد استقبلتم شهراً عظيماً وموسماً للخيراتِ جَسِيماً. شهراً جعلَه اللهُ تعالىٰ سبباً لغفرانِ الذنوب والسيئات، وتكفيرِ الخطايا ورفعِ الدرجاتِ، مَنْ صامه إيماناً باللهِ واحتساباً لثواب الله، غفرَ اللهُ له ما تقدم من ذنبه، ومَنْ قامه إيماناً واحتساباً غفرَ له ما تقدم من ذنبه، شهراً نَدَبَكُم اللهُ إلىٰ تعظيمِه بالصيام والقيامِ وبفعلِ الطاعاتِ والكفِّ عن جميعِ الآثامِ، فاحْرِصُوا رَحِمَكُمُ اللهُ علىٰ استقبالِه بعزمٍ أكيدٍ. واغتنموا فُرَصَه الثمينةَ قبلَ فواتِها، واستعينوا بربكم علىٰ حَبْسِ النفسِ فيه عن هَوَاها ولهوائها فإنَّ السعيدَ مَنِ اغتنمَ مَواسِمَ الخيراتِ، وبادَر إلىٰ حفظِ أوقاتِها بفعلِ الطاعاتِ قبلَ أن يفوتَ المَغْنَمُ، فيندَم علىٰ ما ضاع من عمرِه وفَاتَ.

أمَا عَلِمْتُمْ ما للهِ تعالىٰ في هذا الشهرِ من نفحاتٍ، وما له فيه من رحمةٍ وإحسانٍ وتكفيرِ سيئاتٍ. فذلكم هو الشهرُ الذي نزل فيه

القرآنُ، الذي فيه هِدَايتُكم وإسعادُكم، وفيه استقامةُ أمورِكم كلِّها ورَشَادُكم، حَقِيقٌ بنا أنْ نُعَظِّمَ هذا الشهرَ الذي نزل فيه القرآنُ، وجديرٌ بنا أن نُصَابِرَ فيه علىٰ الطاعاتِ، وفِعْلَ المعروفِ والإحسان. قال النبيُّ ﷺ: **«إنَّ في الجنةِ غُرَفاً يُرَىٰ ظُهورُها من بُطونِها، وبُطونُها من ظُهورِها ـ وذلك لشدةِ صَفَائِها ونُورِها ـ قالوا: لِمَنْ يا رسولَ اللهِ؟ قال: «لِمَنْ طيَّبَ الكلامَ، وأطْعَمَ الطعامَ، وصلَّىٰ بالليلِ والناسُ نِيامٌ»**[١].

وهذه الخصالُ وللهِ الحمدُ، تتوفرُ في هذا الشهرِ الكريمِ شهرِ رمضانَ، فإنَّ الناسَ يُكْثِرُونَ فيه من طَيِّبِ الكلامِ، يُسَبِّحُونَ اللهَ ويَذْكُرُونَه، ويُكَبِّرونَ اللهَ ويَدْعُونَه، يتقرَّبُونَ إليه بكلامِه، فَيُبْدُونَهُ ويُعِيدُونه، وهذا هو طَيِّبُ الكلامِ. فإنَّ كُلَّ كلامٍ يُقَرِّبُ إلىٰ اللهِ فهو طَيِّبٌ. وفي هذا الشهر يُطْعِمُ المسلمون الطعامَ. فيُفَطِّرون الصُوَّامَ، ويَجُودُونَ علىٰ الفقراءِ والأراملِ والأيتامِ. ومَنْ فَطَّرَ صائماً كان له مِثْلُ أجرِه من غيرِ أن يَنْقُصَ من أجرِ الصائمِ شيءٌ، تفضلاً من الكريمِ المنان.

وفي هذا الشهرِ يقومُ المسلمون لصلاتِهم والناسُ نِيامٌ، فهم في آخرِ الليلِ يقومون لأكلةِ السُّحُورِ، والمُوَفَّقُ منهم يَحْرِصُ علىٰ أن يُصَلِّيَ ما شاءَ اللهُ في تلك الساعةِ طلباً للثوابِ والأجورِ. فما عليك أن تصَلِّيَ إذا قمتَ إلىٰ السحورِ ما شاءَ اللهُ من ركعاتٍ. فإن آخرَ

---

(١) أخرجه الترمذي (١٩٨٤) من حديث علي رضي الله عنه.

الليلِ وقتُ إجابةِ الداعين، وإعطاءِ السائلين، والمغفرةِ للمستغفرين، كما ثبت عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**ينزلُ ربُّنا إلىٰ السماءِ الدنيا حينَ يبقَىٰ ثُلُثُ الليلِ الآخِرِ فيقول: مَنْ يدعوني فأستجيبَ له، مَنْ يسألُني فأُعْطِيَهُ، مَنْ يستغفرُني فأغفرَ له**»(١).

فمَنْ قام بوظائف هذا الشهرِ، وصان لسانَه، وحَفِظَ صيامَه، رُجِيَ أن يكونَ مِمَّنْ أطابَ الكلامَ، وأطعمَ الطعامَ، وصلَّىٰ بالليل والناسُ نِيامٌ.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِي ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: ١٩-٢٤].

بارَكَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيمُ.

* * *

---

(١) أخرجه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

نعم الله تعالىٰ علىٰ عباده في رمضان

الحمدُ للهِ المتفضلِ بالجودِ والإحسانِ، المنعمِ علىٰ عبادِه بِنِعَمٍ لا يُحْصِيها العدُّ والحسْبَانُ. أنعمَ علىٰ هذه الأمةِ بإنزالِ القرآنِ هُدىً للناسِ وبيناتٍ من الهُدىٰ والفرقانِ، ونَصَرَ نبيَّنا محمداً ﷺ وأصحابَه ببدرٍ وسماه يومَ الفرقانِ، وأعزَّه بفتحِ مكةَ أمِّ القرىٰ وتطهرها من الأصنام والأوثان، فيا له من عزٍّ ارتفعَ به صَرْحُ الإسلامِ وأندكَّ به بنيانُ الشركِ والطغيانِ! وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، له الملكُ الرحيمُ الرحمٰنُ. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أرسلَه بالهُدَىٰ ودينِ الحقِّ، لِيُظْهِرَه علىٰ جميعِ الأديانِ. صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه الذين نصروه وأعانوه، فهم نِعْمَ الأنصارُ، ونِعْمَ الأعوانُ، وعلىٰ التابعين لهم بإحسانٍ ما توالتِ الدهورُ والأزمانُ، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا ربَّكم واشكروه علىٰ ما أنْعَم به عليكم من نِعَمٍ وافرةٍ، وآلاءٍ سابغةٍ. خصوصاً في هٰذا الشهرِ الكريمِ، شهرِ رمضانَ. ففيه أَنزلَ اللهُ كتابَه المبينَ رحمةً للعالمين، ونُوراً للمستضيئين، وهُدىً للمتقين، وعِبرةً للمعتبرين، وآياتٍ للعالمين ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١]، ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]، فيه خبرُ ما قبلَكم ونبأُ ما بعدكم، وحُكْمُ ما بينكم. مَنْ تمسَّك به نجا،

ومَنْ طلبَ الهُدَىٰ منه اهتدىٰ. ومَنْ أعرضَ عنه وقعَ في الهلاكِ والرَّدىٰ. فبُؤْساً للمُعْرِضِينَ الهالكين.

وفي هذا الشهرِ الكريمِ أَنْعَم اللهُ علىٰ عبادِه بفَرْضِ الصيامِ، وجعله أحدَ أركانِ الإسلامِ، لتستكملَ هذه الأمةُ من الفضائلِ ما حصل لغيرها، وليُتِمَّ لها بذلك تقوىٰ اللهِ، ولِيَحْصُلَ لمَنْ صامه إيماناً واحتساباً مغفرةُ الذنوبِ والآثامِ.

وفي هذا الشهرِ الكريمِ أنْعَمَ اللهُ علىٰ عبادِه بمشروعيةِ القيامِ، لِتَعْمُرَ أوقاتُه ليلاً ونهاراً، بطاعةِ الملكِ العلامِ. فمَنْ قام رمضانَ إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه. ومَنْ قام مع الإمام حتىٰ ينصرفَ كُتِبَ له قيامُ ليلةٍ.

وفي هذا الشهرِ الكريمِ أَنْعَم اللهُ علىٰ هذه الأمةِ بفضيلةِ ليلةِ القَدْرِ التي هي خيرٌ من ألفِ شهرٍ، ومَنْ قامها إيماناً واحتساباً غَفَرَ اللهُ ما تقدم من ذنبه.

وفي هذا الشهرِ الكريمِ أَنْعَم اللهُ علىٰ عباده بالرحمةِ والمغفرةِ والعِتْقِ، فأولُ الشهرِ رحمةٌ، وأوسطُه مغفرةٌ، وآخرُه عِتْقٌ من النار.

وفي هذا الشهرِ الكريمِ كانت غزوةُ بَدْرٍ الكبرىٰ، التي نصرَ اللهُ فيها عساكرَ الإيمانِ وجُنودَ الرحمٰنِ. وهم محمدٌ رسولُ اللهِ والذين معه، وهزم اللهُ فيها جنودَ الشيطانِ وأنصارَ الشركِ والطغيانِ، فإن رسولَ اللهِ ﷺ بلَغَه خروجُ أبي سفيانَ بِعِيرِ قُرَيشٍ من الشامِ إلىٰ

مكةَ، فندبَ أصحابه ﷺ إلىٰ تلك العيرِ. فخرجوا في رمضانِ في السنةِ الثانيةِ من الهجرةِ في ثلاثمائةٍ وبِضْعَةَ عَشَرَ رجلاً فقط، ليس معهم إلا سبعون بَعِيراً يعتقبونها، وفَرَسانِ اثنانِ فقط لأنهم لا يريدون إلا العِيرَ، ولا يريدون عدوَّهم. ولكنَّ اللهَ بحكمتِه جمعَهم علىٰ غيرِ ميعادٍ، لِيقضِيَ سبحانَه ما حَكَمَ به وأرادَ، فإن أبا سفيانَ لمَّا عَلِمَ بخروجِ النبيِّ ﷺ إليه بعث صارخاً إلىٰ أهل مكةَ يستنجدُهم ليمنعوا عِيرَهم، فخرجوا من ديارِهم كما وصفهم الله بَطَراً ورِئَاءَ الناسِ، ويصدُّون عن سبيلِ الله. يقول قائلُهم: واللهِ لا نرجِعُ حتىٰ نَقْدُمَ بَدْراً ونُقِيمَ فيها ثلاثاً ننحرُ الجَزورَ ونَطْعَمُ الطعامَ، ونَسْقِي الخمور، وتَسْمَعُ بنا العربُ، فلا يزالون يهابوننا أبداً.

قالوا ذلك ولكنَّ اللهَ مِنْ ورائِهم محيطٌ، وعلىٰ رسولِه ﷺ وأنصارِه رقيبٌ حفيظٌ، فأوحىٰ الله إلىٰ الملائكةِ أني معكم ﴿فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ١٢-١٣]، فقيَّضَ اللهُ لرسولِه ﷺ، وأصحابه من أسبابِ النصرِ ما به انتصروا ولأعدائه وحزبه كَسَروا، فقتلوا من صناديدِ قريشٍ فريقاً، وفريقاً أَسَرُوا، ورجع فُلُّ قُرَيْشٍ إلىٰ ديارِهم مهزومين، موتورين، خائبين. فلله الحمد رب السمٰوات، ورب الأرض رب العالمين.

وفي هذا الشهرِ الكريمِ فتحَ اللهُ مكةَ، البلدَ الأمينَ، علىٰ يد خليلِه ونبيِّه محمدٍ أفضلِ النبيين، وطهَّرها بذلك من الأصنامِ والمشركين،

فصارت بلادُ إسلامٍ وإيمانٍ، بعد أن كانت بلادَ كفرٍ وأوثانٍ، ودخل الناسُ به في دينِ اللهِ أفواجاً، وأشرقَ وجهُ الأرضِ ضِيَاءً وابتهاجاً. فإنَّ النبيَّ ﷺ حين نقضت قريشٌ صُلْحَ الحديبيةِ خرج إليهم في عشرةِ آلافٍ من أصحابه لأيامٍ مَضَيْنَ من رمضانَ في السنةِ الثامنةِ من الهجرةِ، يريدُ غَزْوَ قُرَيْشٍ لنقضِهم الصلحَ، وقال: **اللهم خُذِ العيونَ والأخبارَ عن قُرَيْشٍ حتىٰ نَبْغَتَها في بلادِها.**

فأعمىٰ اللهُ الأخبارَ عنهم حتىٰ وصلهم النبيُّ ﷺ، فدخل مكةَ مُؤَزَّراً منصوراً علىٰ إحدىٰ مَجْنَبَتَيْهِ حَوَارِيَّهُ الزبيرُ بنُ العوامِ، وعلىٰ الأخرىٰ سيفُ اللهِ خالدُ بْنُ الوليدِ. وأمر عمَّه العباسَ بنَ عبدِ المطلبِ، أن يحبس أبا سفيانَ في مَضِيقِ الوادي، لِتمرَّ به جنودُ اللهِ فيراها، فمرت به القبائلُ علىٰ راياتها، حتىٰ مرَّ به رسولُ اللهِ ﷺ في كتيبتِهِ الخضراءِ، فيها المهاجرون والأنصارُ، لا يرىٰ منهم إلا الحِلَق من الحديدِ. فقال أبو سفيان للعباس: من هؤلاء؟ فقال: هذا رسول الله ﷺ، في المهاجرين والأنصار. فقال: ما لأحدٍ بهؤلاء قِبَلٌ ولا طاقةٌ.

فدخل رسولُ اللهِ ﷺ مكةَ صبيحةَ يوم الجمعةِ في عشرين من رمضانَ خاضعاً لله مطأطئاً رأسَه حتىٰ إنَّ جبهتَه لَتكادُ تَمَسُّ رَحْلَه، تعظيماً للهِ ربِّ العالمين، وركَزَت رايتُه بالحَجُونِ. ثم نهضَ وأصحابُه المهاجرون والأنصارُ بين يديه وخلْفَه، وعن يمينِه وعن شمالِه. فطاف بالبيتِ، وكان علىٰ البيتِ وحوله ثلاثمائة وستون صَنَماً فجعل يطعنُها بقوسٍ في يدِه، ويقول: «**جاءَ الحقُّ وزهَقَ**

الباطلُ إن الباطلَ كان زهوقاً». فلما أكملَ طوافَه دخل الكعبةَ فرأىٰ فيها الصُّوَرَ، فأمر بها فمُحِيتْ، ثم أخذَ ببابِ الكعبةِ وقريشٌ تحتَه ينتظرون ماذا يصنع ثم قال: «**لا إلٰهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، صَدقَ وعدَه، ونصرَ عبدَه، وهزمَ الأحزابَ وحدَه**»، ثم قال: «**يا معشرَ قريشٍ: ما تَرَوْنَ أني فاعلٌ بكم؟**» قالوا: خيراً، أخٌ كريمٌ، وابنُ أخٍ كريمٍ. قال: «**فإني أقول لكم كما قال يوسف لإخوته: لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم، اذهبوا فأنتم الطلقاء**»(١).

أيها المسلمونَ: إنَّ نِعَمَ اللهِ علىٰ عبادِه في هذا الشهرِ كثيرةٌ، وخيراتِه وافرةٌ غزيرةٌ، فتعرضوا لنفحاتِ جودِه وكرمِه واسألوه المزيدَ من فضلِه ورحمتِه. فإن اللهَ يقولُ: ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ**﴾ [البقرة: ١٨٦].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيمُ.

* * *

---

(١) خطبة رسول الله ﷺ هذه عند دخوله مكة أخرجها أحمد ٢/ ١٦٤، وأبو داود (٤٥٤٧)، والنسائي ٨/ ٤٢، وانظر «زاد المعاد» لابن القيم ٣/ ٣٥٩. وأخرجه بهذه السياقة البيهقي في «السنن» ٩/ ١١٨.

من أحداثِ شهرِ رمضان المبارك

الحمدُ للهِ المتفضلِ بالجودِ والكرمِ والإحسانِ، المنعمِ علينا بإنزالِ القرآنِ، مشتملاً علىٰ الهُدَىٰ والتبيانِ، ونصرَ نبيَّنا ﷺ وأصحابَه في يومِ بدرٍ وسماه يومَ الفرقانِ، وأظهرَ عِزَّته وفَخْرَه بفتحِ مكةَ أمِّ القُرَىٰ ونَقَضَ دعائمَ الشركِ والطغيانِ، وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا الله وحدَه لا شريكَ له، الملكُ الحكيمُ الرحيمُ الرحمٰنُ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه الذي بعثَه بالهُدَىٰ ودينِ الحقّ لِيُظهِرَه علىٰ جميعِ الأديانِ، صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه، الذين ناصروه وآزَرُوه فَنِعْمَ الأعوانُ.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واعْرِفُوا ما له في هذا الشهرِ من نِعَمٍ سابقةٍ وآلاءٍ مستمرةٍ ثابتةٍ. ففي هذا الشهرِ أنزلَ اللهُ كتابَه المبينَ رحمةً للعالمين، ونوراً للمستضيئين، وعِبْرةً للمعتبرين ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١]، ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢].

وفي هذا الشهر غزوةُ بَدْرٍ الكبرىٰ، التي أعزَّ اللهُ فيها الإسلامَ وأهلَه، وأذلَّ اللهُ فيها الشركَ وأهلَه. فإنه ﷺ لمَّا بلغَه خروج أبي سُفيان من الشام بعيرٍ لقريشٍ نَدَبَ أصحابَه إلىٰ تلك العِيْرِ، ولم يكنْ يظنُّ أن يَلْقَىٰ عدوَّه، ولكنَّ اللهَ جمَعَ بينَهم علىٰ غَيْرِ مِيعادٍ.

فلما سَمِعَ أبو سفيانَ بخروجِ النبيِّ ﷺ إليه بَعَثَ صَارِخاً لأهلِ مكةَ يستنجدُهم فخَرجُوا من ديارِهم بَطَراً ورئاءَ الناسِ، ويصدون عن سبيلِ اللهِ، يقول قائلُهم: واللهِ لا نرجعُ حتىٰ نَقْدُمَ بَدْراً فنُقيمَ فيه ثلاثاً نَنْحَرُ الجَزُورَ ونَطْعَمُ الطعامَ ونَسْقِي الخمور وتَسمعُ بنا العربُ، فما يزالون يَهابُونَنا أبداً. ولكنَّ اللهَ بأعمالهم محيطٌ، وعلىٰ رسولِه وصحابتِه حفيظٌ. فأَوْحَىٰ ربُّك إلىٰ الملائكةِ ﴿أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال: ١٢]. وقيّض اللهُ لرسولِه ﷺ، وأصحابِه من أسبابِ النصرِ ما به انتصروا ولأعدائِه وحَرْبِه كَسرُوا. فقتلوا صناديدَ قريشٍ، وبَعْضاً أَسَرُوا، ورجعَ فلهم موتورين خائبين. فلله الحمدُ ربِّ العالمين.

وفي هذا الشهرِ فتحَ اللهُ بلدَه الأمينَ مكةَ علىٰ يدِ نبيِّه محمدٍ ﷺ، أفضلِ النبيين وطَهَّرَها من الأصنامِ والمشركينَ، وهو الفتحُ الذي استبشرَ به أهلُ السماءِ وضربت أَطْنَابُ عِزِّهِ علىٰ مناكبِ الجَوْزَاءِ. ودخلَ الناسُ في دينِ اللهِ أفواجاً، وأشرقَ به وجهُ الأرضِ ضياءً وابتهاجاً، فإنه ﷺ خرج إلىٰ مكةَ غازياً قريشاً بسبب نَقْضِهم صُلْحَ الحديبيةِ، حتىٰ دخل مكةَ مُؤَزراً منصوراً علىٰ إحدىٰ مَجْنَبَتَيْهِ حواريُّه الزبيرُ بْنُ العوامِ وعلىٰ الأخرىٰ سيفُ اللهِ خالدُ بْنُ الوليدِ. دخل رسول اللهِ ﷺ والنصرُ يُرَفرِفُ حولَه، وهو خاضعٌ لربِّه مطاطيءٌ رأسَه، حتىٰ إنَّ ذقنَه لَعَلىٰ راحلتِه ﷺ.

وركزت رايةُ رسولِ اللهِ ﷺ بالْحَجُونِ ثم نَهَضَ وأصحابُه المهاجرون والأنصارُ بينَ يَدَيْهِ وخَلْفَه، وعن يمينِه وعن شمالِه رضي اللهُ عنهم. فطافَ بالبيت وكان حول البيت ثلاثمائة وستون صنماً، فجعل يطعنُها بقوسٍ في يدِه وهو يقول: «**جاء الحقُّ وزهق الباطل إنَّ الباطل كان زهوقاً**». فلما أكملَ طوافَه دخل الكعبةَ فرأىٰ فيها الصُورَ فأمرَ بالصُّورِ فَمُحِيت ثم أخذَ ببابِ الكعبةِ وقريشٌ تحتَه ينتظرون ماذا يصنعُ. ثم قال: «**لا إلٰهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، صَدَقَ وعدَه، ونصرَ عبدَه، وهزمَ الأحزابَ وحدَه**»، ثم قال: «**يا معشرَ قريشٍ ما تَرَوْنَ أني فَاعِلٌ بكم؟**» قالوا: خيراً أَخٌ كريمٌ، وابْنُ أخٍ كريمٍ. ثم قال: «**فإني أقولُ لكم كما قال يوسفُ لأخوتِه لا تثريبَ عليكم اليومَ اذهبوا فأنتم الطلقاءُ**»[1].

وفي هذا الشهرِ أيها المسلمون ليلةُ القدرِ ليلةٌ هي خيرٌ من ألفِ شهرٍ. مَنْ حُرِمَ خَيْرَها فقد حُرِمَ، ومَنْ قامَها إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدم من ذنبِه. ألا وإنها في هذه العشرِ الأواخرِ خاصةً. ألا وإن أوكدَها أوتارُها إحدىٰ وعشرون، ثلاثٌ وعشرون، خمس وعشرون، سبع وعشرون، تسع وعشرون، لكنَّ اللهَ تعالىٰ أخْفَىٰ عنا عِلْمَ عَيْنِها حكمةً ورحمةً بنا، ليعلمَ الإنسانَ الحريصَ علىٰ الخيرِ، الذي يتعبُ

---

(١) خطبة رسول الله ﷺ هذه عند دخوله مكة أخرجها أحمد ٢/ ١٦٤، وأبو داود (٤٥٤٧)، والنسائي ٨/ ٤٢، وانظر «زاد المعاد» لابن القيم ٣/ ٣٥٩، وأخرجه بهذه السياقة البيهقي في «السنن» ٩/ ١١٨.

جميعَ الليالِي لِطَلَبِها ولا يُبَالِي بما أصابه من التعبِ لِيُدْرِكَها، وليتزودَ الناسُ في جميعِ ليالي العشرِ من الخيرِ والقيامِ، فيزدادوا بذلك قُربةً من الملكِ العلامِ.

إخواني إنَّ شهرَكم قد آذنَ بالرحيلِ، ولم يَبْقَ منه إلا القليلُ، فَبادِرُوا أيها المسلمون ما بَقِيَ من أيامِه ولياليه، وافْزَعُوا إلىٰ ذِكْرِ رَبِّكم واستغفارِه في دياجيه، فعسىٰ أن تُصِيبُوا نفحة من نَفَحَاتِ المولىٰ، فتَسْعَدُوا بها في الآخرةِ والأولىٰ. فالمُوفَّقُ مَنْ إذا خرجَ شهرُه فَرِحَ بما أودَعه من صالحِ الأعمالِ، والْمَغْبُونُ مَنْ إذا خرجَ شهرُه عَضَّ علىٰ يدِه بما قدَّمَ من التفريطِ والإهمالِ. فاجتهدوا رَحِمَكُمُ اللهُ فيما بَقِيَ من شهرِكم، وأكثروا من صالحِ الأعمالِ، واسألوا ربَّكم القبولَ واستغفروه علىٰ التفريطِ والإهمالِ.

اللهُمَّ فكما مَنَنْتَ علينا بإدراك شهرِ رمضانَ ووفَّقْتَنا فيه لليسيرِ من صالحِ الأعمالِ. فَمُنَّ علينا بقَبُولِ ذلك، يا كريمُ يا منّانُ. اللهم لا تَرُدَّ عملَنا بقبائحِ فِعْلِنا، ولا تُؤَاخِذْنا بتفريطِنا وإهمالنا، إنك جوادٌ كريمٌ، رؤوفٌ رحيمٌ.

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيمُ.

* * *

وداع رمضان

الحمدُ للهِ الذي خلق جميعَ خلقِه ليعبدوه، وليقوموا بأداءِ حقوقِه ويتقوه، ولم يجعلْ لعبادته أجلاً دون الموت، فاحفظوا حدودَه وراقبوه، ونشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريك له، شهادةً نرجو بها النجاة من النارِ والوصولَ إلىٰ دارِ النعيمِ والأنوارِ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المصطفىٰ المختارُ، صلىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وصحبِه البررةِ الأطهارِ وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ يُصْلِحْ لكم أعمالَكم ويغفر لكم ذنوبَكم، فإنَّ تقوىٰ اللهِ سببُ لصلاحِ الأعمالِ، واستقامةِ الأحوالِ، والتقربِ إلىٰ ذي العظمةِ والجلالِ، ألا وإن التقوىٰ هي القيامُ بطاعةِ الله ورسولِه وأداءِ حقوقِه وحقوقِ عباده، التقوىٰ أن تأتمرَ حيثُ أمرك اللهُ، وان تنتهيَ حيثُ نهاك اللهُ، واعلموا رحمكم اللهُ أن المواسمَ التي يجعلُها اللهُ لعبادِه مَغْنَماً، وللزيادةِ من الأعمال الصالحات مَوْسِماً، لا تنتهي العبادةُ بانتهائها ولا تزولُ بزوالِها، فمَنْ كان منكم في شهرِ رمضانَ قائماً بالطاعات، فاعلاً للمأمورات، منتهياً عن المحرماتِ فَلْيتمِّمْ ذلك في بقيةِ الأوقات، فإنَّ أجلَ العبادةِ لا ينتهي إلا بالموت، قال اللهُ تعالىٰ لنبيهِ ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾ [الحجر: ٩٩]، ألا وإن علامةَ قبولِ الحسنةِ فِعْلُ الحسنةِ بعدَها، ألا وإن من علامةِ الحرمانِ اتباعَ الحسنةِ بسيئةٍ

بعدَها، ألم تكن عبداً لله في جميع حياتك ألم تكن ملتزماً للقيام بطاعته في جميع أوقاتك ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، فقد التزمَ كلُّ واحدٍ من بَنِي آدمَ علىٰ نفسِه أنَّ اللهَ هو ربُّه، ومعنىٰ ذلك أنه لا بدَّ أن يستلزمَ لأمره وأن ينقادَ لحكمه، وفي الصحيحين عن النبي ﷺ: «**يُقال للرجل من أهلِ النار يومَ القيامة: أرأيتَ لو كان لك ما علىٰ الأرض من شيء أكنت مفتدياً به؟ قال: فيقول: نعم، فيقول: قد أردتُ منك ما هو أهون من ذلك، قد أَخَذْتُ عليك في ظهرِ آدمَ أَنْ لا تُشْرِكَ بي شيئاً فأَبَيْتَ، إلا أن تُشْرِكَ**»[1]. فهذا الذي ذَكَره النبيُّ ﷺ، فِيمَنْ أَشْرَكَ ليس خاصاً به، وإنما هو علىٰ سبيلِ التمثيل، وإلا فكلُّ العباداتِ سوف يُسْأَلُ الإنسانُ عنها حينَ لا يستطيعُ علىٰ الجواب حيلةً ولا يهتدي إليه السبيلَ، فإنه لن تزولَ قَدَماً عبد يومَ القيامةِ حتىٰ يُسأل عن أربع: عن عُمرِه فيم أفناه، وعن شبابِه فيم أبلاه؟ وعن مالِه من أين اكتسبه؟ وفيم أنفقه؟ وعن علمه ماذا عمل فيه؟ فاتقوا اللهَ واعْمُروا جميعَ أوقاتِكم بطاعةِ المولىٰ، من الذكرِ والصلاةِ، وأداءِ الحقوقِ والقيامِ بتلقي العلومِ النافعةِ واكتسابِ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٣٤) و(٦٥٣٨)، ومسلم (٢٨٠٥) من حديث أنس رضي الله عنه.

الأخلاقِ الفاضلةِ قبل أن تقولَ نفسٌ يا حسرتي علىٰ ما فرطْتُ في جَنْبِ الله، يا ويلتي لقد ضَيعتُ حقوقَ اللهِ قبلَ أن ﴿ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴾ [الفرقان: ٢٧-٢٩].

وفقني اللهُ وإياكم لعمارةِ الأوقاتِ بطاعته وأعاننا علىٰ ذكرِه وشكرِه وحُسْنِ عبادته ويَسَّرَ لنا أسبابَ الهُدَىٰ وأعاذنا من أسبابِ الغَيِّ والشقاءِ إنه سميعٌ عليمٌ رؤوفٌ رحيمٌ.

* * *

وداع رمضان

الحمدُ للهِ الذي وفَّق مَنْ شاء من عبادِه للنظر والاعتبارِ، فَعَرفُوا قَدْرَ مواسمِ الخيراتِ، فاغتنموها، ورَأَوْا نفاسَة أوقاتِهم فابتدروها، أولئك هم المتقون الأبرارُ، وخَذلَ من شاء من عبادِه. فأَعْرَضُوا عن النظرِ، فَعَمِيَتْ منهم القلوبُ والأبصارُ، وفَرّطوا في أوقاتهم فأضاعوها بتَرْكِ الطاعاتِ وفعل المعاصي الصغارِ والكبارِ، ونشهدُ أن لا إلٰهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، شهادةً تنقذُ مَنْ أخْلَصَها مِنْ عذابِ النارِ. ونشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه، المصطفىٰ المختارُ. صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ، ما تعاقبَ الليلُ والنهارُ، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واعلموا أنَّ اللهَ جعل الليلَ والنهار خِلْفةً لِمَنْ أراد أن يَذَّكَّرَ أو أراد شُكُوراً. فهما خَزانَتان لأعمالِكم، فانظروا ماذا تَخْزُنُونَ فيهما وهما مَرَاحِلُ أعْمارِكم إلىٰ قبورِكم، فانظروا بماذا تقطعون هذه المراحلَ، واعلموا أنكم ستجدون ما عملتموه ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٣٠]. ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧-٨].

أيها الناسُ: لقد قطعتم مَرَاحِلَ شهرِ رمضانَ، فلم يَبْقَ منها إلا القليلُ، ولم يعملْ الكثيرُ من الناسِ في هذه المراحلِ إلا عمل المريضِ العليلِ. لقد أمْضَيْنَاها بالتسويفِ والأمانِي والتشاغلِ بفُضُولِ الحُطَام الفانِي، حتىٰ انفرطت منا انفراطَ الأمرِ علىٰ الجَانِي لقد عَقَلْنا لو عَرَفْنا قَدْرَ هذه الليالي والأيام، فملأناها بطاعةِ الملكِ العلام واجتنبنا فيها المعاصِيَ والآثامَ. كَمْ أناسٍ تَمَنَّوْا إدراكَها فادركتهم المنون فأصبحوا في قُبُورِهم مُرْتَهَنَين، لا يستطيعون زيادةً في صالحِ الأعمالِ، ولا توبةً من سيءِ الأعمالِ. ونحن عبادَ اللهِ في زَمَنِ الإمهالِ، فلْنَغْتنمْ المهلةَ بصالحِ الأعمالِ. أيها المُفَرِّطُون فيما مضىٰ من الشهرِ يُمْكِنُكم الإدراكُ، فالعملُ بالختامِ، فاستدركوا ما بَقِيَ من الليالي والأيامِ، فإنها لحظاتٌ تمرُّ مر السهام.

ألم تعلموا أنَّ هذا الشهرَ أولُه رحمةٌ، وأوسطُه مغفرةٌ، وآخرُه عِتْقٌ من النار. فيه تُفْتَحُ أبوابُ الجناتِ تسهيلاً لِطَالِبيها، وفيه تُغْلَقُ أبوابُ النيرانِ، أمام مُرِيدِيها. وفي هذا الشهر ليلةُ القدرِ خيرٌ من أَلْفِ شهرٍ. مَنْ حُرِمَ خَيْرَها فهو المحرومُ، ومَنْ فَرَّط في طَلَبها فهو المَلُومُ، كيف تُفَرِّطُ في ليلةٍ خَيْرٍ مِنْ أَلْفِ شهر، مَنْ تَحَرَّاها إيماناً باللهِ واحْتِسَاباً لثوابه، فقَامَها كذلك فقد أَدْرَكَها وغَفَرَ اللهُ له ما تقدم من ذنبِه.

وفي الحديث أن النبيَّ ﷺ صَعِدَ المنبر فلما صعد عتبة المنبرِ الأولىٰ، فقال: **آمين**، ثم صَعِدَ الثانيةَ، فقال: **آمين**، ثم صَعِدَ الثالثةَ،

فقال: آمين، ثم أخبر أصحابَه بأن جبريلَ آتاه فقال: **يا محمدُ، مَنْ أدْرَكَ رمضانَ فلم يُغْفَرْ له فأَبْعَدَهُ اللهُ. فقلت: آمين. ومَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ أو أحدَهما فدخلَ النارَ، فأَبْعَدَهُ الله. فقلت: آمين. ومَنْ ذُكِرْتَ عندَه فلم يُصَلِّ عليكَ، فأَبْعَدَهُ اللهُ. فقلت: آمين**[١]. وفي الحديث أيضاً، «**بُعْداً لِمَنْ أَدْرَكَ رمضانَ، فلم يُغْفَرْ له**» إذا لم يُغْفَرْ له فيه فَمَتَىٰ؟. ومعنىٰ قوله: «**أدْرَكَ رمضانَ فلم يُغْفَرْ له**» أنه فَرَّطَ فيه فلم يَأْتِ بما يُوجِبُ المغفرةَ من صيام ولا قيامٍ ولا غيرهما.

أيها المسلمون: ما مَرَّ بالمسلمين شهرٌ خَيْرٌ لهم من شَهْرِ رمضانَ، ولا مَرَّ بالمنافقين شَهْرٌ شَرٌّ لهم منه. فالمسلمون يُحِبُّونَه ويَغْتَنِمُونَه، والمنافقون يُبْغِضُونَه ويُهْمِلُونَه.

عبادَ اللهِ: إنَّ ربَّكم الجوادَ الكريمَ الرحيمَ يَنزِلُ كُلَّ ليلةٍ في رمضانَ وغيرِه إلىٰ السماءِ الدنيا حينَ يَبْقَىٰ ثُلُثُ الليلِ الآخِرِ، فيقولُ: «**مَنْ يدعوني فأَسْتَجِيبَ له، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَه، مَنْ يستغفرُني فأَغْفِرَ له**»[٢]. حتىٰ يَطْلُعَ الفجرُ. فما قال مؤمنٌ يا ربِ، إلا أجابه اللهُ، ولا سأله شيئاً مِنْ خَيْرَي الدنيا والآخرةِ إلا أعطاه،

(١) أخرجه ابن حبان (٤٠٩)، والبزار (١٤٠٥)، والطبراني في «الكبير» (١١١١٥) من حديث مالك بن الحويرث رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ولا استغفرَه مِنْ أيِّ ذنبٍ إلا غَفرَ له وعفاه. فهذه واللهِ غايةُ الجودِ والرحمةِ والكرمِ، مِنَ الجوادِ الكريمِ الرحيمِ إلىٰ عبادِه. فيَعْرِضُ عليهم جودَه وكرمَه مع كمالِ غِنَاهُ عنهم، وشِدَّةِ افتقارِهم إليه، فَتَعَرَّضُوا لنفحاتِه أيها المسلمون، وتُوبُوا إلىٰ اللهِ جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تُفلحون.

أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيمُ.

❊ ❊ ❊

شهر شوال

الحمدُ لله الذي جعَلَ الليلَ والنهارَ خِلفةً لمن أرادَ أن يذكَّر أو أراد شكوراً، ووفَّق من شاءَ من عبادِه لعمارتها بالطاعات المتنوعةِ ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم، وأولئك كان سعيُهم مشكوراً، وخذَلَ من أعرضَ عن ذكرِه واتبعَ هواه، وأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً، وأشهدُ أنْ لا إلٰه إلا الله وحدَه لا شريكَ له له المُلكُ وله الحمدُ وكان الله علىٰ كلِّ شيءٍ قديراً، وأشهد أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه أرسله بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً وداعياً إلىٰ الله بإذنه وسراجاً منيراً، صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آلِه وأصحابه وأتباعهم وسلّم تسليماً كثيراً.

أما بعدُ، أيها الناس: فقد كنتم ترتقبون مجيء شهرِ رمضان ولقد جاء شهرُ رمضان وخلفتموه وراءَ ظهركم وهكذا كلُّ مستقبل سوف ينتهي إليه العبدُ ويصل إليه ويخلفه وراءَه حتىٰ الموتَ.

أيها الناس: ولقد أودعتم شهرَ رمضان ما شاء الله تعالىٰ أنْ تودعوه من الأعمال فمن كان منكم مُحسناً فليُبشر بالقبول فإنَّ اللهَ لا يضيعُ أجرَ المُحسنين ومن كان منكم مُسيئاً فليتب إلىٰ الله فالعذر قبل الموت مقبولٌ والله يحبُّ التوابين.

أيها الناس: لئن انقضىٰ شهر الصيام فإنَّ زمنَ العملِ لا ينقضي إلا بالموت، ولئن انقضت أيامُ صيامِ رمضان فإنَّ الصيامَ لا يزال

مشروعاً ولله الحمد في كلِّ وقتٍ. فقد سنَّ رسولُ الله ﷺ صيامَ يومِ الاثنين والخميس وقال: «**إن الأعمالَ تُعرض فيهما علىٰ الله تعالىٰ فأحبُّ أن يُعرضَ عملي وأنا صائم**»[١] وأوصىٰ أبا هريرة رضي الله عنه بصيامِ ثلاثةِ أيامٍ من كلِّ شهرٍ وقال: «صومُ ثلاثةِ أيامٍ من كلِّ شهرٍ صومُ الدهر كلّه»، وأمرَ أنْ تكون هذه الأيام الثلاثة أيامَ البيض وهي اليوم الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر فمن أمكنه أن يجعل الثلاثة في أيام البيض فهو أفضل وإلا فلو في غيرها.

ولئن انقضىٰ قيامُ رمضان فإنَّ قيامَ الليل مشروعٌ في كلِّ ليلةٍ من ليالي السنة ولله الحمد وقد ثبتَ عن النبيِّ ﷺ أن الله تعالىٰ ينزل إلىٰ السماء الدنيا كلَّ ليلةٍ حين يبقىٰ ثلثُ الليل الآخر فيقول: «**من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له**»[٢].

فيا عباد الله اتقوا الله تعالىٰ وبادروا أعماركم بأعمالكم، وحقِّقوا أقوالَكم بأفعالكم واغتنموا الأوقات بالأعمال الصالحات، فإن حقيقةَ العمر ما أمضاه العبدُ بطاعةِ الله وما سوىٰ ذلك فذاهبٌ خساراً.

---

(١) أخرجه الترمذي (٧٤٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وأخرجه النسائي ٤/ ٢٠١ وفي «الكبرىٰ» (٢٦٦٧) من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أيها المسلمون: لقد يسَّر اللهُ لكم سُبلَ الخيرات وفتَحَ أبوابها ودعاكم لدخولها وبيّن لكم ثوابَها. فهذه الصلوات الخمسُ أكدُ أركانِ الإسلامِ بعد التوحيد هي خمسٌ في الفعل وخمسونَ في الميزان مفرقة في أوقاتٍ مناسبة لئلا يحصل المللُ للكسلان وليحصل لكل وقت حظَّه من تلك الصلوات فسبحانه الحكيم الديان. وهذه النوافلُ التابعةُ للفرائضِ اثنتا عشرة ركعة أربعٌ قبل الظهر بسلامين وركعتان بعدها وركعتان بعد المغرب، وركعتان بعد العشاء الآخرة، وركعتان قبل الفجر من صلاهنَّ بنىٰ الله له بيتاً في الجنة.

وهذا الوتر سنة رسول الله ﷺ قولاً وفعلاً وقال: «**إن الله وتر يحب الوتر**» وأقلُّ الوترِ ركعةٌ وأكثرُهُ إحدىٰ عشرة ركعة ووقته من صلاة العشاء الآخرة إلىٰ طلوع الفجر وهو سنةٌ مؤكدة لا ينبغي للإنسان تركُه حتىٰ قال بعضُ العلماء إنه واجبٌ، وقال الإمامُ أحمد: من ترك الوترَ فهو رجلُ سوءٍ لا ينبغي أن تُقبلَ له شهادةٌ.

وهذه الأذكارُ خلفَ الصلوات المفروضة من سبَّح اللهَ دُبرَ كلِّ صلاةٍ ثلاثاً وثلاثين وحمِدَ اللهَ ثلاثاً وثلاثين وكبَّر الله ثلاثاً وثلاثين فتلك تسعٌ وتسعون، وقال تمام المئة لا إلٰه إلا الله وحدَه لا شريك له، له الملكُ وله الحمدُ وهو علىٰ كلِّ شيءٍ قدير غُفرت خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر.

وهذا الوضوء مَن توضأ فأسبغَ الوضوءَ ثم قال: أشهد أن لا إلٰه إلا الله وحدَه لا شريك له وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه اللهم

اجعلني من التوابين واجعلني من المُتطهرين فُتِحَت له أبوابُ الجنة الثمانية يدخل من أيِّها شاء.

وهذه النفقات المالية إذا أنفق الإنسانُ نفقةً يبتغي بها وجهَ الله أُثيب عليها، حتىٰ ولو كان الإنفاقُ علىٰ نفسِه أو أهلِه أو ولدِه وإن الله ليرضىٰ عن العبدِ يأكلُ الأكلةَ فيحمدُه عليها ويشربُ الشربةَ فيحمده عليها، والساعي علىٰ الأرملة والمساكين كالمجاهد في سبيل الله أو كالصائمِ لا يفطر وكالقائم لا يفتر، والساعي عليهم هو الذي يسعىٰ بطلب الرزق لهم ويقوم بحاجتهم. ولا شكَّ أنَّ عائلتك التي لا تستطيع القيام بنفسها من الأولاد الصغار وغيرهم هم من المساكين فالساعي عليهم كالمجاهد في سبيل الله.

فيا عبادَ الله إنَّ طرقَ الخير كثيرةٌ فأين السالكون وإن أبوابها لمفتوحةٌ فأين الداخلون وإن الحقَّ لواضحٌ لا يزيغُ عنه إلا الهالكون.

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩﴾ [الحج: ٧٧].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيمُ.

* * *

فضل عشر ذي الحجة

الحمدُ للهِ الذي جعل لعبادِه مواسمَ للخيراتِ، ليُجْزِلَ لهم فيه جزيلَ العطاءِ والهباتِ. ونشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، ربُّ الأرضِ والسمٰواتِ. ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، الذي ختمَ به جميعَ النبواتِ، وأظهر دينَه علىٰ الأديانِ كلِّها في جميعِ الجهاتِ. صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه، والتابعين لهم بإحسانٍ في الأقوالِ والأفعالِ والاعتقاداتِ، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واشكروه علىٰ إنعامِه عليكم بمواسمِ الخيرِ والإحسانِ، واغتنموها بالأعمالِ الصالحةِ، واجتنابِ العصيانِ. فإنما عُمْرُ العبدِ ما بذلَه في صالحِ الأعمالِ، وتَقَرَّبَ فيه إلىٰ ذي الكرمِ والجلالِ، ألم تَرَوْا كيف تَمْضِي الليالي والأيامُ حتىٰ يأتيَ الإنسانَ أجلُه، فحينئذٍ يندمُ حينَ لا ينفعُ الندمُ والإهمالُ.

فاغتنموا رحمكم اللهُ هذه الأيامَ المعلوماتِ، التي أقسمَ اللهُ بها في مُحْكَمِ الآياتِ، وتميزت بفَضْلِ الطاعاتِ فيها علىٰ جميعِ الأوقاتِ. فعن ابنِ عباسٍ رضِيَ اللهُ عنه، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**ما من أيامٍ العملُ الصالحُ فيهنَّ أحبُّ إلىٰ اللهِ من هذه الأيام**»، يعني العشرَ، قالوا: يا رسولَ اللهِ ولا الجهادُ في سبيلِ اللهِ. قال: «**ولا الجهادُ في سبيلِ اللهِ، إلا رجلٌ خرجَ بنفسِه ومالِه، ثم لم يرجعْ من

ذلك بشيء»[١]. وعن ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عنهما أن النبيَّ ﷺ قال: **«ما من أيامٍ أعظمَ عندَ اللهِ ولا أحبَّ إليه العملُ فيهِنَّ من هذه الأيام العشرِ»**[٢] فأكثروا فيهِنَّ من التهليلِ والتكبيرِ والتحميد.

فأكثروا فيهن من قول: اللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، لا إلٰهَ إلا اللهُ، واللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، وللهِ الحمدُ. أكثروا من هذا الذكرِ في البيوتِ والأسواقِ والمساجدِ. وارفعوا بذلك أصواتكم تعظيماً لله، وإظهاراً للشعائر. ولْتَشْهَدْ عليكم الأرضُ بما سَمِعتْ يومَ تُبْلَىٰ السرائرُ. وأكثروا في هذه الأيامِ من الصدقةِ، والمعروفِ والإحسانِ وفعلِ الطاعاتِ كلِّها، من الصلاةِ والصيامِ والقرآنِ.

فهذه أوقاتُ مضاعفةِ الحسناتِ، وهذه أوقاتُ إجابةِ الدعواتِ، هذه أوقاتُ الفضائلِ الإلٰهيةِ والنفحاتِ، هذه أوقاتُ الاستقامةِ من الخطايا والسيئات هذه أيامُ الاعتذارِ ورَفْعِ الحوائجِ إلىٰ اللهِ والشكاياتِ. هذه أيامُ ازدحامِ الوافدين إلىٰ بيتِ اللهِ من جميع الجهاتِ، يسلكون الطرقَ جواً، وبراً، وبحراً، للوصولِ إلىٰ تلك المشاعرِ المُعظَّماتِ. هذه أيامُ الطوافِ بالبيتِ العتيقِ، وضجيجِ الأصواتِ بالدعواتِ. هذه مواسمُ الأرباحِ لذوي الهممِ العاليةِ

(١) أخرجه البخاري (٩٦٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه أحمد ٢/ ٧٥ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما. وانظر «مجمع الزوائد» ٤/ ١٦.

والتجاراتِ فخذوا رَحِمَكُمُ اللهُ تعالىٰ من فضائِلِها بحظٍّ وافرٍ، وإياكم والتفريطَ والإهمالَ. فالمُفَرِّطُ خَاسِرٌ.

واعلموا أنَّ مَنْ كان عندَه همةٌ صادقةٌ ونِيةٌ صالحةٌ، وأنه لم يتخلفْ عن الحجِّ إلا لعدمِ قدرتِه عليه، فإنَّ اللهَ تعالىٰ يكتبُ له من الأجرِ علىٰ حَسَبِ نيتِه. فإنَّ النبيَّ ﷺ لما رجَعَ من غزوةِ تَبُوكَ ودنا من المدينة قال: «**إنَّ بالمدينةِ أقواماً ما سِرْتُمْ مَسِيراً، ولا قَطَعْتُمْ وادياً إلا كانوا مَعَكُم**». قالوا: يا رسولَ اللهِ وهم بالمدينة؟ قال: «**حَبَسَهُمُ العُذْرُ**»[1].

ومَنْ أرادَ منكم أن يُضَحِّيَ أو يُضَحَّىٰ عنه، فلا يَأْخُذَنَّ من شَعْرِه، ولا من ظُفْرِه، ولا من جِلْدِه شيئاً من دُخولِ الشهرِ حتىٰ يُضَحِّيَ. لقول النبيِّ ﷺ: «**إذا دَخَلتِ العَشْرُ، وأراد أحدُكم أنْ يُضَحِّيَ فلا يَمَسَّ من شَعْرِه وبَشَرِه شيئاً**». وفي رواية «**فلْيُمْسِكْ عن شَعْرِه وأظفاره**»[2].

والمرادُ بذلك مَنْ يُضَحِّي لنفسِه، وأما مَنْ يُضَحِّي عن غيرِه، كالوكيلِ، والوصيِّ الذي يتولىٰ وصايا غيرِه، فإنه يجوزُ له أن يأخذَ من شَعْرِه وأظفاره وبشرتِه. ومَنْ أخذَ منكم شيئاً ناسياً أو جاهلاً، فلا إثمَ عليه ولا كفارةَ.

---

(١) أخرجه مسلم (١٩١١) من حديث جابر رضي الله عنه.
(٢) أخرجه مسلم (١٩٧٧) من حديث أم سلمة رضي الله عنها.

وصوموا رَحِمَكم اللهُ يومَ عرفةَ، فإنَّ في صيامه أجراً عظيماً، فإنه يُكَفِّرُ السنةَ التي قبله، والسنةَ التي بعدَه. وما أصابكم من الجوعِ والظمأ، فإنه أعظمُ لأجورِكم.

أعوذُ باللهِ من الشيطانِ الرجيمِ: ﴿وَٱلْفَجْرِ ۝ وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ [الفجر: ١-٢]. وقال تعالىٰ: ﴿وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَـٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَـٰمِ﴾ [الحج: ٢٨].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيمُ.

* * *

أيام التشريق

الحمدُ للهِ حمداً كثيراً كما يُحِبُّ ربُّنا ويَرْضىٰ، له الأسماءُ الحُسْنَىٰ والصفاتُ الكاملةُ العُلْيَا، خلقَ الأرضَ والسمٰواتِ العُلَىٰ ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ۝٧ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [طه: ٥-٨]، شَهِدَتْ بوحدانيتِه المخلوقاتُ وقامت بأمرِه الأرضُ والسمٰواتُ فهو رَبُّ العالمين وإلٰهُ الأولينَ والآخرينَ، وقَيُّومُ السمٰواتِ والأرَضِينَ. الأولُ الذي ليس قبلَه شيءٌ، والآخرُ الذي ليس بعدَه شيءٌ، والظاهرُ الذي ليس فوقَه شيءٌ، والباطنُ الذي ليس دُونَه شيءٌ، وهو بكلِّ شيءٍ عليمٌ، يعلمُ ما يَلِجُ في الأرضِ وما يخرجُ منها، وما ينزلُ من السماءِ وما يَعْرُجُ فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير، لا يَخْفَىٰ عليه شيءٌ في الأرضِ ولا في السماءِ، هو الذي يُصَوِّرُكم في الأرحامِ كيف يشاءُ لا إلٰهَ إلا هُوَ العزيزُ الحكيمُ ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]. يخلُقُ ما يشاءُ وهو العليمُ القديرُ، ويتصرفُ في مخلوقاتِه بحكمتِه وهو العزيزُ الحكيمُ، خلق السمٰواتِ والأرضَ بما فيهما من المخلوقاتِ وما بينَهما من خفايا المُغَيبَّاتِ وبدائعِ المعلوماتِ، خلقَ كُلَّ ذلك

وقدَّره تقديراً. في ستةِ أيامٍ فقط، ولو شاءَ لأوجَدَه بلحظةٍ وكان ربُّك قديراً، ولكن لِحِكْمةٍ خلقَ ذلك في ستةِ أيامٍ ليعلم عبادَه الحكمةَ في مصنوعاتِهم والإحكامَ، فسبحانَه مِنْ إلٰهٍ عظيمٍ وربٍّ حكيمٍ ومَلِكٍ رحيمٍ تُسَبِّحُ له السمٰواتُ وأملاكُها والنجومُ وأفلاكُها والأرضُ وسكانُها، والبحارُ وحيتانُها، والجبالُ وصخورُها، وكُلُّ رَطْبٍ ويابسٍ وكُلُّ متحركٍ وساكنٍ، وكُلُّ حيٍّ ومَيّتٍ! تسبحُ له السمٰواتُ السبعُ والأرضُ ومَنْ فيهنّ، وإنْ من شيءٍ إلا يسبحُ بحمدِه ولكن لا تفقهون تسبيحَهم إنه كان عليماً غفوراً، فسبحانَ اللهِ وبحمدِه عددَ خلقِه، وسبحانَ اللهِ وبحمدِه رِضَا نفسِه، وسبحانَ اللهِ وبحمدِه زِنةَ عرشِه، وسبحانَ اللهِ وبحمدِه مِدادَ كلماتِه، عَمَّ برحمتِه جميعَ مخلوقاتِه، ووَسِعَ بحمدِه المذنبين من عُصاتِه، ولولا حِلْمُ اللهِ لغارتِ الأرضُ بسكانِها ولهلكتِ الخليقةُ بعِصْيانِها، ولو يؤاخذُ اللهُ الناسَ بما كسبوا ما تَرِكَ علىٰ ظهرِها من دابةٍ ولكن يؤخرُهم إلىٰ أجلٍ مُسَمىً، فإذا جاء أجلُهم فإنَّ اللهَ كان بعبادِه بصيراً. أعلنَ لعبادِه بالنبأ العظيمِ المشوبِ بالتشويقِ والتحذيرِ، فقال تعالىٰ: ﴿ ۞ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٤٩ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴾ [الحجر: ٤٩-٥٠]. بدأ بالرحمةِ لأن رحمتَه سبقت غَضَبَه، ولكن حَذَّرَ عبادَه من التمادِي في المعاصِي بأن عذابَه هو العذابُ الأليمُ حتىٰ لا يأمنوا من مَكْرِ اللهِ ولا يتهاونوا بحقوقِ اللهِ، فهذا إخبارٌ عن مُقْتَضَىٰ صفاتِه الكاملةِ أن رحمتَه سبقت غَضَبَه،

ولما كان المقامُ مقامَ تحذيرٍ وتخويفٍ بدأ بما يقتضي التحذيرَ والتخويفَ، فقال: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٩٨]. ليكونَ العبدُ سائراً إليه بينَ الخوفِ والرجاءِ فلا يُغَلِّبُ الرجاءَ حتىٰ يصلَ به إلىٰ الأمنِ من مَكْرِ اللهِ، ولا يُغَلِّبُ الخوفَ حتىٰ يصلَ إلىٰ القنوطِ من رحمةِ اللهِ، بل يكونُ مسيرُه وسَطَاً بينَ الطريقين وعَدْلاً بينَ المُنْحَرفَيْنِ. فاللهُ أكبرُ كبيراً، والحمدُ للهِ كثيراً، وسبحانَ اللهِ بكرةً وأصيلاً، وأشهدُ أن لا إلٰهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، كلمةٌ قامت بها الأرضُ والسمٰواتُ، وخُلِقَتْ من أجلِها جميعَ المخلوقاتِ، وبها أُرسلتِ الرسلُ وأنزلتِ الكتبُ، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، هي كلمةُ الإخلاصَ وبها الفكَاكُ من النارِ والخلاصُ، لا تُقْبَلُ إلا بها ولا يُفْتَحُ بابُ الجنةِ إلا لمَنْ أتَىٰ بها، ومَنْ كان آخرُ كلامِه من الدنيا لا إلٰهَ إلا اللهُ دخل الجنةَ، لو وُزِنَتْ بها السمٰواتُ السبعُ والأرَضُونَ السبعُ ومَنْ فيهِنَّ من المخلوقاتِ لرَجَحَتْ، لأنها الكلمةُ العظيمةُ التي تُحْقَنُ بها الدماءُ وتُعْصَمُ بها الأموالُ ويَلْتَحِقُ بها العبدُ بالمؤمنين الأطهارِ، ويَنْجُو من الكافرين الأقذارِ، فلا إلٰهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، له الملكُ وله الحمدُ وله العِزَّةُ والاقتدارُ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه وخيرتُه مِنْ خلقِه وخليلِه، أرسله اللهُ رحمةً للعالمين، ليُخْرِجَ الناسَ ﴿مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝١ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ۝٢ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١-٣] فبلَّغ رسالةَ ربِّه وأدىٰ الأمانةَ ونصَحَ الأُمةَ وجاهدَ في اللهِ حقَّ جهادِه، وعبدَ ربَّه حتىٰ أتاهُ اليقينُ فلا خَيْرَ إلا دَلَّ الأُمةَ عليه ورغَّبهم فيه ولا شَرَّ إلا بيَّنه للأُمةِ وحذَّرَهم عنه، فصلواتُ اللهِ وسلامُه عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه الذين قاموا بدينِ اللهِ وقام بهم دِينُ اللهِ فَنُصِرُوا وانتصروا، ونالوا العزةَ والكرامةَ وما قُهِرُوا، لأنهم تمسكوا بدينه، وقد وَعدَ اللهُ أن يُظْهِرَ دِينَه علىٰ جميعِ الأديانِ، ولأنهم جُنْدُ اللهِ وحِزْبُه، وأن جُنْدَ اللهِ هم الغالبون، وأن حِزْبَ اللهِ هم المفلحون، فصلواتُ اللهِ وسلامُه علىٰ نبيِّه وعلىٰ آلِه وأصحابِه ومَنْ تَبِعَهم بإحسانٍ.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ واذكروه ذِكْراً كثيراً وسَبِّحوه بُكْرةَ وأصيلاً وخصوصاً في أيامِ التشريقِ التي أمرَكم اللهُ فيها بِذِكْرِه وغَمَرَكم بِنعَمِه وبِرِّهِ، ونهاكم نبيُّكم عن صيامِها فلا يجوز لكم صيامُ أيامِ التشريق، لأنها أيامُ أكلٍ وشُرْبٍ وذِكْرٍ للهِ عزَّ وجلّ، وأنتم اليومَ في أَوْسَطِها وغَداً في آخرِها، فانتهزوا فُرَصَها قبلَ الفواتِ، واعْمُروا بطاعةِ مولاكم جميعَ الأوقاتِ، فإنَّ حقيقةَ عُمْرِ الإنسانِ ما أمضاه بطاعةِ الرحيمِ الرحمٰنِ. اذكروا اللهَ تعالىٰ في أنفسِكم واذكروه في مَلأِكُمْ فإن اللهَ يقولُ فيما رواه عنه نبيُّه ﷺ: **«مَنْ ذَكَرَنِي في نفسِه ذكرتُه في نَفْسِي، ومن ذَكَرَني في ملأٍ ذكرتُه في**

ملأٍ خَيْرٍ منهم»[1] اذكروا اللهَ فبذكرِ اللهِ تطمئنُ القلوبُ، وتُفَرَّجُ الكروبُ، ويَحْصُلُ المطلوبُ، ولذلك أمرَ اللهُ بذكرِه عندَ لقاءِ عَدُوِّه، فقال اللهُ تعالىٰ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الأنفال: ٤٥].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيمُ.

* * *

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وداع العام

الحمدُ للهِ الذي جعل الشمسَ ضِياءً، والقمرَ نوراً، وقدَّره منازلَ، لتعلموا عدَد السنينَ والحسابَ، والحمدُ للهِ الذي جعلَ الليلَ والنهارَ خِلفَةً لمن أراد أنْ يَذَّكَّرَ أو أراد شكوراً من ذوي الألبابِ. وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، له الملكُ وله الحمدُ، ومنه المبتدأُ وإليه المآبُ. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أفضلُ مَنْ تَعَبَّدَ للهِ وأنابَ، صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه، وأصحابِه ومَنْ تَبِعَهم بإحسانٍ، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، وتَبَصَّرُوا في هذه الأيامِ والليالِ، فإنها مراحلُ تَقْطَعُونَها إلىٰ الدارِ الآخرةِ، حتىٰ تَنْتَهُوا إلىٰ آخرِ سَفَرِكم، وإن كُلَّ يومٍ يمرُّ بكم بل كُلّ لحظةٍ تمرُّ بكم، فإنها تبعدكم من الدنيا وتقربكم من الآخرة، وإنَّ هذه الأيام والليالي خزائن لأعمالكم محفوظة لكم شاهدةٌ بما فيها من خيرٍ أو شرٍّ، فطُوبَىٰ لعبدٍ اغتنمَ فُرَصَها بما يُقَرِّبَ إلىٰ اللهِ، وطوُبَىٰ لعبدٍ شَغلَها بالطاعاتِ واجتنابِ العِصيانِ، وطوُبىٰ لعبدٍ اتعظ بما فيها من تقلباتِ الأمورِ والأحوالِ، فاستدل بذلك علىٰ ما للهِ تعالىٰ فيها من الحِكَمِ البالغةِ والأسرارِ، يقلب اللهُ الليلَ والنهارَ، إنَّ في ذلك لَعِبْرَةً لأولي الأبصار.

إخواني أَلَم تَرَوْا إلىٰ هذه الشمسِ تطلعُ كُلَّ يوم من مشرقِها وتغرُبُ في مغربِها، فإنَّ في ذلك أعظمَ اعتبارٍ، إنْ طلوعَها ثم غيوبَها إيذانٌ بأن هذه الدنيا ليست دارَ قرارٍ، وإنما هي طلوعٌ ثم غيوبٌ وإدبارٌ.

ألم تَرَوْا إلىٰ القمرِ يطلُعُ هِلالاً صغيراً في أولِ الشهرِ كما يُولَدُ الأطفالُ، ثم ينمو رُوَيْداً رُوَيْداً، كما تنمو الأجسامُ حتىٰ إذا تكامل في النمو أخذ في النقص والاضمحلال، وهكذا جِسمُ الإنسانِ وحياتُه تماماً، فاعتبروا يا أولي الأبصار. ألم تَرَوْا إلىٰ هذه السنينَ تتجددُ عاماً بعدَ عام، يجيءُ أولُ العامِ فينظرُ الإنسانُ إلىٰ آخرِه نظرةَ البُعْدِ، ثم تمرُّ الأيامُ سريعةً كَلَمْحِ البصرِ، فإذا هو في آخرِ العامِ، وهكذا عُمْرُ الإنسانِ يتطلعُ إلىٰ آخرِه، تَطَلُّعَ البعيدِ، فإذا به قد بغتَه الأجلُ وجاءت سكرةُ الموتِ بالحق، ذلك ما كنتَ منه تَحِيدُ، ربما يُؤَمِّلُ طولَ العُمْرِ، ويَتَسَلَّىٰ بالأماني فإذا بحَبْلِ الأملِ قد انصرمَ، وببناء الأماني قد انهدمَ.

أيها الناسُ: إنكم في هذه الأيام تُوَدِّعون عاماً ماضياً شهيداً، وتستقبلون عاماً مشرقاً جديداً، فَلَيْتَ شِعْرِي! ماذا أَوْدَعْتُمْ في العامِ الماضي؟ وماذا تستقبلون به العامَ الجديدَ؟ فليُحاسِبَ العاقلُ نفسه ولَينظرْ في أمرِه، فإن كان فَرَّطَ في شيءٍ من الواجباتِ، فلْيَتُبْ إلىٰ اللهِ ولْيَسْتَدرِكْ ما فاتَ، وإن كان ظالماً لنفسه بفِعْلِ المحرماتِ فلْيُقْلِعْ عنها قبلَ حلولِ الأجلِ والفواتِ، وإن كان مِمَّنْ مَنَّ اللهُ عليه بالاستقامةِ، فلْيحمدِ اللهَ علىٰ ذلك، ولْيسألْه الثباتَ عليه إلىٰ المماتِ.

إخواني ليس الإيمانُ بالتمني ولا بالتَحَلِّي، إنما الإيمانُ ما حَلَّ في القلبِ، وصَدَّقَتْه الأعمالُ، ليست التوبةُ مجرد قَوْلٍ باللسان ولكنها نَدمٌ علىٰ ما فَعَلَ من الذنوبِ، وتَرْكٌ لما كان عليه من المعاصي والعيوب، وإنابةٌ إلىٰ اللهِ تعالىٰ بإصلاحِ العملِ ومراقبةِ علامِ الغيوبِ. فحقِّقوا أيها المسلمون الإيمانَ، وأَخْلِصُوا التوبةَ ما دُمتم في زَمنِ الإمكانِ. وعَظَ النبيُّ ﷺ رجلا، فقال: «**اغتنم خَمْساً قبلَ خَمْسٍ: شبابَك قبلَ هَرَمِكَ، وصحتك قبلَ سَقَمِك، وغِناك قبلَ فَقْرِك، وفَراغكَ قبلَ شُغْلِك، وحياتَك قبلَ موتِك**»[1]. ففي الشباب عزيمةٌ وقوةٌ، فإذا هَرِمَ الإنسانُ فَتَرتِ العزيمةُ، وضَعُفَتِ القوةُ، ولم يستطعِ التخلصَ مما شبَّ عليه. وفي الصحةِ انشراحٌ ونشاطٌ، فإذا مَرِضَ الإنسانُ ضاقت نفسُه، وانحط نشاطُه، وثَقُلَتْ عليه الأعمالُ. وفي الغِنَىٰ راحةٌ وفراغٌ، فإذا افتقرَ الإنسانُ قَلِقَ فِكْرُه، وانشغلَ بطَلَبِ العيشِ لنفسِه وعيالِه، وفي الحياة ميدانٌ فسيحٌ للأعمالِ، فإذا مات الإنسانُ انقطعت عنه أوقاتُ العملِ، وفات زمنُ الإمكانِ.

فاعتبروا أيها المسلمون بهذه المواعظِ وقيسُوا ما بَقِيَ من أعمارِكم بما مَضَىٰ منها، فإن ما بَقِيَ منها سوف يَمْضِي سريعاً كما مضَىٰ ما سبَقَ، واعلموا أن كُلَّ آتٍ قريبٌ، وكُلَّ شيءٍ من الدنيا

---

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد (٢) والحاكم ٤/ ٣٠٥، والبيهقي في الشعب (١٠٢٤٨) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. وانظر جامع العلوم والحكم ١/ ٣٨٤.

زائلٌ ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾ [النازعات: ٤٦]. وتذكروا إخواناً لكم كانوا معكم في مثل هذهِ الأيامِ مِنْ سالفِ الأعوامِ، ثم انتقلوا من القُصُورِ إلىٰ القبورِ، ومن الأهلِ والأموالِ إلىٰ الجزاءِ علىٰ الأعمالِ، فأصبحوا مُرْتَهَنِينَ بأعمالِهم في قُبورِهم، يَتَمَنَّوْنَ زيادةَ حسنةٍ واحدةٍ في أعمالِهم فلا يستطيعون، ويَتَمَنَّونَ أنْ يتوبوا من سيئاتِ أعمالِهم، وهُمْ عن التوبةِ بَعْدَ الموتِ مَحْجُوبُونَ، رُؤِيَ بعضُ الأمواتِ في المنامِ، فقال: قدمنا علىٰ أمرٍ عظيمٍ نَعْلَمُ ولا نعملُ، وأنتم تعملون ولا تعلمون، أي لا تعلمون ما حَلَّ بنا، واللهِ لتسبيحةٌ أو تسبيحتان أو ركعةٌ أو ركعتان في صحيفةِ أحدِنا أحبُّ إليه من الدنيا وما فيها. فبادروا عبادَ اللهِ بالتوبةِ، واعْرِفُوا قَدْرَ ما أنتم فيه اليومَ وما ستُقْدِمُون عليه غداً. لقد قال النبيُّ ﷺ: «**لَمَوْضِعُ سَوْطِ أحدِكم في الجنةِ خَيْرٌ من الدنيا وما فيها**»(١)، ليست دنيا عَصْرِك ولا دنياكَ وَحْدَك، بل الدنيا كلُّها من أولِها إلىٰ آخرِها ما كان لك وما كان لغيرِك ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَـٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٢١]، ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [الأعلىٰ: ١٦-١٧]، ﴿أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَـٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ﴾ [الشعراء: ٢٠٥].

عبادَ اللهِ، اقرؤا ما ذكره عزَّ وجلَّ عن ابتداءِ الخلقِ وانتهائِه في قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٥٠) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنهما.

ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣-٦].

فاعتبروا يا أولي الأبصار، واعملوا ليوم تتقلب فيه القلوب والأبصار، اللهم أيقظنا من رقادِ الغفلةِ، ووفقنا للتوبة النصوح والعمل الصالح قبل النقلة، وارزقنا اغتنام الأوقات زمن المهلة، اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين يا رب العالمين.

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيمُ.

* * *

وداع العام

الحمدُ للهِ الذي جعل الشمسَ ضِياءً والقمرَ نُوراً، وقدَّره منازلَ لتعلموا عدد السنينَ والحسابَ، والحمدُ للهِ الذي جعل الليلَ والنهارَ خلفةً لِمَنْ أرادَ أن يذكّر أو أراد شُكُوراً من ذوي الألبابِ، وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد ومنه المبتدأ وإليه المآب، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أفضلُ مَنْ تعبدَ للهِ وأنابَ، صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه ومَنْ تَبِعهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدينِ، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ وتَبَصَّرُوا في هذه الأيامِ والليالِ، فإنها مراحلُ تقطعونها إلىٰ الدارِ الآخرةِ حتىٰ تَنتهُوا إلىٰ آخرِ سَفَرِكم، فطُوبَىٰ لعبدٍ اغتنمَ فُرَصَ هذه المراحلِ بما يُقَرِّبُ إلىٰ مولاه، طُوبَىٰ لِعَبْدٍ شَغلَها بالطاعاتِ وتَجَنُّبِ العِصْيانِ، طُوبَىٰ لِعَبدٍ اتعظ بما فيها من تقلبات الأمورِ والأحوالِ، طُوبَىٰ لعبدٍ استدلَّ بذلك علىٰ ما للهِ فيها من الحِكَمِ البالغةِ والأسرارِ.

إخواني: أَلَم تَرَوْا إلىٰ هذه الشمسِ كُلَّ يومٍ تطلُع من مَشْرِقِها وتغيبُ في مغربِها، وفي ذلك أعظمُ الاعتبارِ، فإنَّ طلوعَها ثم غيوبَها إيذانٌ بأن هذه الدنيا ليست بدارِ قرارٍ، وإنما هي طلوعٌ ثم غُيوبٌ وزوالٌ. أَلَمْ تَرَوْا إلىٰ الشهورِ يهِلُ الهلالُ فيها، كما يُولَدُ

الأطفالُ، ثم ينمو رُوَيْداً رُوَيْداً كما تنمو الأجسامُ، حتىٰ إذا تكامل نُموُّه أخذَ بالنقصِ وَبَاءَ بالاضمحلال، أَلَمْ تَرَوْا إلىٰ هذه الأعوام تتكرر عاماً إثْرَ عامٍ، يُدرِكُ الإنسانُ أولَ العام فيتطلعُ إلىٰ آخرِه تَطَلُّعَ البعيدِ ثم تمرُّ به الأيامُ سريعاً فينصرمُ وقتُه كلَمْحِ البَصَرِ، فإذا هو في آخرِ العامِ، إن في ذلك لذِكْرَىٰ لِمَنْ كان ذا أمرٍ رشيدٍ، ألا وإن عُمْرَ الإنسانِ مُمَاثِلٌ لهذه الأمورِ، ربما يستبعدُ الموتَ، فإذا به قد هَجَمَ وربما يُؤَمِّلُ طُولَ العمرِ، فإذا بحَبْلِ الأملِ قد انقطعَ، وإذا بالبناءِ قد انهدمَ.

أيها المسلمون: إنكم في هذه الأيام تُودِّعونَ عاماً ماضياً شهيداً، وتستقبلون عاماً مُقْبِلاً جديداً، فيا لَيْتَ شِعْرِي! ماذا أَوْدَعْتُم في عامِكم الماضي؟ وماذا تستقبلون به العام الجديدَ؟ فليحاسب العاقلُ نفسَه ولينظرْفي أمرِه، فإنْ كان قد فرَّطَ في شيءٍ من الواجباتِ فليتب إلىٰ اللهِ ولْيتداركْ ما فاتَ، وإن كان ظالماً لنفسِه بانتهاكِ المحرماتِ، فلْيُقْلِعْ عنها قبلَ حلولِ الأجلِ وفواتِ الآوانِ، وإنْ كان مِمَّن مَنّ اللهُ عليه بالقيامِ بأمرِه بحَسَبِ المستطاعِ فلْيَحْمدِ اللهَ علىٰ ذلك ولْيَسْأَلْه الثباتَ عليه إلىٰ المماتِ.

إخواني: ليست التوبة مجردَ قولٍ باللسان، ولا مجردَ تَشَكٍّ من الوقوعِ في الإثمِ والعصيانِ، إنما التوبةُ نَدَمٌ وإقلاعٌ وإنابةٌ، نَدَمٌ علىٰ ما مَضَىٰ من الذنوبِ، وإقلاعٌ عما كان مُتَلَبِّساً به من العيوبِ، وإنابةٌ إلىٰ الله بإصلاحِ الأعمالِ ومراقبةُ عَلَّامِ الغُيوبِ.

وعظ النبيُّ ﷺ رجلاً فقال: «**اغتنم خَمْساً قبلَ خَمْسٍ: شبابك قبلَ هرمك وصِحتَك قبلَ سَقَمِك، وغِنَاك قبلَ فَقْرِك، وفَرَاغَك قبلَ شُغْلِك، وحياتك قبلَ موتِك**»[1]، فالشبابُ قوةٌ وعزمٌ وإقدامٌ، فإذا هَرِمَ الإنسانُ ولا بُدَّ له من الهَرَمِ أو الموتِ، فإنَّ قوتَه تَضْعُفُ، وعَزْمَه يَهِنُ، وإقدامَه يتأخَّرُ، والصحةُ قوةٌ وانبساطٌ، فإذا مَرِضَ الإنسانُ ضَعُفَ جِسْمُه، ودَنَتْ نفسُه، وضاقت عليه الأمورُ، والغِنىٰ راحةٌ وفراغٌ، فإذا افتقرَ الإنسانُ انشغل في طَلَبِ العيشِ، وعادت الراحةُ تَعباً والفراغُ شُغْلاً، والإنسان في حياته يستطيع أن يعمل ولكنه بعد مماته لا يستطيع أن يعمل، فبادروا أيها المسلمون أعمارَكم واعتبروا ما استقبلتم منها بما مضىٰ فإنَّ كُلَّ آتٍ قريبٌ وكُلَّ حاضرٍ ذاهبٌ.

أعوذُ باللهِ من الشيطانِ الرجيمِ، قال اللهُ تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٣ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ۝٤ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ

---

(١) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٢)، والحاكم ٤/ ٣٠٥، والبيهقي في «الشعب» من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝ إِنَّ فِي ٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ۝﴾ [يونس: ٣-٦]، ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ [الرعد: ٢].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيمُ.

* * *

نهاية العام الهجري ١٤١١هـ

الحمدُ للهِ الذي جعل الشمسَ ضِياءً، والقمرَ نُوراً، وقدَّره منازلَ لتعلموا عددَ السنينَ والحسابَ، وجعل الليلَ والنهارَ خِلْفَةً لمن أرادَ أنَ يذَّكَرَ أو أرادَ شُكُوراً من ذوي الألبابِ. وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، له الملكُ وله الحمدُ، وإليه المرجعُ والمآب، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أفضلُ مَنْ تَعَبَّدَ للهِ وأنابَ، صلَّىٰ اللهُ عليه وآلِه وأصحابِه والتابعين لهم بإحسان، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ: فقد قال اللهُ تعالىٰ: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ١٩٠]. صَدَقَ اللهُ إنَّ في خَلْقِ السمٰواتِ والأرضِ في عظمها وبَديعِ صنعهما وما أوْدَعَ اللهُ فيهما من الآياتِ الباهرةِ الدالةِ علىٰ كمالِ قدرةِ اللهِ تعالىٰ ووحدانيتِه وحِكْمتِه، ورحمتِه. وفي اختلافِ الليلِ والنهارِ في حقيقتيهما وطولِهما تارةً، وقِصَرِهما تارةً، واختلافِهما حَرْباً وسِلْماً، وخَوْفاً وأَمْناً، ويُسْراً وعُسْراً، ورَخَاءً وشِدَّةً وسُروراً أو مَسَاءةً. فيومٌ علينا ويومٌ لنا. يومٌ نُسَاءُ ويومٌ نُسَرُّ، وفي اختلافِهما عِزاً وذُلاً، ونَصْراً وخِذْلاناً، وضَلاَلاً، وهِدايةً، وانْحِرَافاً واستقامةً، إلىٰ غيرِ ذلك من أنواعِ الاختلافاتِ، لأَكْبرُ دلالةً علىٰ أنَّ لهذا الكونِ إلٰهاً

واحداً، فَعَّالاً لما يُريدُ، لا مُعقِّبَ لحُكْمِه، ولا رَادَّ لقضائِه. ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠]. ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَتُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٢٦-٢٧].

أيها الناسُ: إنكم في هذا اليومِ تُوَدِّعُونَ عَاماً ماضياً شهيداً هو الحادي عشرَ بعدَ أربعِمائةٍ وألفٍ، عاماً حَمَلَ أحداثاً كبيرة أَوْرَثَتِ الهمومَ والغُمومَ أحياناً، وأورثت السرورَ والانشراحَ أحياناً. وإنه لَجَدِيرٌ بنا أن نَذْكُرَ أهمَّ هذه الأحداثِ، لِنتذكَّرَ ونتعظَ حتىٰ لا تَقْسُوَ القلوبُ، وتَلْهُوَ النفوسُ، فمن الأحداثِ نكبةُ الخليجِ وكارثتُه.

ففي ليلةِ الخميسِ الحادي عشَرَ من شهر مُحَرَّم عام ١٤١١هـ احتلَّ الجيشُ العراقيُّ الكويتَ. وفي يوم الأربعاءِ السابعَ عَشَر منه أُعْلِنَ ضَمُّ الكويتِ إلىٰ دولةِ العراق، علىٰ أن يكونَ إحدىٰ محافظاتِ العراقِ، وقد نَزَحَ مِن جَرَّاءِ ذلك كثيرٌ من أهلِ الكويتِ إلىٰ البلادِ المجاورةِ، تاركين بلادهم وديارَهم وشيئاً من أموالِهم، وهَلَكَ مَنْ شاء اللهُ منهم، فكانت مصيبةً كبيرةً عليهم، جَرَتْ بقَدَرِ اللهِ وحِكْمَتِه، لعل العبادَ يتذكرون وإلىٰ ربِّهم يَرْجِعُون بالاستقامة علىٰ دينه، وتحكيمِ شرعِه، والبعدِ عن أسبابِ سَخَطِه.

وفي ليلةِ الخميس، أولَ يومٍ من شَهْرِ رَجَبٍ لهذا العام، بَدَأت الحربُ التي كان من أهدافِها تخليصُ الكويت، ورَدُّه إلىٰ أهلِه بدأت بقِتالٍ جَوِّيٍ كبيرٍ لم يحصلْ له نظيرٌ في الشرقِ الأوسطِ حتىٰ الآنَ، فأُزْهِقَتْ به نفوسٌ، ودُمِّرَتْ منازلُ ومنشآتٌ، وأُتْلفَتْ به أموالٌ، وتَشَتَّتْ به أهواءٌ، وزَلَّتْ به أقدامٌ، واختلفت به كلماتٌ، وحَلَّت به كُربات، فكانت أيامُه مُدْلَهِمَّةً، ولَياليه حالكةً.

وفي ليلةِ الخميسِ الرابعَ عشرَ من شهرِ شعبان لهذا العام، أُعْلِنَ إيقافُ الحرب بعد قتالٍ بريٍّ، دام أربعةَ أيام وأربعَ ساعاتٍ، وبه انتهت الحربُ في شهرٍ وأربعةَ عَشَر يوماً، وخَلَصَتِ الكُوَيْتُ لأهلِها.

وفي يوم الخميس الثامنَ عشرَ من شعبانَ لهذا العام، دخل أميرُ الكويتِ إلىٰ بلدِه، بعد غيابٍ عنها سبعةَ أشهرٍ وثمانيةَ أيام. ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦].

إنَّ علينا أيها المسلمون، أنْ لا نَنْسَىٰ هذه الكارثةَ المُفْجِعَةَ، فَنَغفُلَ عن أسبابِها ونتائجِها، علينا أن يكونَ تذكرُنا لهذه الكارثةِ من حيثُ أسبابِها، حافزاً لنا علىٰ طاعةِ الله تعالىٰ، واجتنابِ أسبابِ سَخَطِه وعِقابِه، حتىٰ لا تعودَ مرةً أخرىٰ وبصورةٍ أشَدَّ وأنْكَىٰ. علينا أنْ يكونَ تذكرُنا لهذه الكارثةِ المفجعةِ من حيثُ نتائجِها، سبباً لشُكْرِ اللهِ تعالىٰ، علىٰ نتيجتِها التي كانت آثارُها أقلَّ بكثيرٍ مما نتوقعُ. فلله الحمدُ والمِنَّةُ، ونسألُه تعالىٰ أن لا يُعيدَ علينا ولا علىٰ المسلمين

مَكْرُوهاً، وأن يحفظَنا بدينِنا، ويحفظَ دينَنا بنا، وأن يجعلَنا من دُعاةِ الحقِّ وحُمَاتِه.

ومن أحداثِ هذا العام، ما حدَثَ من بعضِ النساءِ في الرياض، ففي يوم الثلاثاءِ التاسعَ عشرَ من شهرِ ربيعِ الثاني من هذا العام، قامت طائفةٌ قليلةٌ بقيادةِ سياراتٍ في مسيرةٍ في أحدِ شوارع الرياض، يُطالِبْنَ بالسماحِ لَهُنَّ بقيادةِ السيارةِ، فرأىٰ بعضُ الناس هذا أمراً هيناً، ورآه آخرون أمراً خطيراً، ورآه طائفةٌ ثالثةٌ أمراً هيناً في شكله، خطيراً في هدفِه حيثُ إنه قد يكونُ بُوّابةً وسلّماً لما يُسَمُّونَه تَحَرُّرَ المرأةِ، وهو في الحقيقةِ تَدَهْوُرُ المرأة وتحَرُّرها من رِقِّ الحياء، الذي هو من سِماتِ دِينِها ومُقْتَضَىٰ فِطْرَتِها وطَبيعتِها، وشُعبةٌ من شُعَبِ إيمانِها، إلىٰ رِقِّ الشيطانِ والهَوىٰ، كما قال ابنُ القَيِّمِ فيمَنِ اتَّبَعَ هَواهُ:

هرَبُوا من الرقِّ الذي خُلِقُوا له فبُلُوا بِرِقِّ النَّفْسِ والشيطانَ

ولا شكَّ أن قيادةَ المرأةِ للسيارةِ فيها من المفاسدِ ما يَرْبُو علىٰ مصالِحِها بكثيرٍ، هذا فضلاً عن أنها ربما تكون سُلَّماً وباباً لأمورٍ أخرىٰ ذاتِ شرورٍ فتاكةٍ وسمومٍ قاتلةٍ وقد اتخذَ ولاة الأمورِ وفَّقهم اللهُ حِيالَ ذلك ما رَأوْه كافياً في مَنْعِ تكرارِ مثلِ ذلك، وأعلن الناسُ استنكارَهم لذلك مما يدلُ علىٰ الوَعْيِ في هذا البلدِ، وعلىٰ اليقظةِ والحَذَرِ من الأمورِ التي قد تكونُ خَطَراً علىٰ الدينِ والأخلاقِ،

فنسألُ اللهَ تعالىٰ أنْ يزيدَ هذا البلدَ حكومةً وشَعْباً من اليقظةِ والقوةِ في دينِ الله، والحفاظِ علىٰ مقوماتِ البلدِ وأمْنِه واستقرارِه.

وفي هذا العامِ تزعزعتْ مبادىءُ الشيوعيةِ في بلادِها، وانقسمتْ علىٰ نفسِها وسقطت هيبتُها، وتمزقت صفوفُها، وبدأت تتراجعُ عن مبادئِها المخالفةِ للشرائعِ المناقضةِ للفِطَرِ البشرية، ويُذْكَرُ أنها سَمَحَت للمسلمين بإقامة شعائرِ دينِهم، وهذا يُبَشِّرُ بخيرٍ، فإن انهيارَ الأسُسِ الإلحاديةِ والفكرية، يُعتبرُ كَسْباً للمسلمين وفَتْحُ بابٍ لآمالِهم. فنسألُ اللهَ أنْ يُدَمِّرَ أعداءَ المسلمين، في كُلِّ مكانٍ وزمانٍ، وأن ينصُرَ دينَه ويُعْلِيَ كلمتَه.

أيها المسلمونَ: إنَّ في هذه الأحداثِ وغيرِها لعَبْرةً يعتبرُها أولو الألباب، فاعتبروا يا أولي الأبصار، واتقوا اللهَ وقُومُوا بشرائع دينِكم آناءَ الليلِ والنهارِ. واعلموا أنَّ النعمَ تزدادُ بالشكرِ، وتزولُ بالكفرانِ، وفي الحديثِ أن النبيَّ ﷺ وعظ رجُلاً فقال: «**اغتنم خمساً قبلَ خَمْسٍ، شبابك قبلَ هَرَمِكَ، وصِحَّتَك قبلَ سَقَمِك، وغِناكَ قبلَ فَقْرِكَ، وفراغَكَ قبلَ شُغْلِك، وحياتَك قبلَ مَوْتِك**»[1].

اللهم اجعلْنا من المعتبرين بآياتِك المهتدين بهدايتِك ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨]

---

(١) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٢)، والحاكم ٤/ ٣٠٥، والبيهقي في «الشعب» من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

اللهم اجعل مستقبل أمرنا خيراً من ماضيه. اللهم اجعلْ عامَنا المقبلَ عامَ خيرٍ وبَرَكةٍ، وأَمْنٍ، وإيمانٍ، عامَ رخاءٍ وازدهارٍ واطمئنانٍ. اللهم أصْلِحْ وُلاتَنا ورَعِيَّتَنا، شبابَنا وكهولنا وشُيُوخَنا وإناثَنا، إنك سميعٌ مجيبٌ. اللهم صلِّ وسَلِّمْ علىٰ عبدِكَ ورسولِك محمدٍ وعلىٰ آلهِ وصحبِه أجمعين.

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيمُ.

* * *

بدعة عيد المولد

الحمدُ للهِ الذي مَنّ علىٰ المؤمنين إذ بعَثَ فيهم رسولاً من أنفسِهم يتلو عليهم آياتِه، ويُزَكِيهم ويعلمُهم الكتابَ والحكمةَ، وإنْ كانوا من قبلُ لفي ضلالٍ مبينٍ. وأشهدُ أنْ لا إلـٰهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، له الخلقُ والأمرُ قضاءً وحُكْماً، وهو أحكمُ الحاكمين. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، بعثه اللهُ ليُخْرِجَ الناسَ من الظلماتِ إلىٰ النورِ بإذن ربهم، فأتم به النعمةَ، وأكملَ به الدينَ، فما ترك شيئاً يُقَرِّبُ الخلقَ إلىٰ اللهِ ويَنْفَعُهُم إلا بَيَّنه وأمرَ به، وما ترك شيئاً يُبْعِدُهم من اللهِ أو يضرُّهم، إلا حَذَّرَهم منه، حتىٰ ترك أمتَه علىٰ سنةٍ واضحةٍ ليلُها كنهارِها، لا يزيغُ عنها إلا الهالكون. صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه، ومَن تَبِعَهم بإحسانٍ إلىٰ يوم يبعثون، وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واعلموا أنَّ أعظمَ منّةٍ وأكبرَ نعمةٍ منّ اللهُ بها علىٰ عبادِه، وأنعمَ بها عليهم أنْ بعثَ فيهم الرُّسلَ مبشرين ومنذرين، وأنزل معهم الكتاب ليحكمَ بينَ الناس فيما اختلفوا فيه، وكان أعظمُهم قدراً، وأبلغُهم أثراً، وأعمُّهم رسالةً محمداً ﷺ، الذي ختم اللهُ به الرسلَ، وهَدَىٰ به الخَلْقَ، بعثه اللهُ سبحانَه والناسُ أشَدُّ ما يكونون ضرورةً إلىٰ نورِ الرسالةِ الإلهيةِ، لغَلَبَةِ الجهلِ فيهم والظلمِ، فهدىٰ به من الضلالةِ وبَصَّرَ به من العَمَىٰ، وألّف به بعدَ الفُرقةِ، وأغنىٰ به بعدَ العَيْلةِ، فأصبح الناسُ

بنعمةِ الله في دينِه إخواناً، وفي الحقِّ أعواناً، وحَصَلَت لهم العزةُ، ودانت لهم الأممُ، فدخلوا في دينِ الله أفواجاً، وكان المستمسكون به غُرّةً بيضاءَ في جَبينِ التاريخ.

ولما كانت الأمةُ الإسلاميةُ علىٰ ما كان سلفُها من الدينِ والألفةِ، ووحدةِ الكلمةِ علىٰ الحقِّ، حريصةً علىٰ تنفيذِ شرعِ الله مهتديةً في ذلك بهَدي الله، متمشيةً في عباداتِها ومعاملاتِها، وسياستها الداخلية والخارجية علىٰ هدي رسولِ الله ﷺ، ولما كانت علىٰ هذا الوصفِ كانت أمةً ظاهرةً ظافرةً منصورةً بنصرِ الله، ولما انحرفت عن هذا السبيل وانحرفتْ وراءَ الأهواءِ تَغَيَّرَ وضعُها، وجُعِلَ بأسُهم بينَهم، وسُلِّطَ عليهم الأعداءُ من كُلِّ جانبٍ، وبكلِّ سلاح، وصاروا غُثَاءً كغُثَاءِ السَّيْلِ كثرةً في غيرِ قوةٍ، وكلاماً في غيرِ عَمَلٍ، وبهرجةً بدون حقيقة.

ولن يعودَ للأمة مجدُها وكرامتُها حتىٰ تعودَ إلىٰ دينِها الذي به عزتُها ومجدُها، تعودُ إليه أفراداً وشعوباً، حكاماً ومحكومين. وتطبق الدين تطبيقاً كاملاً في العقيدةِ والقولِ والفعلِ، تمشياً مع قولِ النبيِّ ﷺ: «**عليكم بسُنتي وسنةِ الخلفاءِ الراشدين المهديين من بعدِي، تمسكوا بها وعَضُّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثاتِ الأمورِ، فإنَّ كُلَّ بدعةٍ ضلالةٌ**»[1].

---

(١) أخرجه أحمد ٤/١٢٦، وأبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٣) من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه.

أيها المسلمونَ: إنَّ مما أحدثَه بعضُ الناس من البِدَعِ في الدين التي أحدَثوها في هذا الشهرِ وسَمَّوْها عيدَ المَوْلدِ النبويِّ، يجتمعون فيها في الليلةِ الثانيةَ عشرةَ من هذا الشهر، شهرِ ربيعٍ الأول، إما في المساجد، أو في البيوت، ويصلون علىٰ النبيِّ ﷺ بصفاتٍ بدعيةٍ، ويقرؤون المدائحَ له ﷺ، وربما صنعوا طعاماً وولائمَ، وأحدثوا رَقْصاً وتصفيقاً في القصائدِ التي يمدحون فيها رسولَ اللهِ ﷺ، فأضاعوا المالَ والزمانَ فيما لم يَأْذَنْ به الله.

وهذه البدعةُ أُحْدِثَتْ بعدَ عصرِ السلفِ الصالحِ، بعدَ عَصْرِ الصحابةِ والتابعين وتابعِيهم. فقد أُحْدِثَتْ في القرنِ الرابعِ من الهجرةِ في عهد الفاطميين لأسبابٍ سياسية أو غيرِها. قال شيخُ الإسلام ابنُ تيميةَ (ص٢٩٤ط السنة المحمدية: اقتضاء الصراط المستقيم): ما يُحْدِثُه بعضُ الناسِ إما مُضاهاةً للنصارىٰ في ميلادِ عيسىٰ، وإما محبةً للنبيِّ ﷺ وتعظيماً له من اتخاذ مَوْلِدِ النبيِّ ﷺ عيداً مع اختلاف الناسِ في مَوْلِدِه فإنَّ هذا لم يفعلْه السلفُ مع قيامِ المقتضىٰ له، وعدمِ المانعِ له. ولو كان خيراً مَحْضاً، أو راجحاً لكان السلفُ أحقَّ به منّا، فإنهم كانوا أشدَّ محبةً للنبي ﷺ، وتعظيماً له منّا، وهم علىٰ الخيرِ أحرَصُ، وإنما كمالُ محبتِه وتعظيمِه في متابعتِه وطاعتِه، واتباعِ أمرِه، وإحياءِ سنتِه، باطناً وظاهراً، ونَشْرِ ما بُعِثَ به، والجهادِ علىٰ ذلك بالقلبِ واليدِ واللسانِ. وأكثرُ هؤلاء الذين تجدُهم حُرَصاءَ علىٰ أمثال هذه

البدع، تجدُهم فاترين في أمرِ الرسول ﷺ، فيما أُمِرُوا بالنشاطِ فيه، وإنما هم بمنزلةِ مَنْ يُحَلِّي المصحفَ، ولا يقرأُ فيه، أو يقرأُ فيه ولا يتبعُه. هذا كلام ابن تيمية.

أيها المسلمونَ: إنَّ بدعةَ عيدِ المولدِ التي تقام في الليلةِ الثانية عشرة من هذا الشهر، ليس لها أساسٌ تاريخيٌّ ولا شرعيٌّ، ليس لها أساسٌ تاريخيٌّ لأنه لم يثبتْ أن ولادَة النبيِّ ﷺ، كانت في تلك الليلة أو اليوم. فالمؤرخون مختلفون في ذلك اختلافاً كثيراً. وليس لها أساسٌ شرعيٌّ لأن النبيَّ ﷺ لم يفعلْها، ولم يأمرْ بها، ولم يفعلها خلفاؤه الراشدون، ولا الصحابةُ أجمعون، ولا التابعون وتابعوهم.

وقد قال ﷺ: «**عليكم بسنتي وسنةِ الخلفاءِ الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها وعَضُوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثاتِ الأمورِ، فإنَّ كُلَّ بدعةٍ ضلالةٌ**»(١). وقال ﷺ في خطبته: «**أما بعد: فإنَّ خَيْرَ الحديثِ كتابُ الله، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمد ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ وكلَّ ضلالةٍ في النار**»(٢) ولأن الأعيادَ شريعةٌ من الشرائعِ، فيجبُ فيها الاتباعُ لا الابتداعُ، فما شرعَه اللهُ اتبع، وإلا لم يحدث في الدين ما ليس منه. (قاله شيخ الإسلام في الاقتضاء)(٣).

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٧٦) من حديث العرباض رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٨٦٧) من حديث جابر رضي الله عنه.

(٣) انظر كتاب «اقتضاء الصراط المستقيم» ص٢٩٤.

أيها المسلمون: إنَّ فيما شرعه الله لنا من تعظيمِ رسولِه ﷺ كفايةً عن كُلِّ وسيلةٍ تُبْتَدَعُ وتَحدثُ، وإننا لنحمدُ اللهَ تعالىٰ أن كانت هذه المملكةُ خاليةً عن كثيرٍ من البدعِ التي أُحْدِثَتْ في الإسلام. لكننا نُنَبِّهُ عليها لداعي الحاجةِ إلىٰ ذلك، لأن الناسَ يسمعونها في الإذاعات، ويقرؤون عنها. ومن أجل أن ينتبهَ لذلك مَنْ كانوا يعتادونها في بلادِهم، فيعرفوا أنها لا أصلَ لها في الإسلام.

أعوذُ بالله من الشيطانِ الرجيم: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *



فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة